

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

حضارات الرعاة في النيوليتي بالطاسيلي والهوفار من خلال الفن الصخري (6000 ق م - 1000 ق م)

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم

الجزء الأول

إشراف:

أ- د : إبراهيم العيد بشي

الطالب :

بن بو زيد لخضر

السنة الجامعية: 2015 - 2016

الاهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى روح والدي الطاهرة وإلى والدتي العزيزة
كما أهدي هذا العمل إلى زوجتي التي سهرت معي وتحملت عناء
هذا البحث، وإلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى
رياحين حياتي بناتي هبة وهالة ولينة

كلمة شكر

بداية وكما قيل من لم يشكر الناس لم يشكر الله، وعرفانا مني بكل من قدم لي مساعدة من قريب أو بعيد وساعدني على إتمام هذا العمل، فأني أقدم الشكر الجزيل لهم جميعا، وأخص بالذكر الاستاذ المشرف ابراهيم العيد بشي لإشرافه على العمل وللمساعدة التي قدمها لي، كما اشكر القائمين على مكتبة متحف باردو، والقائمين على مكتبة المعهد الفرنسي للدراسات الأفريقية والباحثين في هذا المعهد

مقدمة

تحتل منطقة الطاسيلي موقعاً مركزياً بالنسبة للصحراء وهي إلى جانب ذلك ذات موقع جيد كما أنها غنية بالتضاريس، وتحضي بالأفضلية من حيث المناخ مقارنة مع مناطق أخرى من الصحراء، كما تتوفر على شبكة هامة من الأودية الكبيرة التي تشبه الأنهار، ولعل تلك المميزات هي التي جعلت منها مركز حضارياً كبيراً في ما قبل التاريخ.

وقد أظهرت الدراسات أنه منذ ما يقارب 10 آلاف سنة كان الصيادون الأوائل يجوبون المنطقة طولا وعرضا وكانوا يمارسون نشاطاً يخلط بين صيد الحيوانات البرية وصيد الأسماك، ثم أصبحت حياتهم شبه مستقرة بعد أن أنتجوا الفخار، كما عرفوا الفن الصخري في فترة ما من البلايستوسين أو ربما مع بداية الهلوسان وعبروا عن أفكارهم ومعتقداتهم في صور فيها الكثير من الخيال فأفكارهم كانت تعج بالكائنات الخرافية والسحر، وبعد ذلك وبتأثير من الجفاف تمكن هؤلاء من التحول إلى تدجين الأبقار بشكل تدريجي.

وفي تلك الفترة استقطبت الصحراء الوسطى أعداداً لا حصر لها من البشر من كل مكان، لما كانت تتمتع به من ظروف جيدة، ولا شك أن التحول إلى الحياة الرعوية قد صاحبه تحول في الأفكار والمعتقدات وهو ما انعكس على صور الفن الصخري التي تعود إلى هذه الفترة، فقد شهدت الحياة الرعوية تطور في الأفكار والمعتقدات، فالرعاة سجلوا كل نبضات حياتهم على جدران الملاجئ الصخرية قرب الأماكن التي كانوا يعيشون فيها كما تركوا معتقداتهم وأساطيرهم ومعظم تفاصيل حياتهم ماثلة على الصخور.

ولا شك أن الحيوانات البرية أو المستأنسة كان لها دوراً كبيراً في حياتهم فقد أخذت نصيب وافر من أفكارهم ومعتقداتهم، وتجلّى ذلك في صورها الكثيرة في الفن الصخري، ومن جهة أخرى شهدت الحياة الرعوية اختلافاً كبيراً وتنوعاً في الأساليب الفنية وقد عكست الصور الإنسانية التي تعود إليهم تعدداً عرقياً، مما يعني أن شعوب ومجتمعات ذات أصول مختلفة قد عاشت في المنطقة، وقد أدى تفاعل تلك المجتمعات مع بعضها البعض إلى قيام حضارة عظيمة بما تركته من منجزات حضارية، وقد شمل إشعاع هذه الحضارة منطقة واسعة وكان لها تأثير واضح في الفن الإفريقي اليوم.

ويعتبر الفن الصخري سجلاً كاملاً للحياة فقد حرص الرعاة على تسجيل كل نشاطاتهم اليومية وكذلك مختلف الأساطير والمعتقدات والأفكار التي كانت سائدة عندهم، ولا شك أن

دراسة الفن الصخري والبحث فيه يمكننا من إعادة بناء حياة هؤلاء الرعاة والتعرف على جوانب حضارتهم، ومن هذا المنطلق فقد اخترنا البحث عن مختلف مظاهر حضارة رعاة الأبقار من خلال الفن الصخري.

والسؤال المهم الذي نسعى للإجابة عليه من خلال هذا البحث هو : ماهي أهم مظاهر حضارة الرعاة في النيوليتي ؟

ولا شك أن هناك تساؤلات أخرى تحتاج إلى إجابات، ففي البداية وجب علينا التعريف بالخصائص الطبيعية للمنطقة، والدور الحضاري الذي اضطلعت به منطقة الطاسيلي والهوقار في ما قبل التاريخ عامة وفي النيوليتي خاصة .

وبما أن الفن الصخري هو المصدر الرئيسي الذي نعتمد عليه في بحثنا عن حضارة الرعاة، فإنه يجب علينا في البداية التعرف على خصائص هذا الفن، وأوجه التشابه والاختلاف بين الفن في الطاسيلي والهوقار، والعلاقة بين هذه المنطقة ككل والمناطق المجاورة لها وصولا إلى التعرف على بصمات هذا المنطقة في الفن الإفريقي اليوم .

كما يجب علينا التعرف على الشعوب التي عاشت في المنطقة من خلال أساليبها الفنية وصورها، ونحتاج أيضا إلى معرفة العلاقة بينهم وبين الشعوب الحالية في شمال إفريقيا، ومن الضروري أيضا معرفة دور الحيوانات في حياة هؤلاء الرعاة وفي معتقداتهم.

وقد اقتضت ضروريات البحث تقسيمه إلى عدة فصول، أما الفصل الأول فقد خصصناه للتعريف بالمنطقة من الناحية الطبيعية والجغرافية بما في ذلك التكوين الجيولوجي والمناخ والمجاري المائية، ثم التعريف بمختلف الحضارات التي مرت بالمنطقة والتي أفردنا لها الفصل الثاني كاملا.

أما الفصل الثالث فقد خصصناه لدراسة الحياة الرعوية في الطاسيلي و الهوقار، وقد تطلب منا الأمر التعريف بالفن الصخري في الطاسيلي والهوقار من حيث التقنية والأسلوب وكذلك التعريف بمرحلة البقریات، ثم التعريف بالرسومات التي تعود للمرحلة الرعوية القديمة والوسطى في الطاسيلي والشعوب التي مثلتها، وكذلك النقوش في تادرارت الجنوبية ووادي جرات والهوقار، وركزنا في المبحث الأخير على المواضيع التي تناولتها نقوش وادي جرات.

وفي الفصل الرابع تناولنا مرحلة البقريات الوسطى ، من حيث الاطار العام لها ، والمراحل الحضارية والفنية لها، ثم المجموعات البشرية التي عاشت فيها، وفي المبحث الاخير تناولنا موضوع البقريات الوسطى في الهوقار .

أما الفصل الخامس فهو يتناول المرحلة التي إنتهت بها الحياة الرعوية في الطاسيلي والهوقار ، تناولنا فيه مرحلة البقريات الحديثة وكل ما تعلق بالتغيرات المناخية وأثارها على الوجود البشري، ومختلف المجموعات البشرية التي عاشت في تلك الفترة والأساليب الفنية التي تنتمي إليها، ثم المظاهر الحضارية والمواضيع التي تناولتها الرسومات، والفصل السادس وهو الأخير فقد خصصناه لدراسة جوانب مختلفة من حضارة الرعاة كالأدوات واللباس والأواني والحلي والخيام وبعض المظاهر الإجتماعية كالعادات والتقاليد، وأعطينا الأهمية للدور الذي مثلته المرأة في حياة الرعاة، لنصل في الأخير إلى أهمية حضارة الطاسيلي في إفريقيا وعلاقتها بالمناطق الأخرى .

وبخصوص الدراسات السابقة فلا شك أن موضوع الفن الصخري قد سبق للباحثين أن تناولوه بالدراسة، لكن الوحيد الذي إهتم بمرحلة البقريات هو "ألفرد موزيليني"، وذلك في أطروحة له التي نشرها سنة 1983 والتي كانت بعنوان « فن ما قبل التاريخ في الصحراء التصنيف والكرونولوجيا: الأبقار في ما قبل التاريخ الإفريقي» ، لكن هذه الدراسة تميزت بالعمومية والإختصار فقد شملت كامل منطقة شمال إفريقيا ولم تقتصر على مرحلة البقريات بل شملت كل المراحل الفنية، ولا توجد وفق ما نعلم أبحاث أخرى تناولت مرحلة البقريات في الطاسيلي والهوقار .

والدراسات حول الفن الصخري بشكل عام تعتبر قليلة وإن وجدت فهي تقتصر إلى الجانب العلمي فقد اقتصر أعمال الباحثين على اكتشاف الفن ونقله للجمهور دون التعليق عليه، أو ربطه بحضارات ما قبل التاريخ، ويعتبر ذلك من الصعوبات التي اعترضت هذا البحث، فلم يتم وضع الفن الصخري في إطار أنثروبولوجي أو حضاري معين، وربما يعود السبب في ذلك إلى عدم وجود أبحاث كافية حول حضارات النيوليتي في الطاسيلي والهوقار .

كما أن الأبحاث الثانوية التي يمكن أن تخدم الموضوع قليلة وليست واضحة المعالم ونقصد بها الأبحاث التي تناولت المواقع الحضارية، فهناك أبحاث قليلة قامت بها جينات

أوماسب في "تين هناكتن" وغابرييل كامبس في أمكني وهنري هوجو وليونال بالوا ... ، وأبحاث أخرى قام بها باحثون إيطاليون في منطقة الأكاكوس الليبية المتصلة بالطاسيلي كأعمال سافينو دي لارينيا وباربارا باريش ومورو غراماشي، بينما كانت الأبحاث التي تناولت المظاهر الحضارية كتدجين الأبقار والفخار والصناعة الحجرية والأدوات ذات فائدة بالنسبة للبحث.

والملاحظ أنه على العكس من ذلك فإن الأبحاث التي تناولت المناخ قد أحرزت بعض التقدم بفضل أعمال "بيار رنون" في الهوقار و"نيكول ماري" في الصحراء الجنوبية والوسطى و"جون ميلي" كل من "لوهيرو ميشال" و "فونتان" في العرق الشرقي الكبير، وأعمال "سافينو دي لارينيا" في الأكاكوس، وربما أمكن التعرف على التغيرات المناخية التي حدثت في الصحراء في البلايستوسين والهولوسين بشكل جيد، كما أن المناخ الحالي في الصحراء قد تناوله بعض الباحثين مثل جون دوبياف الذي قدم معلومات قيمة في هذا المجال.

ومع أن الدراسات المناخية كانت مفيدة للبحث إلا أن العجز يمكن تسجيله في مجالات أخرى كالدراسات الأنثروبولوجية مما يجعل جوانب البحث غير متكاملة، فالدراسات التي تناولت البقايا الإنسانية لم تشمل كل المناطق إذا استثنينا الدراسة التي قدمتها "ماري كلود شاملة" التي تناولت شعوب الصحراء في العصور القديمة وهي دراسة عامة، أما الدراسات المتخصصة فهي التي تناولت بعض القبور، كمقبرة "منخور" التي درست من طرف عدد من الباحثين، أو موقع "تين هناكتن" الذي استخرجت منه بقايا إنسانية، والدراسات التي تمت عن البقايا الإنسانية في منطقة "غوبرو" بالنيجر.

وهناك اتجاه متزايد بين الباحثين لدراسة القبور التي تعود للنيوليتي ونذكر من بين الدراسات الحديثة تلك التي قامت بها فرانسواز باريس حول قبور منطقة الساحل الإفريقي، والدراسة التي قام بها إيف فوتي حول القبور في "الايبيدير" بالطاسيلي، وفي الآونة الأخيرة حضيت القبور التي تعود إلى ما قبل التاريخ وفجر التاريخ باهتمام الباحثين الجزائريين فقد قام بعضهم بدراسة القبور التي تعود لهذه الفترة ومن هؤلاء الباحثين نذكر عبد القادر حدوش وعزيز طارق ساحن ...

ومن جهة أخرى فإنه ليس من السهل دراسة منطقة كبيرة كالطاسيلي فما بالك بالهوفار أيضا، كما أن طبيعة الفن الصخري في حد ذاتها تطرح الكثير من الصعوبات فالكثير من الرسومات تبدو غير واضحة، وهناك صعوبة في تجميع عناصر المشهد الواحد وتحديد الرسومات القديمة فيه والحديثة وفيما إذا ما كانت تنتمي إلى نفس المجموعة البشرية وذلك في ظل تطابق الصور في المشاهد، كما أن هناك صعوبة في التعامل مع النقوش التي تُقدم معلومات قليلة مقارنة بالرسوم.

ومن الصعوبات التي إعتضت البحث هو عدم وجود توازن بين الرسوم والنقوش في الهوقار والطاسيلي، فالهوقار يتميز بنقوشه الرديئة كما أن مواضيع اللوحات تكاد تقتصر على الصيد، ورغم أن الأبقار موجودة في نقوش الهوقار إلا أن معظم اللوحات لا تعطينا أية معلومات حول حياة الانسان في ذلك الوقت، ومع ذلك فقد إستفدنا من نقوش قليلة في منطقة "أراك" ورسوم في "ادار أهنا" أعطتنا معلومات حول العبادة والسحر، وفي بعضها يمكن الحصول على معلومات في الجانب الانثروبولوجي أيضا.

وفي هذا الاطار فإن تمييز المظاهر الحضارية وربطها بالمجموعات البشرية المختلفة التي تعاقبت على المنطقة كان أحد أهداف هذه الدراسة، وذلك بإستقراء الرسوم والاستفادة من المعلومات التي يمكن أن تعطيها لنا، وكذلك مقارنة الرسوم التي في الهوقار برسوم الطاسيلي ومحاولة إجراء مقارنة بين الرسوم والنقوش.

وبالنسبة لعملية تفسير اللوحات الفنية فإن الباحثين عادة ما يربطون بين عادات الشعوب التي لا تزال تعيش حياة شبيهة بحياة ما قبل التاريخ في أستراليا وإفريقيا مع لوحات الفن الصخري لتفسير بعض المشاهد، وبالنسبة للطاسيلي جرت مقارنة بعض المعطيات الثقافية لشعب الفولاني والدوغون وحتى الطوارق مع لوحات الفن الصخري، وقد ادعى "أما دو حمباتي با" أن الكثير من مشاهد الطاسيلي تُعبر عن طقوس موجود أصلا لدى أجداده الفولاني، وقد تبنى العديد من الباحثين وجهة النظر تلك.

ومن باب مقارنة الرسوم الصخرية في الطاسيلي مع الشعوب الأصلية في جنوب إفريقيا وأستراليا وروسيا، فُسرت بعض المشاهد في الطاسيلي على أنها جزء من طقوس سحرية منتشرة لدى الشعوب ذات الديانات الروحانية، وقد قدم لنا جون لوكلاك معلومات جيدة في

هذا المجال من خلال دراسته للكثير من المشاهد في الطاسيلي وهضبة المساك الليبية، وللإشارة فإن أعمال هذا الباحث قد أفادت البحث بشكل كبير .

وفي الاطار نفسه فإن بعض القبائل في جنوب وادي النيل تتقارب أنثروبولوجياً مع مجموعات من الطاسيلي، وكذلك الأمر بالنسبة لمجموعات الفولاني في غرب إفريقيا، والدارسات التي تناولت هذه الشعوب كانت ذات أهمية بالنسبة للبحث، وخاصة تفسير بعض المظاهر كترتين أبدان الأبقار أو الوشم أو تشويه قرون الأبقار.

ولا شك أن البحث كهذا يتطلب التنقل إلى عين المكان وقد توجهنا بالفعل إلى بعض المناطق من الطاسيلي القريبة من جانتي ووادي جرات وحصلنا على معلومات وافرة من الهوقار أيضاً، وقد إعتدنا في المنهجية على الوصف والتحليل والمقارنة، وذلك بوصف المشاهد وتحليلها لإستخراج المعلومات المختلفة المتعلقة بالمواضيع التي تناولتها الرسوم وكذلك خصائص المجموعات البشرية التي نفذت هذه الصور، والمعلومات المتعلقة بثقافة تلك المجموعات ونشاطاتها اليومية ومعتقداتها، ثم مقارنة بمشاهد أخرى في المنطقة وبمناطق أخرى قريبة وصولاً إلى مقارنة بعادات بعض الشعوب التي تعيش في المناطق المجاورة، خاصة تلك التي لا تزال تعيش حياة شبيهة بالحياة التي كان يعيشها الناس الذين نفذوا تلك الرسوم .

أما الأهداف التي ترمي إليها هذه الدراسة فهي التعريف بمنطقة الطاسيلي و الهوقار ودراستها من كل الجوانب وخصوصاً دراسة مظاهرها الحضارية في فترة ما قبل التاريخ، وذلك اعتماداً على ما تركه السكان الأوائل من الشواهد الماثلة في الصخور، وكذا التعريف بالفن الصخري في منطقة الطاسيلي والهوقار والوصول إلى إجراء مقارنة بين المنطقتين ومحاولة إيجاد العلاقة بينهما أولاً، ثم علاقتهما بمختلف المناطق وصولاً إلى التعرف على مكانتها وتأثيرها الحضاري في مختلف المناطق وخاصة في الفن الإفريقي اليوم .

وفي الاطار نفسه نسعى إلى التعرف على أصول سكان شمال إفريقيا من خلال دراسة الفن الصخري في الصحراء ، خصوصاً وأن الكثير من الصور تعطينا الملامح الفيزيولوجية لسكان المنطقة في تلك الفترة من ما قبل التاريخ، فنحن أمام صور حية لشعوب عاشت في المنطقة منذ ما يزيد عن سبعة آلاف سنة، ومن الأهداف التي نرجو الوصول إليها التعرف

على الخصائص الثقافية والاجتماعية بما فيها العادات والتقاليد التي تربط بين سكان شمال إفريقيا اليوم وبين الشعوب القديمة التي سكنت المنطقة .

ومن المفترض أن هذه الدراسة تمكننا في الأخير من التعرف على التغيرات المناخية التي شهدتها الصحراء في ما قبل التاريخ وعلاقتها بالانتشار البشري والحضاري في مناطق واسعة من إفريقيا .

الفصل الأول

البيئة الطبيعية للطاسيلي والهوقار

أولا : الأقاليم الطبيعية في الصحراء الوسطى

ثانيا : المجاري المائية في الطاسيلي والهوقار

ثالثا: البيئة القديمة في الطاسيلي والهوقار

رابعا : البيئة الحالية في الطاسيلي والهوقار

أولاً: الأقاليم الطبيعية في الصحراء الوسطى:

أ- المظهر العام و التضاريس:

تُعرف الصحراء في معاجم اللغة أنها المكان الواسع الذي لا نبات فيه، فقد جاء في "تاج العروس" أن الصَّحْرَاءُ هي الأرضُ المُستَوِيَّةُ في لِينٍ وَغِلْظٍ دُونَ الْقُفِّ أو هي الفَضَاءُ الواسعُ و زاد بن سيده: لا نبات به⁽¹⁾، وفي لسان العرب جاء أصحر المكان أي اتسع، وأصحر القوم إذا برزوا إلى فضاء لا يواريههم شيء، والصحراء هي البرية⁽²⁾، ونحو ذلك ما جاء في المعجم الوسيط، ويقال صحر الطعام أي طبخه، وصحرت الشمس فلانا أي آلمت دماغه، ويقال أصحر المكان أي اتسع، وأصحر الأمر أي أظهره، والصحراء أرض فضاء واسعة فقيرة من الماء⁽³⁾.

لذلك فالصحراء هي الأرض الخالية من النبات وليس بالضرورة أن تكن حارة، فيمكن أن تكون باردة كما في القطب الشمالي، أما من منظور الدراسات التاريخية فالصحراء هي المنطقة الواسعة التي لا توجد فيها إلا نباتات قليلة والتي تتميز بالحرارة العالية، وبالمدى الحراري الواسع بين الليل و النهار، وتكثر بها الكثبان الرملية مع أنها ليست على نمط واحد من حيث التضاريس فهناك أشكال تضاريسية مختلفة فيها. وتعتبر كلمة الصحراء مفهوم نباتياً أكثر منه مفهوماً مناخياً، فهي الأرض الخالية من النبات القليلة الأمطار حيث لا تتجاوز نسبة الأمطار فيها 25 مم في السنة، وهي مُقَلَّة في كل شيء فعدد سكانها قليل وكذلك الأمر بالنسبة للنبات والحيوان وذلك يعود لطبيعتها القاسية .

والصحراء الكبرى في إفريقيا هي الأكبر في العالم إذا تبلى مساحتها ما يقارب تسعة ملايين كلم²، وهي تمتد من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر وتفتح في الشمال مباشرة على البحر المتوسط عند الساحل الليبي، أما في الغرب فتحجزها جبال الأطلس الصحراوي

(1) محمد مرتضى الزبيدي، 1973، تاج العروس من جواهر القاموس من المعاجم والقواميس، تحقيق مصطفى حجازي ، ج12 ، مطبعة حكومة الكويت، ص 286-288

(2) جمال الدين ابن منصور، 1990، لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، المجلد الرابع، الجزء 27 ، مصر: دار المعارف، ص2403

(3) مجمع اللغة العربية، 2004، المعجم الوسيط، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ص508

عن الوصول إلى الساحل، ومن الناحية الفلكية تقع بين دوائر العرض 16° و 24° شمالاً⁽⁴⁾، ونظراً لشاعتها فقد اصطلح الباحثون على تقسيمها إلى عدة أجزاء :

وتعتبر "الصحراء الشمالية" أول ما نصادفه بعد عبور "إقليم الهضاب" في بلاد المغرب ثم تليها مباشرة الصحراء الوسطى وهي المعنية بدراستنا وتضم الطاسيلي والأهقار⁽⁵⁾ وما يجاورهما وصولاً إلى جبال التيبستي⁽⁶⁾ الواقعة بين ليبيا و"تشاد"، أما الصحراء الجنوبية فهي التي تتصل بإقليم الساحل الإفريقي⁽⁷⁾ في الجنوب، بينما تمتد الصحراء الشرقية باتجاه الشرق لتصل إلى حدود وادي النيل وهناك الصحراء الغربية التي تطل على المحيط الأطلسي.

أما الصحراء الوسطى فهي الأكثر تنوعاً فهي تختلف عن باقي المناطق الصحراوية لكونها تحتوي على العديد من الكتل الجبلية والسهول والهضاب، أما أكثر المناطق ارتفاعاً فيها فهي الكتل البركانية للهوقار وكتلة التيبستي التي تصل فيها قمة "إيمي كوسي" إلى 3415 م، كما توجد بها جبال وهضاب أقل ارتفاعاً كالطاسيلي والأكاكوس و"جادو" و"المسك" وجبل "بن غنيم" في "فزان"⁽⁸⁾ .

والصحراء الوسطى يمكن تقسيمها إلى عدة أقاليم هي: الهوقار والطاسيلي في الجزائر، وهضبة "جادو" في تشاد، وهضبة "المسك" في "فزان" الليبية، وجبال الأكاكوس الواقعة بين الحدود الجزائرية الليبية، وجبال التيبستي الواقعة بين الحدود الليبية التشادية، وسهل التينيري بالنيجر، وجبال أدرار إفوغاس⁽⁹⁾ بمالي .

⁽⁴⁾Christopher S. Swezey ., 2009, Cenozoic stratigraphy of the Sahara, Northern Africa Geological Society of Africa Presidential Review N° 13, Journal of African Earth Sciences n°53, p 90

⁽⁵⁾ لا يعرف أصل تسمية الهوقار ولكنها قد تعني الأحجار نظراً لأن المنطقة معروفة بجبالها الشاهقة ذات الأشكال الغريبة
⁽⁶⁾ لعل كلمة التيبستي تعود إلى قبيلة التبو التي تعيش في تلك المنطقة وتتواجد هذه القبيلة أيضاً في جنوب فزان
⁽⁷⁾ الساحل الإفريقي : جاء في الموسوعة العالمية أن الساحل هي كلمة عربية تعني الشاطئ ومنطقة الساحل تعرف بأنها منطقة انتقالية بين الصحراء في الشمال والمنطقة السودانية الرطبة في الجنوب ، وهي تأخذ شكل حزام يمتد من نهر السنغال حتى الجزيرة السودانية في أعالي نهر النيل ، ويبلغ طول هذا الإقليم ما يقارب 5500 كلم ويبلغ عرضه ما بين 400 إلى 500 كلم، وهو يعرف اليوم جفافاً قاسياً ، ينظر :

<http://www.universalis.fr/encyclopedie/sahel>

يوم 14-06-2014 ، الساعة 11:41

⁽⁸⁾ Jan Jelinek., 2004, SAHARA، histoire de l'art rupestre libyen, éditions Jérôme Millon, paris, p10

⁽⁹⁾ أدرار إفوراس والأصح "أدغاغ إفوغاس" هي منطقة تقع على الحدود مع مالي تمثل أحد الأقاليم الثلاثة المكونة لمنطقة الأزواد الواقعة شمال مالي، وتعد مدينة "كيدال" أكبر مركز سكاني به ، والكلمة تعني إقليم يسكنه طوارق الإفوغاس ، إذ

وما يهمننا من هذه المنطقة هي منطقة الهوقار والطاسيلي التي تقع بين 18° و 27° شمالا بالنسبة لدوائر العرض وبين 2° و 12° بالنسبة لخطوط الطول شرق خط غرينتش ، وتتميز هذه المنطقة بتنوعها المناخي والتضاريسي، إلى جانب رصيدها الحضاري والثقافي الكبير الذي يمتد إلى الأزمنة السحيقة، كما أن أصول كل الطوارق⁽¹⁰⁾ المنتشرين في الصحراء تعود إلى هذه المنطقة وبشكل عام يمكن تمييز عدة أشكال تضاريسية في هذه المنطقة منها:

- كتلة جبلية كبيرة ذات طبيعة بركانية هي الهوقار والتي تحيط بها مجموعة من الهضاب، وتصل مساحتها الإجمالية إلى 350.000 كلم² وهي مرتفعة بشكل كبير حيث تشرف على كامل الصحراء، ويبلغ متوسط الارتفاع فيها 1000م⁽¹¹⁾، وتصل أعلى قمة بها إلى حوالي 3000م في الأتاكور. (الخريطة 01)

أن أدغاغ تعني الجبل ، أما إفوغاس فهي مجموعة من القبائل من الطوارق تماما مثل "الأزفر" في الطاسيلي ، بينما هناك من يعتقد أن كلمة "إفوغاس" تعني تسمية للإقليم مثل الهوقار والطاسيلي وأهناك ...، وحول مختلف معاني كلمة أدغاغ إفوغاس ، ينظر:

Dida. BADI., 2001, Ifoghas (ifughas, ifoughas, iforas, in : Encyclopedie Berbere, Volumes n°24, pp3649-3657, aix-en-provence : Edisud.

⁽¹⁰⁾ الطوارق : هم شعوب الصحراء الأكثر شهرة في العالم ، لكونهم يتميزون باللثام الذي يضعه الرجال دون النساء ، وهم من أقدم الشعوب التي ضلت تحافظ على موروثها الحضاري عبر الزمن ، فرغم كل التأثيرات الخارجية ظل الطوارق محافظون على عاداتها ، ومن المرجح أن أصولهم تعود إلى قبائل صنهاجة وفق ما يذكر ابن خلدون ، ينظر : ابن خلدون عبد الرحمان ، العبر ، ج6 ، ص201، والمعروف أن صنهاجة هم قبائل عديدة، حيث برزت منهم قبيلة "لمتونة" التي أسست دولة المرابطين وقبيلة "جدالة" و "مسوفة"، ومن الممكن أن كلمة الطوارق تعود إلى قبيلة "ترغة" أو "طرغة" وهي قبيلة من قبائل الملمثيين في عهد المرابطين، وكان العرب يطلقون هذه التسمية على بعض قبائل الصحراء المنتشرة في فزان ، ينظر حول كلمة ترغة :

P.Trousset et al., 1997, « Fezzân » in :encyclopidie berbers ,Volumes 18°, Aix-en-Provence : Edisud، pp2777-2817

كما وجدت مدينة "ترغة" وقيل بأنها قصر " ترغة "الموجود قرب قصر السوق حاليا في المغرب الأقصى، وهناك قصر " تاركة" الموجود اليوم بمنطقة "مدغرة" التي تبعد عن "سجلماسة" مسافة يومين ، كما يمكن أن تكون لها علاقة بقبيلة " تاركة" التي هي من قبائل صنهاجة ومنها جاءت كلمة توارك أو طوارق، وفي اللغة البربرية تعني كلمة " تاركة " القناة ووفق ما يذكر الحسن الوزان : هناك قصر توروك وهو مقر سكني لقبيلة التوارك يقع على الضفة اليمنى لوادي "غريس" بالمغرب الأقصى، وذهب البعض إلى أن كلمة "ترغة" هي تحريف لكلمة "تدغة" التي تطلق اليوم على أحد فروع وادي "غريس" ، وهناك مدينة "تدغة" التي اندثرت وهي تقع على المجرى المائي الذي يحمل نفس الاسم ، ويعرف اليوم بوادي "إيميسر" الذي يقع على بعد 30 كلم من مدينة "تنغير" بالمغرب الأقصى، ينظر: حسن حافظي علوي، 1997، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلاد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ، ص23-24 ، ومن الممكن أن كلمة الطوارق مشتقة من ترغة أو درعة وهو الوادي الذي يقع في جنوب مراكش، وقد قيل بأن "تين هينات" جدة الطوارق جاءت منه.

⁽¹¹⁾ Ginette AUMASSIP et Michel TAUVRON., 1993, Le sahara central à l'holocène. memorie della società italiana di scienze naturali e del museo civico di storia naturale du Milano , XXVI /II, p64.

- هضبة الطاسيلي وهي متكونة في معظمها من صخور الحجر الرملي، وهي أيضا مرتفعة حيث يبلغ أقصى ارتفاع لها في أدرار إلى 2154 م، لكنها تنخفض في الشمال لتصل إلى 900 م في هضبة تادميت⁽¹²⁾.

- تضاريس معزولة: هي عبارة عن جزر من الصخور متكونة من الكارتييت والغرانييت داخل درع الطوارق⁽¹³⁾ يحيط بها بحر من الرمال، ومن بين تلك التضاريس منطقة "أدرار أهناث"⁽¹⁴⁾ التي تقع غرب وشمال غرب الهوڤار وهناك "أدرار تازات"، ومنها أيضا سهول "إنزير" البركانية المتواجدة في الطريق بين "تمراست" و"جانت" وكتلة "أدرار إفوغاس" "بتينزاوتين" عند الحدود المالية، كما توجد كتل تضاريسية مرتفعة محيطة بالهوڤار من مختلف الجهات، من بينها التكوينات التضاريسية للمودير في الشمال، كما يوجد طاسيلي - أهڤار الذي يقع في الجنوب بالإضافة إلى منطقة "الأسجرات"⁽¹⁵⁾.

- الهضاب التي تعرف بالحمادة وهي محاطة بأخاديد تشكل خنادق ضيقة نحتتها المياه الجارية، تضيق وتتسع في بعض الأماكن، وقد يحتل بعضها مساحات كبيرة مثل حمادة "تنغرت" (Tinghert) التي تتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وتقع بين الطاسيلي والهوڤار، ومن بين الهضاب الكبيرة هضبة "تادمايت" الواسعة التي تقع غرب الهوڤار و هضبة "فضنون" (Fednoun) التي تقع في الجهة الجنوبية للطاسيلي، وهي تتميز بارتفاعها الكبير الذي يصل إلى 1500 م فوق سطح البحر.

- تلال شاهدة أو أغوار تتواجد عادة مع بداية "الأخاديد" كما توجد في المساحات الرملية الواسعة.

⁽¹²⁾ S. Ouali A. Khellaf K. Baddari., 2007, Etude des ressources géothermiques du sud algérien Revue des Energies Renouvelables Vol 10, N°3 , p409

⁽¹³⁾ هو تكوين جيولوجي اصطلح عليه العلماء يشمل جبال الصحراء الوسطى والجنوبية .
⁽¹⁴⁾ أدرار أهناث هي منطقة تابعة جغرافيا للهوڤار تقع في الغرب وهي من الطاسيليات ، تتواجد به جبال صغيرة مثل إن زيزا ونهالا ، وتعد أيضا امتداد جنوبي غربي للطاسيلي ، تمثل قوس يمتد شمال - شمال شرق الهوڤار ، معظم تكوينها الصخري من الكارتييت على عكس الطاسيلي الذي يتكون من الحجر الرملي، من قممها الجبلية :الأدافور وتاريت Tarait، وإن سامن وأسيفراد، ينظر :

Henri .Lhote et E.B., 1986 ، « Ahnet » in : encyclopedie berbère، Aix-en-Provence ،Edisud، Volumes n°3 ،1986 ، p322

⁽¹⁵⁾ تمتد هذه المنطقة نحو الغرب وصولا إلى التانزورفت وهي منطقة قاحلة قلما يعبرها أحد :
Claude BLANGUERNON., 1955, Le Hoggar, Paris : Editions Arthaud P23

- الرق : يوصف الرق على أنه منطقة سهلية قليلة الارتفاع ومستوية وخالية من أشكال التضاريس، وفي بعض الأحيان قد تكون واسعة جدا مثل "تنزروفت"⁽¹⁶⁾، يعتبر الرق من اقصى أشكال التضاريس على الإنسان، وتدخل ضمنها أيضا سهول صغيرة في الجهة الجنوبية للطاسيلي مثل: سهل "آدمر" القريب من "جانت"، وسهل "أمدور"، وسهل "التينيري" في الجنوب ، وسهل "تمنراست".

- العروق الرملية: وهي مساحات واسعة تغطيها الكثبان الرملية وهي تشغل مساحات واسعة من الطاسيلي، ومن العروق الكبير العرق الشرقي الكبير في شمال الطاسيلي حيث يصل ارتفاع الكثبان الرملية فيه إلى 200 م. وتمتد العروق على مساحات كبيرة قد تصل إلى 200 كلم بالنسبة للعرق الذي يربط بين إراران (ir'arr'ar) وهضبة إجله (Edgélah) الذي ينقسم في وسط الطاسيلي إلى جزئين هما "إساون إراران" (Issaouane-Irarren) و"إساون تافرنين" (Issaouane-Tefernine)، وإلى الشرق من هضبة إجله (Edgélah) نجد عرق "بوراحات" (Bourarhet)، كما يوجد عرق يربط بين هضبة تنغرت والطاسيلي، وفي الجنوب نجد عرق "آدمر" (Admer) وعرق "تيهوداين" (Tihodaine)⁽¹⁷⁾.

وإلى جانب تلك التضاريس توجد الأحواض والسبخات وهي الأراضي المنخفضة التي تتجمع فيها مياه الأودية كمنطقتي "أهنات" و"المويدير" (mouydir)⁽¹⁸⁾ وهي موجودة في نفس الأماكن التي تشكلت فيها بحيرات أحفورية تعود إلى بداية الزمن الرابع⁽¹⁹⁾، ومنها أيضا منطقة "أدرار" و"رقان" وهما يرتبطان بسبخة "ماكرغان" (maquerghane) التي تعبر رقان وتنتهي في "الساورة" في الجنوب الغربي في "وادي مسعود" وفي أودية شمال غرب الهوقار وتصل إلى وادي "فرسيجا" وإلى الغرب في "التانزروفت"⁽²⁰⁾.

⁽¹⁶⁾ Jean Fabre., 2005, Géologie du Sahara occidental et central, royal museum for central Africa, Tervuren, belgique ,p439

⁽¹⁷⁾ Gabrial Gardel., 1961, Les Touareg Ajjer, Alger, Institut De Recherches Sahariennes.p63
⁽¹⁸⁾ تقع هذه المنطقة شرق أدرار أهنات وتتصل بها مكونة حوضاً، وهي تقع شمال تمنراست تبعد عن أراك بحوالي 70 كلم في جهة الشمال الغربي، أما شكلها التضاريسي فهو قريب من شكل الطاسيليات، ينظر :

Guy MARTINET ., 1999, Peintures Rupestres De L'Ahnnet, Cahiers De L'AARS , N°5 , Avril 1999 p28

⁽¹⁹⁾ G. Conrad ., 1969, L'Evolution Continentale Post- Hercynienne Du Sahara Algérien (saoura , erg chech, tanezrouft , ahner , moudyir).mémoire de C.R.Z.A , série géologie,10, n°1, paris : CNRS edition pp 430-431

⁽²⁰⁾ Jean Fabre., 2005, op cit.p 482

- مجاري أودية كبيرة وعريضة بشكل يفوق حجم الوادي مما يدل على درجة التمطر في الأزمنة القديمة، وهذه المجاري الكبيرة لها مسارات غير منتظمة، وتعد منطقة "التانزروفت" غرب الهوقار أبرز مثال على ذلك بالإضافة إلى مجرى وادي "إغرغار" .

ب- الإقليم الطبيعي للهوقار:

"الهوقار" أو "الأهقار" وفق ما يعرفه الأب "دوفوكو" هو الإقليم الذي تعيش فيه قبيلة "كيل أهقار" وهي الأرض التي تنحصر بين "التديكلت" و"أهنات"، و"أدرار" و"الايير"⁽²¹⁾، و"الآزجر"⁽²²⁾، وهو عبارة عن كتلة جبلية محدودة من الشمال بسهل "التديكلت" و"توات" "بعين صالح"، ومن الجنوب الشرقي سهل "التينيري" الصحراوي و"الايير" بالنيجر ومن الغرب توجد هضبة "التانزروفت"، ومن الجنوب الغربي يحده جبال "أدغاغ إفوغاس" في مالي⁽²³⁾ ، ويشكل الهوقار من خلال تركيبته الجغرافية والتضاريسية والبشرية همزة وصل بين شمال إفريقيا وجنوبها حيث يشهد وجود تأثيرات حضارية إفريقية⁽²⁴⁾ .

وتقع هذه المنطقة فلكيا بين 1° و 7° بالنسبة لخطوط الطول شرق غرينيتش وبين 20° و 27° بالنسبة للدوائر العرض شمال خط الاستواء، ويغطي هذا الإقليم مساحة تقدر ب 250.000 كلم²⁽²⁵⁾، ويمتد على حوالي 1000 كلم من الشرق إلى الغرب وحوالي 760 كلم من الشمال إلى الجنوب، كما يتصل بدولة مالي عن طريق سلسلة "أدغاغ إفوغاس" الجبلية

⁽²¹⁾ منطقة الاير بالنيجر هي كتلة جبلية محاطة بمنطقتين صحراويتين هي صحراء التينيري لتامسنا Ténéré du Tamesena في الغرب والتينيري تفاساسات Ténéré du Tafassasset في الشرق ، أما المراكز الحضارية النيوليتية القيدة فهي توجد على هامش هذه الكتلة الجبلية في كل من تاقلقال Tagalagal وتمات Temet وأدرار بوس Adrar Bous وتين أوافادان Tin Ouaffadèn ، ينظر :

Alan Person., 1997, Paléoenvironnements Et Sites Néolithiques Au Sahara Méridional Afrique De L'ouest, Dossiers Et Recherches Sur L'Afrique 1997, N°4, P18

⁽²²⁾ Charles de Foucauld., 1940, dictionnaire abrégé touareg-français de noms propres (dialecte de l'ahaggar), paris : Larose Editeurs, 5 édition ,p100

⁽²³⁾ Henri lhote., 1997, Les Touaregs du Hoggar. Paris: karthala, p28

⁽²⁴⁾ Claude BLANGUERNON., 1955, op.cit , p13

⁽²⁵⁾ Maurice Lelubre., 1952, Recherches sur la géologie de l'Ahaggar central et occidental , impr. de Protat frères , Bulletin du service de la carte géologique de l'Algérie, 2e série, Stratigraphie. Descriptions régionales / Gouvernement général de l'Algérie ; n° 22, T1, P35

الواقعة في الجنوب الغربي ومع النيجر بسلسلة الآير⁽²⁶⁾ إلى الجنوب الشرقي، أما أعلى القمم الموجودة به، فتوجد في كل من: "الأسكرام"، "إيلمان"، "طاهات" وهذه الأخيرة هي أعلى قمة في الجزائر حيث يصل ارتفاعها إلى 2908م، بينما يبلغ متوسط الارتفاع في "الاتاكور" 1000م ويتراوح في "الأسكرام" بين 1600 و 2000م⁽²⁷⁾. (الخريطة 01)

وبصفة عامة يمثل الهوقار كتلة تضاريسية موحدة النمط ومختلفة كل الاختلاف عن تضاريس بقية الصحراء من حيث بنيته المورفولوجية، فهو عبارة عن كتلة صخرية ذات تكوين بركاني تبدو عبارة عن جبال محترقة، وهي تتحصر بين هضبة "تيدكلت" شمالا و"التانزرفت" غربا وصحراء "التينيري" شرقا، ويمكن تقسيم الهوقار إلى ثلاثة مناطق رئيسية هي: الهوقار الأوسط، الحزام الداخلي للطاسيلي، الخندق الهامشي.

1- الهوقار الأوسط :

تحتل هذه المنطقة مكانة هامة لكونها تحتوي على الكثير من المراكز الحضارية خاصة محطات الرسوم والنقوش الصخرية وهي تبدو كجبل دائري محاط بهضاب متوسطة الارتفاع يبلغ متوسط ارتفاعها 200 م، وهي ذات تضاريس وعرة يصل أقصى ارتفاعها إلى ما يقارب 3000 م، وأهم المناطق فيها هي "التفداست" التي تشكل امتدادا للاتاكور، وتوجد فيها غارة الجنون⁽²⁸⁾ التي تعد من أهم المناطق السياحية في الهوقار.

وحول المحور الأوسط لهذه المنطقة يوجد منخفض دائري يتخذ شكلاً مخروطياً يبلغ متوسط ارتفاعه ما بين 500 و 800 م، كما توجد رؤوس جبلية من الغرانيت وأخرى ذات طابع بركاني، ونجد أيضا مجموعة من الهضاب تمثل السور الخارجي للهوقار وتمتد على

⁽²⁶⁾ منطقة الآير مثل الهوقار هي عبارة عن كتلة جبلية محاطة بالسهول الصحراوية ، تتلقى كمية من الأمطار تتراوح بين 150 و 50 مم في السنة وهي أضل من الهوقار من حيث الأمطار، وذلك بسبب ارتفاعها حيث يصل أقصى ارتفاع فيه إلى 2000 متر وكذلك لقربها من المناطق المدارية ، وأكبر مدينة فيها هي مدينة "أفادس"، ينظر :

Edmond. Bernus ., 1972, Les Palmeraies De L'Aïr, Revue De L'Occident Musulman Et De La Méditerranée ,N°11, P37

⁽²⁷⁾ Franz Trost., 1998, Pinturas Felsbilder Des Ahaggar, Algerische Sahara, Akademische Druck-u, Verlagsanstalt, 1998, P13

⁽²⁸⁾ غارة الجنون هو جبل شاهق الارتفاع ذو تضاريس مختلفة الأشكال، تمثل جانبا أسطوريا عند الطوارق، وتقع بها بعض النقوش الصخرية التي تعود لمختلف المراحل الفنية، ينظر :

Jean-Pierre , Maitre., 1968, Inventaire préhistorique de l'Ahaggar III. Libya, 1968, XVI, p41

مسافة 200 كلم، أما في الشمال فنجد "الاميدير"، بينما في الجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية نجد الطاسيليات مثل "الطاسيلي - أن أهقار"، والطاسيلي "تين غيغو" (Tassili tinReroh) ، وطاسيلي "تين ميساو" (Tassili le tin-Missao) ، وفي الجهة الشمالية الغربية نجد "الأسقارد" و"أدرار أهقات" (Ahnet) القريبة من "الاميدير"، أما الطاسيلي أزجر فيقع شرق الهوقار⁽²⁹⁾ .

- منطقة الأتاكور :

وهي أهم المناطق التضاريسية وتمثل الكتلة الجبلية الرئيسة في الهوقار والأكثر إرتفاعاً فيه، تقع في الوسط وتتخذ شكلا بيضاويا، ويمكن تقسمها إلى أربعة أجزاء هي: المنطقة الوسطى وهي العليا تسمى "أهقار وان هرفين" (Ahaggar-wa-hegrin) ويوجد أيضا "أكال هافرين" (Akal-hegrin)⁽³⁰⁾ و"أكال إراغن" (Akal-ereghen) و"أكال سيتافن" (Akal-settefen) وتعني السوداء وهي ذات طابع بركاني⁽³¹⁾، وتعد مناطق "الأتاكور" و"الانيغير" (Anéggir) من المناطق العليا في الأهقار الأوسط، تحدهما كل من "أغاشوم"، و"تازولت"، و"أغافسا" و"أواهيلاقن"⁽³²⁾.

كما تحتل منطقة "الأتاكور" مساحة واسعة إذ يصل طولها إلى حوالي 100 كلم ويتراوح عرضها بين 50 و 80 كلم⁽³³⁾، وتتميز بقممها المرتفعة ومن أهمها : قمة "طاهات" 2908م وقمة "الإمان" 2739 متر وقمة "الأسكرام" 2726 متر، كما أنها تعد قلب الأهقار فبسبب موقعها الوسطي وارتفاعها الكبير كانت تتحكم في مجمل الشبكة المائية للصحراء الوسطى ، فهناك تشكلت أكبر الأودية والتي كانت تمتد في ما قبل التاريخ إلى الشطوط الشمالية في بلاد المغرب وإلى النيجر وتشاد في الجنوب والجنوب الشرقي.

⁽²⁹⁾ Claude BLANGUERNON., 1955, op.cit, pp15-17

Charles de Foucauld., 1940, op cit. P139

⁽³⁰⁾ تعني هذه الكلمة الأرض العالية ، ينظر :

⁽³¹⁾ Franz Trost., 1998, op cit. P14

⁽³²⁾ Jean -Pierre Maitre.,1968, op cit. p30

⁽³³⁾ Pierre Rognon ., 1967 , Le Massif De L'atakor Et Ses Bordures (Sahara Central), Etude Géomorphologique, Centre de recherches sur les zones arides, Série Géologie , N°9, paris : Edition CNRS, pp19-22

كما تعتبر منطقة "التفادست" امتدادا للأتاكور في جهة الشمال الغربي تمتد بشكل طولي من الشمال إلى الجنوب، وهي محدودة من الشمال بمنطقة "رارس"، ومن الشرق "بالايفيري" و"التورها" ومن الجنوب "بأغاشوم" ومن الغرب "بإفيرار" و"الايبيدير"، تتخذ شكل سلاسل جبلية غرانيقية (34).

وفي الجهة الجنوبية للأتاكور تقع منطقة "أواهيلاجن"، كما يشكل جبل "سركوت" (serkout) امتدادا للأتاكور أيضا وهو منطقة واسعة تحدها من الشمال "أغاشوم" ومن الشرق "أنهاف" ومن الجنوب الصحراء، يعتبر مركزاً ثقافياً كبيراً نظراً لما يتوفر عليه من المواقع الأثرية ومحطات الفن الصخري (35)، وفي الجهات الشرقية للأتاكور تقع منطقة "تازوليت" التي تتميز بتضاريس أقل وعورة وصعوبة من المناطق الأخرى فالوديان فيها واسعة والاختناقات الصخرية قليلة (36). كما تمتد في الجهة الشرقية منطقة الأنهاف (Anahef)، وهي تتخذ شكل الرق، وتنخفض هذه المنطقة كثيراً في الجنوب لتتصل بالتينيري، أما جهتها الشمالية فتوجد بها عدد كبير من الجبال الصغيرة (37).

- "أغاشوم" (Arechoum):

وهي عبارة عن هضبة بازلتية تمتد بشكل طولي يحدها من الشمال "أغرار" و"التفادست" و"تورها" (torha) و"الامادغوغ" (Amadghor) ومن الشرق الطاسيلي أزجر و"الأنهاف" (Anhef) ومن الجنوب "أدرار أهناث" وجبال "سركوت" و"تازوليت" (Tazulet) و"الانيفير" (Anéggir) و"أواهيلاجن" (Oua-Héllégène)، ومن الغرب منطقة "أفادافادا".

منطقة تاهاجا (tahagha) وأفادافادا :

تقع هذه المنطقة في الجنوب والجنوب الغربي للهوفا، وهي محدودة من الشمال بمنطقة "الافادافادا" ومن الغرب "بأواهيلاجن" (Oua-Héllégène)، وتحيط بها من الجنوب ومن الغرب الصحراء التي تربط الهوفا بأدرار (38)، أما "أفادافادا" فهي تقع في الوسط وهي تتميز

(34) Jean Fabre ., 2005, op cit.p 89

(35) Jean-Pierre., Maitre., 1968, op.cit.p32

(36) Jean Fabre., 2005, op cit.p 89

(37) Gabrial Gardel., 1961, op.cit.p73

(38) Jean- Pierre. Maitre., 1968, op.cit.p32

بكثافة سكانية كبيرة، كما توجد فيها بعض الأودية الكبيرة ومنها وادي "تاكوينت" ووادي أوتول (39).

- منطقة الإيغيري:

تقع هذه المنطقة شمال الهوقار وهي متكونة من سلسلة من الجبال مرتفعة نسبياً وهي مفصولة بأودية كبيرة تتجه من مسارها من الشمال إلى الجنوب⁽⁴⁰⁾، وهذه الأودية هي: أودية "تاجرت"، و"تين تغس" و"إغرغار"، وهي شبه خالية من المواقع الحضارية ماعدا موقع "وادي تاجرت" الذي وجدت به صناعات حجرية⁽⁴¹⁾، وهي إلى جانب افتقارها إلى المواقع الحضارية تحتوي على الكثير من العروق الرملية والأحواض (42).

2- الحزام الداخلي للطاسيلي الذي يعرف "بطاسيليات الجنوب" وهو يضم مساحات شاسعة تمتد إلى غاية حدود مالي والنيجر، لكنها لا تضم إلا عدداً قليلاً من المراكز الحضارية أهمها: وادي "تين ترايين"⁽⁴³⁾، ومنطقة "يوف أحيكات"، أما "طاسيلي وان أهقار"⁽⁴⁴⁾ وطاسيلي "تين غيغو" فلا توجد لها أهمية حضارية، بينما "أدرار أهناث" والايמידر توجد بهما بعض المواقع الحضارية.

(39) Ouatic Hamdine., 2001, Conservation du Guépard (Acinonyx jubatus Schreber) dans les régions de l'Ahaggar et du Tassili N'Adjer, Programme U.I.C.N Pour L'Afrique Du Nord, Mars 2001, P15

(40) Gabrial Gardel., 1961, op.cit.p71

(41) Perret Robert ., 1936 , Recherches archéologiques et ethnographiques au Tassili des Ajjers Sahara central .(Les gravures rupestres de l'Oued Djaret ,la population et les ruines d'Iherir) , Journal de la Société des Africanistes ,tome 6 ,fascicule 1, p62

(42) Jean Fabre ., 2005, op cit.p 89

(43) تين ترايين تقع على بعد 600 كلم من تمنراست وهومن أهم الأودية في جنوب الهوقار يمثل مركزا حضاريا هاما، يبلغ متوسط ارتفاع هذه المنطقة 700 متر وتتحد نحو الجنوب ليصل متوسط ارتفاعها 500 متر ، وهي تقع في 22° شمالا و 6.45° شرقا، ينظر :

Iddir Amara., 2006, Assali-n-Trakfine: la "Grande Dalle "gravée de Youf Eheket (oued Ti-n-Tarabine, Tassili wa-n-Ahaggar, Algérie, Anthropolozologica, (2) 41, p 38

(44) يقع الطاسيلي - أهقار في الجنوب الشرقي حيث يحتوي الموقع على الكثير من النقوش الصخرية التي تمثل مختلف المراحل منها مرحلة البقریات إضافة إلى مرحلة الجاموس العتيق ومرحلة الحصان والجمال أما الرسوم فهي قليلة .

هذه المناطق تتموضع على هيئة حزام حول الهوقار وهي عبارة عن كتل صخرية من الحجر الرملي، مفصولة فيما بينها بعدة كيلومترات وأهم مثال عنها هو "طاسيلي تمسنا" الذي يمتد على طول 60 كلم وعلى عرض 40 كلم، وطاسيلي "تين غيغو" في الجنوب الشرقي بالإضافة إلى "الأمادغوغ"، والطاسليات تنقسم إلى قسمين الطاسليات الشمالية مثل "الأمادغوغ" و"أهنات" و"الأسيفراد"، والطاسليات الجنوبية المتمثلة في: طاسيلي "تين غيغو" (Tin Rero) و"تين ميساو" (tin missao) اللذان يقعان في طريق القوافل القادمة من "أدرار افوغاس" نحو "تيديكلت" أو "الهوقار" (45).

-أمادغوغ (Amadghor):

وهو عبارة عن هضبة رسوبية واسعة أو رق شاسع بدون ماء ولا غطاء نباتي تقع بين الهوقار والطاسيلي يُعرف أيضا باسم الإيميدر، وتمتد باتجاه الشمال الشرقي لمنطقة تافديست وشمال الهوقار، يبلغ طوله 200 كلم وعرضه 100 كلم وهو ذو طبيعة بركانية يفصله عن وادي إغرغار جبال "تورها" الممتدة طويلا، ويحده من الشمال رق "غريس" ووادي "أمقيد" و"إغرغار" (46).

وتحيط بها كل من مناطق "الأجيري" و"التورها"، و"أغاشوم" و"أنهاف"، كما توجد به روابي غرائبية المنشأ، وتتخلله بعض الجبال وهو يمثل امتداداً غربياً للطاسيلي أزجر، ومن أهم المناطق الحضارية الموجودة فيه "آراك" وتحتوي هذه المنطقة على مصادر مائية هامة، حيث تنتشر بها عدة ينابيع كبريتية (47)، كما تصب فيه العديد من الأودية كوادي "تاغرت" ووادي "إهرير" (48)، وتتميز هذه الهضبة باتساعها حيث تتخللها العروق الرملية وتتواجد فيها نسبة قليلة من النباتات وهي لا تتوفر على منابع الماء، وتنتفح المنطقة شمالا على عرق تيهودين أما جنوبا فتوجد كتل صخرية تبدو كخرائب ذات أشكال جميلة (49).

3- الخندق الهامشي المتكون من سهول "التينيري" و"التانزروفت" ولا توجد في هذه المناطق إلا نسبة قليلة من المراكز الحضارية، وهي اليوم متصحرة بالكامل وتكاد تنعدم فيها الحياة.

(45) Claude Blanguernon., 1955, op.cit.p31

(46) Jean Dubief ., 1999, l'Ajjer Sahara Central , paris: Edition Karthala, paris, p213

(47) Jean Fabre ., 2005 , op cit.p 89-90

(48) Ginette aumassip et michel tauvron ., 1993, op cit. p64

(49) Gabrial Gardel., 1961, op.cit.p72

ج- الإقليم الطبيعي للطاسيلي :

1- حدود الإقليم :

يقع الطاسيلي أزجر⁽⁵⁰⁾ في الجنوب الشرقي الجزائري ضمن الصحراء الوسطى ويتميز بكتله الصخرية التي تتكون من الحجر الرملي، وهي عبارة عن هضاب صخرية جرداء وجبال تتقاطع بها أودية كثيرة تشكل البطون الجافة لمجاري مائية قديمة، كما توجد بها بعض الكهوف والملاجئ الواسعة المنفتحة بفعل ظاهرة الحت⁽⁵¹⁾.

ويحده من الشمال العرق الشرقي الكبير ومن الجنوب منطقة "عيسو"⁽⁵²⁾ و"إين الزوا" والأراضي النيجيرية ومن الغرب "أمقيد"، ومن الشرق "إن أزاف" و"فزان" ومدينة "غات"⁽⁵³⁾ ومعظم أراضي منطقة الطاسيلي⁽⁵⁴⁾ توجد داخل التراب الجزائري فقط وحدودها هي كالتالي : من الشمال عرق "إساون نيغراغن" وعرق "بوراعت" ومن الشرق "تادارت أكاكوس الليبية ومن الغرب عرق "أمقيد" ومن الجنوب عرق "أفدي" وعرق "تيهوداين" وعرق "أدمير"⁽⁵⁵⁾.

ويمكن اعتبار منطقة الطاسيلي هي الأراضي التي تجوبها قبائل "الكيل أزجر" في رعيها، وهي تمتد من الشمال الغربي بواسطة الحدود الجنوبية للعرق الشرقي الكبير الذي يفصل "الكيل أزجر" عن "الشعانية" ومن الشرق بالجزء الشرقي منه والذي يمتد في الحماده الحمراء التي تمثل حدوداً طبيعية تفصل الكيل "أزجر" عن القبائل الفزانة العربية، وأيضاً بالجبال الغربية لمدينة غات⁽⁵⁶⁾ و"وادي الآجال" ومنطقة "شاتي" الليبية وكلها ضمن منطقة "فزان" ومن الجنوب يوجد سهل "أدمير" و"أمداغوغ" في حدود منطقة الهوقار الشرقية⁽⁵⁷⁾.

⁽⁵⁰⁾ كتابة التسمية بهذا الاسم مستمدة من النطق المحلي بالتمهاق نسبة لقبيلة الأزقر، وهذه الكلمة جاءت في قاموس الأب

دوفوكو بهذا الشكل Azjer، ينظر: Charles de Foucauld., 1940, op.cit.p3

⁽⁵¹⁾ إبراهيم العيد بشي، 2009، طاسيلي ناجر، البنية الجغرافية والحضارية، دار الحبر، الجزائر، ج 1، ص 133.

⁽⁵²⁾ تعتبر هذه المنطقة هي الحدود الفاصلة بين قبائل طوارق الأزقر وقبائل "التبو" الذين يجوبون الصحراء الممتدة إلى

جبال التيبستي، ينظر: إبراهيم العيد بشي، 2009، المرجع السابق، ج 1، ص 134

⁽⁵³⁾ المرجع نفسه، ص 82

⁽⁵⁴⁾ تعني كلمة الطاسيلي السلسلة الجبلية التي يغطيها السواد أما أزجر فهي تعني جلد «الثور المسلوخ» أو «رأس الأقرع»

، أما هنري لوت h lhote فيقول إن أزجر تعني نهرا أو بحيرة وكذلك هو رأي الباحث كيو راي Capot Ray، حول

الأراء الأخرى لمعنى كلمة الطاسيلي أزجر، ينظر: إبراهيم العيد بشي، 2009، المرجع السابق، ج 1، ص 84

Claude LERREDE., 1957, Etude Écologique Et Phylogéographies Du Tassili Et Nil, Travaux L'IRS, Alger, T 2. P47, Jean Dubief., 1999, Op.Cit.P25

⁽⁵⁵⁾ Claude Leredde., 1957, op.cit.pp 47-48

⁽⁵⁶⁾ مدينة غات : من المدن الهامة التي يسكنها الطوارق وهي واحة ليبية قريبة من الحدود الجزائرية، كان لها دور كبير في التجارة الصحراوية، أما وادي الآجال فهي المنطقة التي تتواجد بها جزمة عاصمة الجرامنت القدماء، وهي تقع إلى

ومن الناحية الفلكية يصعب تحديد إطار لهذا الإقليم وذلك لكثرة تعرجاته وامتداده مع المناطق المجاورة في كل الاتجاهات وقد حدده غابريل غارديل بين 21° و 28,30° شمال الدائرة الاستوائية وبين 5,20° و 10° شرق خط غرينيتش⁽⁵⁸⁾، وقد حدده إبراهيم بشي بين 21° إلى 28° أو 30° من الجنوب إلى الشمال بالنسبة لدوائر العرض وما بين 5° إلى 10° بالنسبة لخطوط الطول شرق خط غرينيتش⁽⁵⁹⁾، وهناك من يحدده بين دائرتي عرض 24° و 27° شمال خط الاستواء وبين 6° و 10° شرقا بالنسبة لخطوط الطول شرق خط غرينيتش⁽⁶⁰⁾، أو بين 23° إلى 30° شمالا بالنسبة لدوائر العرض وبين 5° و 14° بالنسبة لخطوط الطول شرقا⁽⁶¹⁾.

2- مظاهر السطح:

بشكل عام يبدو الطاسيلي وكأنه هضبة مرتفعة في بحر من الرمال، إذ تحيط به العروق الرملية من كل مكان، كما توجد داخله عروق رملية صغيرة تفصل بين أجزائه ، وهذه المنطقة تبدو كأطلال عصفت بها عوامل المناخ على مدار آلاف السنين، وقد نحتت على سطحه أشكال جميلة، فالمناطق الجنوبية منه هي مناطق جبلية أما في الشمال فتتخذ شكل حمادة كالحمادة الحمراء وفي الشمال أيضا توجد هضبة "تنغرت"، أما في حدوده الغربية فتتراكم الكثبان الرملية المكونة للعروق الكبيرة كعرق "إساون أن تافرنين" و"إساون إغرغان" و"عرق آدمر"، كما توجد عروق رملية في الشرق أيضا بوجود عرق "إقدي" و"إراران" وعرق "أوباري" وعرق "مرزوق"⁽⁶²⁾.

وتشكل العروق والهضاب السوداء التي تدعى "الطاسيليات" معظم مساحة المنطقة حيث تتناوب السيطرة عليها ، ولا تترك إلا مجالات ضيقة للأراضي الحصوية أو الكتل الجبلية، بينما تجتاز مجاري الأودية كامل المنطقة مقسمة إياها إلى عدة أجزاء، ففي الجنوب

الجنوب من سبها بفزان وتمتد من الشرق إلى الغرب بطول 200 كلم وعرض 30 كلم ، ينظر : عبد اللطيف محمود البرغوثي، 1971، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1، دار صادر:بيروت، ص224.

⁽⁵⁷⁾ Jean Dubief., 1999, op.cit.p25

⁽⁵⁸⁾ Gabriel Gardel., 1961, op.cit.p14

⁽⁵⁹⁾ إبراهيم العيد بشي، 2009، المرجع السابق، ج1، ص82

⁽⁶⁰⁾ Ginette Aumassip., 1983, Le Gisement Préhistorique De Tin – Hanakaten , Revue De Préhistoire Et D'anthropologie Culturelle , Alinsan , N°2 , P31.

⁽⁶¹⁾ Jean Dubief., 1999, op cit. p25.

⁽⁶²⁾ Ibid, P26.

تمتد الطاسيليات على مسافة تزيد عن 120 كلم من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي لتتصل بهضبة الايميدر، وتتميز هذه الهضاب التي تشبه الجبال بأنها مشكلة أساسا من صخور الحجر الرملي.⁽⁶³⁾

والملاحظ بالنسبة للطاسيلي أن هذه المنطقة ترتفع بشكل تدريجي بالاتجاه نحو الهوقار في جهة الجنوب الغربي، أما في الجهة الشرقية فمنطقة جانت تعتبر مرتفعة حيث يصل الارتفاع إلى ما بين 1820 و 1840 م في إن أروم (in aroum)، وتنخفض جنوبا وصولا إلى جبال "أراهارا" التي يصل ارتفاعها 1520 م، كما تنخفض قليلا في "أبدن فوك" وكل المنطقة التي تتضمن "وادي أميوك" وصولا إلى "ادرار هقارن" (adrar – haggarene) حيث يتراوح الارتفاع في كامل هذه المناطق بما بين 1400 و 1000م. وبالاتجاه نحو الشمال وصولا إلى اليزي تنخفض بشكل كبير لتصل في وادي جرات إلى ما بين 100 و 200 م، غير أنها ترتفع من جديد في المناطق المحيطة باليزي وجبل إلارن ما بين 700 و 1000م، أما المناطق الجنوبية من جانت فيبلغ الارتفاع في "زوالاتالاس" التي يعبرها وادي تقاساسات ما بين 1100 و 1300 م.

وتعتبر المناطق الجنوبية من الطاسيلي هي الأكثر أهمية وتنوعاً من حيث التضاريس، أما في الشمال فالمنطقة تنخفض كثيرا لتنتهي في العروق وفي الأراضي المستوية المغطاة بالحصى التي تسمى الرق، ولكن مع ذلك توجد بعض القباب الصخرية والمرتفعات، وفي الجزء الشمالي الغربي هناك جبال عظيمة تمتد لغاية هضبة تنغرت⁽⁶⁴⁾. ويتكون الطاسيلي من عدة مناطق تتمتع كل منطقة بخصائص تضاريسية محددة ومن هذه المناطق :

العروق : وهي سهول واسعة تغطيها الكثبان الرملية وهي منتشرة على حدود الطاسيلي الشمالية والشرقية، ففي الجهة الشمالية يوجد عرق "إساون نفرنين" وعرق "إساون نغرغرين" وعرق "بوغارت"، وفي الجهة الشرقية يوجد عرق "إدين لوبري"، وعرق "إقدي" وعرق "ان كيسة" وعرق "تين مرزوقة"، كما توجد عروق داخل إقليم الطاسيلي مثل عرق آدمر وعرق تيهوداين.

⁽⁶³⁾ Gabrial Gardel., 1961, Op.Cit.P63

⁽⁶⁴⁾ Ibid, P64

- السهل الكرسطالي المرتفع : يقع في الجنوب والجنوب الغربي على ارتفاع يتعدى 1000م بجوار الهوڤار، يحده غربا وادي "إغرغار" الذي ينبع من الهوڤار، وفي الجنوب الشرقي يتصل بعرق التنيري، وهو مشكل في الأساس من سلسلة أحواض أهمها حوض "وادي جرات" وهو فرع من وادي "إغرغار"، أما في الوسط فيوجد حوض "وادي آدمر" ومن الشرق حوض وادي "تفاساست" وهضبة "تنغرت" التي تعد منحدرًا شماليًا "لواادي تفاساست" (65).

- غابات الصخور: بعض المناطق من الطاسيلي مثل "تامريت" و"جبارين" و"مداك" و"الايغيري" تبدو كخرائب فهي عبارة عن صخور ذات أشكال مختلفة، وقد سماها "غابريل غارديل" عند مشاهدته لها باسم "غابات الصخور" خاصة منها القريبة من "جانت"، ولعل أبرز غابات الصخور هي تلك الموجودة في "جبارين"، حيث تبدو كمدينة من بعيد، فالصخور العالية التي تأخذ أشكالًا مختلفة تعتبر بمثابة الأحياء في مدينة أثرية (66).

وغابات الصخور تلك لا تتواجد في الطاسيلي فقط بل توجد أيضا في الهوڤار لكن ما يميز الطاسيلي هو صخور الحجر الرملي التي تميل إلى الاحمرار على عكس الهوڤار الذي تبدو فيه الصخور محترقة بلون أسود لكونها ذات تكوين بركاني، كما يتميز الهوڤار بأوديته العميقة والواسعة التي تتخلل الصخور وهي صعبة المسالك ولا يشبهها في الطاسيلي إلا بعض المناطق. ومن جهة ثانية لا نجد في الطاسيلي منحدرات أو خنادق بين الصخور، ماعدا في بعض المناطق حول تامريت خاصة في جبارين .

د- المراكز الثقافية الرئيسية في الطاسيلي :

تعتبر منطقة الطاسيلي من أكثر المناطق غنى بالبقايا الحضارية التي تعود إلى ما قبل التاريخ وخاصة إلى العصر الحجري الحديث، وتتنوع تلك البقايا بين محطات للفن الصخري وبقايا آدمية متمثلة في المئات من المقابر، بالإضافة إلى المراكز الحضارية التي تتضمن مخلفات الإنسان مثل بقايا الفخار والأدوات الحجرية والعظمية التي نجدها أينما ذهبنا في الطاسيلي مما يدل على كثرة مراكز الاستيطان البشري، ومن بين أهم المواقع الحضارية في الطاسيلي :

(65) Jean Dubief., 1999, op cit. p26

(66) Marceau .Gast et Malika Hachid., 1995, « Djanet »in Djalut – Dougga encyclopedie berbere , Volumes 16, Aix-en-Provence : Edisud, p 2382

- وادي "تامجرت" (36, 25° شمالا و 18, 7° شرقا): يقع في جنوب شرق جبل "أتافا تافا" بين 25,36° بالنسبة لدوائر العرض شمالا وبين 18, 7° شرقا بالنسبة لخطوط الطول، وهي منطقة مكونة من جبال تخترقها ثلاثة أودية هي: "إميدر" (Immidîr) و"تين باهوندي" (tin bahoundi) و"تيليكردي" (télékardi) التي تجتمع جميعها في معذر "تاسامجوت"، وفي هذا المكان كانت توجد العديد من الفُقرات⁽⁶⁷⁾ التي لا تزال أثارها باقية في المكان⁽⁶⁸⁾.

- وادي "أهارهار" : (60, 26° شمالا و 41, 05° شرقا): وهو من الأودية الكبيرة والمهمة في الطاسيلي يقع في الجهة الشمالية الغربية، ويبلغ اتساع مجراه بين 100 و 150 متر، وتنتشر عدة مواقع حضارية على طول مجراه، كما تتواجد به بقايا فُقرات قديمة، ومن أهم مراكزه الثقافية: واحة "إجيف" (edjif)، "تاميرا" (tamera)، "إميرقون" (emeraguen). كما أن واحة "أهارهار" كانت مركز سكانيا كبيرا ، فقد ذكر قارديل أنها كانت تضم ما يقارب 400 من السكان وهي في رأيه أكثر أهمية من منطقة "جانت" و"إهرير".

وما يميز هذه المنطقة هو توفر المياه بكثرة، فهو يتواجد على علو متر ونصف فقط من سطح الأرض، أما واحدة "تاميرا" فقد وجدت فيها هي الأخرى العديد من الفُقرات قام باكتشافها الباحث ج سبريات (j spruytte)⁽⁶⁹⁾ ، وتعتبر منطقة أهارهار غنية بالفن الصخري إذ تنتشر محطات كثيرة للفن الصخري في وادي تسات وفي وادي تين إجلجال (Tin Edjedjele)⁽⁷⁰⁾.

⁽⁶⁷⁾ الفُقرات هي منشآت الري الصحراوية تتمثل في قنوات عريضة تحت الأرض قد تتسع لشخص أو أكثر يمكنهم المشي فيها ، ويصل عمقها إلى 60 أو 70 م ، وبها منافذ تهوية من أجل تنظيفها وصيانتها، وتبدو تلك المنافذ بمثابة الآبار على سطح الأرض ، وتساعد انحدارها على دفع الماء فتصبح بمثابة النهر الباطني، وهي تستخدم لجلب المياه من المناطق البعيدة وقد وجدت هذه المنشآت قديما في بلاد الرافدين ثم وجدت لدى الفرس فقد كانوا يجلبون الماء لعاصمتهم "بارسيبوليس" من مناطق بعيدة ثم انتقلت إلى مصر بعد الغزو الفارسي ثم ليبيا، وهي موجودة اليوم في العديد من الواحات الصحراوية خاصة واحة "القرارة"، حيث يبلغ طولها في هذه الواحة حوالي 1500 كلم ، مع العلم أنه يتطلب إنجاز 4 كلم من الفقرة ما يقارب 40 شخصا يعملون لمدة 1200 يوم، ينظر: إسماعيل العربي، 1983، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983، ص141

Henri Lhote ., 1982, Les Chars Rupestres Sahariens Des Syrtes Au Niger•Par Le Pays Des Garamantes Et Des Atlantes , paris: Edition Des Hesperides , p129

⁽⁶⁸⁾ Jean Dubief ., 1999, op cit. p163

⁽⁶⁹⁾ Jean Dubief ., 1999, op cit, p166

⁽⁷⁰⁾ U. W. Hallier, Brigitte. C .Hallier .,2002 , New Paintings In The Mountains Of The Aharhar Tasset (Tassili N`Ajjer / South-Algeria) , Stonewatch, The World Of Petroglyphs, P8

- منطقة "إهرير" (24, 25° شمالا و 8.25° شرقا) : تقع على بعد 140 كلم شرق وادي "أهرهار"، وهي مثل "أهرهار" تمثل تجمع لأدوية مهمة، كما تعد هذه المنطقة من بين أفضل المناطق من حيث المناخ وتتميز بوفرة المياه أيضا، فقد أحصى غابريل غارديل 1700 نخلة في واحة "إهرير" سنة 1912، وأحصى أحد العسكريين الفرنسيين وهو الرقيب "رازفوزوف" عدد المساكن والزرائب، حيث جاء في تقريره سنة 1945 أن هذه القرية تحتوي على: 33 منزلا و 69 زريبة و 15 بستانا و 10 قنات، مما يجعل منها مركزا سكانيا كبيرا في ذلك الوقت (71).

وتعد هذه المنطقة من المناطق الرطبة في الصحراء فقد سجلت وفق اتفاقية "رامسار" للمناطق الرطبة في العالم، ووصفت في التقرير: أنها تمثل مركزا لهضبة تجتازها شبكة من الأودية الحفرية، ويتراوح ارتفاع هذه المنطقة بين 1400 و 1100م، وأن هذه المنطقة تعتبر شاهدة على التاريخ الجيولوجي والمناخي للمنطقة، والذي تؤكد أيضا مشاهد الفن الصخري على الصخور في نفس المنطقة، والتي تدل جميعها على أن المنطقة قد شهدت تغيرات مناخية وسكانية عبر الزمن (72).

- منطقة "جانت" 33, 24° شمالا و 9,29° شرقا: تبعد هذه المدينة عن مركز ولاية إليزي ب 420 كلم وهي قريبة من الحدود الليبية حيث تقابلها في الجانب الآخر من الحدود مدينة غات الليبية، وهي تقع على حافة خندق من الحجر الجيري يبدأ بالارتفاع عند الحدود الغربية لوادي "إجريو" (Edjéréou) الذي يعرف عند وصوله إلى المدينة باسم وادي "جانت". مع العلم أن هذا الوادي يجتاز المدينة مقسما إياها إلى قسمين، وتتكون المدينة من ثلاثة واحات هي: "أجاهيل"، و"الميهان"، و"أزالواز"، والمنطقة تتميز عموما باستوائها، ولكن غير بعيد عن المدينة وفي جهة الشرق توجد عقبة (73) تافيلالت، ومن هناك تبدأ التضاريس في

(71) Jean Dubief ., 1999, op cit. p168

(72) Boumezbeur Ammar, Sahki Rabéa, Sahki Abdallah., 2002, Fiche descriptive sur les zones humides Ramsar, Station de l'Institut National de la Recherche Forestière, Tamanrasset, Algérie, pp1-3

(73) تعني هذه الكلمة نفس المعنى العربي أي مكان مرتفع يعيق السير، لكن هنا يقصد بها الجبل أو المرتفع من الأرض الذي يتميز بالوعورة، ينظر: Charles de Foucauld., 1940, op.cit.p140

التغيير حيث تبدأ غابات الصخور في الظهور، كما تكثر المرتفعات فعلى بعد 30 كلم عن المدينة تقع مرتفعات "أسكاو"⁽⁷⁴⁾ الشهيرة ⁽⁷⁵⁾ .

وقد كانت للمدينة أهمية في عصور ما قبل التاريخ والعصور القديمة بصفتها موقع حضاريا مهما، لكنها لم تكن تتمتع بنفس الأهمية في العهد الإسلامي، فجانّت رغم أنها لم تكن تتمتع بمكانة تجارية كبيرة كتلك التي تتمتع بها مدينة "غات" القريبة منها، وذلك لكونها لا تقع على الطريق التجاري القديم الذي يربط بين فزان بمنطقة "جادو" و"الايّر"، إلا أنها ومع ذلك فإن نشاطها الاقتصادي كان مزدهرا وكان قائما على الزراعة والرعي مع نشاط تجارى محدود بالمناطق التي تحيط بها ⁽⁷⁶⁾.

وتعد منطقة جانّت من المناطق التي تواترت عليها الإقامة البشرية منذ الفترات الموعلة في القدم، فأثار الحضارة الأشولية و الموسستيرية والعاترية متواجدة في المناطق القريبة منها، كما توجد بها العديد من الآثار التي تعود للعصر الحجري الحديث متمثلة في الفن الصخري وفي المنطقة توجد قبور تعود لمختلف الفترات منها تلك التي تعود لفجر التاريخ ⁽⁷⁷⁾ .

- هضبة "تامريت" (24,73 ° شمالا و 9,81 ° شرقا): تقع هذه الهضبة شرق جانّت وهي المنطقة الرئيسية التي تحتوي على محطات الفن الصخري الرئيسية في الطاسيلي، خاصة تلك التي تنتمي لمرحلة البقريات ومرحلة الرؤوس المستديرة، وتشرف هذه الهضبة على سهل جانّت و تنتهي في الجهة الغربية بخندق تقدر مساحته بـ 500 متر، كما تجتاز هذه الهضبة عدة أودية، وتتواجد بها عدة مرتفعات يسميها الطوارق باسم العقبة (Akba)، حيث تكون الممرات ضيقة وصعبة نوع ما، ومن الجهة الغربية تتخفض الهضبة في مناطق أقل وعورة لتصل إلى "الثلّم ما بين الطاسيلي" الذي تتواجد فيه منطقة "غات" الليبية .

⁽⁷⁴⁾ أسكاو أو عقبة أسكاو وهي منطقة جبلية شديدة الوعورة ذات تضاريس شديدة الارتفاع ، وهي شبيهة بجبال الأتاكور في الهوقار، وهذه المنطقة تمتد على مسافة كبيرة من الشرق إلى الغرب لتصل إلى زواتالز Zawatalaz ، ينظر :

Ouatik Hamdine., 2001, op.cit, p 10

⁽⁷⁵⁾ Marceau Gast et Malika Hachid., 1995, op.cit. 2381

⁽⁷⁶⁾ R. CAPOT-REY., 1953, Recherches Géographiques Sur Les Confins Algéro-Libyens, Travaux de L'IRS, TX, p33

⁽⁷⁷⁾ Marceau Gast Et Malika Hachid., 1995, Op.Cit.P 2381

وأول موقع نراه بعد عبور سهل "جانت" هو موقع "تامريت" الذي يمكن الوصول إليه مباشرة بعد عبور "عقبة تافيلالت"، وهذه الأخيرة هي كل المنطقة المحصورة بين جانت وغات ، وهي محدودة من الشمال بملجأ "تاشيكيلاوت" و"أساجان وان ميلان"، ومن الجنوب بملجأ "أجيفو" ، لكن أهم مواقعها هي "صفار" و"جبارين" و"تيسوكاي" وهذه المواقع التي تأوي أهم مواقع الفن الصخري في العالم⁽⁷⁸⁾ .

- عرق آدمر: (24.10° و 24.50° شمالا وبين 09.10° و 09.47° شرقاً) : هو عبارة عن سهل واسع يمتد على ما يقارب 80 كلم، وتتواجد به بعض القمم المرتفعة قليلا مثل: تين تماش (tin tamach)، إرهارمان (irharmane)، تين تيمورين (tin timorienne)، أما العرق الرملي فيتواجد شرق هذا السهل⁽⁷⁹⁾، والمنطقة لا تبعد كثيراً عن جانت، حيث يصب فيه وادي "إجريو" الذي يجتاز المدينة، وتتشكل في هذا العرق بعض البحيرات الصغيرة عند سقوط الأمطار ولكن ما تلبث أن تجف بفصل الحرارة العالية، وقد تواجدت في المكان آثار تعود إلى مختلف العصور ومنها خاصة النيوليتي⁽⁸⁰⁾ . ومن أهم المواقع الأثرية في آدمر موقع "إن غليجم" (in Relidjem) وموقع "أنو أوا ليليونا" (Oua Lelioua Anou)⁽⁸¹⁾ وموقع "إهاران" (Ihâran).⁽⁸²⁾

ومن المواقع الحضارية أيضا موقع "أدرار إجالاه" (Adrar Edjeleh) الذي يقع في الجهة الجنوبية لعرق آدمر وقد وجدت بها بقايا تعود إلى الأشولية، كما وجدت بقايا عظمية لفيلة وحيوانات أخرى وبقايا لأسماك "الجري" الذي يعيش في المياه العذبة، مما يدل وجود

⁽⁷⁸⁾ Alfred Muzzolini ., 1995, Les Images Rupestres Du Sahara , Collection: Préhistoire Du Sahara. 1, France : Édité Par l'Auteur, p223-224

⁽⁷⁹⁾ Gabrial Gardel., 1961, op.cit.p72

⁽⁸⁰⁾ Marceau .Gast et Malika Hachid ., 1995 ,op.cit.p2382

⁽⁸¹⁾ يقع هذا الموقع في عرق "آدمر" بين "أدرار إجاله" Adrar Edjeleh و"إن أفالهلح" In Afalehleh، وجدت فيه بقايا حجرية من الحجارة ذات الوجهين وفؤوس يدوية تعود للحضارة الأشولية ، ينظر :

Ginette Aumassip., 2004, Préhistoire Du Sahara Et De Ses Abords, Tome 1 , Au Temps Des Chasseurs Le Paléolithique, paris : Maisonneuve & Larose, P100

⁽⁸²⁾ Ginette Aumassip., 2001, L'Algérie Des Premiers Hommes, Paris : Edion De La Maison Des Sciences De l'Homme, P145

بيئة نهريّة في ذلك الوقت، كما وجدت بقايا حضارية أخرى للعصر الحجري القديم في موقع "أواكاروزا" (Ouakarouza) في الجهة الشرقية للعرق⁽⁸³⁾.

أما البقايا التي تعود إلى العصر الحجري الحديث فهي كثير حيث توجد قطع الفخار ورؤوس السهام متناثرة أينما حللنا وقد جمعت منها عدة أطنان، مما يدل على أن هذا الموقع كان مهما جدا في مرحلة العصر الحجري الحديث وخاصة في الفترة الرعوية، وقد عثر غابريل كامبس على منحوتات حجرية لأبقار في الموقع، أما نوع الفخار الموجود هناك فهو يشبه فخار أدرار بوس والذي يمثل الثقافة "التينيرية"، ويعد موقع "إن غليجم" من أبرز المواقع النيوليتية في آدرار، ومن الممكن أن هذا العرق كان بحيرة عاشت على ضفتيها مجموعات صيادي الأسماك والرعاة وتركوا بقاياهم فيها⁽⁸⁴⁾.

- منطقة "أدرار"⁽⁸⁵⁾ أن أدرار: (24, 48° و 25, 11° شمالا وبين 29, 7° و 19, 8° شرقا): وهي سلسلة جبلية بركانية في منطقة "الأزجر" أعلى قمة فيها هي قمة أزاو (Azao) والتي يصل ارتفاعها إلى 2158م، أما تكويناتها الصخرية فهي من البازلت المغطى بالحجر الرملي، وتعد هذه المنطقة الأكثر ارتفاعاً ووعورة في كامل أنحاء الطاسيلي، وهي تتربع على مساحة كبيرة حيث تمتد من الشمال إلى الجنوب على مسافة 80 كلم وهي متكونة من جبال سلسلة أزيو (azio) وجبل إجدارين (idjedarin) شرقا وجبل تالوت (talout) غربا وجبال "أحورن" و "إن تهوت" في الجنوب والجنوب الغربي.⁽⁸⁶⁾

- عرق "تيهوداين": 25, 10° و 25, 23° شمالا و 7, 47° و 7, 14° شرقاً: يقع عرق تيهوداين في الحدود الغربية للطاسيلي ويتصل بالهوقار، وهو عبارة عن سهل واسع مغطى بالكثبان الرملية لكنه يحتوي على ملاجئ صخرية ومناطق رطبة وبعض القلعات⁽⁸⁷⁾. ورغم شساعة هذا العرق إلا أنه قاحل تماماً وهو شبه خالي من السكان، لكنه مع ذلك يعتبر من

⁽⁸³⁾ Ginette Aumassip ., 2004, op.cit, tome2, p100

⁽⁸⁴⁾ Gabriel Camps ., 1974, Les Civilisations Anciennes Des L'Afrique Du Nord Et Du Sahara, Paris : Edition Doin , pp247-249

⁽⁸⁵⁾ أدرار أو أدغاغ تعني جبل أو سلسلة جبلية بلغة التماهاق (وهي لغة قبائل الأزقر والأهقار)، ينظر : Charles de Foucauld., 1940, op cit. p32

⁽⁸⁶⁾ إبراهيم العيد بشي، 2009، المرجع السابق، ج1، ص146-147

⁽⁸⁷⁾ Yves Et Christine Gauthier ., 2003 ,Chronologie Relative De Trois Types De Monuments De l'Immidir :Monuments A Antennes En V ,Goulets Et Monuments En «Trou De Serrure» , SAHARA , N°2, P157

المراكز الحضارية الهامة فقد وجدت فيه بقايا عديدة تعود للعصر الحجري القديم منها بقايا أشولية عثر عليها هنري دوفري" سنة 1864⁽⁸⁸⁾.

وقد أطلق الباحث أرامبورغ على العرق اسم بحيرة "تيهودين" باعتبار أن المنطقة كانت عبارة عن بحيرة في العصر الحجري القديم فقد عثر في المنطقة على بقايا أسماك، مما يعني أن الصيادين كانوا يعيشون على ضفتيها، أما جينات أوماسيب فقد أكدت أن البقايا في هذا الموقع متأخرة نوع ما وتعود إلى نهاية العصر الحجري القديم الأوسط⁽⁸⁹⁾، ومن أهم المواقع الحضارية في "تيهودين" موقع "تيوريين" الذي يقع في وسط هذا العرق وتعود بقاياه إلى العصر الحجري القديم الأوسط⁽⁹⁰⁾، وقد ذكر غابرييل كامبس أنه يعود إلى الحضارة الموسستيرية⁽⁹¹⁾.

- هضبة فضنون : 25,35° و 26,01° شمالا و 7,44° و 8,22° شرقا: تقع هذه الهضبة شمال "إهرير" وغرب عرق "تيهوداين" وهي غير بعيدة عن "إليزي"، ينبع منها كل من "وادي جرات" ووادي "إليزي"، وتعد هذه المنطقة مرتفعة نوعاً ما إذ يبلغ أقصى ارتفاع لها 1500م، والهضبة محدودة من الجنوب بخندق لكنها تمتد لمساحات واسعة من الرمال شمالا وصولاً إلى خندق آخر يمثل حدودها الشمالية، وهي تحتوي على محطات للفن الصخري من نقوش ورسوم، كما توجد بقايا لمقابر مختلفة تعود إلى فجر التاريخ وما قبل التاريخ قام بدراستها "بول سافيري"⁽⁹²⁾ ثم قام بعده "إيف قوتي" (Yves Gauthier) بأعمال بحث في المنطقة⁽⁹³⁾.

⁽⁸⁸⁾ Ginette Aumassip ., 2001, op.cit.p11

⁽⁸⁹⁾ Ibid.,P32

⁽⁹⁰⁾ Augustin Holl., 1989, Social Issues In Saharan Prehistory, Journal Of Anthropological Archaeology , N°8, P 332

⁽⁹¹⁾ Gabriel Camps ., 1974, Op.Cit.P52

⁽⁹²⁾ حول أبحاث بيار سيفري في هضبة فضنون ، ينظر :

J.P, Savary., 1966, Monuments en pierres sèches du Fadnoun (Tassili n'Ajjer) mémoire. du CRAPE ، n° VI , edition A.M.G .Paris.

⁽⁹³⁾ Yves & Christine Gauthier., 2006, Monuments en trou de serrure et art rupestre: sur la distribution du groupe d'Itheren-Tahilahi / Wa-n-Amil et ses relations avec les autres groupes culturels, Cahiers de l'AARS - N° 10 - Août 2006, p82

وقد قامت كل من جينات أوماسيب و مليكة حشيد بدراسة المقابر والفن الصخري في هذه المنطقة، حيث أرخت بعض تلك المقابر بما بين 3000 و 1000 قبل الميلاد⁽⁹⁴⁾، ومن بين محطات الفن الصخري في "فضنون" ملجأ "مارمي" الذي توجد فيه مشاهد شبيهة بمشاهد منطقة "أدرار أهناات" و"التفادست" بالهوقار⁽⁹⁵⁾، كما توجد محطات للفن الصخري في "إن سالف" (I-n-Selouf)⁽⁹⁶⁾.

- هضبة الايميدير: 25,15° شمالا 4°,91 شرقا: تقع هذه الهضبة بين الهوقار والطاسيلي وهي تتصل مباشرة "بأدرار أهناات" في الشمال والشرق، تتميز بصخورها المتكونة من الحجر الرملي، والتي تتخذ أشكالاً مختلفة بفعل عوامل الحت، وتتصل هذه المنطقة "بالتفادست" من الجهة الجنوبية ويمكن عن طريقها الوصول إلى "غارة الجنون الشهيرة" في التفادست"، التي تعتبر مقصد للسواح القادمين لمشاهد الأشكال للتضاريسية العجيبة وللتمتع بمنظر الكثبان الرملية التي تتواجد على مد البصر، كما أن هذه المنطقة أيضا تحتوي على جبال تتخللها أودية تأوي ملاجئ صخرية، تتواجد بها محطات للفن الصخري خاصة قرب وادي "أوفسي" (Ufsé) وكذلك عند إلتقاءه بوادي "تين سنكو" (ti-n seko)⁽⁹⁷⁾.

وتوجد بمنطقة "الايميدر" عدد كبير من المقابر المختلفة الأنواع، والتي تعود إلى ما بين 2700 و 1000 قبل الميلاد وهو ما يدل على أنها كانت ذات كثافة سكانية كبيرة، وقد قام الباحث "إيف قوتي" (YVES Gauthier) بحملات بحث عديدة في المنطقة واكتشف العشرات من المقابر التي تعود إلى ما قبل التاريخ، مع العلم أن الكثير من تلك القبور موجودة بالقرب من القلعات التي لا تزال موجودة بالمنطقة⁽⁹⁸⁾.

⁽⁹⁴⁾ Ginette Aumassip., 2001, op.cit.p186

⁽⁹⁵⁾ Dida badi ., 2004, Les régions de l'Ahaggar et du Tassili n'Azjer: réalité d'un mythe. Algerie: Edition ANEP, p67.

⁽⁹⁶⁾ Jean Loic Le Quellec., 2008, What's New In The Sahara, 2000-2004, in: Rock art studies, news of the world III, Bahn P.G., Franklin N., Strecker M. (Dir.), Oxford, Oxbow, 2008, p58

⁽⁹⁷⁾ Yves Et Christine Gauthier., 2003, Eléments Remarquables De L'art Pariétal De L'imider, SAHARA, n°14, p136

⁽⁹⁸⁾ Yves Et Christine Gauthier ., 2003, Chronologie ... ,pp155-161

- هضبة "تاجيلايين": 25, 27 - 25, 36 ° شمالا و 8,01 - 8, 23 °: تقع هذه الهضبة في وسط الطاسيلي غرب واحة "إهرير"، وهي من المناطق الحضارية الهامة في الطاسيلي، لكونها تحتوي على محطات هامة للفن الصخري الذي يمثل أساليب فنية تعود للحياة الرعوية، وأهم موقعين فيها هما موقعي "إهرن" و"تاهايلاهي"، فالى جانب كونهما محطتين للفن الصخري، فإنهما يضمنان أيضا بقايا حضارية تعود للعصر الحجري الحديث، كما توجد مواقع أخرى للفن الصخري في المنطقة من أهمها "تين أبانهار" و"تاساكرت" و"وان درباون"، بالإضافة إلى مواقع أخرى مهمة حول سهل "ديدر"، ووادي تسات القريب منها .

- تادرات الجنوبية : 24-24,15 ° شمالا 10, 45 - 11 ° شرقا : تقع تادرات الجنوبية في أقصى جنوب الطاسيلي وهي تعد امتدادا جنوبي لمنطقة "تادرات أكاكوس" الليبية حيث تمتد مرتفعات الاكاكوس إلى هذه المنطقة الجنوبية من تادرات لتتصل مباشرة مع الكتبان الرملية، وتعد هذه المنطقة ذات طبيعة جبلية فالجبال الصغيرة المكونة من الكتل الصخرية المتعددة الأشكال متواجدة بكثرة، ويجتاز المنطقة وادي "إن جران" كما توجد بها سهول واسعة، أما الكتبان الرملية الكبيرة والتي يصل ارتفاعها إلى عشرات الأمتار فتتمثل في عرق "تين مرزوقة"، ويصل أقصى ارتفاع في المنطقة إلى 1210م.

ويعتبر وادي "إن جران" مركزا ثقافيا مهما في هذه المنطقة فهو يحتوي على عدة محطات للفن الصخري التي يعود لمرحلة الصيادين والرعاة، كما أن موقع "تيدوناجي" هو الآخر من المواقع المهمة في المنطقة حيث عثر الباحثان "نجيب فرحات" و"ميشال توفّر" على رسوم صخرية شبيهة بمشاهد رسوم مرحلة الرؤوس المستديرة التي توصف بانها تمثل المرحلة القديمة من الرسوم، ولكن الرسوم التي اكتشفت في موقع "تيدوناجي" أقدم منها مما يعني أنها أقدم الرسوم في الصحراء⁽⁹⁹⁾. وتضم تادرات الجنوبية مواقع أخرى هامة منها مواقع "أريكين" ووادي "بريج" وعين "أزان"⁽¹⁰⁰⁾، كما تضم مقبرة "منخور" التي وجدت فيها بقايا عظمية تعود للنيوليتي.⁽¹⁰¹⁾

⁽⁹⁹⁾ Ulrich W. HALLIER, Brigitte C. HALLIER., 2003, The Roundheads Of The Djado And The Tassili-Mountains, Stonewatch, N°7, Part 1, P28-53

⁽¹⁰⁰⁾ Alfred Muzzolini ., 1995, Op.Cit .P223-224

⁽¹⁰¹⁾ Michel TAUVERON, Karl-Heinz STRIEDTER ,Nadjib FERHAT., 2009, Neolithic Domestication and Pastoralism In Central Sahara :The Cattle Necropolis Of Mankhor (Tadart

هـ - الإطار الجيولوجي للهوفار والطاسيلي:

بدأت الدراسات الجيولوجية في الصحراء منذ مطلع القرن العشرين إذ أن منطقة الطاسيلي والأهفار تحتوى على مواقع مثالية لهذه الدراسات، وذلك بفضل وجود الصخور النارية والمتحولة التي تعود إلى الدهر المسمى " ما قبل الكامبري" ⁽¹⁰²⁾، كما أن هذه المنطقة تعد قديمة التكوين بشكل عام، فأقدم تاريخ جيولوجي للصحراء يعود إلى الحقبة الأركية (Archean) ⁽¹⁰³⁾، وقد تكونت في هذه الحقبة صخور بركانية داكنة اللون والصخور الرسوبية، وكانت القشرة القارية تتكون من رسيخات صغيرة الحجم ⁽¹⁰⁴⁾ وهي الحقبة التي بدأ فيها تكوين سطح الأرض ⁽¹⁰⁵⁾، وتمتد من 3800 مليون سنة إلى 2500 مليون سنة .

Algerienne, In : Roland BAUMHAUER & Jorgen RUNGE, Jorgen (Eds) Holocene Palaeoenvironmental History Of The Central Sahara .Paleoecology Of Africa, Tome 29, P179-186

⁽¹⁰²⁾ قدر الباحثون عمر الأرض ب 4.54 مليار سنة فقد تشكلت الأرض بعدما انخفضت درجة الحرارة فيها تدريجيا وظهرت الصخور الرسوبية والصخور المتحولة، ثم ظهرت الحياة البدائية المتمثلة في البكتيريا وحيدة الخلية، ويقسم تاريخ الأرض إلى عدة دهور: الدهر الأول وهو الدهر الخفي (الهاديان Hadean Eon)، وهو أقدم جزء من تاريخ الأرض، يمتد بين 4600 مليون سنة و 3800 مليون سنة، ولا يوجد سجل صخري يمثل على كوكب الأرض، والدهر الثاني هو دهر ما قبل الكامبري وهو ينقسم إلى حقتين حقبة الدهر الأركي (الحياة العتيقة أو السحيقة Archean Eon) والذي يمثل جزء من السجل الصخري للأرض، ويبدأ بأقدم صخور القشرة الأرضية، التي يرجع عمرها إلى حوالي 3800 مليون سنة، وينتهي عند 2500 مليون سنة مضت، والحقبة الثانية هي حقبة البروتيزوي (الحياة الأولية Proterozoic)، وتشمل الفترة من 2500 إلى 600 مليون سنة مضت تقريبا، أما الجزء الأهم من تاريخ الأرض فهو دهر الحياة الظاهرة والتي تبدأ من حوالي 540 مليون سنة إلى الآن وهنا تظهر الحياة بشكل جلي على الماء وفي اليابسة ، وتنقسم إلى أربعة عصور جيولوجية ، ينظر : مادة تاريخ الأرض في موسوعة المعرفة :

<http://www.marefa.org/index.php/>

تاريخ الزيارة 10-06-2015 التوقيت 18:01

⁽¹⁰³⁾ أما أقدم تاريخ للكائنات الحية فيعود تقريبا إلى حوالي 3500 ملين سنة وهي لبكتيريا وحيدة الخلية من نوع (stromatolites) وجدت في غرب أستراليا، بينما وجدت آثار لبكتيريا تعود إلى 3200 مليون سنة في جنوب إفريقيا، ينظر : عبد الجليل عبد الحميد هويدي، محمد أحمد حسن هيكل، 2004، أساسيات علم الجيولوجيا، القاهرة : مكتبة الدار العربية للكتاب، ص332-333.

⁽¹⁰⁴⁾ عبد الجليل عبد الحميد هويدي، محمد أحمد حسن هيكل، 2004، المرجع السابق ، ص327

⁽¹⁰⁵⁾ تعود أقدم الصخور على الأرض إلى حوالي 3800 مليون سنة ، ينظر : عبد الجليل عبد الحميد هويدي، محمد أحمد حسن هيكل، 2004 ، المرجع السابق ، ص327

وقد تزامن تكوينها الجيولوجي مع تكوين الجبال الافريقية الأولى، ومن الأدلة على ذلك وجود الصخور المتحولة "كالشيس" و"النيس" و"الغرانيت"⁽¹⁰⁶⁾، ويذكر الجيولوجيون مصطلح درع الطوارق⁽¹⁰⁷⁾ الذي يتزامن تكوينه مع تكوين الجبال الأولى في افريقيا، وهو يتشكل من جبال "الهوڤار" و"الآير" والافوغاس وسهل التينيري⁽¹⁰⁸⁾.

كما أن التاريخ الجيولوجي للهوڤار والطاسيلي متنوع، ويشمل كل الأزمنة الجيولوجية، فالشواهد في الصحراء من جبال وهضاب وعروق رملية تختلف في تكوينها فبعضها يعود إلى الحقبة الأركية بينما تعود المناطق الأخرى إلى الزمن الرابع .

1- الأراضي التي تعود إلى حقبة ما قبل الكامبري:

تعود المناطق ذات التكوين الجيولوجي الأقدم في منطقة الطاسيلي والهوڤار إلى الحقبة الأركية وحقبة البروتروزويك⁽¹⁰⁹⁾، وهي تتواجد خصوصا في الأراضي البلورية، وهي الأراضي الواقعة جنوب الطاسيلي وفي معظمها تشكل الهوڤار، ولا يوجد منها في الطاسيلي إلا مناطق محدودة كسهل "الأمدغوغ" (amadrar) والآدمر (admer) وكذلك التضاريس المعزولة "لادرار إس سولا" (adrar es soula) و"تازات" (tazat)⁽¹¹⁰⁾، فهذه المناطق من الهوڤار والطاسيلي هي أقدم المناطق من حيث التكوين الجيولوجي .

وبشكل عام معظم التكوينات الصخرية لما قبل الكامبرية توجد في الهوڤار⁽¹¹¹⁾، ومن أهم المناطق التي تعود إلى هذه الحقبة : "تماسينت"، "غور أومالالين"، "إغيري"، "اليكسود"، "تيكوماتين"، "لاوني"، "أزور ان فد"، "تين زواتين"، "إين تيديني"، "أميسال" الواقعة جنوب

⁽¹⁰⁶⁾ Jean Fabre., 2005, op.cit.p88

⁽¹⁰⁷⁾ تكونت أقدم الجبال على الأرض منذ ما يقارب 3.5 مليار أو 3.6 مليار سنة وهي جبال الأبلش، وإلى هذا الزمن تقريبا يعود تكوين درع الطوارق ، والمقصود بدرع الطوارق كل الجبال الموجودة في الصحراء الوسطى والجنوبية.

⁽¹⁰⁸⁾ Jean Fabre., 2010, Evolution Du Sahara Central Et Occidental Du Precambrien A Nos Jours1, Colloque International Sur La Géologie Du Sahara Algérien: Ressources Minérales, Hydrocarbures Et Eau , OUARGLA du 05 au 07 DECEMBRE 2010, p45

⁽¹⁰⁹⁾ تُعرف بحقبة الحياة الاولى أو البروتروزويك تبدأ من 2.5 مليار سنة إلى 540 مليون سنة ، تطورت فيها الحياة من كائنات وحيدة الخلية الى الفطريات، وتكون فيها الأكسجين بفضل وجود الطحالب والبكتيريا وانتشر في الجو وظهرت في النهاية أولى الحيوانات ، ينظر :

Mcgraw-Hill., 2003, Dictionary Of Geology And Mineralogy, Mark D. Licker Publisher-Science, Second Edition, USA, p279

⁽¹¹⁰⁾ Jean Dubief., 1999,op.cit., P335

⁽¹¹¹⁾ Jean Flandrin., 1957, Le Pétrole Et L'eau Dans Le Sahara Septentrional Algérien. In: Revue De Géographie De Lyon. Vol. 32 N°4,P 293

تمنراست، "وادي إهيرن"، "أسكال"، "أنفاك"، "تين أمزي"، "تفادست"، "تين بيجان"، "أهنات"، "إن أزال" ⁽¹¹²⁾ . (الخريطة 02)

2- أراضى الزمن الأول (الباليوزويك Paléozoïque) :

تحضي الدراسات المتعلقة بالزمن الأول ⁽¹¹³⁾ بأهمية كبيرة وباهتمام بالغ وذلك بسبب أهميتها الاقتصادية لهذه الدراسات، خاصة فيما يتعلق بالتنقيب عن النفط، فالمعروف أن النفط قد تكون خلال المسار "الكمبري- الأوردوفيني" (Cambro-ordovicien) والمسار "السلوري - الدوفيني" (siluro-dovonien) وكذلك في العصر الترياسي ضمن الزمن الجيولوجي الثاني. ⁽¹¹⁴⁾

وتنتشر الأراضى التي تعود لهذا الزمن في مختلف الهضاب المشكلة للطاسيلي وهي تعد قديمة التكوين في نظر الجيولوجيين لكونها تعود لما بين 550 مليون سنة و 370 مليون سنة ضمن المسار الكامبري - أوردوفيني - والدوفيني الأسفل ⁽¹¹⁵⁾، أما تكوينات الأوردوفيشي فهي تتراوح بين 500 و 435 مليون سنة ⁽¹¹⁶⁾ وتوجد في كل من "تين تراجيلي" (tin-taradjeli) الواقعة على الطريق بين "جانت" و "إليزي"، كما تتواجد في "جانت" و "إدمبوا" و "تين تاهويت" وأجزاء من حوض "إليزي" ⁽¹¹⁷⁾ .

كما نجد في شمال الهوڤار أراضى تعود للزمن الجيولوجي الأول خاصة في الحدود الخارجية للهوڤار مع الطاسيلي، بينما في الطاسيلي نجد صخور الحجر الرملي التي تعود إلى المسار "الكمبري- الأوردوفيشي" (Cambro-ordovicien) في الطاسيلي الداخلي، ونجد التكوينات التي تعود إلى "الدوفيني" في الطاسيلي الخارجي، بينما نجد صخور

⁽¹¹²⁾ Jean Fabre., 2005, op cit. pp89- 91.

⁽¹¹³⁾ الزمن الجيولوجي الأول ويسمى علميا بالباليوزويك (Paleozoic) يبدأ مع نهاية دهر ما قبل الكامبري (Precambrian) حوالي 540 مليون سنة قبل الحاضر إلى بداية الزمن الجيولوجي الثاني (Mesozoic) في حوالي 225 مليون سنة قبل الحاضر، يعرف بزمان الأسماك والبرمائيات ويتكون من ستة عصور، هي على التوالي: الكامبري (Cambrian)، الأوردوفيشي (Ordovician)، السلوري (Silurian)، الديفوني (Devonian)، الكربوني (Carboniferous)، البرمي (Permian)، ينظر: Mcgraw-Hill., 2003, op.cit.p243

⁽¹¹⁴⁾ S beuf et al ., 1971, Les Gres Du Paléozoïque Inferieur Au Sahara Sédimentation Et Discontinuités . Evolution Structurale D'un Craton, Pulpication De l'Institut Française De Pétrole Collection SCI Et Techniques, n° 18, paris : Edition technip, P3

⁽¹¹⁵⁾ Ibid,P 7, Jean Dubief, 1999, Op.Cit. P330

⁽¹¹⁶⁾ Jean Fabre., 2005, op cit .p 149.

⁽¹¹⁷⁾ Ibid , pp163-165

الشبيست التي تعود لهذا الزمن في "أهناث" و"الإميدير" وفي عرق "إساون" ⁽¹¹⁸⁾. (الخريطة 02)

كما أن صخور الحجر الرملي الموجودة في المناطق الواقعة قرب "إهرير" تعود إلى "الودوفيشي"، أما الأراضي التي تعود إلى العصر "السلوري" الذي يتراوح زمنيا بين 430 إلى 400 مليون سنة فنجدها في: "أتافيتافا"، "تقرنين"، "تماجرت"، "إن أبيقوي"، ومناطق غرب "أهناث"، "إن إزيليغ"، "يتيديارت"، "إليزي"، جبل "إجارن"، كما نجدها في شمال وشرق الهوقار، وفي الجنوب نجدها داخل الطاسيلي "أوان أهقار" ⁽¹¹⁹⁾، ومن التكوينات السلورية أيضا تلك الموجودة في حوض "وادي مية" الذي يحتوى على مخزون هام من البترول تكون خلال هذه الزمن وخلال عصر الترياسي ضمن الزمن الجيولوجي الثاني ⁽¹²⁰⁾.

أما بالنسبة للتكوينات الدوفينية (dévonien) فنجدها في "أهناث"، و"إسجيرات"، و"إيدكال"، وفي "تاريت"، وفي منطقة "إيلوميدن" (iullemeden) ⁽¹²¹⁾، ونجدها أيضا في الأراضي الواقعة بين "أهناث" و"أدرار مورات" (adrar morrat)، أما في الشمال فنجدها وادي "تين ديال" (tin dial) وفي "الإميدير" ⁽¹²²⁾. أما العصرين البرمي - والكاريوني (permo- carbonifère) فالأراضي التي تكونت فيهما نجدها في حوض "إليزي" وعرق "إساون" (issaouane)، وفي منطقة "إسنجال" (issendjel) القريبة من إليزي، وفي "تيهنبوكة"، ومنطقة "أوبراكات" (oubarakat) التي تقع بين "إليزي" و"عين أمناس"، وكذلك في "أمقييد" (amguid) و"أهناث" (ahnet) و"عين قزام" ⁽¹²³⁾، وإلى العصر البرمي

⁽¹¹⁸⁾ J. Flandrin ., 1957, op.cit. p 293

⁽¹¹⁹⁾ Ibid, pp 207-213

⁽¹²⁰⁾ H, Bouabdallah, & A ,Hameg ., 2003, Hydrocarbon Potential of Petroleum System, Oued Mya Basin, Algeria , AAPG HEDBERG CONFERENCE , Paleozoic and Triassic Petroleum Systems in North Africa” , February 18-20, 2003, Algiers, Algeria, p1

⁽¹²¹⁾ Jean Fabre., 2005, op cit, p238-239

⁽¹²²⁾ Ibid, p 271

⁽¹²³⁾ Ibid, pp321-325

(Permian) تنسب تكوينات حوض "رقان" أيضا إذ أن نحو 50% إلى 75% من تكوينات هذه المنطقة تعود إلى هذا العصر (124).

وبشكل عام يمكن القول أن ترسبات الزمن الأول تتواجد على هامش المناطق التي تعود إلى حقبة ما قبل الكامبري في الهوقار، فمثلا ترسبات منطقة "الاميدر" و"أهنات" تعود إلى الدوفيني والكربوني الأسفل (125)، كما أن التكوينات الطينية والحجر رمليّة تعود في الأساس إلى المسار الممتد من العصر الكامبري إلى العصر الكربوني وهي متواجدة في شمال الهوقار (126).

3 - أراضي الزمن الثاني (mésozoïque) (127) :

تمتد أراضي الزمن الجيولوجي الثاني في جنوب شرق الهوقار وفي صحراء "التينيري" وكذلك جميع الأراضي المنخفضة التي تعتبر بمثابة الحفر الواسعة، وفي شمال الهوقار المناطق التي تعود لهذا العصر تتواجد في هضبة "تتغرت" (Tinrhert) و"التادميت" (Tademaït)، وكذلك عند الحدود الجزائرية الليبية بداية من "عين أميناس" التي اكتشفت فيها آثار الديناصورات إلى غاية الجنوب التونسي، وقد كانت هذه الأراضي بحرا كبيرا في الفترة الممتدة من العصر "الكربوني" إلى العصر "الجوراسي".

أما الأراضي التي تعود إلى المسار الجوراسي - الكرياتيبي الأسفل فتتواجد في جنوب الهوقار (128)، وفي الشمال في وادي "مئة" (oued Mya) توجد آثار تدل على انقراض

(124) Mohamed, E.M. Derder et al., 2009, New structural implications for the central Sahara (Algeria), from the revisited Upper Carboniferous "Hassi Bachir" Formation: Paleomagnetic constraints, Tectonophysics, n°463, p76.

(125) Jobst Wendt And al., 2006, Sedimentary Evolution Of A Palaeozoic Basin And Ridge System: The Middle And Upper Devonian Of The Ahnet And Mouydir , (Algerian Sahara) Geol. Mag , (3) 143 , P269

(126) S. Ouali A. Khellaf K. Baddari., 2007, op.cit,p409

(127) يعرف الزمن الثاني باسم Mesozoic أي الحياة المتوسطة ويبدأ هذا الزمن مع نهاية الزمن الأول (Paleozoic) في حوال 225 مليون سنة وينتهي في حوالي 65 مليون سنة ، يعرف بزمن الثدييات العملاقة أو الديناصورات ، ويتكون من ثلاثة عصور هي على التوالي : الترياسي (Triassic) الجوراسي (Jurassic)، الطباشيري (Cretaceous)، ينظر : Mcgraw-Hill., 2003, Op.Cit.P201

(128) Bied-Charreton Marc., 2003, Système Aquifère Du Sahara Septentrional, Une Conscience De Bassin, Hydrogeologie, volume II , Juin 2003 , Observatoire Du Sahara Et Du Sahel, 2e Edition, P28

الديناصورات في العصر الكرياتيبي والأمر نفسه نجده في "إليزي" ⁽¹²⁹⁾، كما نجد العديد من الأراضي الرملية التي تعود إلى "الترياسي الأوسط" في عين أمناس، بينما توجد تكوينات أخرى في نفس المنطقة تعود إلى "الجوراسي"، حيث عثر على بقايا "ديناصورات" في شمال منطقة "إجله" (edjeleh) خاصة من نوع "السنريكوسيفالس" وهو من الزواحف ووجدت أيضا آثار لديناصورات "التيراتوسوريوس" ("teratosauries") ⁽¹³⁰⁾.

أما الأراضي التي تعود للعصر "الترياسي" فهي متواجدة في حوض "إليزي" في كل من : "تقنتورين" (Tiguentourine)، "أوبراكات"، "إسيكيفاف" (Assekaifaf) "إسنجال" (Issendjel) "تين ميراس" (Tin Meras) ، "حاسي تابنكورت" (Tabankort)، "وادي إميهر"، "تانزوفت" ⁽¹³¹⁾ وبعيد عن هذه المنطقة باتجاه الشمال الغربي تتواجد آثار الزمن الجيولوجي الثاني في حوض "رقان" خاصة في جبل "برجا" (Berga) ⁽¹³²⁾. (الخريطة 02)

4 - أراضي الزمن الثالث (cénozoïque) ⁽¹³³⁾:

بالنسبة للطاسيلي تظهر لنا الأراضي التي تعود للزمن الثالث في "سيروانت" شرق "الامادغوغ" ⁽¹³⁴⁾ ، أما بالنسبة للهوقار فتعود مجمل الجبال الحديثة التكوين فيه إلى "النيوجين" ضمن الزمن الثالث، حيث تعرضت الهوقار إلى براكين هائلة في هذا العصر، وهو ما سمح بتكون الأشكال الرائعة من التضاريس في الهوقار ذات الطبيعة البركانية ⁽¹³⁵⁾.

⁽¹²⁹⁾ Jean Fabre., 2005, op.cit. pp46-47

⁽¹³⁰⁾ Ibid .pp 369-371

⁽¹³¹⁾ T.R. Klett. , 2002, Total Petroleum Systems of the Trias/Ghadames Province, Algeria, Tunisia, and Libya-The Tanezzuft-Oued Mya, Tanezzuft-Melrhir, and Tanezzuft-Ghadames Geological Survey Bulletin , August 9, 2000, Colorado, USA :Edited by Lorna Carter , p9

⁽¹³²⁾ Mohamed E.M. Derder and al., 2009, op.cit.p764

⁽¹³³⁾ يعرف بزمّن الحياة الحديثة (Cenozoic) في الدراسات الأنجلو - أمريكية ويبدأ منذ 65 مليون سنة وينتهي إلى الوقت الحاضر فهو بذلك يضم أيضا الزمن الرابع، بينما في الدراسات الفرنسية يسمى هذا الزمن بالثلاثي وهو منفصل عن الرباعي، يتكون من العصور التالية: العصر الأول هو الباليوسين (Paleogene) الذي يتكون بدوره من الباليوسين (Paleocene)، والإيوسين (Eocene)، والأوليغوسين (Oligocene)، والعصر الثاني هو النيوجين (Neogene) ويتكون من: الميوسين (Miocene) والباليوسين (Pliocene)، ينظر : Mcgraw-Hill., 2003, Op.Cit.P64

⁽¹³⁴⁾ Jean Fabre., 2005, op cit, p387

⁽¹³⁵⁾ Christopher S. Swezey ., 2009, op.cit.p 90-95

أما في عصر "الميوسين" فقد تكونت الكثير من الأحواض المائية منها الحوض المائي الذي يقبع تحت العرق الشرقي الكبير وهو حوض هائلٌ يتضمن أيضا البترول، وقد تشكل جزء من هذا الحوض في عصر "الميوسين"، لكن جزء منه تكون في الزمن الرابع⁽¹³⁶⁾.

ومن جهة ثانية ونتيجة للنشاط البركاني الكبير في "عصر النيوجين"، ونظرا للطبيعة البركانية للهوآر، فإنه يمكن القول أن العديد من الجبال في الهوآر تنتمي إلى هذا العصر مثل منطقة "تغرت" (Tinrhert) ومنطقة "تادميت" (Tademaït)⁽¹³⁷⁾، وتقريبا تنتمي إلى هذا العصر كل المناطق التي تقع جنوب العرق الشرقي الكبير⁽¹³⁸⁾.

بينما الأراضي التي يمتد تشكلها من "الايوسين الاسفل" (Eocene) إلى "الاوليغوسين" (Oligocene) فنجدها في "الانهاف" (Anahef) بالهوآر، وهي تعود إلى ما بين 29 مليون و24 مليون سنة، كما نجد بعض التكوينات الصخرية الأحدث في الأتاكور وهي تعود لما بين 20 مليون سنة و7 مليون سنة، والتكوينات الحديثة جدا تعود إلى نهاية الزمن الجيولوجي الثالث وبداية الزمن الرابع أي بين "البليوسين النهائي" (Pliocene) والزمن الرابع و يقدر تأريخ تكوينها بما يقارب 3 مليون سنة وهي توجد في "الأتاكور" وفي منطقة "تاهلغا" (Tahalra) وفي "الايغيري" (Egéré) و"أدرار أن آجر" ومعظمها ذات طابع بركاني. ويمكن القول بأن البراكين قد لعبت دورا كبيرا في تشكيل السطح في الهوآر، وتعود أحدث البراكين في هذه المنطقة إلى عصر الإيوسين أي منذ حوالي 25 مليون سنة واستمرت إلى الزمن الرابع⁽¹³⁹⁾. (الخريطة 02)

5- أراضي الزمن الرابع:

يُعرف الهوآر على الصعيد العالمي بأنه من أكثر مناطق العالم جمالا فمناظره ذات الطابع البركاني تخلق الألباب خصوصا منطقة "الاسكرام" بجبال الأتاكور، وهذه البراكين

⁽¹³⁶⁾ Bied-Charreton Marc., 2003,op.cit, p59

⁽¹³⁷⁾ Jean Fabre., 2005, op cit .p420

⁽¹³⁸⁾ Christopher S. Swezey ., 2009, op.cit.p 90

⁽¹³⁹⁾ Jean-Paul Liégeois et al ., 2005,The Hoggar swell and volcanism: Reactivation of the Precambrian Tuareg shield during Alpine convergence and West African Cenozoic volcanism the Geological Society of America ,01/2005, p380-383.

حديثة نسبيا، فقد ظهرت بين "الإيوسين الأعلى" و"الزمن الرابع، وفي الخريطة الجيولوجية نلاحظ أن التكوينات البركانية الحديثة تتموقع في وسط الهوقار وأنها تتوزع على ثماني مواقع هي: "ادرار أن أزجر" (Adrar n'Ajjer)، ومنطقة "شمال أنهاف" (Anhaf)، و"جنوب" أمادغوغ"، ومنطقة "منزار" (Manzar)، "الأناكور"، و"تاهلغا" (tahalgha) و"الايغيري" (Eggéré) التي تقع شمال منخفض "امادغوغ"، و"إن إزان" (in Ezzane) على مسافة 350 كلم جنوب شرق جانت في حدود منخفض وادي تفاساسات. (140)

وفي الطاسيلي يتمثل الزمن الرابع في التشكيلات البركانية في "أدرار ان أزجر"، وفي "تين هناكتن"، كما توجد هناك بعض التشكيلات البركانية التي ترجع إلى الزمن الجيولوجي الثالث وهي مختلفة عن تشكيلات الزمن الرابع، وعموما في كل مكان في الصحراء نجد شواهد عن الزمن الربع مثل البحيرات الجافة، والأودية، وبقايا الإنسان والحيوانات... (141).

ويمكن القول بخصوص التاريخ الجيولوجي للطاسيلي والهوقار أن المنطقة تتميز بصخورها التي تعود إلى الزمن الجيولوجي الأول والثاني، بينما تعود مناطق الأحواض للزمن الجيولوجي الثالث، أما العروق ومختلف أشكال التضاريس الأخرى المتأثرة بالرياح مثل الحماده والرق والعروق فتعود إلى الزمن الجيولوجي الرابع (142). (الخريطة 02)

(140) Jean Fabre., 2005, op cit.p 495

(141) Ibid.p 490

(142) Christopher S. Swezey ., 2009, op.cit.p 89-121

ثانيا: المجاري المائية في الصحراء الوسطى :

لقد عرفت الصحراء جفافا متواصل منذ ما يزيد عن ألفي سنة لذلك فقد أصبحت النظرة النمطية عن الصحراء هي الحرارة العالية والجفاف وندرة النباتات والحيوانات، ولكن من خلال دراستنا للمجاري المائية تبين لنا أن هذه المنطقة تحتوي على شبكة هامة من المجاري المائية، كما أن بعض المناطق في قلب الصحراء لا تزال تحتفظ بمياه جارية طول السنة ، لأجل ذلك صنفنا تلك المناطق ضمن المناطق الرطبة في العالم .

فالناظر لخريطة الصحراء يلاحظ أنها تحتوى على شبكة هامة من المجاري المائية، وبعض مجاري الأودية تبدو بمثابة الأنهار الجافة فهي واسعة وطويلة جدا إذ تمتد مجاريها لمئات الكيلومترات على نحو يثير التساؤلات، فهل كانت هذه الأودية مليئة بالمياه يوما ؟ مع العلم أن مجاري تلك الأودية تشبه مجاري الأنهار فلو كان المناخ رطبا لكانت المنطقة تحتوي على العديد من الأنهار، وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على أن المنطقة بالفعل كانت ذات مناخ رطب.

وبلا شك أن هذه الأودية الواسعة كانت نشطة في السابق في ظل بيئة مختلفة عن البيئة الحالية ، إذ يرجع تكوين الشبكة المائية في الطاسيلي والهوقار إلى الفترات المطيرة المعتبرة التي شهدتها المنطقة، حيث ساهم الحث المائي الشديد الناتج عن التساقطات الكبيرة في تشكيل المجاري الواسعة لهذه الأنهار الأحفورية، واليوم تمثل هذه المجاري⁽¹⁴³⁾ فقط في حالة الفيضانات وتحدث أضرار فادحة عند جريانها.

أ- المجاري المائية في الطاسيلي :

تنقسم مياه منطقة الطاسيلي ما بين أحواض "الإغرغار" شمالا ووديان "سامن" و"ترات" وحوض "تقاساست" جنوبا والذي تصب فيه أودية: "اجريو"، و"أبدن فوك" ومجموعة من السيول النازلة من "أدرار أهلكان"⁽¹⁴⁴⁾، ويمكن أن نذكر بعض الملاحظات الأولية حول الأودية الصحراوية، والتي يمكن تقسيمها إلى قسمين :

⁽¹⁴³⁾ يعتبر "وادي إمهرو" الوادي الوحيد في الطاسيلي الذي يسير بانتظام خلال السنة ، ينظر :

Claude, Leredde., 1957, op.cit, p417

⁽¹⁴⁴⁾ Ibid,P539

1- أودية الجهة الشرقية للطاسيلي :

وهي مجمل الأودية الواقعة في الشرق بين "إليزي" و"جانت" ومنطقة "تادرارت الجنوبية" وتتبع معظم هذه الأودية من المنحدرات الجنوبية والشرقية لهضبة الطاسيلي، ومن المناطق المرتفعة الواقعة في الجهة الشرقية مثل "طاسيلي أجريت" و"مداك" أو من جبال "سوف ملان" و "إلارن" وهضبة "فضنون"، ومن هذه الأودية :

وادي "جرات" الذي يعتبر من الأودية الهامة خاصة على الصعيد الثقافي نظرا لتوفره على محطات الفن الصخري، ويعد من الأودية الكبيرة نسبيا حيث يبلغ طوله 50 كلم، مع العلم أنه أحد روافد وادي "إغرغار"، وهو يبدأ من هضبة فضنون (Fadnoun) ويتجه شمالا إلى عرق إساون (Issaouane) حيث يتسع مجراه أحيانا ويضيق، ويستمد بعض من مياهه من وادي "إن تاسيلات" (in tasselett)، ويوفر مجراه الغني بالماء في بعض الفترات مراعي جيدة ومكان لنمو أشجار النخيل في واحة نفاق (Nafeg)⁽¹⁴⁵⁾ .

وعندما يصل هذا الوادي إلى واحة "نافاك" يحصل على مياه وفيرة من السفوح المطلة على هذه الواحة ويصب هذا الوادي في منطقة قريبة من مدينة إليزي وفق ما يذكر هنري لوت⁽¹⁴⁶⁾، ومن المفترض أن وادي جرات كان أكثر اتساعا وطولا في ما قبل التاريخ فقد كان نهرا كبيرا تجوب ضفتيه قطعان الأبقار البرية والفيلة والزرافات، وعلى جوانب الوادي نجد نقوش صخرية نفذها الصيادون القدامى والرعاة الذي عاشوا هناك لآلاف من السنين .

ومن الأودية الهامة وادي "ترات" الذي يعتبر من أهم أودية الجهة الشرقية للطاسيلي وأكثرها اتساعا ويقع في أقصى الشرق قرب الحدود مع ليبيا، يمتد مجراه داخل الأراضي الليبية وهذا الوادي يتجه شمالا ثم ينعطف غربا ليلتحق بوادي "إرارار" جنوب تيماسنين، ثم يضيق مجراه بشكل كبير بسبب عرق "تين كاييت" بليبيا، وهناك يتغير اسمه إلى وادي "أسكفاف" الذي يحصل على مياه من منطقة "إيفهي"⁽¹⁴⁷⁾ .

⁽¹⁴⁵⁾ Alfred Muzzolini., 1995, Op.Cit. P265

⁽¹⁴⁶⁾ Henri LHOTE., 1976, Les Gravures Rupestres De l'Oued Djerat (Tassili N'Ajjer), Mémoire Du CRAPE , XXV, TI, Alger, P.11.

⁽¹⁴⁷⁾ Gabrial Gardel., 1961, Op.Cit.Pp80-81

أما وادي "إميهر" فينبع من منطقة "ديدر" ويتجه نحو الشمال عبر المنحدرات الشمالية لهضبة الطاسيلي ليصب في منطقة "إغارارن" شمال-شرق مدينة إليزي، وهو يحصل على مياه من وادي "إسيفودال" (assiguedel)، ومن وادي "تين سراكا" (tin sraka)، ويعد هذا الوادي من بين أكبر الأودية الغنية بالمياه في المنطقة⁽¹⁴⁸⁾، ومن أودية المنطقة الشرقية أيضا وادي "اساهور" (asahor) الذي يقع بين وادي جرات ووادي "إميهر" و"تين تاهيهاوين" و"ألينكاوت" التي يبلغ إرتفاعها 1319 م.

ومن بين الأودية أيضا وادي "إليزي" الذي ينبع من هضبة "فضنون" أو من "سوف ملان" القريبة من إليزي، وهذا الوادي الذي يجتاز مدينة إليزي يبعد كثيرا عن الهوقار، وهو يمتد بشكل طولي حيث تغذيه مياه قادمة من "تين ميراس" (tin meras) ومن جبال "إلارن" (illerene) في الجهة اليمنى. ونذكر من الأودية أيضا وادي "تاخمات" الذي يقع شمال إليزي، ويعد من الأودية الكبيرة ذات المجاري الواسعة، يحصل على المياه من منطقة "إلارن" الجبلية، كما يوجد وادي "إريكين" الذي يقع في أقصى الجنوب الشرقي، تتجمع مياهه من مرتفعات طاسيلي - أجريت ومن "تادارات الجنوبية"، ومن بعض الأودية القادمة من منطقة المساك الليبية المجاورة⁽¹⁴⁹⁾.

ويعد حوض "أريكين" أحد أهم الأحواض المائية في الطاسيلي فهو يحصل على مياه من منطقة "طاسيلي - أجريت" الجبلية، كما يحصل على مياه من تادارات ومن الجهة الغربية لهضبة المساك الليبية، وهذا الوادي يتغير اسمه باستمرار كلما وصل إلى منطقة، ومن بين تلك الأسماء: "تين منتاه"، وأمياس، وعندما يجتاز "طاسيلي - أجريت" و يصل إلى تادارات يتخذ اسم "وادي إريكين". ومن أودية هذه الجهة أيضا وادي "تاكيسات" (takisset) الذي يسير في الجهة الشرقية لتادارات الجنوبية، وهناك تجبره الكثبان الرملية على الاتجاه شمالا ليدخل الأراضي الليبية ويعرف عندئذ باسم وان كاز⁽¹⁵⁰⁾.

لكن أهم أودية هذه المنطقة هو وادي "إن جران" الذي يقع في "تادارات الجنوبية" وينبع من المنحدرات الشرقية لهضبة الطاسيلي، وتكمن أهمية هذا الوادي في كونه مركزاً حضارياً

⁽¹⁴⁸⁾ Jean Fabre., 2005, op cit ,p 207

⁽¹⁴⁹⁾ إبراهيم العيد بشي، 2009، المرجع السابق، ج2، ص108

⁽¹⁵⁰⁾ Gabrial Gardel., 1961, op.cit.p86

هاماً في منطقة "تادرارت الجنوبية" حيث تتواجد به محطات هامة للفن الصخري الذي يعود للصيادين القدامى وللرعاة.

أما وادي "إصنديلن" فيقع شرق مدينة جانت وهو يجري في اتجاه شمالي-جنوبي، ينبع من المنحدرات الجنوبية لهضبة الطاسيلي ويصب في عرق آدر، وغير بعيد عن "إصانديلن" يوجد وادي "إجريو" الذي ينبع من منطقة "مذاك" ويجتاز واحة "جانت" ثم يصب في عرق "آدر"، وهو الوادي الوحيد في الطاسيلي الذي يستفيد منه السكان في سقي بساتينهم، أما وادي "طاسيلي أجريت" فهو من الأودية الكبيرة التي تتوفر فيها المياه في معظم الأوقات وقد وصفه الرحالة الألماني "فون باري" بكونه ملئاً بالسلاحف⁽¹⁵¹⁾.

ومن الأودية الواقعة في الحدود مع ليبيا وادي "تانزوفت" الذي ينسب اسمه إلى منطقة "تانزوفت" الليبية وهو ينبع من منطقة "طاسيلي أجريت" ويصب في عرق "تتغسين" (titeghsine)، ويبدأ وادي تانزوفت أولاً في "تين الكوم" وهي مركز حضارياً قديم وجدت فيها قبور ما قبل إسلامية وآثاراً تدل على نشاط زراعي مزدهر. أما وادي "تين الكوم" الذي يُنسب إلى هذه المنطقة فيسير باتجاه "تين الفوكي" وهناك يتغير اسمه إلى وادي إساون، والمعروف أنه في وسط هذه المنطقة توجد "إساون آن أفلة" التي تُعرف أيضاً "بإيديليس"، وعندما يصل وادي إساون إلى منطقة "البركات" يتغير اسمه إلى وادي تانزوفت حيث يواصل سيره شمالاً ليمر على بعد 5 أو 6 كلم من مدينة غات الليبية⁽¹⁵²⁾. (الخريطة 03)

ومن الأودية القريبة من الحدود وادي "أرمات" الذي يقع جزء منه ضمن الحدود الليبية، ويتضمن هذا الوادي العديد من محطات الفن الصخري⁽¹⁵³⁾، ومن أودية الجهة الشرقية نذكر أيضاً وادي "أهلون" (Ahloun) ووادي "تاهرت" (Tahert) ووادي تابركات (Tabakat).

⁽¹⁵¹⁾ إبراهيم العيد بشي، 2009، المرجع السابق، ج2، ص109

⁽¹⁵²⁾ Gabrial Gardel., 1961, op.cit.p82

⁽¹⁵³⁾ حول الفن الصخري في منطقة أرمات، ينظر :

Philippe MASY Et François Soleilhoup., 2001, Aperçu de l'art rupestre de l'Aramat Fezzân nord-occidental (Libye), Cahiers De L'AARS - N°6 - Mai 2001, p31-42

2- أودية الجهة الوسطى من الطاسيلي :

يوجد عدد معتبر من الأودية في وسط الطاسيلي، ويمكن تمييز شبكتين من الأودية في المناطق الوسطى للطاسيلي: الشبكة الأولى تتبع من الهضبة الجيرية "لأدرار" ويتوقف مسارها عند منخفضات "آفرا" (afara) غرب إهرير، بينما السيول القادمة من الجهة الجنوبية "للأتاكور" بالهوقار و "ترات" يتم تصريفها بواسطة واد "تفاساست" ومنه يتفرع وادي "تسات" ، وكذلك إنطلاقا من الجهة الجنوبية الشرقية لأدرار والهضبة الجيرية إلى غاية شرق جبل "إفساويت" تتجه أودية أخرى نحو سهل منخفض بعرق "أدمر" الذي يمتص كمية معتبرة من المياه قبل أن تصل إلى وادي "تفاساست".

أما الشبكة المائية الثانية فهي مشكلة من مجموعة من الأودية منها الناشئة في هضاب "الطاسيليات الداخلية" وتتجه نحو الشمال وأودية أخرى تتشكل في "الطاسيليات الخارجية" وتتجه نحو الجنوب وهي الأودية الأكثر أهمية، وكل هذه الأودية تصب في العروق ومن هذه الأودية: وادي "أسكوين"، وادي "إجلزل"، وادي "إفرنكين"، وهناك أودية لها تتبع مسارها الحدود الشمالية للطاسيلي مثل وادي "ترات" وودادي "تانزوفت" في الجهة الشرقية للطاسيلي، وفي الجهة الوسطى للطاسيلي توجد أودية هامة مثل وادي "تجرجري" وادي "إمهر"، وهذا الأخير يعد الوحيد الذي يسير بانتظام خلال السنة (154).

وقد لاحظنا أن بعض الأودية ذات مجاري واسعة وهي لا تتناسب مع كمية التساقط في المنطقة، مما يدل على أنها كانت أنهار في المرحلة الرطبة من النيوليتي، فقد وصف غابرييل قارديل (GABRIEL Gardel) وادي "إراران" وادي "تماجرت" على أنهما عبارة عن أنهار صحراوية غير دائمة الجريان (155)، كما أن وادي "تفاساست" هو الآخر غني جدا بالمياه أكبر من أي وادي آخر في الطاسيلي (156) .

ومن جهة ثانية العديد من الأودية تصب في العروق التي كانت في السابق بحيرات، ويدل على وجود هذه البحيرات صور الأسماك وصور القوارب والحيوانات التي تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه مثل الفيلة ووحيد القرن وفرس النهر، وكذا البقايا الحضارية الكثيرة

(154) Claude LEREDDE ., 1957, op.cit. P 417

(155) Gabrial Gardel., 1961, op.cit, pp76, 117.

(156) إبراهيم العيد بشي، 2009، المرجع السابق، ص 78.

التي تدل على صيد الأسماك كالخطاطيف التي وجدت في عرق أدمر والتي كانت تستعمل في صيد الأسماك، كما أن بعض المناطق توجد بها بيئة طبيعة موروثة عن المراحل الرطبة التي مرت بها الصحراء، مثل مناطق : "إداران" (Edarene)، و"إمهر" (Imhirou) و"إفيديل" (Ifédil)، وإهرير...، وكل هذه المناطق هي غنية بالحيوانات المائية نظرا لوجود المياه فيها بشكل دائم⁽¹⁵⁷⁾. (الخريطة 03)

ومن الأودية المتوسطة الحجم في الطاسيلي وادي "سامن" الذي ينبع في منطقة "تساجيست" بأعالي هضبة الطاسيلي كما تأتيه المياه من منطقة "تامليغيك" ومن و"تين داست" تحجزه الكتبان الرملية لعرق "إساون" لكنه يستمر إلى غاية منطقة "عين الحجاج"، ومن الأودية الأخرى "وادي إساون" الذي تأتيه المياه من "ديدر" في المنحدر الجنوبي للطاسيلي، ووادي أمستان الذي يحمل اسم "تينافوك" عندما يصل إلى "عين الحجاج" ويشكل العديد من الروافد التي تمثل معذر، ومن الأودية الهامة وادي تاجر جري الذي يدعى "أهارهار" وهو يقطع مسارا طويلا ليصب في عرق "إغارغارن" شمالا، ومن الأودية التي تتوفر على المياه بشكل شبه دائم "وادي إهرير" الذي يحصل على مياه وفيرة من السيول القادمة من جبال أدرار"، أما اسمه فيعود إلى "كل إهرير" وهي قبيلة من الطوارق تقيم قرب القرية التي تحمل نفس الاسم⁽¹⁵⁸⁾.

ب- المجاري المائية في الهوقار :

إن منطقة الهوقار لا تقل أهمية عن منطقة الطاسيلي من حيث الشبكة المائية، بل إنها مصدر الكثير من الأودية في الطاسيلي وفي الصحراء الشمالية أيضا، فبفضل التساقطات المطرية الكبيرة خلال المراحل الرطبة من "البلايستوسين" و"الهولسان" تكونت هذه المجاري المائية، ويمكن تحديد موقعين رئيسيين نشأت فيهما معظم المجاري المائية هما "الاتاكور" و"التفادست"⁽¹⁵⁹⁾.

⁽¹⁵⁷⁾ Boumezbeur Ammar, Sahki Rabéa, Sahki Abdallah., 2002, op.cit.,P3-8

⁽¹⁵⁸⁾ Gabrial Gardel., 1961, Op.Cit., Pp78-79

⁽¹⁵⁹⁾ مرتفعات الهوقار التي تهطل عليها أمطار أكثر من المناطق الأخرى يمكن أن تكون مصدرا لثلاثة أحواض، هي: وادي إغرغار ووادي تمنراست وتفاساسات، ينظر :

Malika Hachid ., 1998, Le Tassili Des Ajjer : Aux Sources De l'Afrique, 50 Siècles Avant Les Pyramides Paris: Paris Méditerranée, pp42-44

وبفضل موقعهما المركزي كانت كل من "الأثاكور" و"التفادست" تتحكم في المنظومة المائية في الصحراء الوسطى، وذلك لكونهما يمثلان مستودعات ومنابع للأنهار الأحفورية الصحراوية الرئيسية في الهوڤار وهي ثلاثة أودية كبرى: وادي "تمنراست" في الجنوب الغربي الذي يتجه نحو النيجر، ووادي "تفاساست" في الشمال وهو يتجه نحو بحيرة "تشاد"، ووادي "إغرغار" الذي يتجه نحو الشمال والذي من الممكن أنه كان يصب في خليج قابس بتونس على ساحل البحر المتوسط (160).

وفي الوقت التي يجري وادي "إغرغار" ووادي "تمنراست" باتجاه الشمال الغربي فإن أودية "تين ترايين" و"تين أمزي" (Tin Amzi) ووادي "زيز" تجري في اتجاه الجنوب الشرقي نحو منطقة "تامسينا" (Tamesna) ومنطقة "الأزواد" (Azaouagh) في مالي ثم تمتد إلى النيجر (161).

وبصفة عامة يمكن القول أن منطقة الهوڤار تحتوي على شبكة مائية هامة تزيد عن 20 وادي منها 6 أودية هامة، وتشكل هذه الأودية أربعة أحواض رئيسية هي حوض "إغرغار"، حوض "ماكرغان" (Mekerghane)، حوض "التانزوفت"، وحوض "أزواغ" (Azaouak) (162). (الخريطة 04)

وادي "إغرغار" (Igharghar): يعد هذا الوادي من أكبر أودية الصحراء وأطولها بل ربما لعله أكبر الأودية الجافة في شمال إفريقيا كلها، وهو يسير في اتجاه معاكس لمعظم الأودية التي تتبع من الهوڤار فمساره يتجه شمالا، أما منبعه فهو من الجهة الشمالية للهوڤار وتغذيها أيضا مجموعة من الروافد القادمة من المنحدرات الغربية والشمالية للطاسيلي مثل: وادي "تاجرجري" (Tadjrajeri) ووادي "إهرير" ووادي "إليزي" وفي مساره الشمالي يحصل على مياه من "وادي مية" (Mya) و"وادي مزاب"، ووادي جدي ويمتد إلى المناطق الشمالية في

(160) Francois de Chasseloup-Laubat ., 1942, Le sens du Haut-Mertoutek. In: Journal de la Société des Africanistes. 1942, tome 12. p 142.

(161) Claude BLANGUERNON., 1955, op.cit. pp33-34

(162) Souad Boulahbal., 2012, Etude Des Ecoulements Souterrains Dans Les Gneiss Schisteux Fissurés Du Précambrien De La Région De Tamanrasset, Memoire Présenté Pour L'obtention Du Diplôme De Magister En Géologie Option : Geologie De Genie Civil Et Des Milieux Aquiferes, Université Hadj Lakhdar – Batna – 2012, P5

"شط ملغيغ" وشط الجريد إذا يبلغ امتداد مجراه حوالي 1300 كلم⁽¹⁶³⁾، مما يجعله نهرا كبيرا من أنهار العصر الحجري الحديث .

ووفق ما يذكره "فرانز تروست" فإن هذا الوادي هو نفسه وادي باقرادس القديم (Bagradas)⁽¹⁶⁴⁾ الذي ذكره بطليموس (Ptolemy) ويذكر هذا الباحث أنه ينطلق من الأهقار إلى شمال شط بسكرة على مسافة 1400 كلم ليصل إلى مسافة ليست بعيدة كثيرا عن ساحل البحر المتوسط ⁽¹⁶⁵⁾ .

وادي "تفاساسات" : وهو لا يقل هذا الوادي أهمية عن "إغرغار" لكنه معاكس له في الاتجاه إذ يتجه جنوبا نحو سهل "التينيري" ثم باتجاه بحيرة تشاد، ويتغذى من الفيضانات في مناطق "شاري" (Chari) و"بينوي" (Bénoué) في النيجر⁽¹⁶⁶⁾، ويبلغ طوله حوالي 1500 كلم وهو بذلك أطول من وادي "إغرغار" وأكثر اتساعا منه ⁽¹⁶⁷⁾.

وادي تمنراست : توجد بمنطقة تمنراست بشبكة مائية كثيفة فهي تشكل حوضا كبيرا، بحيث من الصعوبة تحديد مسار الأودية وروافدها، ولكن معظم الأودية في "تمنراست" على غرار أودية الهوقار تستمد مياهها من "الاتاكور" وتتجه في جميع الاتجاهات، وتجتاز هذه الأودية المنطقة بشكل واضح لكنها تختفي في العروق، ويعتبر وادي تمنراست الذي يجتاز المدينة من أهم أودية المنطقة فهو يمتاز بمجره العريض، ويدل اتساع هذا المجرى على قوة مياهه في الفترات الماضية أما اليوم فقلما يجري بالمياه، ولكن أحيانا يشكل سيولا جارفة تسبب خطرا على السكان.

ويستمد هذا الوادي مياهه من منطقة "تاريماموت" (Taremmout) الواقعة في الجهة الجنوبية للأتاكور على ارتفاع 2700م ضمن منطقة "الأسكيرام"، ثم يتجه إلى الجهة الشرقية "للتنزروفت" ومنها يتجه إلى الشمال والشمال الغربي، ثم يغير اتجاهه غربا وهناك في الجهة

⁽¹⁶³⁾ Franz Trost., 1998, op.cit, P13

⁽¹⁶⁴⁾ هو حوض مجردة وفق ما يذكر ج ب موسناج J P Mesnage , ينظر :

J. P Mesnage ., 1914, Le Christianisme en Afrique (L'origine développement et extension) ,Alger : Adolphe Jourdan , p109

⁽¹⁶⁵⁾ Franz Trost ., 1998, op.cit, P13

⁽¹⁶⁶⁾ Boumezbeur Ammar, Sahki Rabéa, Sahki Abdallah., 2002, op.cit.,P4

⁽¹⁶⁷⁾ Malika Hachid., 1998, op.cit, pp42-44

اليمنى يتلقى كميات هامة من المياه من ثلاثة أودية تتصل به هي وادي "أجنات" (Adjenet) ووادي "تنهاف" (Tinef) ووادي "أجلمان" (Adjelmane) ، وينزل نحو الجنوب الغربي للهوڤار ليتصل به وادي "أممد" (Amded)⁽¹⁶⁸⁾ . (الخريطة 04)

ومن الأودية الهامة في الهوڤار وادي "مية" (Mya) الذي يتجه إلى الشمال ويصب في الشطوط الشمالية، ويعود تكوين مجراه إلى الزمن الجيولوجي الثالث، كما توجد أودية أخرى كأودية "التانزروفت" الشمالية التي تتجه نحو الشمال الغربي ووادي "أجيفو" الذي يتجه نحو الجنوب الغربي⁽¹⁶⁹⁾.

كما يعد وادي "تين ترابين" من أهم أودية الجهة الجنوبية لجبال الهوڤار وبل إنه يعتبر بمثابة النهر نظرا لاتساعه وطول مجراه، مع العلم أن هذه المنطقة تجتازها عدة أودية منها وادي "إن دلاج" وأودية منطقة "يوف أحيكات" الجبلية، أما وادي تين ترابين فيلتقى في منطقة "إن أزوا" (In Azaoua) بوادي "تفاساست"⁽¹⁷⁰⁾، ويحظى هذا الوادي بالأهمية لدى الكثير من الباحثين فهو يأتي في نفس مرتبة وادي "إغرغار" و"تمنراست"⁽¹⁷¹⁾، وإلى جانب ذلك فهو يتمتع بأهمية حضارية لكونه يحتوي على العشرات من محطات الفن الصخري⁽¹⁷²⁾ .

ومن بين الأودية الموجودة في الجهة الجنوبية للهوڤار وادي إن دلاج (I-n-dalaj) وهو من الأودية الكبيرة في الهوڤار حيث ينبع من المناطق الشرقية لجبال "أسكرام" ويمتد مجراه ليلتحق بتين ترابين وإن "أزوا" جنوب الهوڤار⁽¹⁷³⁾، أما وادي "أممد" (amded) وهو أيضا من الأودية الكبيرة فيستمد مياهه من قمة "طاهات"، ومن جبل "الإمان" (ilamene) وجبل "أفارارا أن زوجنت" (afrara-n-zouzjdend) ومن "تيت" (tit) و"الأبالاسا" (abalessa) (174).

⁽¹⁶⁸⁾ Souad Boulahbal ., 2012, op.cit , p49

⁽¹⁶⁹⁾ Jean Faber., 2003, Op.Cit .P483.

⁽¹⁷⁰⁾ F . Demoulin. ., 1934, Un Problème De Géographie Saharienne : L'Oued Tafassasset. In: Annales De Géographie. 1934, T 43, N°246. P658.

⁽¹⁷¹⁾ Pierre Rognon Et Al ., 1986, Ahaggar ,In: Encyclopedie Berberes , Aix-En-Provence ، Edisud Volumes 3 ، 1986 ، P306

⁽¹⁷²⁾ حول مواقع الفن الصخري في وادي تين ترابين، ينظر:

F Scurtu, Et Jean Loic Le Qullec., 2002, Gravure Rupestre D'ain_Azawa (Algerie) ,L'ecole De Ti-N-Tarabine. INORA, N°31, P10-12. Jean-Pierre Maitre ., 1968, Op.Cit.P39

ج- المناطق الرطبة في الطاسيلي والهوفار :

تنتشر في الطاسيلي والهوفار بعض المناطق التي تتميز ببيئة رطبة شبيهة بالبيئة التي شهدتها الصحراء خلال المرحلة المطرية الأخيرة، وتحضي تلك المناطق بموقع جغرافي جيد فهي معزولة عن تأثيرات الصحراء، بسبب ارتفاعها الكبير وتوفر المياه فيها ، وقد تركزت فيها بعض الأنواع الحيوانية والنباتية النادرة، ومن بين تلك المناطق منطقة "إهرير" التي تحضي بأهمية كبيرة بالنسبة للدراسات حول البيئات القديمة التي مرت بها الصحراء .

ولا شك أن مناطق مثل "إهرير" تمثل مرجع مهما للتطور البيولوجي في الصحراء منذ بداية الهلوسان إلى يومنا هذا، نظرا لوجود فيها فقد صمدت فيها أنواع حيوانية ونباتية عبر آلاف السنين. ومن الممكن مقارنة هذه الكائنات بسجل الرسوم الصخرية الموجودة في نفس المنطقة، وهو ما يزيد من أهميتها في معرفة الأحياء التي كانت موجودة في الصحراء في الفترات الرطبة السابقة، فمنطقة إهرير على غرار مناطق أخرى في الهوفار والطاسيلي توجد بها العديد من الحيوانات المائية .

وتتميز هذه المناطق بوفرة المياه واعتدال الحرارة كما أن الجبال المحيطة قد حجبت تأثيرات الرياح الصحراوية الجافة عن المنطقة مما سمح بوجود حيوانات ونباتات مورثة عن المراحل الرطبة في الهلوسان، وهذا الأمر أدى إلى تصنيف هذه المناطق ضمن المناطق الرطبة في العالم من طرف المنظمات الدولية التي تُعنى بالبيئة، وذلك وفق اتفاقية "رامسار" للمناطق الرطبة في العالم. وقد يستغرب المرء وجود هذه البيئة الرطبة في الصحراء التي تعد أكثر المناطق حرارة في إفريقيا، ومما لا شك فيها أن هذه المناطق ظلت منعزلة عن تأثيرات الصحراء، وقد لعب الوجود الدائم للماء دورا كبيرا في وجودها واستمرارها عبر الزمن.

- الأحواض والبحيرات الأحفورية:

انتشرت البحيرات الواسعة في جميع أنحاء الصحراء خلال النيوليتي بين الألف الخامسة والألف الأولى قبل الميلاد في كل من جنوب التيبستي والطاسيلي ناجر والهوفار وفي جنوب موريتانيا، وتقريبا فإن معظم المناطق التي تشغلها اليوم العروق كانت في ذلك الزمن عبارة عن بحيرات تغذيها شبكة من الأنهار، والكثير من تلك الأنهار طُمست معالمها اليوم بفعل النشاط الريحي الكبير الذي حدث في الفترة الجافة الأخيرة، ولكن بعض تلك

الأنهار لا يزال مجراها الواسع يشهد على نشاطها الكبير في الأزمنة الماضية، ونذكر من بين هذه الأنهار نهر "تفاساسات" الذي كان يصب في بحيرة "تساد"، ونهر "إغرغار" الذي يصب في "شط ملغيغ" شمالاً وربما كان يصل إلى البحر المتوسط .

كما توجد شبكة من الأودية تحمل المياه القادمة من وادي "أوتول" في الغرب ومن "أمكني" و"تمنراست" و"أمقيد" نحو بحيرات في "التانزروفت" و"تين أهناث" (Tin Ahenet) ، كما توجد شبكة أخرى من الأودية الكبيرة والأنهار التي تنقل مياه الأطلس الصحراوي والأطلس الأعلى المغربي نحو مناطق حوض "الساورة" التي تشكلت فيها بحيرات قديمة .

وقد استقر الإنسان بكثافة قرب تلك البحيرات والأنهار التي نشأت على ضفافها حضارات النيوليتي في الهوڤار والطاسيلي، وتدل البقايا المكتشفة في تلك الأماكن على نوع النشاط الاقتصادي فقد وجدت بقايا أسماك في "أمكني" وفي أدرار "تين أنوبيين" (tin- anuiyne) القريبة من "سيلي"، كما وجدت بيئة أحفورية نهريّة في وادي "أمقيد" عاش فيها الصيادون وصيادو الأسماك، وفي "عين قزام" جنوب الهوڤار وجدت بحيرات أيضاً، وكذلك في "منيت" و"التيديكت"، كما أن "عرق أدمر" هو الآخر كان بحيرة قديمة وخاصة منه المناطق المحيطة بالموقع الأثري المسمى "أنو وان ليوا" (Anou oua Lioua) وكذلك في منطقة "تاهور" وفي "إن غيليجام" (In Relidjem) ⁽¹⁷⁵⁾.

- وادي "إهرير" : 25,24° شمالاً و 8,25° شرقاً : يقع في هضبة "فضنون" (Fadnoun) شمال غرب جانت وجنوب شرق إليزي، في وسط هضبة حتية من الحجر الرملي تتخللها شبكة واسعة من الوديان الأحفورية، ويحتوي وادي "إهرير" على مناطق رطبة ذات أهمية كبرى بالنسبة للدراسات حول الكائنات الحية التي كانت تعيش في الصحراء خلال المراحل الرطبة، ولا تزال هذه المنطقة تتمتع بظروف مناخية جيدة وبنسبة مرتفعة من التساقط .

كما أن الارتفاع الكبير للمنطقة على سطح البحر والذي يتراوح بين 1100 و 1400م قد ساهم في اعتدال الحرارة فيها، مع العلم أن مجرى وادي إهرير يأوي العديد من "القلقات" التي تحتوي على بيئة نباتية وحيوانية مميزة. وتتمتع المنطقة بنوع من العزلة الجغرافية التي سمحت إلى جانب توفر المياه فيها واعتدالها من حيث الحرارة في وجود مجموعات نادرة من

⁽¹⁷⁵⁾ Gabriel Camps ., 1974, Op.Cit.P 222

الكائنات الحية، وهي بذلك تعد من الأماكن القليلة الملائمة للدراسات حول البيئات البيولوجية الصحراوية، وهي إلى ذلك تتوفر على لوحات للفن الصخري تعود لمرحلة البقريات، وهو ما يمكن الباحثين من تأريخ الكائنات الحية الصحراوية التي كانت موجودة خلال المراحل الرطبة السابقة.

- منطقة تهوبار: (34,56° شمالاً و 41,43° شرقاً) : تقع في الطاسيلي يحدها من الشرق وادي "تارات" ووادي "تانجيت" ومن الغرب "وادي جرات" ووادي "إميهر"، ومن الجنوب سلسلة جبال الطاسيلي -ناجر ومن الشمال يجري وادي "تخمالت"، وقد تكونت القلعات في تيهوبار بفضل جريان وادي "إميهر" (Imirhou)، وهي تتكون من منطقتين بهذا الاسم هي: تيهوبار - إن آفة (Tihoubar -n- Afella) وهي المنطقة الواقعة في أعلى الوادي تمتد إلى غاية "إن إزوار" (in-izouaz)، و"تيهوبار - إن - أটারام" (Tihoubar -n- ataram)، ومن المناطق الرطبة الأخرى منطقة "إساوين" التي تجري مياهها نحو "إرها لاوين" (irhallaouene) وأوارتتتكل (ouartetnkoul)⁽¹⁷⁶⁾، كما يعتبر وادي إصانديلان Issandilène أيضا من بين المناطق الرطبة في الطاسيلي.

- وادي تخمالت (Tikhammalt): وهو يعد إمتداداً لوادي "إمهر" وهو يتغذى من مياه وادي "فضنون" وتتواجد به بعض القلعات، ويتفرع في منطقة "إجنوج نان" (ig'enoug'enan) إلى فرعين يُكون إحداهما وادي "إساوين" والثاني يستمر في الاتجاه نحو الشمال ليختفي بعد طول جريان في العروق⁽¹⁷⁷⁾.

- وادي "أفيلال" (afilal): (23,8° شمالاً و 5,46° شرقاً) رغم أن مجرى هذا الوادي ضيق نوعا ما إلا أنه دائم الجريان تقريبا ويعد من المناطق الرطبة في المنطقة، فهو يشكل العديد من البرك الدائمة المياه تعرف "بأفيلال"، ورغم أن البيئة المحيطة بهذه البرك هي بيئة صحراوية، إلا أنه بسبب توفر المياه بشكل دائم عاشت فيه أنواع من النباتات والحيوانات موروثة عن البيئات الرطبة التي كانت سائدة في النيوليتي.

⁽¹⁷⁶⁾ إبراهيم العيد بشي، 2009، المرجع السابق، ج1، ص 56

⁽¹⁷⁷⁾ المرجع نفسه، ص 63

- القلتات والينابيع :

تحتوي منطقة الطاسيلي والهوقار على العديد من البرك و"القلتات" التي تعد أماكن رطبة تتوفر على بيئة نباتية وحيوانية ذات أصول استوائية ومدارية، فالهوقار والطاسيلي يتمتعان بأفضلية مقارنة مع بقية أنحاء الصحراء، حيث أن الآبار كثيرة جدا خاصة في المناطق الجبلية. ويسمى الطوارق القلتات باسم "أؤلمان" (aguelmen) وهي تتواجد في كل مكان فمثلا عند التقاء وادي تمنراست بوادي تاكيشراوت (takecherouet) تتواجد عدد من القلتات الكبيرة، كما أن وادي "إغرغار" الذي يصل عرض مجراه في بعض المناطق إلى 400 متر يُكون عدد من تلك القلتات أثناء جريانه، وتوجد في "تين غيغو" (Tin reroh) (178)، وفي الطاسيلي توجد قلتات في أودية "إهرير" و"تاخمالت" و"إميهر" ، كما توجد قلعة في وادي جرات تدعى "تين سماد" (Ti-n-Smâd) ، وفي إهرير توجد قلتات "إن كرت" (In Kert) وتاكمور (Tekmour) ، أما في وادي إميهر فتوجد قلعة "تيهوبار" ، بالإضافة إلى ذلك توجد قلتات أخرى في كل من "إملولون" ، و"أفلال" ، ووادي "أؤل" ، و"أونهوتن" .

أما بالهوقار فتوجد العديد من القلتات منها في "أقونار" و"أمفيد" و"آراك" ، لكن أهم قلعة في الهوقار هي "إساكاراسان" (Issekkarassene) التي يصل طولها إلى 12 كلم ومساحتها تبلغ 35100 هكتار وهي بذلك تعد أكبر القلتات في الهوقار، وتستمر مياهها على مدار السنة نتيجة للأمطار التي تسقط على المنطقة الجبلية، كما توجد قلعة أخرى لا تبعد عنها إلا 15 كلم تدعى إغوفيميلان (Iguefmellèn) (179)، والمعروف أن معظم تلك القلتات تحتوي على أنواع مختلفة من الأسماك إلى جانب بيئة نباتية غنية ومجموعة كبيرة من الحيوانات، بما في ذلك الأنواع النادرة (180).

والى جانب تلك القلتات توجد العشرات من ينابيع المياه في الطاسيلي وفي الهوقار، كما أن بعض الممرات الجبلية تشكل بعض الشلالات مثل شلالات "تامكرست" التي توجد على بعد 50 كلم من مدينة "تمنراست" ، ومنبع "تاهابورت" وهي مياه تتبع بانتظام عند سفح جبل يدعى "آدرار هقارن".

(178) Claude Blanguernon ., 1955, Op.Cit .P33-34

(179) Ibid , P42

(180) أنظر ما سيأتي حول الحيوانات والنباتات في الطاسيلي والهوقار

ثالثاً: البيئة القديمة في الطاسيلي والهوفار :

أ- المناخ القديم في الصحراء الوسطى :

لقد حظيت التغيرات المناخية حول العالم بالكثير من الدراسات ومع تطور التقنيات أصبح بالإمكان دراسة كل من السحب، والضباب، والإشعاع الشمسي، والترسبات، والحرارة، والرياح، والرطوبة، ودرجة التبخر، وأصبحت الدراسات المناخية أكثر تخصصاً حيث أن مناطق بعينها تركزت حولها الأبحاث أكثر من غيرها، وقد كان للصحراء نصيب وافر من اهتمام علماء المناخ .

بالنسبة للصحراء الوسطى كانت منطقة الهوفار وخاصة منها الأتاكور محل اهتمام كبير فقد وجدت فيها شواهد لترسبات تتوافق مع العصور الجليدية الأوربية، والمعلوم أن الهوفار يحتل مكاناً متوسطاً في الصحراء الوسطى، بالإضافة إلى ارتفاعه الكبير فهو يشرف على كامل الصحراء، إلى جانب أن نسبة هامة من المجاري المائية في المنطقة تتبع منه .

ومن الواضح أن التغيرات المناخية التي مرت بها الصحراء يمكن ملاحظتها في كامل الأنحاء، فشواهد الفن الصخري وبقايا الحيوانات المتحجرة التي تعود إلى العصر الحجري الحديث تؤكد أن المناخ في الصحراء كان مختلفاً بشكل جذري عن المناخ الحالي، فقد سادت فيه بيئة مطيرة شبيهة بالبيئات المدارية والاستوائية المعروفة اليوم، وهذه المناخ المثالي من حيث الرطوبة وجد في فترات مختلفة من البلايستوسين والهولوسان، فقد كان المناخ في الصحراء يتراوح بين الجفاف والرطوبة عبر الزمن. (الخريطة 07، الشكل 13)

ولقد تم التعرف على مختلف التغيرات المناخية التي مرت بها الصحراء من خلال دراسة ترسبات الأنهار والبحيرات الجافة والبقايا الحيوانية والنباتية التي وجدت في المواقع المختلفة، ومن بين الدراسات التي اهتمت بالمناخ القديم للمنطقة هي الدراسات التي قام بها "بيار رونون" (PIERRE Rognon) سنة 1969 في جبال الأتاكور بالهوفار.⁽¹⁸¹⁾

⁽¹⁸¹⁾ Jean Fabre., 2005, op cit , p443

وكذلك الأبحاث التي قامت بها الباحثة "نيكول ماري" في مناطق الصحراء الوسطى والجنوبية ⁽¹⁸²⁾، بالإضافة إلى أبحاث هنري لوهيرو ⁽¹⁸³⁾، وأعمال جون دوبياف في الطاسيلي ⁽¹⁸⁴⁾، وكل من يان كالو وميشال فونتان في العرق الغربي الكبير ⁽¹⁸⁵⁾، وأعمال روبر فارني ⁽¹⁸⁶⁾ في سواحل المحيط الأطلسي وخصوصا في موريتانيا ⁽¹⁸⁷⁾، بالإضافة إلى الأعمال الكبيرة التي قام بها عالم المناخ "جون ميلي" في أنحاء مختلفة من الصحراء وخاصة في بحيرة تشاد وجبال التبستي ⁽¹⁸⁸⁾.

ومن خلال مقارنة البيئة الحالية في المناطق المدارية وشبه الاستوائية الإفريقية مع البيئة التي تواجدت فيها الحيوانات الممثلة في رسوم ونقوش الصحراء الوسطى فإنه بالإمكان إعادة تصور البيئة التي كانت سائدة في النيوليتي، بالاعتماد أيضا على البقايا الحفرية في الصحراء ومعطيات علم المناخ القديم. (الخريطة 07)

وإذا كانت المناطق الموسمية في إفريقيا تتلقى اليوم ما يقارب 500 مم من الأمطار في السنة، فإن الصحراء الوسطى في العصر الحجري الحديث كانت تتلقى على الأقل ما بين 200 و 150 مم في السنة، وذلك في الأوقات الأقل هطولا للأمطار، وتلك الكمية كانت تسمح بوجود مجاري مائية وغطاء نباتي من "السفانا"، التي تعيش عليها حيوانات برية كبرى كالفيلة والزرافات وأفراس النهر، فالعروق الصحراوية التي تصب فيها مياه الأودية اليوم

⁽¹⁸²⁾ Necole Petit-Maire., 1991, Recent Quaternary Climatic Change And Man , The Sahara, Marseille, France Journal Of African Earth Sciences, Vol. 12, N° 1/2, 1991,p127-128

⁽¹⁸³⁾ Henry N , Le Hou'rou ., 1997, Climate, flora and fauna changes in the Sahara over the past 500 million years Journal of Arid Environments , 37, pp628-633

⁽¹⁸⁴⁾ Jean dubief ., 1963, le climat du sahara , mémoire hors- série de l'Institut de recherche , paris , (1), 1959 , 313,(II), fasc.1.1963

⁽¹⁸⁵⁾ Yann Callot Et Michel Fontugne ., 2008, The Holocene Lacustrine Sites In The Eastern Part Of The Great Western Erg (N W Algerian Sahara): Geomorphological And Paleoclimatic Interpretation , Geomorphologie : Relief , Environment, 2008, N°3 , pp 187-200

⁽¹⁸⁶⁾ يعد هذا الباحث من أهم المختصين في الدراسات المتعلقة بما قبل التاريخ في موريتانيا، وهو من باحثي معهد العالم الإفريقي في باريس.

⁽¹⁸⁷⁾ Vernet Robert ., 2007, Le golfe d'Arguin de la préhistoire à l'histoire, Parc National du Banc d'Arguin - Nouakchott - PNBA ; 03 , 2007.

⁽¹⁸⁸⁾ Jean Maley., 1977, Palaeoclimates Of Central Sahara During The Early Holocene. Nature, 269 : 573-577, Jean Maley., 1989, 20.000 Ans D'évolution Des Climats Du Sahara Central Aux Savanes Tropicales Humides. In : Sud Sahara - Sahel Nord, D.George Ed., Publ. Centre Culturel Fr. Abidjan, pp34-52,

كانت عبارة عن بحيرات، ومنها عرق "مرزوق" في ليبيا الذي أكد جون لوكلاك أنه كانت بحيرة في حوالي 8445 ± 160 قبل الحاضر (أكبر أو أقل ب 160 سنة)⁽¹⁸⁹⁾، بالإضافة إلى عرق "تيهوداين" في الطاسيلي بالجزائر.

1- العوامل المؤثرة في المناخ القديم للصحراء :

لقد حدثت تغيرات على المناخ القديم في الصحراء فقد عرفت المنطقة فترات من الجفاف والرطوبة منذ بداية الزمن الرابع ، والأمر نفسه حدث في الزمن الجيولوجي الثالث أيضا⁽¹⁹⁰⁾، وهذه التغيرات في المناخ سببتها عدة عوامل، قد تكون من بينها حوادث كونية كالبراكين الهائلة التي حدثت في عصر النيوجين في الزمن الجيولوجي الثالث، أو اصطدام مذنب بالأرض والذي رجح الباحثون أنه مسؤول عن انقراض الديناصورات في الزمن الجيولوجي الثاني، وقد تكون بعض تلك العوامل عبارة عن حوادث محدودة في الزمن والمكان .

ومن بين العوامل المؤثرة في المناخ القديم نذكر أولا التغير في قوة الضغط لمدار الأرض التي تتسبب في تغير درجات حرارة المحيطات والتيارات البحرية التي بدورها تؤدي إلى حدوث تغيرات كبرى في المناخ وقد حدث ذلك على الأقل ثلاثة مرات في 100.000 و 41.000 و 21.000 سنة قبل الحاضر⁽¹⁹¹⁾ .

بالإضافة إلى التغير في شكل مدار الأرض فقد ثبت أن امتداد وانحصر الجليد ينتج أساسا عن تغيير في شكل مدار الأرض حول الشمس، وفي نسبة ميلان محور الأرض إضافة إلى الحركة البدارية أي التغير التدريجي لاتجاه محور دوران الأرض، وهذا التغير يحدث بشكل دوري ويؤثر على كمية الإشعاع الشمسي الواصل للأرض، فعلى مدار

⁽¹⁸⁹⁾ Jean Loic le Quellec., 1998, Art Rupestre Et Préhistoire Du Sahara : Le Messak Libyen, Paris: Payot & Rivages, Grande Bibliothèque Scientifique , p151

⁽¹⁹⁰⁾ وقد أكد الجيولوجيون أنه في فترة الأيوسين الأسفل كانت الظروف المناخية رطبة وهناك تحول مناخي قد حدث في بداية عصر الأوليغوسين Oligocene حيث كانت الصحراء في شكل بيئة السافانا الجافة ، وتم تسجيل أول جفاف في أواسط البليوسين الأسفل Pliocene في جنوب الصحراء ، كما أن مرحلة جافة أخرى لوحظت في شمال إفريقيا خلال دور فيلا فرانسيان وهو الفترة التي ينتهي بها الزمن الجيولوجي الثالث، ينظر :

Henry N. Le Hou'ero., 1997, op.cit. p629, Jean Claude Miskovsky., 1983, Limites et chronostratigraphie du Villafranchien méditerranéen, In :Bulletin de l'Association française pour l'étude du quaternaire ,Volume 20 ,Numéro 2-3, pp55-56

⁽¹⁹¹⁾ Henry N. Le Hou'ero., 1997, op.cit.,p 628

96 ألف سنة قد يميل محور الأرض إلى الشكل البيضاوي ثم ينعكس بعد نفس المدة ليعود إلى الشكل السابق⁽¹⁹²⁾ .

كما ساهم التغير في نسبة الإشعاع الشمسي في حدوث تغيرات مناخية في العالم بسبب تأثيراته على الكتل الجليدية للقطين⁽¹⁹³⁾، وكذا التغير في مستوى سطح البحر الذي يصاحب ذلك، ووقد لاحظ الباحثون مثلا أن زيادة نسبة الإشعاع الشمسي أدى إلى توسع البحيرات في شرق إفريقيا⁽¹⁹⁴⁾، كما أدى إلى تطور مهم للبحيرات الصحراوية في حوالي 125.000 قبل الحاضر⁽¹⁹⁵⁾.

وقد أثرت زيادة نسبة التشميس في الجزء الشمالي من الكرة الأرضية على المناخ بازدياد الحرارة والأمطار تدريجيا في حوالي 9000 قبل الحاضر، وقد تأثرت بها المنطقة المدارية خصوصا، وقد كانت نسبة التشميس أكثر ب 8% من المستويات الحالية فيما بين 11.000 و 10.000 قبل الحاضر، ثم أصبحت نسبتها 4.5% في نهاية المرحلة واستمرت هذه الوضعية إلى ما بين 8000 و 7000 قبل الحاضر⁽¹⁹⁶⁾ في الساحل الموريتاني، ونتيجة لذلك استفادت الصحراء من الأمطار في كل المواسم وفي كل الأماكن من الشمال إلى الجنوب وحدث توسع في الغطاء النباتي والمجاري المائية⁽¹⁹⁷⁾.

ولا تزال الظواهر المؤدية إلى التغير في النشاط الشمسي غير مفهومة تماما فقد يعود التغير في الإشعاع الشمسي لوجود سحب سديمية من الغبار بين النجوم تحجب الأشعة كما قد تكون نتيجة لتغيرات على الشمس نفسها⁽¹⁹⁸⁾، كما أن تذبذب الإشعاعات الشمسية التي ترد على الغلاف الجوي تعود إلى اختلاف قوى الجذب التي تمارسها الكواكب على الشمس

(192) أندراو س جودي، 1995، التغيرات البيئية جغرافية الزمن الرابع، ترجمة محمود محمد عاشور، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع القومية، 1995، ص301-306

(193) W. Karlén., 1998, Climate variations and the enhanced greenhouse effect, Ambio, 27, p 27027-4

(194) C.A. Perry, K.J. Hsu., 2000, Geophysical archaeological, and historical evidence support a solar-output model for climate change. Proceedings of the National Academy of Sciences USA, 97, pp12433-12438

(195) Jean Fabre., 2005, op.cit. pp 488-489

(196) اصطلاح الباحثون على إعتقاد تاريخ 1950 كحد للزمن الحاضر، مع العلم أنه في هذه السنة إكتشف العلماء طريقة التزمين بالكربون 14

(197) Robert Vernet., 2007, op.cit. p35

(198) أندراو س جودي، 1995، المرجع السابق، ص304

مما يؤدي إلى تغير نوعية وكمية الإشعاع المرتد، وبوصول هذا الإشعاع إلى الغلاف الجوي الأرضي سيتأثر بوضع وموقع الأرض النسبي⁽¹⁹⁹⁾.

بالإضافة إلى النشاط الشمسي لعبت المراحل الجليدية الأوربية دورا في المناخ القديم للصحراء ، فقد أظهرت الأبحاث المناخية وجود ترسبات تعود للمرحلة الرطبة المتزامنة مع الفترة الجليدية الأوربية الأخيرة (الفورم) في العديد من المناطق في الهوقار منها: وادي "أوتول" ، و"إن إيكير" ، "تارهاينانت" (tarhenanet)⁽²⁰⁰⁾ ، وهذا يوحي بوجود تأثيرات محتملة للمراحل الجليدية الأوربية على الصحراء .

ووفق ما يذكر الباحث "جون فابر" فإن المراحل الجليدية الأوربية قد أثرت على الصحراء تأثيرا كبيرا، حيث يقول أن المساحات الثلجية تصبح بمثابة مرآة تعكس الحرارة التي تأتيها من الشمس، وهذا يترجم في الصحراء بتوسع الرمال، فعندما بدأت المرحلة الجليدية الأخيرة الفورم (WURM) في التوسع في أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية، بدأت الصحراء في الامتداد، وقد أطلق الباحثون عليها اسم الصحراء الأوقولية (OGOLIEN)⁽²⁰¹⁾ التي توسعت ابتداء من حوالي 20.000 سنة قبل الحاضر وشملت كل المناطق الممتدة من الهضاب العليا الجزائرية في الشمال حتى جنوب ليبيا وامتدت أكثر إلى جنوب النيجر⁽²⁰²⁾. وقد وجدت آثار هذه المرحلة الجافة في الرواسب الرملية الخشنة في "تين هناكتن" .

وقد أكد الباحث "شارون نيكلسن" علاقة الجليد الأوربي بالجفاف في الصحراء حيث أنه مع نهاية المرحلة الجليدية "الفورم" في أوربا في حوالي 18000 وإلى غاية 12.000 قبل الحاضر ساد جفاف استوائي وشبه استوائي في المناطق الصحراوية الواسعة ولم تسلم منه

(199) أندراو س جودي، 1995، المرجع السابق، ص298

(200) Gabriel Camps ., 1974, Op.Cit.P 47

(201) الصحراء الأوقولية هي الصحراء التي امتدت بين 20 ألف و12 ألف قبل الحاضر تدعى بالنسبة لغرب إفريقيا بالأوقولية ogolien بينما تدعى بالنسبة لبحيرة تشاد بالكانيمية kanémien ، وقد كان الجفاف القاسي مصحوبا بالبرودة خاصة في المناطق الجبلية، ينظر :

Boudé Gado ., 1996, Paléoenvironnements Et Occupation Humaine Des Temps Préhistoriques a L'époque Contemporaine , La Réserve Naturelle Nationale De L'air Et Du Ténéré (Niger) , Union Internationale Pour La Conservation De La Nature Et De Ses Ressources , Grenoble. France : Edition Cent Pages, P273

(202) Jean Fabre., 2005, op cit.pp434-435

حتى المناطق الاستوائية التي أصبحت جافة⁽²⁰³⁾. وحول انعكاس الجليد الأوربي على الصحراء يذكر "ألفرد موزيليني": أن مرحلة "الفورم" انعكست على الصحراء بعودة كبيرة للرياح الناقلة للرمال، وأن تراجع الجليد أدى إلى توسع البحيرات في الصحراء⁽²⁰⁴⁾، أما الباحثة "باربارا باريش" فتقلل من أهمية الدور الذي لعبته العصور الجليدية الأوربية على المناخ في الصحراء الوسطى، لأنه في اعتقادها أن تأثيراتها لم تصل إلى الصحراء⁽²⁰⁵⁾.

والمعروف أن البرودة الشديدة التي سببها المرحلة الجليدية الأوربية قد أدت إلى قلة التبخر في البحار والمحيطات، وبالتالي نقص الأمطار التي تغذي البحيرات الصحراوية وهو ما يؤدي إلى جفافها وهو يبدو لنا منطقياً، على عكس ما يذكره موزيليني الذي يقول بوجود رياح باردة محملة بالرمال، والأرجح أن الرياح المحملة بالرمال إنما يكون مصدرها الجنوب فحوض بحيرة تشاد تعرض لنشاط ريحي شديد خلال الفترات الجافة، ومن المعتقد أن العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير قد تكونا خلال تلك الفترات، كما أن مناطق شمال الصحراء هي الأخرى تعرضت لنشاط ريحي كبير .

ومن المفترض أن الصحراء الإفريقية كانت أكثر اتساعاً مما هي عليه اليوم خلال الفترات الأكثر برودة في العصور الجليدية الأوربية، وقد توسعت الصحراء نحو الجنوب في الشرق الأوسط وفي آسيا أيضاً في نفس الفترات التي توسع فيها الجليد في نصف الكرة الشمالي⁽²⁰⁶⁾. وفي الصحراء الوسطى كانت تأثيرات العصور الجليدية الأوربية واضحة في القمم المرتفعة للهوقار، ففي الأناكور يمكن ملاحظة التجلد على علو يتراوح بين 1000 و 1400م، وفي المناطق الأكثر ارتفاعاً بين 2400 و 2600 م وُجدت آثار لثلج حبيبي، أما

⁽²⁰³⁾ S, E, Nicholson, H, Flohn., 1979, African Climatic Changes In Late Pleistocene And Holocene And The General Atmospheric Circulation Sea Level, Ice, And Climatic Change (Proceedings Of The Canberra Symposium, December 1979). Iahs Publ. No. 131, P295

⁽²⁰⁴⁾ Alfred Muzzolini., 1985, Les Climats Au Sahara Et Sur Ses Bordures Du Pleistocene Final A L'aride Actuel. Revue Empuries ,t47, P9

⁽²⁰⁵⁾ Barbara E Barich ., 1998 , People ,Water And Grain: The Beginning Of Domestication In The Sahara And The Nile Valley / Barbara E Barich - Roma : L'ERMA DI BRETSCHNEIDER , 1998, Studia Archaeological:98 ,p25

⁽²⁰⁶⁾ Antón Uriarte Cantolla., 2003, Historia del clima de la Tierra, Servicio Central de Publicaciones del Gobierno Vasco, Espagne, p86

في القمم الشاهقة فيمكن ملاحظة طبقة صخرية جليدية، وهو ما يدل على أن هطول الثلوج كان كبيرا هناك (207) .

2- التغيرات المناخية في "البلايستوسين" :

- البلايستوسين الأسفل :

يتناسب البلايستوسين الأسفل من الناحية المناخية مع فترات جليديات فونز- وريس Gunz-Riss أي ما بين مليون سنة و150 ألف سنة، وخلالها حدثت على الأقل ثلاثة أدوار من التعرية والترسبات (208)، وهي المراحل المناخية الأطلسية التالية: الملوي (Moulouyan) السلطاني (Soltanian) والتانسفتي (Tensiftian) (209) . (المخطط 03)

وبدل قدم التعمير البشري للصحراء على أن المناخ كان مناسباً في تلك الفترة ، ومن المفترض أن بعض الفترات من البلايستوسين الأسفل في الصحراء قد شهدت مناخاً رطباً، حيث تعود أقدم الإقامات الإنسانية إلى أكثر من مليون سنة، فقد وجدت بقايا حضارية تعود إلى أقدم الحضارات الإنسانية وهي حضارة "الحصى المشذبة" (210)، التي وجدت في العديد من المواقع الصحراوية (211).

وأما الحضارة الأشولية التي شغلت نطاق مهما من "البلايستوسين الأسفل" فتؤرخ بصفة متأخرة في شمال إفريقيا مقارنة مع مناطق أخرى فهي تعود إلى حوالي 500 ألف سنة وتستمر إلى 100 ألف سنة (212)، وقد لوحظ أن "الأشولية" القديمة قليلة في الصحراء مقارنة بـ"الأشولية" المتطورة لكن مع ذلك فإن هناك دلائل على وجود إقامات (213) بشرية في حوالي 420.000 سنة، و320.000 سنة (214)، وخلال الأشولية المتطورة المعاصرة تقريبا

(207) Pierre Rognon Et A Heddouche., 1997, Hoggar – Tassili , Dans : Th Tillet , Sahara. Paléomilieux Et Peuplement Préhistorique Au Pléistocène, Paris : L'harmattan, P214

(208) تقابل المراحل الجليدية في أوروبا مراحل أطلسية سجلت على مستوى المحيط الأطلسي

(209) Henry N. Le Hou'rou ., 1997, op.cit, p633

(210) أنظر ما سيأتي حول تلك المواقع الحضارية ضمن مبحث حضارات ما قبل التاريخ في الصحراء الوسطى ، ص113

(211) G Camps ., 1974, Op.Cit.P15 , Ginette Aumassip ., 2001, Op.Cit.P39

(212) James B. Harrod., 2014, Palaeoart at Two Million Years Ago? A Review of the Evidence, Art tome3, pp148-149

(213) في العديد من المواقع الصحراوية ومنها تيهوداين وتين هناكتن وأمكاني لوحظ تواتر للوجود البشري من البلايستوسين الأسفل إلى الهلوسان ، ينظر :144, op.cit. Ginette Aumassip ., 2001,

(214) Robert Vernet., 2007, op.cit, p36

للمرحلة الجليدية "ريس" (Ress) أي بين 300.000 و 200.000 سنة قبل الحاضر عاد الاستقرار البشري بقوة في الصحراء، وذلك ربما مرتبط بتحسين المناخ. ⁽²¹⁵⁾ (المخطط 02)

ولا يمكننا التعرف على نوع المناخ في البلايستوسين الأسفل، ولكن من المفترض أن الفترات التي شهدت استيطاناً بشرياً هي الفترات ذات المناخ الرطب، مع أن الرطوبة لم تستمر طويلاً فقد زحف الجفاف إلى الصحراء عدة مرات.

- البلايستوسين الأوسط والأعلى : (المخطط 02)

من الناحية المناخية "البلايستوسين الأوسط والأعلى" يقابلان تقريباً الفترات الجليدية الألبية "الريس" (Riss) و "الفورم" (Wurm) وما بعد الفورم، وفي شمال إفريقيا ذلك يتناسب مع أدوار الترسبات والتعرية للمرحلة المناخية الأطلسية "السلطاني" (Soltanian) ومرحلة "الرحابي" (Rharbian) ⁽²¹⁶⁾. وقد بدأت أولى مراحل الرطوبة في البلايستوسين الأوسط في حوالي 150 ألف سنة قبل الحاضر وانتهت في حدود 90 ألف سنة قبل الحاضر وفي هذه الفترة وصلت حدود البحيرات الصحراوية إلى مستويات قياسية، مع العلم أن الصحراء قد شهدت تذبذبات جافة أيضاً خلال هذه الفترة، ومن الناحية الحضارية شهدت بداية "البلايستوسين الأوسط" وجود صناعة "أشولية" متطورة مختلطة مع صناعة "لافلوازية موسثيرية" ⁽²¹⁷⁾.

وقد شهدت تلك الفترة استقراراً بشرياً كبيراً في كامل منطقة شمال إفريقيا، حيث أن هناك أكثر من 14 موقعا اكتشفت به بقايا إنسانية في الصحراء الغربية المصرية، و 19 موقعا في تونس و 12 موقعا في المغرب وعدد كبير من المواقع الجزائرية ومواقع بأدرار بوس في مالي ⁽²¹⁸⁾، لكن على ما يبدو فإن تلك الفترة لم تكن كلها رطبة، فقد حدث جفاف كبير في حوالي 130 ألف سنة قبل الحاضر، وهذا ما أكدته الترسبات في المناطق الجبلية وحول الأودية التي أعطت نتائج واضحة على أن الأمطار كانت قليلة جدا، وقلما كانت تلك الأودية تجري بالمياه. ⁽²¹⁹⁾

⁽²¹⁵⁾ Lionel Balout., 1972, Chronologie absolue et préhistoire saharienne. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°11, 1972.p14

⁽²¹⁶⁾ Henry N. Le Hou'rou., 1997, op.cit. p633

⁽²¹⁷⁾ Boudé Gado., 1996, op.cit. p273

⁽²¹⁸⁾ Alfred Muzzolini., 1985, op.cit. p42

⁽²¹⁹⁾ Pierre Rognon Et A Heddouche., 1997, op.cit, pp214-215

وقد أكدت ذلك دراسات حديثة في المناطق القريبة من البحر المتوسط، فقد حدث تزايد كبير في مستوى سطح البحر مع تزايد الحرارة بين 140 ألف و 125 ألف قبل الحاضر في المناطق الشمالية أما الصحراء فقد شهدت جفافا كبيرا، بينما الفترة بين 125 ألف و 100 ألف سنة قبل الحاضر كان فيها المناخ مثاليا من حيث الرطوبة، وهذا ما تؤكد رواهب بحيرة شاتي المتواجدة شمال عرق مرزوق الليبي حيث يعتقد أن مساحتها وصلت إلى 2000 كلم² خلال تلك الفترة، ومن المفترض أن البحيرات انتشرت في كافة أنحاء الصحراء في تلك الفترة، وقد وجدت فيها بقايا "أشولية" نهائية متوضعة تحت بقايا موسستيرية وعاترية (220).

ومن المفترض أن البيئة كانت باردة جدا في المناطق المرتفعة في الهوقار والطاسيلي فقد وجدت طبقات من الجليد في قمة "تاهاات" على علو يقارب 2918 م، وفي قمة "الإمان" تم تسجيل ثلاثة مراحل مناخية كانت البيئة فيهم باردة، ولكن وجدت آثار لتربة رملية في "جبل إهارن" مما يعني حدوث جفاف كبير (221).

أما الفترة الانتقالية بين نهاية الأشولية وبداية الموسستيرية أي ما بين 100 ألف سنة و 80 ألف سنة، فقد عرفت تواجد كبير للرمال في مناطق مثل "وادي الساورة" ببشار وفي "أدرار بوس" في النيجر وكذلك في الصحراء الغربية المصرية، وهو ما يدل على وجود مرحلة شديدة الجفاف (222).

وعلى العموم فقد وجدت خلال البلايستوسين الأوسط الحضارة اللافلوازية الموسستيرية التي كانت متأخرة في شمال إفريقيا مقارنة مع أوروبا، إذ أنها بدأت في حوالي 80 ألف قبل الحاضر واستمرت إلى 50 ألف قبل الحاضر ثم تلتها الحضارة العاترية، وهذه الأخيرة امتدت زمنيا إلى "البلايستوسين الأعلى" (223).

وبشكل عام يمكن القول أن مواقع الحضارة الموسستيرية قليلة في شمال إفريقيا وهي نادرة في الصحراء ، وأقدم موقع لها في شمال إفريقيا هو كهف "هوافتيح" في "قورناية" (المقاطعة

(220) Necole. Petit-Maire., 1991, op.cit, pp125- 126

(221) Pierre Rognon ., 1967, Op.Cit, pp190-193

(222) Pierre Rognon Et A Heddouche., 1997, op.cit, P219

(223) Nick A. Drake et al., 2011, Ancient watercourses and biogeography of the Sahara explain the peopling of the desert , PNAS January 11, 2011 vol. 108, n° 2, p458

الشرقية من ليبيا) الذي يعود إلى حوالي 80 ألف سنة قبل الحاضر، وفيما بين 50.000 و 40.000 قبل الحاضر سجل وجود مرحلة جافة في النيجر، ثم تلتها مرحلة رطبة بين 40.000 و 20.000 قبل الحاضر، وهذه الأخيرة تمت ملاحظتها في كامل المنطقة الممتدة من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسي وهي تتناسب مع الحضارة العاترية. ورغم أن الموسمية موجودة في شمال إفريقيا إلا أن المعلومات حول الفترة التي شغلتها قليلة، وهي لم تنتشر في الصحراء بشكل كبير، فالفترة ما بين 80 ألف و 50 ألف قبل الحاضر تعتبر غامضة في الصحراء فلا يعرف فيما إذا كان هناك جفاف قد حدث (224).

ومن جهة ثانية تشكل الفترة ما بين نهاية الموسمية وبداية العاترية تحدياً بالنسبة للباحثين، إذ أن المواقع التي تعود لهذه الفترة قليلة ولم يتمكن الباحثون من بناء نظرية حول التطور الحضاري في ذلك الوقت (225). وقد قيل أنه في "البلايستوسين الأعلى ومع نهاية الحضارية" الموسمية شهدت الصحراء جفافاً شديداً (226)، وربما هذا ما يفسر تأخر العاترية في الظهور بالصحراء مقارنة بشمال إفريقيا، وقد لاحظ "كامبس" بالفعل أن العاترية في الصحراء متأخرة عن الشمال، ففي المناطق الشرقية من ليبيا تعود إلى ما بين 45 ألف و 40 ألف قبل الحاضر بينما تعود في "وادي الساور" إلى ما بين 40 ألف و 36 ألف وهي متأخرة أكثر في الصحراء الوسطى (227).

ومن المفترض أنه خلال الموسمية والعاترية كان المناخ رطباً واستمر كذلك، ولكن من الممكن أن تكون قد تخللتها فترات جافة وباردة خصوصاً في المرتفعات وكانت رطبة ودافئة في السهول، وتعد تلك المرحلة الرطبة التي شهدها البلايستوسين الأوسط هي المرحلة الثالثة المطيرة الكبرى في البلايستوسين التي يمكن ملاحظتها في جبال الهوقار، وكانت الأولى قد شهدت قيام حضارة الحصى والثانية شهدت قيام الحضارة "الأشولية" (228).

وخلال الفترة التي شغلتها الحضارة العاترية كانت الصحراء ذات مناخ رطب لكن مع نهاية العاترية ظهر جفاف شديد أكبر من الجفاف الحالي، وقد كان للعصر الجليدي الأخير

(224) Necole. Petit-Maire ., 1991, op.cit, pp125-126

(225) Ginette Aumassip ., 2004, Op.Cit.P13

(226) Jean Fabre., 2005, op cit.p489

(227) Gabriel Camps., 1974 ,op.cit. P35

(228) Necole. Petit-Maire. 1991 ,op.cit, p126

في أوروبا دورٌ كبيرٌ في حدوث هذا الجفاف وفق ما يذكر "موزيليني"، فقد أحدث ضغط شبه استوائي كبير على الجنوب، مما أدى إلى عدم ظهور الرياح الموسمية الممطرة في الصحراء وبالتالي حدث جفاف كبير وطويل فيها (229).

وقد مكنت الدراسات التي قام بها الباحثون في هضبة "المسالك" الليبية من التعرف على مختلف التغيرات التي مرت بها الصحراء الوسطى في البلايستوسين الأعلى، فقد كانت المنطقة تمر بفترة رطوبة وكانت الظروف مثالية في الصحراء إلى غاية 33 ألف سنة قبل الحاضر حيث تغير الوضع إلى الجفاف (230)، وقد حدد ذلك الجفاف بين 35 ألف و 29 ألف لكن هذا الجفاف لم يكن شديداً، وبعد ذلك كانت الظروف رطبة إلى غاية 20 ألف سنة وخلال هذه الرطوبة انتقل "العاتريون" إلى الصحراء.

أما بين 20 ألف و 10 آلاف سنة فقد حل جفافٌ شديدٌ وطويل، وقد أدى امتداد هذا الجفاف إلى كامل المنطقة إلى خلوها من السكان وفق ما يذكر بعض الباحثين، لكن طول المدة وشدتها محل شك، إذ يذكر الباحث "ثياري تيلي" (thierrey tillet) أن مرحلة الجفاف تلك لم تستغرق 10 آلاف سنة كاملة بل استمرت ثلاثة آلاف سنة فقط وذلك بين 20 ألف و 17 ألف قبل الحاضر، فالأمطار الموسمية عادت إلى جبال "التيبستي" في حوالي 16 ألف قبل الحاضر، ومن الممكن أن مناطق الهوقار والطاسيلي قد تأثرت بها أيضاً. (231)

والجدير بالذكر أن مسألة الجفاف الذي تلى العاترية قد اختلف بشأنها الباحثون بشكل كبير بين من يقول بأنها استغرقت فترة طويلة وأن الأمطار لم تعد إلى المنطقة إلا مع بداية الهلوسان مما يعني أن الصحراء كانت خالية من السكان بين 20 ألف و 10 آلاف سنة قبل الحاضر، وبين من يقول بوجود فترات رطبة خلال هذه المدة، كما أن الفترة التي انتهى بها ذلك الجفاف غير محددة بدقة (232). وفي هذا الإطار يذكر "روبار فارني" أن الصحراء

(229) Alfred Muzzolini., 1985, op.cit. p13.

(230) Boudé Gado., 1996, op.cit, p273

(231) Alain Durand ., 1997, Sahara - Paléomilieux Et Peuplement Préhistorique Au Paléistocène Supérieur In The Upper Pléistocène Superieur , Cuvette Tchadienne Central , L'Harmattan , Paris , pp305-306

(232) من الواضح وجود اختلاف بين الباحثين حول الإطار الزمني للجفاف الذي انتهت به الحضارة "العاترية" في الصحراء ، فالأبحاث التي قام بها ج فابر وضعت بداية الجفاف بين 25 ألف و 20 ألف ، ينظر :

Jean Fabre., 2005, op cit, pp463-466

كانت خالية من السكان بين 20 ألف و 10 آلاف قبل الحاضر والذي يصادف نهاية العاترية (233).

ويبدو أن حجج الذين يقولون بخلو الصحراء من السكان قوية فالكثير من المواقع يظهر فيها بوضوح الانقطاع الذي حدث للفترة الرطبة العاترية مع نهاية البلاستوسين ومن تلك المواقع موقع تيهوداين جنوب الطاسيلي، حيث تشكلت الكثبان الرملية في الحدود الجنوبية للهوقار مثل "عين قزام" (234). كما أن تناقصاً كبيراً في الأمطار قد سُجل في جميع الأماكن بين 18.000 و 16.000 ق.م، وحدث جفاف شبه كامل لبحيرة تشاد (235)، كما غزت الرمال بحيرات "شامشان" في أدرار الموريتانية (236)، وتوسعت الصحراء في الجنوب بشكل أكبر مما هي عليه الآن بما بين 300 إلى 400 كلومتر، وتم بالفعل ملاحظة آثار الرمال في منطقة الساحل (237).

ورغم أنه لا أحد ينكر حدوث جفاف بعد العاترية إلا أن شدته ومدته لا يمكن التكهّن بهما ، فالأمر يحتاج إلى المزيد من الأبحاث لتأكيد مسألة خلو الصحراء من السكان من عدمه، وإذا كان ذلك هو حال الصحراء الوسطى فإن الصحراء الجنوبية أمرها مختلف، فقد عادت الأمطار تدريجياً ابتداء من 14500 قبل الحاضر، ويمكن القول أن منطقة الساحل والصحراء الجنوبية كانتا فيما بين 19 ألف و 12 ألف قبل الحاضر أكثر ملائمة للوجود البشري مما هما عليه اليوم (238)، أما في وادي النيل فقد بدأ الجفاف في 21 ألف قبل الحاضر وانتهى في حدود 12500 قبل الحاضر (239). (المخطط 02)

(233) Robert Vernet., 2007, op.cit.p36

(234) Jean Fabre., 2005, op cit .p pp463-466

(235) للمزيد من المعلومات يمكن العودة إلى دراسات جون ميلي حول المناخ على مستوى بحيرة تشاد ، يرجى العودة إلى : Jean MALEY., 1977, op.cit, p573-577, Jean ,MALEY., 1981, Etudes palynologiques dans le bassin du Tchad et paléoclimatologie de l'Afrique nord-tropicale de 30.000 ans à l'époque actuelle.Travaux & Documents ORSTOM, n°129.

(236) Necole. Petit-Maire., 1991, op.cit, pp 127-128

(237) Necole .Petit-Maire., 2012, Sahara les grands changements climatique naturels, Paris : Errance, 2012, p64

(238) Boudé Gado., 1996 ،op.cit. p273

(239) Barbara E Barich ., 1998, op.cit ,p25

ومن جهة ثانية وفي الوقت الذي كانت الصحراء تعاني من جفاف قاسي وبارد (240) ، كانت بلاد المغرب مليئة بالسكان بعد ظهور الحضارة الايبرومغربية (241) ، فالرطوبة في بلاد المغرب استمرت إلى غاية الألف العاشرة قبل الحاضر (242) ، ومن المفترض أنها شهدت ذروتها بين 20 ألف و 18 ألف قبل الحاضر (243) . أما بالنسبة للمناطق التي تعرف اليوم "بالساحل" فقد بقيت بمنأى عن الجفاف بفعل الأمطار الموسمية، ولا نستبعد أن جبال الصحراء الوسطى كالهوڤار قد تأثرت بها أيضا، ويحتمل أن "العاتريين" قد اتجهوا إلى تلك الأنحاء حيث بقيت بعض البحيرات صامدة (244) .

وقد يجد البعض صعوبة في تقبل وجود رطوبة كبيرة في الشمال وجفاف قاسي في الجنوب، ولكن إذا ما ألقينا نظرة على خريطة التضاريس لشمال إفريقيا يتضح لنا الأمر فسلاسل جبال الأطلس تمثل تقريبا حاجر بين شمال إفريقيا والصحراء، فهي تحجب عن الصحراء التأثيرات المتوسطية وتحجب التأثيرات الصحراوية عن الشمال، لذلك ففي الوقت الذي كانت فيه الصحراء تتعرض للجفاف القاسي كانت الحضارة الايبرومغربية مزدهرة في الشمال.

وعلى العموم فقد لوحظ تقلص كبير في البقايا الحضارية في الفترة التي تتناسب مع نهاية البلايستوسين في كامل الصحراء، ولم يسجل وجود أي من المجموعات البشرية بين نهاية العاترية حتي 8000 ق.م، وذلك الجفاف لم يضرب منطقة بعينها من الصحراء، بل كان من القوة ليشمل مواقع تمتد من السنغال إلى وادي النيل حيث تأثرت بها حتى مجرى نهر النيل الذي غزته الرمال. (245)

(240) قدر الباحث "جون ميلي" درجات الحرارة في مناطق التيبستي بتشاد في الفترة ما بين 17 ألف و 15 قبل الحاضر بما بين 6° و 10° ، مما يعني أن مناطق الطاسيلي والهوڤار والصحراء الشمالية كانت أكثر برودة ، كما سجلت برودة شديدة في مناطق الأوراس بالجزائر أيضا ، ينظر :

Jean. MALEY., 1983, Histoire de la végétation et du climat de l'Afrique nord-tropicale au Quaternaire récent, Bothalia 14, 3, 4, p 380

(241) Necole. Petit-Maire., 1991, op.cit, pp 127-128

(242) Jean Fabre., 2005, op cit .p466

(243) Barbara E Barich., 1998, op.cit, p25

(244) Robert Vernet., 2007, op.cit.p36

(245) B.I. Szabo, C.V. Haynes If., T.A. Maxwell ., 1995, Ages of Quaternary pluvial episodes determined by uranium-series and radiocarbon dating of lacustrine deposits of Eastern Sahara, Palaeoecology, t 113, pp227-247

وفي الأخير يمكن القول أن التغيرات المناخية التي شهدتها الصحراء خلال "البلايستوسين" كانت لها نتائج وتأثيرات واضحة على الإنسان وعلى الانتشار الحضاري فقد امتدت أولا حضارة الحصى المشدبة إلى الصحراء، وامتدت إليها الحضارة "الأشولية" أيضا ، كما أن الإنسان الموسستيري والعاتري بدوره استغل تحسن المناخ ليعمر الصحراء لفترة طويلة من البلايستوسين الأوسط والأعلى وعندما حل الجفاف هاجر منها إلى الشمال أو إلى الغرب . (المخطط 03)

3 - التغيرات المناخية في الهلوسان :

كان الجفاف الذي انتهى به "البلايستوسين" والذي نسميه بـ "الجفاف العاتري" محل نقاش كبير بين الباحثين، والمسألة تتعلق بالإطار الزمني والمكاني، وفيما إذا كان شديدا لدرجة فراغ الصحراء من السكان تماما .

ومن وجهة نظرنا أن هذا الأمر لا يمكن قبوله دون وجود أدلة دامغة تثبته وهو ما لم يحدث لحد الآن، فإذا كان الإنسان قد استطاع العيش في ظروف اشد قساوة، كالمناطق القطبية فلما لم يتواجد في الصحراء في ذلك الوقت، ففي اعتقادي أن هناك نقص في الأبحاث حول هذه الفترة، إذ أن الأبحاث لم تغط مساحات واسعة من الصحراء، خاصة مناطق العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير، التي يمكن أن تعطينا إجابات وافية عن هذه المسألة، إذا أخذنا في الحسبان أن هذه العروق الرملية قد تكونت في ذلك الزمن .

ومهما يكن من أمر فإنه لا يمكننا إنكار وجود هجرات بشرية واسعة قد تمت في تلك الفترة، وربما لازدهار الحضارة "الايبرومغربية" في بلاد المغرب علاقة بهذه الهجرة الصحراوية، وقد تكون الهجرة قد شملت سواحل الأطلسي إلى جانب سواحل البحر المتوسط ومنطقة الساحل أيضا، كما أن عودة الأمطار لم تكن متزامنة في جميع الأماكن، فقد بدأت مبكرا في التيسستي وفي تشاد⁽²⁴⁶⁾.

لكن عموما مع بداية "الهلوسان" في الألف العاشرة قبل الحاضر عادت الأمطار وعاد معها الإنسان الذي استقر هذه المرة بكثافة في الصحراء لتزدهر بعدئذ حضارات النيوليتي في مناطق الطاسيلي والهوقار، حيث تبرز مظاهرها خاصة في الفن الصخري والفخار

⁽²⁴⁶⁾ Necole. Petit-Maire ., 1991, op.cit, p127 - 128

المبكر، والجدير بالذكر أنه إذا كانت الصحراء قد خلت من السكان في فترة البلايستوسين النهائي فإن تعميرها بالبشر قد تطلب وقتاً، وبما أن الفخار الذي وجد في الصحراء يعود إلى بداية الهلوسان في حوالي 10 ألف قبل الحاضر⁽²⁴⁷⁾، فإنه بلا شك أن الأمطار بدأت في الظهور قبل تلك الفترة. (المخطط 03)

- المرحلة الرطبة الكبرى للهلوسين : (المخطط 03)

عندما انتهى عصر "الفورم" الجليدي الذي كان آخر عصر جليدي ضرب أوروبا أصبحت الظروف المناخية في الصحراء مواتية للحياة، فقد أدى ضعف الجبهة القطبية إلى تزايد الرياح الموسمية المحملة بالأمطار في إتجاه الصحراء الوسطى والشمالية، مما أدى إلى نشاط كبير للشبكة المائية بالهوقار والطاسيلي والتيسيتي وجنوب موريتانيا، وتشكلت بذلك بحيرات كبرى غذتها شبكة من الأنهار، وقد كانت نسبة الأمطار معتبرة فقد بلغت 300 مم في السهول وكانت في الجبال أكبر، ولعل منطقة الطاسيلي والهوقار قد تلقت كميات أكبر من الأمطار مقارنة مع بقية الأماكن كالصحراء الشمالية أو منطقة فزان الليبية، وهذه الظروف جذبت السكان وجعلت من الصحراء الوسطى مركز سكانيا وحضاريا كثيفا في النيوليتي⁽²⁴⁸⁾.

وبعد عدة آلاف من السنين من الجفاف بدأت الأمطار الموسمية تتجه إلى الصحراء الكبرى، وتغير بذلك المناخ إلى الرطوبة وكان سببا في ازدهار حضارات النيوليتي الصحراوية⁽²⁴⁹⁾، ولم تكن عودة الأمطار متزامنة في كل الأماكن ففي وادي النيل سجلت عودة الأمطار ابتداء من 8000 ق.م، حيث لوحظ امتداد للغطاء النباتي بحوالي 800 كلم نحو الشمال في المناطق المفتوحة من وادي النيل لغاية جنوب مصر، وكانت البيئة النباتية

⁽²⁴⁷⁾ انظر ما سيأتي حول الفخار في مبحث النيوليتي القديم والاتجاه نحو التدجين ، ص226

⁽²⁴⁸⁾ Andréa Dué ., 1994, Le Sahara Vert Et L'Egypte Prédynastique La Révolution Du Néolithique Premiers Vilages Premiers Cultures, Paris: Edition Hatier, P 34

⁽²⁴⁹⁾ Mary Anne Tafuri Et al ., 2006, Mobility And Kinship In The Prehistoric Sahara Strontium Isotope Analysis Of Holocene Human Skeletons From The Acacus Mts. (Southwestern Libya), Journal Of Anthropological Archaeology 25 ,2006, P 390, M. Cremaschi., And S Di Lernia., 2001, Environment And Settlements In The Mid-Holocene Palaeo-Oasis Of Wadi Tanezzuft (Libyan Sahara). In : Antiquity, 75, pp819-823

والحيوانية مماثلة "للسافانا" مع وجود شبكة مائية كبيرة تتكون من أنهار ذات مجاري واسعة وبحيرات (250) .

أما أول الإشارات على الذبذبات الرطبة في شمال إفريقيا فقد سجلت في حدود 12.000 ق.م، لكنها توسعت وامت المنطقة بين 10.500 و 10.000 ق.م وتأخرت في الصحراء إلى 8000 ق.م⁽²⁵¹⁾، أما في غرب إفريقيا فالأمر مختلف فقد عادت الأمطار بقوة وتوسعت البحيرات في حوالي 10.000 ق.م ووصلت إلى مستوياتها العليا بين 7500 و 7000 ق.م ثم انخفضت في حوالي 6000 ق.م، كما تشكلت البحيرات في أماكن مختلفة في السامرة وفي سبخة "شامشان" الموريتانية في حوالي 8000 ق.م⁽²⁵²⁾ .

وفي الصحراء الجنوبية بدأت المرحلة الرطبة في حدود 10000 ق.م وازدهرت الحياة النباتية والحيوانية في حوالي 8000 ق.م، وعندما بلغت المرحلة الرطبة أقصاها بين 7000 و 6000 ق.م كانت نسبة الأمطار قد سجلت مستويات قياسية وصلت إلى ما بين 600 و 1000 مم في السنة في جبال التيبستي، أما في السهول فكانت تتراوح بين 300 و 400 مم⁽²⁵³⁾ . ووصلت بحيرة تشاد إلى أقصى اتساعها حيث كانت متصلة بجبال "التيبستي" ، أما درجات الحرارة⁽²⁵⁴⁾ فقد كانت منخفضة⁽²⁵⁵⁾، كما انتشرت الكثير من البحيرات الصغيرة

⁽²⁵⁰⁾ Jean-Loïc Le Quellec, Pauline Et Philippe De Flers., 2012, Peintures Et Gravures D'Avant Les Pharaons De Sahara Au Nil, Fayard / Soleb, Encyclopédie Animale, P173

⁽²⁵¹⁾ Sharon E Nicholson And Hermann Flohn., 1980, African Environmental And Climatic Changes And The Central Atmospheric In Late Pleistocene And Holocene , Climatic Change 2, 1980, P313

⁽²⁵²⁾ Alfred Muzzolini., 1985, Op.Cit. P17

⁽²⁵³⁾ من الممكن أن هذه المعلومات قد لا تكون دقيقة ، وذلك لأنه وفق ما يذكر كل من بياجاتي Stefano Biagetti ودي لارنييا Savino Di Lernia فإنه إذا كانت كمية التساقط تتراوح ما بين 0 إلى 300 مم فإن هذه المنطقة تعد جافة، وإذا كانت ما بين 300 و 600 مم فهي تصنف ضمن المناطق الشبه الجافة ، ينظر :

Stefano Biagetti, Savino Di Lernia., 2003, Vers un modèle ethnographique-écologique d'une société pastorale préhistorique saharienne, SAHARA, n° 14, p16

⁽²⁵⁴⁾ يشير الكثير من الباحثين إلى انخفاض درجة الحرارة في المناطق الصحراوية وذلك في فترات معينة سواء في حالات الجفاف أو الرطوبة ، وهذا الأمر تم تسجيله أيضا في معظم الفترات التي شغلتها حضارات ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا ، حيث وجدت بيئة باردة على الدوام ، وعاشت هناك الدببة وحيوانات أخرى ، وقد يكون مرد ذلك إلى تأثيرات العصور الجليدية الأوربية على المنطقة ، للاستزادة حول هذا الموضوع ، ينظر :

Henry N Le Hou'Errou., 1997, Op.Cit. P632-634

وحول البيئة النباتية والحيوانات، ينظر:

والمتوسطة في عموم الصحراء الجنوبية منها بحيرتا "شاري" (Chari) و"لوغون" (logon) في حوالي 10.000 ق.م⁽²⁵⁶⁾ .

وعلى ما يبدو فإن هذه المرحلة الرطبة كانت قوية إذ استمرت الأمطار في الصحراء إلى غاية 6000 ق م⁽²⁵⁷⁾، مع أنه ربما تكون قد حدثت انقطاعات من الجفاف قصيرة المدى⁽²⁵⁸⁾، فقد لاحظ الكثير من الباحثين أن هذه المرحلة شهدت تذبذبات مناخية جافة قصيرة الأمد وضعيفة الشدة تمت ملاحظتها من طرف جغرافيين ألمان في "التيستي"، ومن طرف الباحث " فراد واندورف" (FRED Wondorf) في الصحراء الغربية المصرية، ومن طرف "بيار رنون" (PIERRE Rognon) في "الأتاكور" وأكثرها وضوحا كانت بين 9000 ق.م و 8000 ق.م في الهوفا⁽²⁵⁹⁾، ولوحظت أيضا في "تين هناكتن" بالطاسيلي وهي تعود إلى حوالي 7220 ± 140 قبل الحاضر⁽²⁶⁰⁾، وفي سهل "التييري" تعود إلى 7310 ± 120 قبل الحاضر⁽²⁶¹⁾ .

أما من حيث الاستقرار البشري فقد سجلت الباحثة "باربارا باريش" وجود استقرار بشري في حوالي 7000 ق.م في "تين تورها" بالأكاكوس الليبية، أما في الهوفا فقد سجلت وجود بحيرات في "هيرا فوك" (Hirafok) و"إيرزو" (Irerzo) في 9630 ق.م و 6430 ق.م ، حيث من الممكن أن الرطوبة قد استمرت طويلا هناك ، وأن السكان الذين كانوا يعيشون في تلك الأنحاء كانوا من صائدي الأسماك وصيادو الحيوانات البرية⁽²⁶²⁾، أما أولى شواهد

S. Stambouli-Essassi, E. Roche & S. Bouzid., 2007, Evolution De la végétation et du Climat Dans Le Nord-Ouest de la Tunisie au Cours Des 40 Derniers Millénaires, Geo-Eco-Trop, 2007, N°31, pp 171-172 .

⁽²⁵⁵⁾ Alfred Muzzolini., 1995, Op.Cit. P25

⁽²⁵⁶⁾ Ibid.P17

⁽²⁵⁷⁾ تذكر كل من جينات أوماسب و ميشال توفّر أن المرحلة الرطبة تميزت بالرطوبة والبرودة ، وأن البيئة النباتية والحيوانية فيها كانت متوسطة أو استوائية تبعا للارتفاع وقد استمرت إلى 5000 ق.م ، وهما لا ينفيان وجود انقطاعات قصيرة فيها ، ينظر : Ginette Aumassip Et Michel Tauvron ., 1993, Op.Cit.P66

⁽²⁵⁸⁾ Sharon E Nicholson And Hermann Flohn., 1980, op.cit , P 313

⁽²⁵⁹⁾ Alfred Muzzolini., 1985, op.cit , pp16-17

⁽²⁶⁰⁾ Ginette aumassip et michel tauvron ., 1993, op.cit, p66

⁽²⁶¹⁾ Alfred Muzzolini., 1985, op.cit. ,p12

⁽²⁶²⁾ Ibid. p17

الاستقرار البشري في واحة "نباتا بلايا"⁽²⁶³⁾ في جنوب الصحراء الغربية المصرية فتعود إلى ما بين 10.000 و 8200 قبل الحاضر⁽²⁶⁴⁾ .

وقد وجدت دلائل على استقرار مبكر للصيادين الأوائل في "الهلوسان" قرب العديد من البحيرات الصحراوية مثل "أمكني" (Amekni)، و"أدرار تيويين" (AdrarTiouiyne) و"سيلي" (Silet)، و"عين قزام" (In Guezzam)، و"منيت" (Meniet)، و"عرق" (Admer) جنوب الطاسيلي⁽²⁶⁵⁾ .

وبشكل عام يمكن القول أن الفترة بين 8000 و 6000 ق.م وربما إلى غاية 5000 ق.م كان المناخ فيها رطباً مع وجود فترات جافة قصيرة الأمد، أما مظاهرها العامة فقد تمثلت في:

- ظهور وتوسع البحيرات الصحراوية وأهمها بحيرة تشاد التي من الممكن أنها وصلت إلى 10 أضعاف حجمها الحالي، مع ظهور شبكة من الأنهار والمجاري المائية، ومن المفترض أن مرحلة الهلوسان الرطبة قد شهدت تذبذبات جافة ورطبة، وقد سجلت هذه التذبذبات في أماكن مختلفة فبين 8500 و 7800 قبل الحاضر وفق التواريخ المعاييرة هناك فترة رطبة كبيرة سجلت في الكثير من المواقع منها بحيرة تيفالمامين (Tigalmamine) و"سبخة ملالة" (Mellala)، و"تين أوفادان" (Tin Ouaffadene)، وكذلك في بحر الغزال بالسودان وبحيرة "بوسوموي" (Bosumtwi) وبحيرة "تتجانيقا" (Tanganyika) وبحيرة "ملاوي" (Malawi) وبحيرة "أبهي" (Abhé)، وكذلك في جبال "كليمنجارو" (Kilimandjaro) بكينيا لوحظ تغير مستويات الجليد في القمم العالية في حوالي 8300 قبل الحاضر⁽²⁶⁶⁾ .

⁽²⁶³⁾ تعتبر هذه الواحة المصرية الواقعة في أقصى جنوب غرب مصر قرب الحدود مع السودان مهمة فيما يخص دراسات ما قبل التاريخ، نظراً للاكتشافات المهمة التي وجدت فيها، إذ عثر فيها على دلائل على وجود الزراعة وتربية الحيوانات في وقت مبكر، أنظر ما سيأتي في موضوع العصر الحجري الحديث .

⁽²⁶⁴⁾ Barbara E Barich., 1998, op.cit. p26

⁽²⁶⁵⁾ H. Camps-Fabrer Et G. Camps., 1972, Perspectives Et Orientation Des Recherches Sur Le Néolithique Saharien, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, 1972 , Vol :11, N°11, p21

⁽²⁶⁶⁾ M. Cremaschi et al., 2010, The calcareous tufa in the Tadrart Acacus Mt. (SW Fezzan, Libya) An early Holocene palaeoclimate archive in the central Sahara Palaeogeography, Palaeoclimatology, Palaeoecology 287, p91

- المناخ أصبح مثاليا في حوالي 8000 قبل الحاضر بتوسع كبير للبحيرات وامتداد حوض نهر النيجر ليصل حدود مالي وموريتانيا الحالية، وتوسع كبير في نطاق السافانا⁽²⁶⁷⁾.

- الاستقرار البشري كان كبيرا وتدل عليه كثافة البقايا الحضارية، وكان الناس يسكنون قرب الأنهار والبحيرات حيث وجدت بقاياهم، وهؤلاء كانوا من الصيادين وصائدي الأسماك وقد عرفوا صناعة الفخار مما يعنى أنهم كانوا مستقرين أو شبه مستقرين، وهم الذين تركوا تراثهم الفني على صخور الطاسيلي و الهوٲار في المراحل الفنية القديمة التي تمثل نقوش مرحلة الجاموس العتيق ورسوم مرحلة الرؤوس المستديرة⁽²⁶⁸⁾، أما الرعاة فقد وجدوا في نهاية هذه الفترة ومن المفترض أن معظم سكان الصحراء في تلك الفترة كانوا من الزنوج ، وربما وجدت معهم مجموعات بيضاء أيضا .

- فيما بين 7000 و 5000 قبل الحاضر أصبحت المواقع الأثرية أكثر كثافة بالبقايا الحضارية، وذلك يتناسب مع بداية الحياة الرعوية وانتشار الرعاة في كافة الأماكن خلال النيوليتي، فقد عثر على هذه البقايا في جميع الأماكن ومنها: منطقة "حاسي الأبيض" شمال مال، والتبيستي وفي الأراضي المرتفعة في الهوٲار وفي الطاسيلي وأودية جنوب الجزائر، وفي البحيرات القديمة في أدرار بوس و أرليت(Arlit) في النيجر⁽²⁶⁹⁾.

- الجفاف الكبير في اواسط "الهوسين": (المخطط 03)

لقد لاحظ الباحثون وجود مراحل جافة قصيرة منذ بداية "الهوسان" لكن هناك اختلاف في تحديد زمنها ومدى اتساعها⁽²⁷⁰⁾ ، وعلى العكس من ذلك بالنسبة للجفاف الكبير في أواسط "الهوسان" فهو حقيقة ماثلة آثارها للعيان في كامل أنحاء الصحراء وفي المناطق الاستوائية في شرق إفريقيا ومن بين الدلائل على وجودها :

⁽²⁶⁷⁾ Hélène Jousse, Gilles Escarguel ., 2006, The use of Holocene bovid fossils to infer palaeoenvironment in Africa, Quaternary Science Reviews 25 , pp775-776

⁽²⁶⁸⁾ حول المراحل الفنية للرسوم والنقوش أنظر ما سيأتي في مبحث تصنيف الرسوم والنقوش ، ص203

⁽²⁶⁹⁾ Hélène Jousse, Gilles Escarguel ., 2006, op.cit. pp 775-776

⁽²⁷⁰⁾ المراحل الجافة القصيرة المدى التي حدثت قبل النيوليتي ، كانت بين 7200 و 6500 ق.م وبين 5700 و 5300 ق.م ، ينظر : Barbara E Barich., 1998, op.cit ,p27

- تم تسجيل انخفاض في العديد من أحواض البحيرات بعد 5500 ق.م ويستمر الانخفاض إلى ما بين 4500 و 4000 ق.م.

- تخلي الجماعات البشرية عن بعض المواقع مثل منطقة "أدرار بوس" في النيجر في حوالي 5400 ق.م ، وفي "الأكاكوس" تم التخلي عن ملجا "تين تورها" في نفس الفترة .

- تراجع نسبة الطمي في الأودية في جبال "التيبستي" وطبيعته الخشنة تدل على الجفاف .

- وصلت بحيرة تشاد إلى أدنى مستوى لها مقارنة مع مستوياتها العليا المسجلة في 7000 ق.م وفي 4500 ق.م، فقد غزتها الكثبان الرملية بين 6000 و 5000 ق.م .

ورغم المعطيات السابقة الذكر إلا أنه من المرجح أن الجفاف الذي حدث في أواسط "الهولوسان" لم يشمل جميع المناطق في آن واحد، فقد ظهر في الصحراء الوسطى في حوالي 5000 ق.م، أما في الساحل والصحراء الجنوبية فقد ظهر بين الألف السادسة والخامسة قبل الميلاد، بينما في الصحراء الغربية المصرية في "نباتا بلايا" ظهر بين 5700 و 5300 ق.م⁽²⁷⁰⁾، أما بالنسبة لبلاد المغرب فيمكن ملاحظته في حلزونات الحضارة "القفصية" في منطقة الشريعة بالجزائر فيما بين 6200 ق.م و 5600 ق.م⁽²⁷¹⁾.

ولعل ذلك الجفاف كان في فترة ما بين 5000 و 4500 ق.م، ومن المفترض أنه لم يكن شديدا وحدثت فيه انقطاعات رطبة، حيث بقيت البحيرات الصحراوية الكبرى صامدة مع أن منسوبها انخفض بشكل كبير⁽²⁷²⁾، وفي هذا الإطار يجدر بنا القول أن هذا الجفاف لم يتفق الباحثون على تحديد الإطار الزمني له، بل إن منهم من ينفي وجود مرحلة مستمرة من الجفاف فالأمر يتعلق فقط بذبذبات رطبة وجافة قصيرة في الزمن ومحدودة في المكان⁽²⁷³⁾، فالباحث "روبار فارني" مثلا يذكر أن هذا الجفاف لم يكن كبيرا فقد سماها أزمة جفاف مصحوبا بالبرودة حدثت بين 5500 و 5000 ق.م في مختلف المناطق⁽²⁷⁴⁾

⁽²⁷⁰⁾ Barbara E Barich ., 1998, op.cit ,p27

⁽²⁷¹⁾ Alfred Muzzolini., 1985, op.cit .pp19-20

⁽²⁷²⁾ Ibid.p25

⁽²⁷³⁾ Hélène Jousse, Gilles Escarguel ., 2006, op.cit , pp 775-776

⁽²⁷⁴⁾ Robert Vernet., 2007, op.cit.p37

- المرحلة الرطبة للنيلوليتي: (المخطط 03)

لقد كان انتهاء المرحلة الجافة لأواسط "الهلوسان" في حوالي 5000 ق.م إلى 4500 ق.م ، وبعدها عم الازدهار كل أنحاء شمال إفريقيا حيث ازدهر موقع قرية الفيوم ⁽²⁷⁵⁾ ، و"مرمدة بني سلامة" في "الدلتا" فيما بين 5000 و 4100 ق.م ⁽²⁷⁶⁾، وفي حوالي 4000 ق.م ظهر مركز نيوليتي هام في وسط السودان هو "الشهانب" ، حيث انتشرت هناك الحيوانات المستأنسة كالأبقار والأغنام وقد عرفت هناك الزراعة لكن بشكل متأخر ، كما ظهرت مواقع نيوليتية هامة في جبال الصحراء الوسطى ، وازدهرت الحياة الرعوية حول وادي "هوار" (Howar) ⁽²⁷⁷⁾ الواقع في شمال السودان. ⁽²⁷⁸⁾

وقد كانت الرطوبة كبيرة في الصحراء الغربية في "مصر" وفي مناطق واسعة من الصحراء، دلت عليها بقايا التماسيح النيلية المنتشرة في مناطق مختلفة مثل الفيوم والتي تعود إلى هذه الفترة الزمنية. ⁽²⁷⁹⁾

ومن بين المناطق التي وجدت فيها بقايا التماسيح في الصحراء الوسطى موقع "منيت" "بالتيديكلت"، وحوض "تاوديني" شمال مالي، ووادي "هوار" شمال السودان، و"أدرار بوس" شمال النيجر، والملاحظ أن الذبذبات الرطبة كانت أكثر وضوحا في الصحراء الوسطى فهي التي أدت إلى ازدهار حضارة رعاة الأبقار، وهناك اختلاف بين الباحثين في تحديد إطارها الزمني فقد قيل إنها كانت بين 4000 و 2800 ق.م، وقيل بين 4500 و 2300 ق.م ⁽²⁸⁰⁾، وحددها آخرون بين 4500 و 2500 ق.م وقيل بأن المنطقة كانت ذات مناخ شبه استوائي مطير ⁽²⁸¹⁾ ، لكن الباحثة "باربارا باريش" حددت هذه المرحلة بين 5100 و 3000

⁽²⁷⁵⁾ تقع الفيوم على بعد 80 كلم جنوب غرب القاهرة، وقد عثر فيها على بقايا حبوب اللقاح لعدة أنواع من الحبوب القمح والذرة، كما عثر على دلائل على تربية الحيوانات، ويعود هذا الموقع إلى ما بين 5400 و 4400 ق.م ، ينظر :

Yann Tristant ., 2005, Le Delta Du Nil Avant Les Pharaons Entre Originalités Locales Et Influences Etrangères, ARCHÉO-NIL , N°15, Décembre 2005 , p87

⁽²⁷⁶⁾ Robert Vernet., 2007, op.cit.p87

⁽²⁷⁷⁾ أنظر ما سيأتي حول تدجين الأبقار والدور الذي مثلته هذه المنطقة في الانتقال الحضاري في مرحلة البقريات .

⁽²⁷⁸⁾ Gomaa Abdel-Maksoud , Mohamed Abdel-Hady .,2011, Effect Of Burial Environment On Crocodile Bones From Hawara Excavation, Fayoum, Egypt, Journal Of Cultural Heritage 12 (2011) , pp180-189

⁽²⁷⁹⁾ Klaas De Smet., 1999, Status Of The Nile Crocodile In The Sahara Desert, Hydrobiologia, T 391, P82

⁽²⁸⁰⁾ Alfred Muzzolini., 1995, Op.Cit, P20

⁽²⁸¹⁾ Sharon E Nicholson And Hermann Flohn., 1980, Op.Cit, P 313

ق.م⁽²⁸²⁾ ، بينما وضعها كل من "مورو غراماشي" و"سافينو دي لارينيا" بين 5000 و4000 ق.م⁽²⁸³⁾.

كما أن هذه المرحلة الرطبة قد شهدت بعض التذبذبات الجافة كبقية المراحل السابقة فالمناخ لم يكن مستقرا دوما في الصحراء، ولعلها شهدت قوتها في الألف الخامسة والرابعة ثم في الألفية التي تليهما بدأت في التناقص بشكل متسارع مع الأخذ في الاعتبار وجود فوارق بين المناطق، فبحيرة تشاد وصلت إلى أقصى مستوى لها في 4000 ق.م، أما في جبال التيبسي فعودة الأمطار أدت إلى تشكل بحيرات في بداية النيوليتي لكنها تناقصت في حوالي 4000 ق.م⁽²⁸⁴⁾، أما في بلاد المغرب فقد شهدت المنطقة بين 4500 - 3000 ق.م رطوبة أكبر من الرطوبة التي سجلت في "الهوسان" المبكر، وقد لوحظ ذلك في ترسبات كهف "كابليتتي" (CUPELETTI)⁽²⁸⁵⁾ بالأوراس⁽²⁸⁶⁾.

وبشكل عام يمكن القول أن الهوسان المبكر والأوسط تميز بالرطوبة الكبيرة ولكن تخللته فترات جافة اختلفت شدتها ومدتها من منطقة لأخرى ، فوفق ما تذكر الباحثة "باربارا باريش" فإن الرطوبة شملت كل الأنحاء ماعدا المناطق القريبة من البحر المتوسط وكذا وادي النيل التي كانت تتأثر بمؤثرات متوسطة⁽²⁸⁷⁾، وهذه الظروف الملائمة أدت إلى الاستقرار البشري الكثيف وانتشار الحياة الرعوية بشكل كبير، حيث ازدهرت حضارة رعاة الأبقار في الطاسيلي والهوقار .

- المرحلة الجافة بعد النيوليتي : (المخطط 03)

بعد نهاية الرطوبة "النيوليتية" ظهرت مرحلة جافة لم تستمر مدة طويلة ولم تكن شديدة فهي أقل من تلك التي سجلت بين 5500 و4500 ق.م، لأن بعض الملاجئ مثل "تين تورها" في الأكاكوس لم تتخل عنها المجموعات البشرية على عكس ملاجئ أخرى في "أدرار

⁽²⁸²⁾ Barbara E Barich., 1998, op.cit ,p27

⁽²⁸³⁾ M Cremaschi., And Savino Di Lernia., 2001,op.cit, p823

⁽²⁸⁴⁾ Alfred Muzzolini., 1985,op.cit .p20

⁽²⁸⁵⁾ يقع هذا الكهف في بلدية وادي الطاقة في ولاية باتنة

⁽²⁸⁶⁾ P.-L Carter، E.S Higgs., 1979, A study of the faunal remains from La grotte Capéletti du Khanguet Si Mohamed Tahar (Aurès, Algérie). In: Roubet, C. (Ed.), Économie pastorale, préagricole, en Algérie orientale. Le Néolithique de tradition capsienne. Exemple : l'Aurès. CNRS, Paris, pp 411-414.

⁽²⁸⁷⁾ Barbara E Barich ., 1998, op.cit ,p26

بوس" التي هجرها السكان في حوالي 2400 ق.م، أما بالنسبة للبحيرات فقد بدأت في الانخفاض الشامل بداية من 2800 ق.م، كما لوحظ تراجع في نسبة السكان حول البحيرات بين 2700 و 1000 ق.م⁽²⁸⁸⁾.

وفي حوالي 2000 قبل الميلاد أصبحت تلك المواقع الصحراوية جافة، وبدأت كثافة المواقع الحضارية تنتقل إلى الجنوب أكثر أي إلى حوض "الأزواد" شمال مالي، وحوض "التلمسي" الواقع في الطرف الشمالي الغربي "للأزواد"، وكذلك قرب بحيرة "تشاد"، وفي هذه الفترة ظهر موقع هام في موريتانيا هو "ظهر تشيت" وهو بعيد عن الساحل الأطلسي، أما في الطاسيلي فقد ظهرت صور الأغنام والماعز، وفي المقابل ما لبثت صور الأبقار أن تناقصت في مشاهد الفن الصخري⁽²⁸⁹⁾.

وقد لوحظ في الوقت نفسه تراجع في مستوى بحيرة تشاد ابتداء من 3000 ق.م، ثم تفاقم الوضع أكثر في حوالي 2500 ق.م، لتغزوها الكثبان الرملية ابتداء من 2000 ق.م⁽²⁹⁰⁾، ومن المرجح أن أغلب المواقع الحضارية في الصحراء الوسطى ظلت صامدة إلى ما بين 2000 - 1000 ق.م، وفي النهاية تخطى عنها الإنسان نهائيا، وعندما ساءت الظروف تركز السكان قرب مصادر المياه القليلة المتبقية والتي أصبحت تعرف "بالواحات" ⁽²⁹¹⁾.

ويمكن أن نلخص مظاهر هذه المرحلة في العناصر التالية :

- تناقص كبير للسكان في الصحراء تدل عليه قلة البقايا الإنسانية التي تمثل هذه المرحلة.
- فقدان الاستيطان البشري في موقع "الشهانب" في السودان، لكن في المقابل ازدهرت مناطق أخرى في السودان مثل "كرمة" (Kerma) التي ازدهرت مع بداية الألف الثانية ثم تدهورت مواقعها الأثرية إلى غاية ظهور ثقافة "مروى" في الألف الأولى قبل الميلاد⁽²⁹²⁾.

⁽²⁸⁸⁾ Alfred Muzzolini., 1985, op.cit .p21

⁽²⁸⁹⁾ Hélène Jousse, Gilles Escarguel ., 2006, op.cit, pp 775-776

⁽²⁹⁰⁾ Alfred Muzzolini., 1985, op.cit .p21

⁽²⁹¹⁾ Hélène Jousse, Gilles Escarguel ., 2006, op.cit .p 778

⁽²⁹²⁾ Charles Bonnet ., 1992,Excavations At The Nubian Royal Town Of Kerma: 1975-1991, Antiquity , Vol :66 , N° 252, September 1992 ,P611-612

- منطقة الساحل أصبحت أكثر جفافاً، كما سجل تراجع في نسبة الغابات الاستوائية ، والجفاف أمكن ملاحظته في "كاكاريشنكا" (Karkarichinka) في التلمسي بمالي ما بين 2000 و 1400 ق.م ، وفي الساحل الموريتاني في منطقة "شارني" بعد 2000 ق.م وفي الداخل الموريتاني في "تشييت" بين 1400 - 1100 ق.م .

- تطورت بعض المناطق في الساحل وقرب المحيط الأطلسي بفعل هجرة الرعاة من الصحراء الوسطى إليها ، فزراعة الحنطة تمت ملاحظتها في "كاركاريشنكات" وفي "ظهر تشييت" (Tichitt) بين 1200 و 1000 ق.م ، وفي المقابل تم التخلي عن المواقع الصحراوية مثل أدرار بوس، لكن الحياة بقيت ممكنة في جوار البحيرات المتبقية والمناطق المرتفعة (293).

- خلال الألفية الأولى و الثانية قبل الميلاد بدأ الجفاف بالاشتداد تدريجياً ، وهو ما أدى إلى اختفاء بقية البحيرات الصحراوية التي كانت موجودة في "التانزروفت" وفي الصحراء الشمالية، غير أن تواريخ الراديو كربون أكدت وجود مسطحات مائية في سهل "التينيري" في تلك الفترة (294) .

و مما سبق يتضح لنا أن الصحراء الخضراء بدأت تتجه نحو الزوال لتحل محلها صحراء قاحلة، لكن لحسن الحظ أن الجفاف لم يستمر طويلاً، ولم تغادر كل المجموعات البشرية وعندما تحسن المناخ عادت مجموعات أخرى إلى الصحراء.

- مرحلة الهلوسان الرطبة الثالثة : (المخطط 03)

خلال الألف الثانية قبل الميلاد تلقت الصحراء نسبة من الرطوبة لكنها لم تستمر طويلاً ولم تكن كبيرة ، إذ أن الأمر يتعلق بآخر الذبذبات الرطبة المطيرة التي كانت تقريباً بين 1500 و 1000 ق.م وربما استمرت إلى 500 ق.م، ومما ينبغي التأكيد عليه أنها لم تشمل كل الأنحاء لكنها كانت واضحة أكثر في بحيرة تشاد.

(293) Alfred Muzzolini ., 1995, Op.Cit .P52

(294) Gabriel Camps ، Henriette Camps-Fabrer ., 1972, op.cit. P22

كما لوحظ وجود مجموعات سكانية جديدة في الصحراء الوسطى، يدل عليها انتشار القبور "الميقاليتية" وصور الفن الصخري، ومن المفترض أن قبائل "الجرامنت" قد ظهرت في فزان في هذه الفترة، كما ظهر راكبوا الحصان والعربات وهم من أوائل البربر، وعلى العموم يمكن القول أن الحياة كانت لا تزال ممكنة في الصحراء، حيث تجمعت مجموعات بشرية حول مصادر المياه المتبقية في الطاسيلي والاكاكوس والهوفار، ويمكن تلخيص المظاهر العام لهذه المرحلة الرطبة في ما يلي :

- عرفت بحيرة تشاد ارتفاعا قليلا في مستواها في حوالي 1300 ق.م كما ظهرت بحيرات في صحراء تشاد والنيجر بين 1500 و 1000 ق.م.

- وفي كاركاريشنكات (Karkarichinkat) في منطقة "التلمسي" بمالي كانت هناك بيئة شبيهة "بالسفانا" بين 2000 و 1400 ق.م، كما لوحظ ازدياد في منسوب بحيرة الساوره بين 1500 و 1000 ق.م، وفي التيبستي كانت البيئة باردة في حوالي 1000 ق.م. ويبدو أن منطقة الساحل كانت رطبة أكثر من الصحراء الوسطى فقد قامت الباحثة نيكول ماري (N.Petit-Maire) بدراسة الإقامات البشرية في منطقة "التانزروفت" المالية وأظهرت النتائج أنه في 1800 ق.م كانت البيئة حول البحيرات تتميز بوجود حيوانات ونباتات ساحلية مثل الأبقار الكبيرة وغزال الدوراس والفيلة ووجدت أصداف المياه العذبة مما يدل على المناخ الرطب⁽²⁹⁵⁾.

- اختفت الحيوانات الكبرى تقريبا من الصحراء الوسطى فربما اتجهت إلى الشمال نحو الأطلس الصحراوي الذي كان أكثر رطوبة أو نحو الجنوب في منطقة الساحل، والمراعي ضلت موجودة لكنها ضعيفة فربما كانت تصلح للأغنام والماعز فقط.

- لوحات الفن الصخري في كل مكان تقريبا استمرت فيها رسوم الأبقار، ولكن هذه المرة إلى جانبها الأغنام والماعز وحيوانات السهوب مثل النعامة والزرافة والظبي، وكثرت في هذه

⁽²⁹⁵⁾ Alfred Muzzolini., 1985, Op.Cit .P22-23

الفترة مشاهد الحروب والرجال المسلحين، وفي الأخير ظهرت الخيول في المشاهد، ثم ظهرت في مرحلة لاحقة عربات "الجرامنت" ⁽²⁹⁶⁾ في الصحراء ⁽²⁹⁷⁾ .

وفي ذلك الوقت حدث انفصال بين شمال إفريقيا وبقية أجزاء القارة، حيث تأكد ارتباط الصحراء الوسطى بعالم البحر المتوسط من الناحية الحضارية والاقتصادية وانقطاع صلتها بالعالم الإفريقي، فقد سيطر الجنس الأبيض القادم من شمال إفريقيا عليها، واستعبدت بقية المجموعات السوداء من طرف البربر.

وبخصوص المناخ الحالي في الصحراء فقد بدأ في حوالي 500 ق.م وفق معظم الباحثين لكن هناك من يعيد بدايته إلى القرون الأولى للميلاد ⁽²⁹⁸⁾، ونحن نميل إلى هذا الرأي ونعتقد أن الجفاف وإن كان موجودا سابقا إلا أنه لم يكن بالوتيرة الحالية، فهيرودوت الذي كان عاش في القرن الخامس قبل الميلاد قد أكد وجود الصحراء في نصوصه، إلا أنه لم يصفها بالحدة التي هي عليها اليوم، إلى جانب ذلك ذكر وجود بحيرة "تريتون" في بلاد المغرب وهي غير موجودة اليوم، وفي ذلك إشارة على أن المناخ آنذاك كان أفضل من المناخ الحالي .

وفي الأخير أصبحت الصحراء مكاناً غير ملائم للعيش ماعدا في الواحات التي تحتوى على المياه، وفي ظل هذه الظروف تحولت بعض المجموعات الصحراوية إلى الزراعة، ومن المفترض أن الجفاف قد بدأ تدريجيا منذ الألف الثانية قبل الميلاد ، وبدأ يتسارع في الألف الأولى ثم أصبح أكثر حدة مع مرور الوقت .

⁽²⁹⁶⁾ قبيلة ليبية صحراوية كانت مواطنها قريبة من الطاسيلي ذكرها هيرودوت وقد ذكرت في أغلب المصادر الكلاسيكية، كانت لهم علاقات مع القرطاجين والرومان، وقد قيل إن لهم ملوكاً وأن أحد هؤلاء الملوك قد اجتاز الصحراء مع القائد الروماني "يوليوس ماترينوس"، بنظر :

Jean Loic Le Quellec ., 1993, Symbolisme et art rupestre au Sahara. Paris: L'Harmattan .P130
⁽²⁹⁷⁾ Alfred Muzzolini., 1995, Op.Cit .P52

⁽²⁹⁸⁾ Hélène Jousse, Gilles Escarguel, .2006, Op.Cit .P 775-776

ب- النباتات والحيوانات في الطاسيلي والهوقار:

1- النباتات والحيوانات في البلايستوسين :

لم يكن المناخ مستقرًا في الصحراء منذ بداية الزمن الرابع، فقد كان الجو حارًا خلال دور الفيلافانشيان⁽²⁹⁹⁾ الذي يمثل بداية الزمن الرابع حيث وجدت بقايا لحيوانات تعيش في البيئة الحارة ، مثل: غزال الدوراس (*Gazella dorcas*) والأروية من نوع (*Ammotragus lervia*) وكلاهما لا يزالان موجودان في الصحراء اليوم، لكن وجدت التماسيح أيضا مما يعني مناخاً رطباً⁽³⁰⁰⁾، وهذا يسمح لنا بالاعتقاد بوجود بيئة نباتية تلائم المناطق الحارة، وقد تكون شبيهة ببيئة "السافانا" الإفريقية، وهذه البيئة هي نفسها التي ظهرت فيها أولى حضارات ما قبل التاريخ وهي حضارة الحصى "المشذبة".

وكانت الدراسات عن البيئات القديمة قد تمت على مستوى جبال الهوقار، فقد أخذت عينات من حبوب اللقاح في كل من جبل "الإمان" (*illamane*) على ارتفاع يقارب 2100 متر وعلى جبل "تهاق" (*Tahag*) على ارتفاع 1800م⁽³⁰¹⁾، وإلى جانب جبال الهوقار كان وادي الساوره أيضا موقع غنيا بالبقايا التي تشكل قاعدة للبحث في المناخ والبيئات القديمة في الصحراء⁽³⁰²⁾.

وقد حدد غابريل كامبس البيئة النباتية في الصحراء في الأدوار الرطبة من عصر "الفيلافانشيان" أنها شبيهة بالبيئة التشادية - الزامبيزية (*tchado-zambizian*)، إلا أن عينات حبوب اللقاح التي تعود لعصر "الفيلافانشيان" في جبل "الإمان" أظهرت أن البيئة لم تكن ثابتة في هذا العصر فقد حدثت عليها تغيرات عديدة حسب الفترات، فنسبة 1.5 % من

(299) الفيلا فرانشيان (*villafrenchien*) نسبة إلى فيلا فرانكا في إيطاليا وهذا العصر يمثل نهاية للبليوسين وبداية للبلايستوسين ففي التقسيم الستراتوغرافي يمثل الحد النهائي للزمن الثالث إلى الزمن الرابع ، وقد ساد فيه مناخ حار وعاشت فيه الحيوانات ما قبل الحالية والحالية وتميز بالمستودعات القارية ، تعود بدايته إلى ما بين 2.6 و 2.5 مليون سنة أما نهايته فتتمدد إلى ما بين 0.9 و 0.8 مليون سنة، ينظر:

Alain Foucault, Jean-François Raoult., 2005, dictionnaire de geologie, edition Dunod, 7 eme éditions, paris, 2005.p348

(300) **Pierre Rognon., 1967, op.cit, pp461,474**

(301) Jean.MALEY., 1980, Les changements climatiques de la fin du Tertiaire en Afrique : leur conséquence sur l'apparition du Sahara et de sa végétation. In: The Sahara and the Nile. Quaternary environments and prehistoric occupation in northern Africa, p71

(302) gabriel camps ., 1974, op.cit.p51

حبوب اللقاح تمثل نباتات من البيئة مدارية وشبه مدارية، و 5.1 % منها تمثل بيئة إيرانية - قوقازية ، أما البيئة المتوسطية فقد شكلت نسبة 9.3 % من حبوب اللقاح، بينما مثلت الحشائش والنباتات الحبية ما نسبته 16.8 %، أما النباتات الصحراوية فقد قدرت نسبتها ب 48.6 % من حبوب اللقاح، و 7.5 % لنباتات البيئة الرطبة الحارة، والبقية شكلتها نباتات مختلفة (303) .

وخلال البلايستوسين " الأسفل كانت البقايا الحيوانية التي وجدت في منطقة "الأثكور" بالهوفار قد تضمنت حيوانات وحيد القرن، والفيلة، والتماسيح...، مما يعني أن المناخ كان مداريا أو استوائياً حاراً و رطباً، وقد تأكد أيضاً وجود مجارٍ مائية وبحيرات هامة في المنطقة بعد العثور على بقايا أسماك وطحالب (304).

أما البيئة النباتية المتناسبة مع تلك الفترة في المناطق الجبلية في الهوفار فقد كانت بيئة متوسطية فمن بين النباتات التي كانت موجودة فيها نوع من الزيتون الجبلي يدعى (Europe Olea) علماً بأن هذا النوع عثر عليه في فترة متأخرة من العصر الحجري القديم في بلاد المغرب في العديد من المواقع التي تعود للحضارة "الايبرومغربية" (305)، وهناك شواهد مختلفة على بيئة البحر المتوسط في مرتفعات الهوفار في مختلف الفترات مع أنه توجد أيضاً رواسب ريحية تدل على تعاقب الرطوبة والجفاف على المنطقة، وقد عثر كل من بيار كوزال (Pierre Quézel) وس مارتييني (C. Martinez) على حبوب اللقاح للزيتون والصنوبر الحلبي في تربة سمراء في أعالي جبل إهارن (Ihérane). (306)

وفي فترة الحضارة الاشولية (307) القديمة كان المناخ دافئاً ورطباً في البداية ثم أصبح جافاً، فقد وجدت في البحيرات الأحفورية في "الأثكور" بالهوفار بقايا أسماك البلطي والإسفنجيات وطحالب من النوع الذي يعيش في المياه الدافئة ويعرف علمياً ب

(303) Gabriel Camps ., 1974, Op.Cit.P47

(304) Jean Faber., 2005, Op.Cit, P461

(305) Gabriel Camps ., 1974, Op.Cit.P51

(306) Olivier Dutour., 1997, peuplement du sahara au pleistocene superieur le point de vue paleoanthropologique, in : Sahara - Paléomilieux et peuplement préhistorique au paléistocène supérieur , paris l'harmattan, p221

(307) يتراوح الإطار الزمني للأشولية في شمال إفريقيا بين 500 ألف سنة و 100 ألف سنة ، ينظر :

Lionel Balout., 1972, Op.Cit. P14

(diatomie)، ومن هذا المنطلق يمكن القول أن وجود بيئة بحيرية ونهرية كذلك تدل على أن البيئة قد تكون بيئة سودانية - غينية (308)، أما البيئة الحيوانية الحفرية ، فتضمنت حيوانات وحيد القرن، والفيلة ، التماسيح...، مما يعني على أن المناخ كان رطباً وحاراً. (309)

وفي الطاسيلي يبدو أن البيئة كانت مماثلة لبيئة الهوفار خلال مرحلة "الأشولية" القديمة ، فقد أعطت الأبحاث التي قام بها "بيار رنون" (p. rognon) تأكيدات أخرى على البيئة في فترة "الأشولية" كانت رطبة، فمن الحيوانات التي كانت متواجدة على جوانب بحيرة "تيهوداين" هناك: الفيلة، وحيد القرن، فرس النهر، الضباء ، الغزلان، حمار الوحش، التماسيح... وهذا يدل على أن البيئة النباتية كانت شبيهةً ببيئة "السافانا" الإفريقية (310).

وخلال فترة "البلايستوسين" الأوسط و "البلايستوسين الأعلى"، تغير المناخ من الجفاف إلى الرطوبة عدة مرات، فالبقايا الحيوانية التي وجدت على ضفاف البحيرة الأحفورية في "تيهوداين" تمثلت في بيئة مختلطة بين بيئة البحر المتوسط، والإيرانية - القوقازية حيث تضمنت: الفيلة الإفريقية، وحيد القرن، الثور الإسباني، الخراف البرية، وخنازير برية...، أما البيئة النباتية فهي بيئة مدارية معتدلة، وربما هي قريبة الشبه بالبحر المتوسط فقد وجدت بقايا أشجار من بيئة البحر المتوسط في عدة مناطق من الهوفار (311) .

ويبدو أن وجود بعض الأصناف النباتية التي تنتمي إلى بيئة البحر المتوسط في الصحراء الوسطى كان مقتصرًا على المرتفعات التي كانت تحت وطأة مناخ بارد حتى في المراحل الرطبة، مما سمح بنمو بعض النباتات من بيئة البحر المتوسط كالصنوبر والبلوط (312).

(308) البيئة الساحلية - السودانية تتلقى تساقطات مطرية سنوية تتراوح بين 600 و1500 مم ، ينظر :

Yvon-Carmen Houéhanou Hountondji ., 2008, Dynamique Environnementale En Zones Sahélienne Et Soudanienne De l'Afrique De l'Ouest : Analyse Des Modifications Et Evaluation De La Dégradation Du Couvert Végétal , Thèse Présenter Pour L'obtention De L'Obtention Du Grade De Grade Docteur En Sciences, FACULTE DES SCIENCES Département Des Sciences Et Gestion De l'Environnement, , JUIN 2008, Université De Liège, France, pp91-93

(309) jean faber ., 2005, op.cit. p461.

(310) pierre rognon ., 1967, op.cit. p509

(311) Henry N Le Hou'rou., 1997, op.cit. pp632-634

(312) Paul Ozenda., 1991, Les relations biogéographiques des montagnes sahariennes avec la région méditerranéenne .In :Revue de géographie alpine ,1991 .Tome 79 N°1, pp43-44 .

وفي الصحراء الشمالية التي تمثل بيئة انتقالية بين المناطق المتأثرة ببيئة البحر المتوسط و أوروبا من جهة والمناطق المتأثرة بالبيئة المدارية والاستوائية من جهة أخرى ، كانت تتوسع فيها نباتات البحر المتوسط في الفترات الرطبة مثلما تؤكد بقايا حبوب الطلع وشجيرات البحر المتوسط مثل البلوط والصنوبر... ، أما في الفترات الجافة أو شديدة الجفاف فقد كانت تهيم عليها نباتات السهوب (313) .

والجدير بالذكر أن المناخ لم يكن مستقرًا فعندما يحل الجفاف تختفي كل مظاهر الحضارة وهو ما حدث بعد نهاية "العاترية" فعندما حل الجفاف اختفى الإنسان والحيوان، ولا يزال الباحثون يجدون ثغرات في البقايا الأثرية التي تتوافق مع هذه الفترة وفترات أخرى كذلك التي شهدت نهاية "الأشولية" القديمة، ولا نعرف على وجه الدقة ما حدث بالضبط، وإن كان من المرجح أن الأمر يتعلق بجفاف قاس اختفت معه كل مظاهر الحياة في الصحراء.

2- النباتات والحيوانات في الهلوسان :

مع بداية الهلوسان بدأ المناخ في التحول نحو الحرارة والرطوبة بشكل متزايد، فتراجعت الصنوبريات في شمال إفريقيا وحلت محلها البلوطيات الكنارية (Quercus canariensis) خاصة في مرحلة البوريال (Boréal) (314) فيما بين 7000 و 3000 ق.م واستمر هذا الغطاء النباتي في التواجد في مرحلة شبه البورال (Subboréal) فيما بين 3000 و 600 ق.م في ظل ظروف مناخية رطبة، أما الجفاف الذي حدث في 2000 قبل الميلاد فقد أدى إلى توسع مؤقت للعشب وتراجع في نسبة الغابات (315) .

وبالنسبة للصحراء شهدت بداية الهلوسان رطوبة كبيرة ففي حوالي 8000-9000 قبل الحاضر كانت الصحراء الوسطى ذات غطاء نباتي كثيف، وهو ما تظهره المواقع في الأكاكوس والهوقار (316)، واستمر ذلك الغطاء النباتي إلى غاية حلول الجفاف، فمن النباتات التي وجدت بيئات مماثلة : نباتات الارتميسيا (Artemisia) وهو من النباتات العطرية، ونبات

(313) Henry N Le Hou'rou., 1997, op.cit. p636

(314) مرحلة البوريال هي مرحلة مناخية أوربية أطلسية تتميز برودة المناخ فالتقاء فيها طويل وبارد جدا وصيف قصير ودافئ ورطب : http://en.wikipedia.org/wiki/Subarctic_climate تاريخ الزيارة : 2015-09-11 ، 15:26

(315) S. Stambouli-Essassi, E. Roche & S. Bouzid., 2007, op.cit, P 171.

(316) Hélène Jousse, Gilles Escarguel., 2006, op.cit. pp 775-776

القعود (Ephedra) ، وصليبات (Cruciferae) وهي نباتات زهرية ووجد الأثل (Tamarix)، وأشجار أخرى تعيش اليوم في النطاق الساحلي، قد أرخت هذه البقايا النباتية بين 7000 و5000 ق.م (317).

وإذا كانت الصحراء اليوم خالية من النبات إلا القليل من النباتات الشوكية التي تستطيع مقاومة الجفاف، مع نسبة قليلة من النباتات في قيعان الأودية وأعلى الجبال وقرب البرك القليلة والأماكن الرطبة المعدودة في الصحراء، فإن الأمر كان مختلفا في "النيوليتي" حيث أن المناطق الجبلية "كالهوقار" و"التبيستي" كانت مغطاة بالغابات من بيئة البحر المتوسط، وكان المناخ يميل إلى البرودة قليلاً في المناطق الجبلية، أما الغابات التي كانت تغطي تلك المناطق فكانت تتمثل في أنواع من السرو ومنها (Cupressus dupreziana) الذي عُثر على بقاياها في الطاسيلي وكذلك الزيتون من نوع (Olea Laperrinei) ونباتات أخرى تلائم تلك البيئة (318).

والبيئة الحيوانية تختلف حسب المناخ عموماً في شمال إفريقيا، فعندما كان المناخ حاراً ورطباً كانت الحيوانات التي تعيش هناك هي: الخيليات، الأبقار، الأغنام البرية، الغزالان القنادر، السلاحف، العظايا والسحالي، والطيور كالنعام والحبار في شمال إفريقيا، وهذه الحيوانات وجدت في المواقع القفصية مثل موقع "المجاز2" بسطيف، وموقع الماء الأبيض في تبسة... (319). أما في الفترات الباردة فقد شملت البيئة الحيوانية حيوانات أورو - آسيوية تعيش ضمن البيئة الباردة المطيرة مثل: الدببة، وحيد القرن، الخنازير البرية، الأيائل... ، وهي نفسها الحيوانات التي عاشت خلال الحضارة العاترية والإيبرومغربية بشمال إفريقيا (320).

أما الصحراء فكانت تتضمن أنواعاً مختلفة من الحيوانات تتناسب مع المناخ الحار والرطب فقد عُثر في عرق "تيهوداين" بين الطاسيلي والهوقار على بقايا لفيلة ولضباء وأبقار

(317) Robert Vernet., 2007, op.cit.pp35-36

(318) Alfred Muzzolini ., 1995, Op.Cit. P12

(319) Ginette Aumassip., 2001,Op.Cit. P166

(320) Jean Despois., 1957, Le Peuplement Préhistorique De L'Afrique Du Nord ,D'Après M .L . Balout .In :Annales De Géographie1957 , T 66 .N°357, P457

برية، إلى جانب حيوانات أخرى تعيش ضمن البيئة نفسها⁽³²¹⁾. وفي موقع "أمكني" بالهوفار وجدت بيئة نهريّة مارست فيه مجموعات من الصيادين صيد الأسماك إلى جانب صيد الحيوانات البرية كالجاموس العتيق، والخنازير، والغزال، والضباء وهي جميعها تدل على بيئة رطبة وذلك في حوالي 6000 ق.م⁽³²²⁾.

وقد عُثر في موقع أمكني على بقايا حيوانات برية متمثلة في الفيلة وأفراس النهر ضمن طبقة أثرية تعود إلى ما بين 150±8670 قبل الحاضر و 5500 ± 250 قبل الحاضر وهي تعكس بيئة "ساحلية - سودانية"، وهذه البيئة تتميز بوجود الحيوانات البرية الكبرى مع غابات "مدارية" أو "استوائية"، أما السويات الأثرية التي تعود إلى 4000 ق.م فقد عُثر فيها على "التمساح النيلي"، وأنواع من الأفاعي تدعى (Naja Nigricollis) ونوع آخر يدعى (Bitis Gobonica). أما النباتات فهي تتضمن: الزيتون، التين، البلوط، والسعدة (Cyperus) والزيزفون (Ziziphus) والسدر، وبالنسبة للطاسيلي فقد عُثر على نفس البيئة في "تين هناكتن" و"منيت" و"إن إيكير" (In Ekker) و"تين تساندسال" (Tin Tessandse) ⁽³²³⁾، وفي حوالي 4000 ق.م وجدت آثار لبيئة حيوانية تشمل فرس النهر والسهلحف وبيئة نباتية شبيهة بالبحر المتوسط في منيت (Meniet) "بالتيديكلت" التي كانت بحيرة آنذاك ⁽³²⁴⁾.

وتدل الآثار على أن الأمطار كانت كبيرة بالمنطقة مما سمح بوجود بيئة نهريّة وبحيرية في مناطق مختلفة من الهوفار والطاسيلي، وقد حاول "ألفرد موزيليني" تقدير نسبة الأمطار، حيث اعتقد أن المرحلة الرطبة "النيوليتية" كانت أقل من مرحلة رطوبة "الهوسان" الأولى وقال بأن الأمطار كانت تتراوح بين 100 و 200 مم في السنة في جبال الطاسيلي ⁽³²⁵⁾ ووفق هذا التقدير فإن المناخ كان جافاً إلى حد ما، ولا يمكن أن تسمح هذه الكمية من التساقط بجريان الأنهار وتشكل البحيرات ولا تعيش حيوانات كأفراس النهر والتماسيح .

ووفق المعطيات المختلفة فإن نسبة الأمطار كانت أكبر من ذلك بكثير، فمن خلال صور الفن الصخري التي تظهر فيها حيوانات برية وأسماء، وبالاعتماد على ترسبات

⁽³²¹⁾ Alain Debruge ., 1935, La station "Sergent Bianchi ", Erg de Tihodaïne entre le Tassili et le Hoggar .In :Bulletin de la Société préhistorique de France ,1935 .tome ,32 N .9 .P452

⁽³²²⁾ Alfred Muzzolini., 1985, op.cit .p17

⁽³²⁵⁾ ibid. P25

البحيرات القديمة التي تدل على نشاطها الكبير في هذه الفترة، فإن المعلومات التي أوردها موزيليني خاطئة .

ونستند في ذلك على عدة اعتبارات فإذا كانت البيئة هي من النوع "الساحلي - السوداني فإن نسبة الأمطار قد تتراوح بين 400 و 600 مم ، أما إذا كانت من البيئات "السودانية- الغينية" ⁽³²⁶⁾ فإن الأمطار فيها تتراوح بين 600 و 1500 مم في السنة، ونحن نعتقد بأن المناخ خلال "النيوليتي" كان من النوع "الساحلي - السوداني" مع أفضلية في الأمطار، فنسبة التساقط كانت كبيرة وربما كانت أكبر من 600 مم في السنة وذلك بالنظر إلى مختلف المعطيات .

وبصفة عامة يمكن القول أنه خلال الفترات الرطبة في الصحراء كانت البيئة النباتية والحيوانية تشبه البيئة الساحلية - السودانية ولكن مع برودة أكثر في الجو ⁽³²⁷⁾، ومن المفترض أن المناطق الجبلية في الهوقار والطاسيلي ، كانت تتلقى كميات معتبرة من المياه في الفترات الرطبة التي مرت بها الصحراء .

رابعاً: البيئة الحالية في الطاسيلي والهوقار:

أ- طبيعة المناخ الحالي في الصحراء الوسطى :

تقع الصحراء في منطقة بعيدة عن الأعاصير ⁽³²⁸⁾، كما أنها بعيدة عن الضغط العالي للمدارين ⁽³²⁹⁾، بالإضافة إلى أنها ليست في اتجاه الرياح الكبرى المتجهة من الشرق إلى الغرب، وهو ما لا يسمح لها بالحصول على تأثيرات المحيط الأطلسي ولا تأثيرات البحر المتوسط، وفي الجنوب لا تصل إليها الرياح الموسمية المحملة بالأمطار، بينما تساهم السهول الواسعة المنتشرة من الشرق إلى الغرب في ظهور الرياح العنيفة التي لا تجد سلاسل جبلية لتوقفها أو تحجر تأثيراتها كما في الأطلس الصحراوي، لذلك فالجفاف والحرارة كبيران،

⁽³²⁶⁾ حول مميزات كل من البيئة الساحلية -السودانية والسودانية - الغينية، ينظر:

Yvon-Carmen Houéhanou Hountondji ., 2008, op.cit. p91-93

⁽³²⁷⁾ Robert Vernet., 2007, op.cit, pp35-36

⁽³²⁸⁾ المناطق البعيدة عن الأعاصير هي المناطق ذات الضغط العالي في طبقات الجو العليا، ينظر: يوسف عبد المجيد فايد

، 1974، جغرافية المناخ والنبات، القاهرة : دار النهضة العربية ، ج1، ص42

⁽³²⁹⁾ الضغط العالي الذي يمثل مدار السرطان يقع في 30° شمالاً مما يعني أنه يقع في الصحراء الشمالية، أما الضغط العالي الذي يمثل مدار الجدي فهو في نصف الكرة الجنوبي.

كما أنه لا توجد بحيرات أو أنهار جارية لتلطف الجو، وفي هذا الوضع تكون الحياة ممكنة في الواحات فقط (330) .

وبالنظر إلى مجمل الصحراء نجد أن كل من الهوَّار والطاسيلي يحتلان موقعا مميزا مقارنة ببقية مناطق الصحراء، فهما يدخلان ضمن النطاق المداري الجاف حيث يمر بهما مدار السرطان، مما يجعلهما يحصلان على تأثيرات مدارية واستوائية ضعيفة، ومن جهة ثانية ارتفاعهما عن سطح البحر ساهم في اعتدال مناخهما، فالارتفاع يصل في المتوسط إلى 2000 م ، لذلك فإن معدلات الحرارة فيهما غير عالية مقارنة بالمناطق الأخرى ، فمنطقة الطاسيلي تصنف عموما ضمن المناطق ذات المناخات المعتدلة وفق آراء الباحث قريبي Gribi (331) .

ورغم أن منطقة الهوَّار متوغلة أكثر في الجنوب إلا أنها تقع في الحد النهائي الذي يمكن أن تصل إليه الأمطار الموسمية، مع العلم أن هاته الأمطار تتأثر بها منطقة الساحل أكثر، وفي بعض الأحيان تسقط أمطار شتوية معتبرة على المنطقة قادمة من منطقة الساحل (332) ، مع العلم أن منطقة الساحل اليوم أصبحت تعاني من الجفاف المتزايد بفعل تغير المناخ في العالم فهي لا تتلقى إلا كمية تقارب 100مم في السنة (333).

والجفاف لم يكن دائم، ففي بعض الأحيان ثقلت بعض السحب لتصل إلى الطاسيلي والهوَّار، وفي هذه الحالات يكون مصدر هذه السحب إما المناطق الاستوائية أو مناطق جنوب وادي النيل وشرق إفريقيا (334)، وعندما تسقط الأمطار فهي قد تكون معتبرة حيث تجري الأودية بالمياه وغالبا ما تكون في فصل الشتاء ففي 10 جانفي 1959 كان هنري لوت شاهدا على أمطار معتبرة سقطت على منطقة إليزي وتارات (335)، أما بالنسبة للرياح

(330) Alfred Muzzolini ., 1995,op.cit,p11

(331) A. GRIBI, N. SAI, N .YOUNSI., 1992, carte hydrogéologique du Hoggar et des Tassillis au 1/1000.000 (Algérie). Laboratoire des Travaux publique du Centre Hussein dey, (Algérie). Hydrogéologie, (France), n° 1-2,p72

(332) Robert Capot-Rey ., 1940, Une carte des pluies et des crues au Sahara , Annales de Géographie , Année 1940 , Volume 49 , Numéro 280 , pp224-225

(333) S .Christopher. Swezey ., 2009, op.cit. p 90

(334) Franz Trost., 1998, op.cit. P13

(335) Henri Lhote ., 1976, Vers D'autres Tassilis, Paris : Editions Arthaud, p12

الموسمية السودانية فهي نادرة في الطاسيلي، أما في الهوقار فتتأثر بها منطقة "تمنراست" في فصل الصيف⁽³³⁶⁾.

ومن المنظور العام فالمناخ في المنطقة يدخل ضمن المناخات الصحراوية، التي تمتاز بالحرارة العالية والمدى الحراري الكبير بين الليل والنهار، ولعل اعتدال المناخ في بعض المناطق منها إنما يعود بالدرجة الأولى إلى ارتفاعها الكبير عن سطح البحر، فالعامل المهم الذي يؤثر في مناخ المنطقة هو التضاريس .

فبسبب ارتفاعها الكبير ظلت هذه المنطقة ذات بيئة معتدلة نسبيا وهذا ما أمكن ملاحظته في بعض المناطق مثل "جانت" و"تمنراست" و"إهرير"، كما أن بعضاً من آثار البيئة النباتية القديمة التي تعود إلى المراحل الرطبة السابقة لا تزال موجودة فيها، وهذه البيئة النباتية تنتمي إلى البحر المتوسط⁽³³⁷⁾، فقد ضلت صامدة في هاته المنطقة بفضل الارتفاع والتضاريس، ومن جهة ثانية تشهد الصحراء من حين لآخر أمطاراً طوفانية قد تكون نتيجة لنشاط كبير للمنخفضات الجوية .

وقد توصلت الدراسة التي قام بها "جون دوبياف" حول الأمطار في المنطقة إلى أن الأمطار الصيفية تكون في الغالب إما نتيجة لمنخفضات جوية قادمة من شمال الصحراء أو أمطاراً سودانية متوجهة من الجنوب إلى الشمال، أما أمطار فصل الخريف فهي أمطار ما بعد الموسمية، بينما الأمطار الشتوية تعتبر غزيرة نسبيا وهي مرتبطة بمنخفضات قادمة من القطب الشمالي والتي تتأثر بها كامل منطقة شمال إفريقيا وتصل آثارها إلى الصحراء، أما الأمطار الربيعية فهي غالباً ما تكون قادمة من شمال الصحراء⁽³³⁸⁾.

ورغم الجفاف الكبير الذي يهيمن على الصحراء إلا أن منطقة "الهوقار" تحتل وضعية خاصة بحكم ارتفاعها الكبير فتمنراست و الإسكرام تعتبران مناطق معتدلة، وهذا الأمر ينطبق أيضا على بعض المناطق من الطاسيلي⁽³³⁹⁾، فعندما تتساقط الأمطار على الصحراء تحصل منطقة الأسكرام على نصيب وافر منها، ففي نوفمبر من عام 1993 تساقطت

⁽³³⁶⁾ Jean Dubief., 1999, op.cit.p395

⁽³³⁷⁾ أثبتت الدراسات أن النباتات ذات البيئة المتوسطية تتواجد في المناطق التي تتجاوز إرتفاعها 1800 متر ، ينظر :

Ginette Aumassip Et Michel Tauvron. 1993, Op.Cit, P64

⁽³³⁸⁾ Jean Dubief ., 1999, op.ci, pp401-402

⁽³³⁹⁾ Franz Trost ., 1998, Op.cit , P13

أمطار غزيرة على الأسكرام بلغ حجمها 120 مم في 48 ساعة، بينما تساقط كمية تقدر بـ 48 مم فقط في منطقة "الاديليس" (Idelès) بالهوفار في نفس الفترة. ⁽³⁴⁰⁾ (الخريطة 08).

والأمطار ليست نادرة في باقي مناطق الهوفار ففي وادي "إن دلاج" وهو قريب من "الاسكرام"، تسقط الأمطار عادة في فصل الخريف من شهر جانفي إلى فيفري وقد لاحظ هنري لوت ذلك خلال إقامته هناك مدة ثلاث سنوات ⁽³⁴¹⁾ .

أما فيما يخص الطاسيلي فقد لاحظ جون دوبيف أن هناك فترات تتساقط فيها الأمطار وهي على الأقل مرتان في السنة، الأولى تحدث في نهاية الربيع وهي ثابتة تقريبا ، وتكون الأمطار فيها قوية في شهر ماي وقد لوحظ ذلك فيما بين سنوات 1975-1980 وتأتي هذه الأمطار نتيجة لمسار السحب التي يسببها الضغط الجوي المنخفض السوداني - الصحراوي، الذي يجتاز الصحراء من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، أما الفترة الثانية التي تسقط فيها الأمطار عادة فهي بين أكتوبر ونوفمبر وتكون فيها الأمطار ضعيفة نوع ما ، كما تسقط أمطار قليلة فيما بين جويلية وأوت، مع العلم أن تلك الأمطار ليست منتظمة ، فقد تمر سنة كاملة دون أن تسقط قطرة واحدة ⁽³⁴²⁾ .

وقد وصف غابريل قارديل مناخ الطاسيلي بأنه مناخ قاري حار، فالشتاء فيه بارد جداً حيث متوسط الحرارة الدنيا في شهر جانفي تتراوح بين 4° و 6° في إليزي التي ترتفع عن سطح البحر بـ 559 م فقط ، أما في جانت التي تقع على علو 1082 م فتتراوح درجات الحرارة إلى ما بين 2° و 6° ، بينما تنخفض درجات الحرارة أكثر في المناطق الأكثر ارتفاعاً لتصل إلى ما بين 1° و 2° . ⁽³⁴³⁾

وللباحث "روبرت كبوراي راي" آخر فيما يخص توزيع الأمطار فحسب هذا الباحث فإن الأمطار التي تسببها المنخفضات الجوية التي تجتاز الصحراء من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، تهطل في فصل الشتاء والربيع وتكثر خاصة في شهر ماي، وتنتشر على

⁽³⁴⁰⁾ Alfred Muzzolini., 1995, Op.Cit.P 12

⁽³⁴¹⁾ Henri Lhote., 1953, Nouvelles Stations ..., p147.

⁽³⁴²⁾ Jean Dubief ., 1999, op.cit.p395

⁽³⁴³⁾ Gabrial Gardel., 1961, op.cit.p58

الحدود الجنوبية للأطلس الصحراوي، وفي بعض الأحيان تجتاز الصحراء باتجاه الجنوب ،
لتنسقط بصفة خاصة في الهوٲار وبدرجة أقل في الطاسيلي وشمال التنزروفت (344) .

وإذا كانت الدراسات المناخية في الهوٲار تتم على مستوى "تمنراست" و"الأسكيرام"،
منذ 1955م، وذلك لعلوهما الكبير وموقعهما الاستراتيجي ونوع التضاريس فيهما(345)، فإن
الدراسات في الطاسيلي كانت تتم في ثلاثة مناطق هي: مدينة "جانت" التي تقع على علو
1160 م، وإليزي التي تقع على علو 610 م ومدينة إهرير التي تقع على علو 1400م(346) .

ومن الواضح بالنسبة لنا أن تأثيرات البحر المتوسط قد تكون محدودة في الصحراء
الوسطى وذلك نظرا لوجود جبال الأطلس الصحراوي والبعد الكبير للمنطقة عن البحر
المتوسط، لكن الباحث روبرت كابو راي (Robert Capot-Rey) له تفسير آخر إذ يعتقد
أن الأمطار الإعصارية للبحر المتوسط يوقفها عادة منخفض ينشأ في المحيط الأطلسي
وينتشر في السواحل الغربية للمتوسط ثم السواحل الشرقية في الخريف والشتاء ، لذلك فهي
تؤثر فقط في الأطلس الصحراوي ، وتتحول في الصحراء إلى رياح محملة بالأتربة(347) .

ومن الأمثلة الواضحة في الطاسيلي مدينة جانت التي تعد عاصمة الطاسيلي إذ يبلغ
معدل التساقط بها 19.1 مم لكنها تصل إلى 59 مم في السنوات ذات التساقط الكبير، أما
في تمنراست فالأمطار عادة ما تكون في الشتاء وفي الصيف، و قد تكون كبيرة في بعض
السنوات كما في سنة 1953م حيث سجلت 108.5 في تمنراست، بينما سجلت في سنة
1945 حوالي 28 مم فقط ، أما في سنة 1949 فقد بلغت نسبة التساقط 09 مم فقط
(الجدول 02) .

وبالنسبة للطاسيلي تعد منطقة "إهرير" أفضل المناطق من حيث الرطوبة فقد سجلت
نسبة الأمطار مستويات قياسية في بعض الفترات ففي سنة 1959 بلغت نسبة الأمطار
150 مم(348)، كما أنه وبشكل عام تختلف نسبة التساقط السنوية من سنة لأخرى فقد تتعدى

(344) Robert Capot-Rey ., 1940, op.cit, pp223-224

(345) Claude Blanguernon ., 1984, op.cit. pp27-28

(346) Boumezbeur Ammar, Sahki Rabéa, Sahki Abdallah., 2002, op.cit , P5

(347) Robert Capot-Rey ., 1940, op.cit, pp223-224

(348) Boumezbeur Ammar, Sahki Rabéa, Sahki Abdallah., 2002, op.cit.,P5

50 مم في السنة، لكن هذه المنطقة كثيراً ما تمر بفترات جفاف طويلة تتعدى أحيانا ثلاثة سنوات وتختلف من منطقة لأخرى، فالأمطار عموماً تسقط في الصيف في وسط الهوقار والطاسيلي نتيجة لتأثيرات المناخ السوداني في هذه المنطقة، بينما مناطق مثل "التادميت" و"التيديكلت" تتميز بالجفاف الشديد فنادرًا ما تسقط فيها الأمطار، حيث تتلقى في المتوسط أقل من 5 مم في السنة.⁽³⁴⁹⁾

وعلى العموم فإن تلك الأمطار تعتبر قليلة وغير منتظمة وفي المناطق ذات الأفضلية المناخية يمكن أن تعرف الأمطار نسقاً متوسطاً بين المناخ الاستوائي المتميز بأمطاره الصيفية وتياراته الموسمية وبين مناخ البحر المتوسط المتميز بأمطاره الشتوية⁽³⁵⁰⁾، ولكن في معظم أنحاء الصحراء يسود الجفاف، حيث تقل نسبة الأمطار عن 5 مم في المناطق التي تشغلها العروق الرملية أو الحمادة مثل التيديكلت والتانزروفت .

أما بالنسبة لدرجات الحرارة فهي تختلف تبعاً للتضاريس من حيث الارتفاع والانخفاض وقد لاحظنا أن هناك تبايناً واضحاً بين فصلي الشتاء (من ديسمبر إلى فيفري) والصيف (من جوان إلى سبتمبر)، وتبلغ معدلات درجات الحرارة القصوى خلال الفصل الساخن في كل من جانت وتمنراست ما بين 34° إلى 38° صباحاً وفي الليل بين 20° إلى 25° وخلال الفصل البارد بين 19° و 21° صباحاً وفي الليل بين 5° و 7°، مع العلم أن تمنراست تتمتع بأفضلية مناخية مقارنة بجانت⁽³⁵¹⁾، لكن الأمر مختلف بالنسبة لمناطق أخرى مثل إليزي التي تشهد في درجات الحرارة مستويات قياسية تقارب أو تزيد عن 50° في فصل الصيف . (الجدول 01، 02).

أما بالنسبة للرياح التي تسبب ظاهرة الحت الشديد، والتي ساهمت بشكل كبير في تشكل الصحراء واختفاء التربة، فقد حولت مناطق واسعة من الصحراء إلى حمادة لا ينبت فيها شيء ، بينما حولت مناطق أخرى إلى جبال من الرمال المتحركة ، هذه الرياح التي تصل سرعتها في بعض الأحيان إلى 100 كلم / ساء، قد ساهم في قوتها وعنفها الامتداد

⁽³⁴⁹⁾ Ouatic Hamdine ., 2001,op.cit, pp 10-11

⁽³⁵⁰⁾ Pierre Quézel., 1954, A propos d'une mission botanique dans le massif du Hoggar, (le cyprès de l'oued Erherhi), Bull, liaison saharienne, n°17, Alger. P8

⁽³⁵¹⁾ Leroux Marcel., 1991, La spécificité climatique des montagnes sahariennes. In: Revue de géographie alpine. 1991, Tome 79 , N°1. pp24-25

الواسع وفراغ الصحراء واتساعها وعدم وجود الجبال التي يمكن أن توقف الرياح ، ولولا وجود جبال الأطلس الصحراوي لتحولت كل منطقة شمال إفريقيا إلى صحراء بسبب الرياح المحملة بالرمال (352).

أما عن إتجاه الرياح التي تضرب منطقة الطاسيلي والهوفار فهي تأخذ إتجاه شرق-شمال شرق في الصباح ، بينما في المساء يكون اتجاهها غرب - وجنوب غرب، والجدير بالذكر أن الرياح الجنوبية الغربية في الصيف تكون في العادة محملة بالأمطار (353) .

ومن حيث المناخ لا يبدو أن هناك اختلافا كبيرا بين الطاسيلي والهوفار، فالقاعدة العامة هي أن المناطق المرتفعة تكون أكثر اعتدالا في الحرارة من المناطق المنخفضة ، فمثلا هناك فرق واضح بين المناخ في "جانت" و"إليزي"، ففي جانت تتراوح أقصى درجات الحرارة في فصل الصيف بين 34° و 37° بينما تصل درجة الحرارة القصوى في "إليزي" إلى أكثر من 50°. وفي المقابل فإن معدلات الحرارة في "جانت" لا تختلف كثيرا عن معدلاتها في "تمنراست" إذ تتراوح درجات الحرارة القصوى في "تمنراست" بين 32° و 34° ، أما منطقة الأسكيرام فهي أفضل حالا، إذ تبلغ درجات الحرارة القصوى في الصيف إلى ما بين 21° و 23° وتتدنى الحرارة في الشتاء بشكل كبير لتصل إلى ما بين 2° و 5°.(الجدول 01، 02).

وفي الأخير يمكن القول أنه رغم أن منطقة الطاسيلي والهوفار تقع في قلب الصحراء ومناخها يصنف على أنه مناخ صحراوي، إلا أن بها مناطق ملائمة جدا للعيش مثل "تمنراست" و"جانت" والأسكرام وأهرير، وكذلك كل المناطق المرتفعة التي تتميز بالحرارة المعتدلة وبنسبة مقبولة من الأمطار، وهي بذلك أفضل من الكثير من المدن الشمالية من حيث المناخ .

ب- النباتات في الطاسيلي والهوفار :

لقد أنجزت العديد من الدراسات حول البيئة النباتية في الصحراء الوسطى، بهدف جرد أنواع النباتات والحيوانات في المنطقة، ومن الدراسات الهامة حول النباتات تلك التي أنجزها

(352) Ouatik Hamdine ., 2001,op.cit, pp 10-11

(353) Claude Blanguernon ., 1955, op.cit. pp28-29

الباحث روني مار (René Maire) سنة 1938⁽³⁵⁵⁾، وقد استمرت تلك الأبحاث بين سنوات 1952 و 1987 وقد ساهم فيها عدة باحثين، وأمكن إنجاز موسوعة⁽³⁵⁶⁾ من 17 مجلد عن النباتات في شمال إفريقيا⁽³⁵⁷⁾، ومن بين الأبحاث الهامة الأخرى أعمال ميشال لوبار "(Le Berre)" سنة 1989⁽³⁵⁸⁾.

وكان الهدف المنشود لتلك الدراسات هو جرد كافة النباتات والحيوانات الموجودة في الصحراء، وقد تداعمت هذه الدراسة بأبحاث جزائرية ضمن مشروع الحفاظ على التنوع البيولوجي والذي يعرف اختصاراً ب(FEM-PNUD)، وقد تم على مستوى حضيرة "الطاسيلي" و"الهوڤار" في سنة 2000⁽³⁵⁹⁾، وعلى مستوى "العرق الغربي الكبير" في سنة 2007⁽³⁶⁰⁾.

ووفقاً للدراسات التي تمت في الطاسيلي والهوڤار فإن البيئة النباتية والحيوانية الموجودة هناك متنوعة وهي تنتمي إلى البيئة " الساحلية - الصحراوية " التي تمتد على كامل أنحاء الصحراء، لكن منطقة الطاسيلي والهوڤار تحظى بالأفضلية بحكم علوها لذلك نجد فيها أيضاً نباتات تعود لبيئة البحر المتوسط، كما نجد فيها نباتات قليلة تعود إلى البيئة " الساحلية السودانية " ذات المناخ الرطب، والأمر نفسه ينطبق على الحيوانات وبشكل عام يمكن القول أن البيئة النباتية والحيوانية تتضمن النباتات والحيوانات للبيئات الصحراوية النموذجية، لكن

⁽³⁵⁵⁾ R , MAIRE ., 1938, Etudes sur la flore et la végétation du Sahara Central, I et II, Mémoires de la Société d'Histoire Naturelle de l' Afrique du Nord ,n° 3 ,missions du Hoggar , 1938, pp 48-50

⁽³⁵⁶⁾ الموسوعة كاملة موجودة على الرابط التالي :

http://www.telabotanica.org/page:liste_projets?id_projet=66&act=documents&id_repertoire=17739

⁽³⁵⁷⁾ R , MAIRE ., 1952, Flore de l'Afrique du Nord. Vol , n° I, Encyclopédie biologique, paris : Paul Lechevalier.

⁽³⁵⁸⁾ للعودة والتوسع في موضوع النباتات والحيوانات، ينظر :

Michel Le Berre ., 1989, Faune du Sahara :CHABAUD et LECHEVALIER, paris , 2 Tome.

⁽³⁵⁹⁾ M. Tolba T ., 2003, Les Aires Protegees Du Sud De L'algerie, Recueil Des Communications Atelier N°1 « Conservation In Situ Et Ex Situ » Mate-Gef/Pnud Projet Alg97/G31 1, Mises En Oeuvre Des Mesures Générales Pour La Conservation In Situ Et Ex Situ Et L'utilisation Durable De La Biodiversité En Algérie, Alger 06/10/2002, Plan D'action Et Stratégie Nationale Sur La Biodiversité, Tome 2, p14

⁽³⁶⁰⁾ Koen de Smet et al ., 2009, Inventaire de la Faune Sauvage des Zones Désertiques en Algérie (Grand Erg Occidental) , Rapport de Mission 3-15 mars, 2007, 45p

مع وجود نباتات وحيوانات ذات بيئة سودانية صحراوية في بعض المناطق من الهوٲار والطاسيلي⁽³⁶¹⁾ .

وكما هو معروف فإن النباتات والحيوانات لها علاقة مباشرة بمدى توفر الأمطار، وإذا نظرنا إلى الصحراء من هذه الناحية، فالأمطار قليلة وغير منتظمة وقد يحدث جفاف يدوم لعدة سنوات في بعض المناطق من الطاسيلي والهوٲار، ولكن هناك تباين في نسبة التساقط من منطقة لأخرى، فمثلا مناطق "التادميت" و"التاديكلت" تعاني من جفاف مستمر، إذ تكاد لا تسقط فيها قطرة واحدة في بعض السنوات، وأحيانا تكون نسبة التساقط أقل من 5 مم، فهي بيئات صحراوية نموذجية، وهذا الأمر ينعكس على الغطاء النباتي الفقير جدا فيهما.

بينما تحظى مناطق أخرى من الهوٲار والطاسيلي بتساقطات مطرية كبيرة، إذ تصل نسبة التساقط إلى أكثر من 50 مم في السنوات المعتدلة، وقد تزيد عن ذلك في بعض السنوات، فنجدها عندئذ متأثرة إلى حد ما بالبيئات "السودانية الساحلية"، وبالطبع هذا الأمر ينعكس أيضا على الغطاء النباتي في هذه المناطق الذي نجد فيه تنوعا كبيرا.

وفيما يخص النباتات في الهوٲار فهي أكثر تنوع مما هي عليه في الصحراء الشمالية، ومعظم النباتات متواجدة قرب الأودية، خاصة في "التفادست" و"الأتاكور"، وأما في المناطق المرتفعة فنجد النباتات ذات الأصول المتوسطية مثل: الزيتون الجبلي(Olea La Perrini) وورق "الغار الوردي"(Laurier-Rose) وأنواع من النباتات العطرية "كالأرطماسية"(Armois) و"التاكمزوت"(Takamezout) كما نجد النبات الذي يسميه الطوارق باسم "التورها" (Torha) واسمها العلمي هو: (Collotropis Prossera)والتي تعود في أصلها إلى البيئة المدارية⁽³⁶²⁾.

وفي المناطق المنخفضة التي تحيط بالجبـال توجد نباتات "التورها" و"التابوراك" (Tabouraq) وأنواع من "السنت"(Acacias) و"التابراكات" (Tabarakat) و"الأفيزو" (Afezzo)، و"التالولت" (Tallout) و"الغار الوردي" و"الأرطماسية" وهي نباتات ذات أصول متوسطية.⁽³⁶³⁾

⁽³⁶¹⁾ M. Tolba T ., 2003, op.cit. p14

وقد أظهرت بعض الإحصائيات أن النباتات ذات البيئة المتوسطية تمثل 2% من نباتات الصحراء الشمالية الواقعة في الدائرة العرضية 30° شمالاً، بينما تبلغ النسبة 9.25% في منطقة "التانزروفت" التي تقع في 26° شمالاً وهي تعتبر من المناطق الأكثر حرارة وجفافاً في الصحراء، أما في الصحراء الجنوبية عند حدود الساحل، فتبلغ نسبة النباتات ذات الأصول المتوسطية 1% فقط بينما تبلغ النسبة في الصحراء الغربية على سواحل المحيط الأطلسي 5% (364).

أما النباتات التي في الخنادق والمنحدرات الهامشية للهوقار فهي من النوع الصحراوي وتتمثل في السنط (Acacias) والأفيزو (Afezzo)، كما يوجد الزيتون الجبلي، بينما في "طاسليات الشمال" توجد نباتات شبه مدارية وسودانية، وأحياناً نجد بعد هطول الأمطار نوعاً من الفطر يعرف بـ "الكما" والذي يسمى "الترافاس" في المناطق الشمالية، أما قرب منابع المياه وفي القلعات، فنجد: الطحالب، وبهق الجبل (Lichens)، والقصب (Roseaux) والأسل (joncs)، والتاهلي (Tahli)، ونجد أيضاً "السنط" و"التورها" في الطاسليات مثل "الاميدير" و"ادرار أهناث" و"الأسيجارد"، علماً بأن "السنط" يتواجد بكثافة أكبر في أودية الاميدير، وهذا النبات هو الذي تتغذى عليها "الأروية" خاصة في القمم العالية (365).

ومن النباتات المعروفة في النطاق الصحراوي نباتات "القعود" (Ephedra)، ونباتات "الارتميسيا" (Artemisia) وهي من النباتات العطرية، و"الأثل" (Tamarix) (366) و"الصليبيات" (Cruciferae) وهي نباتات ذات أزهار جميلة. (367)

أما بقية أنحاء الصحراء فنجد فيها النباتات الصحراوية النموذجية مثل: "الشيخ" وهو من النباتات العطرية التي تستخدم للتداوي ويستخدم كنكهة للقهوة في كثير من المناطق، وهناك أيضاً نباتات "الأفلله" وهي نباتات ذو أزهار جميلة بنفسجية وصفراء، تستخدم للتخفيف من آثار السموم وهي منتشرة في إليزي، وتسمى أيضاً "لبتيمة" في مناطق الصحراء الشمالية، وهناك "البندراق" وهي نبتة ذات أوراق خضراء تسمى أيضاً "بالرجلان"، وتدعي

(365) Claude Blanguernon., 1955, op.cit.p31

(366) يعرف عند الطوارق باسم تابراكات tabarekke، ينظر: إبراهيم العيد بشي، 2009، المرجع السابق، ج1، ص96

(367) Rebert Vernet., 2007, op.cit. p36

في أدرار باسم "أفلاس" تستخدم في وجبات طعام في شكل سلطة ، و تستخدم للتداوي من آلام الرأس واسمها العلمي هو (Portulaca oleracea).

ومن بين النباتات أيضا نبات "الحنظل" (Citrullus colocynthis) ، ونبته "أجرجر" وهي المعروفة "بالسنامكي" تستخدم كمسهل في حالات الإمساك الحاد إلى جانب علاجات أخرى، وهناك أيضا "الكركتا" وهي عبارة عن شجيرة كثيرة الأوراق تنمو في الأودية ، وهناك نبتة "الفيز" وهي نبتة صحراوية تنمو قرب الأودية ولها أزهار جميلة .

كما توجد نباتات أخرى مثل نبات "التمات" وهو المعروف علميا باسم (Acacia ehrenbergianna) وهو عبارة عن شجيرة متوسطة الحجم تنمو في الأودية والمناطق التي تتجمع فيها المياه، ومن بين الأودية التي تتواجد فيها وادي "تدادين" (Tadadi)، كما يوجد نوع من "التين" يسمى علميا ب (Ficus ingens) ينتشر في السهول وقرب الأودية، وهو موجود في وادي "إن دلاج" (In daladj) بالهوقار، وتوجد في هذا الوادي أيضا شجرة من فصيلة "الزيتون" تدعى (Olea lapperrini)، بالإضافة إلى نوع من الأشجار يدعى ب (Salvadora persica) عثر عليه هناك وفي الكثير من الأودية في المنطقة .

كما توجد أشجار "الزيزفون" من النوع الموريتاني (Zizyphus mauritiana) في وادي "إن تونين" (In touni) بالهوقار، ونوع من السنط يدعى علميا باسم (Acacia arabica) وهي عبارة عن أشجار متوسطة الحجم تتواجد في العديد من الأودية في الهوقار على غرار وادي أمزاجين" (Amezedjin) (368)، ومن بين النباتات الموجودة في أودية الطاسيلي أشجار "الطلح" الضخمة التي تتغذى من المياه الجوفية، وهي متواجدة في العديد من الأودية كوادي "ستافن" ووادي "إساون" (369)، كما يوجد نوع من "الأكاسيا" أو أشجار الطلح الذي يعرف عند الطوارق باسم "أبسر" (370) .

وإضافة إلى النباتات السابقة الذكر تنتشر أشجار النخيل بكثافة في العديد من المناطق ، فمنطقة "جانت" كانت تحصى ما يقارب 17500 نخلة، أما "إهرير" فقد وجد فيها 1700 ،

(368) Karim Chenoune., 2005, La Flore Et La Végétation Du Hoggar, Bois Et Forêts Des Tropiques , N° 284 , pp 79-83

(369) إبراهيم العيد بشي، 2009، المرجع السابق، ج2، ص 73

(370) نفسه، ج 1، ص 96

و1200 في "أهرهار"، و450 في "تماسنين"، وقد بلغ تعداد أشجار النخيل 25000 نخلة في سنة1914 في "جانت" ⁽³⁷¹⁾، لكن اليوم معظمها مهمل وغير مستغل، وذلك يعود ربما إلى أن الطوارق لم يكونوا يحسنون العمل في الأرض فقد كان العبيد هم من يفعلون ذلك .

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن هناك تنوعاً نباتياً كبيراً في الصحراء الوسطى ⁽³⁷²⁾ ، فعلى العكس ما كان يشاع أن مناطق الصحراء خالية من النبات، فربما هذا ينطبق فقط على مناطق معينة خاصة تلك التي تشغلها العروق أو الحمادة، فمنطقة الصحراء الوسطى بفعل موقعها الجيد، وارتفاعها الكبير عن سطح البحر، ظلت تحتفظ بظروف مناسبة لنمو مجموعة واسعة من النباتات، وهذا التنوع النباتي يعكس تنوعاً حيوانياً أيضاً .

ج- الحيوانات في الهوقار والطاسيلي :

تتوفر الطاسيلي والهوقار على بيئة حيوانية ثرية وذلك بسبب ظروفها المناخية والتضاريسية الجيدة، ورغم أن هذه البيئة تعد بيئة صحراوية بشكل عام، إلا أن هذه المنطقة تحوى أنواعاً نادرة من الحيوانات، وبعضها في طور الانقراض كالنعامة والغزلان، في حين انقرضت حيوانات أخرى منذ فترة قصيرة كالتماسيح التي كانت موجودة في القرن الماضي ، ومن أهم أنواع الحيوانات في الطاسيلي والهوقار "الثدييات"، ويوجد منها 15 صنفا منها ذات الحجم المتوسط والكبير وهي تنقسم إلى :

آكلات اللحوم وعددها 09 تنتمي لثلاثة عائلات، منها 4 ضمن قائمة الحيوانات المهددة بالانقراض، والحيوانات العاشبة وهي 7 أصناف تنتمي لثلاثة عائلات ومنها 5 ضمن الأصناف المهددة بالانقراض ⁽³⁷³⁾، ونذكر من بين الحيوانات في المنطقة :

⁽³⁷¹⁾ إبراهيم العيد بشي، 2009، المرجع السابق، ج4، ص144
⁽³⁷²⁾ للتوسع أكثر في موضوع النباتات في الطاسيلي والهوقار ، ينظر :

R. MAIRE., 1940, Étude sur la flore et la végétation du Sahara central. Mém. Soc. Nat. Afric. : 1re et 2e parties, 1933، n° 3, p. 1-272 ; 3e partie, 1940, pp 273-433, Paul OZENDA., 1983، Flore du Sahara. Paris, CNRS, 622 p.

⁽³⁷³⁾ M. Tolba T ., 2003, op.cit.Tome 2, p13-14

- الغزلان والضباء: هناك عدة أنواع من الغزلان وهي تتواجد في المناطق الممتدة من "الايמידر" إلى حدود النيجر وخاصة في "تين زواتين" Tin Zaaupaten وفي الأودية التي تحيط "بتانزروفت" في بعض الأوقات من السنة (374)، ومنها :

غزلان الداما⁽³⁷⁵⁾ (oryx gazelle damma) وهذا الحيوان انقرض من المنطقة منذ فترة قصيرة ، ولا يوجد الآن إلا في الهضاب العليا لإثيوبيا والصومال، لكن يوجد نوع آخر هو غزال ذو حجم صغير مشابه لغزال الدوراس⁽³⁷⁶⁾. أما "غزال الدوراس" Gazella dorcas فهو موجود أيضا في الصحراء ولكن أعداده في تناقص مستمر، فقد عثر على 8 فقط خلال حملة البحث التي تمت سنة 2007 وذلك من أجل جرد الحيوانات في العرق الغربي الكبير ولا نعلم إذا كان موجودا في الطاسيلي أم لا.

كما يوجد أيضا غزال "الريم" (Gazella leptoceros) ولكن بأعداد قليلة في بعض المناطق من العرق الغربي الكبير "عرق الراوي"، ووادي "سقور" (Seggeur) ومنخفض الخلة (El Khella)، أما الغزال الفضي الرشيق (Gazella cuvieri) ويسمى عند العامة "باللدي"، فهو نادر جدا في الصحراء وربما يكون قد انقرض ولكن قيل بأنه موجود في جبل (Touaris) "تواريس" في العرق الغربي الكبير⁽³⁷⁷⁾، مع العلم أنه من الممكن أن يكون هناك خلط بينه وبين "غزال اللودري" المعروف عند السكان "بالريم" وهو يعيش في الرمال، ويعرف باسم "الغزال" "الذهبي" أو "النحاسي"، وهناك أيضا الغزال "الابيض" الذي يدعى "أداس" وهو نادر جدا في الطاسيلي⁽³⁷⁸⁾.

أما الضباء فمنها المها (oryx dammah) وهو ظبي كبير بقرون في شكل قوس يعيش في منطقة الساحل والمناطق شبه الصحراوية، وهو حيوان يتنقل لمسافات طويلة تبعا للمطر والمراعي، ويمكنه مقاومة درجات الحرارة المرتفعة، وهو يتنقل في شكل قطعان نحو

⁽³⁷⁴⁾ Claude Blanguernon ., 1955, op.cit, pp39-40

⁽³⁷⁵⁾ يذكر كامبس أن هذا الحيوان لا يزال موجود في موريتانيا بينما انقرض من كل المغرب والصحراء ، ينظر : Gabriel Camps., 1988, La faune de l'Afrique du Nord et du Sahara d'après Hérodote, Espacio, Tiempo y Forma, Série II, H. Antigua, t1, p213

⁽³⁷⁶⁾ Julien d'Huy et Jean-Loïc Le Quellec ., 2009, Du Sahara au Nil: la faible représentation d'animaux dangereux dans l'art rupestre du désert Libyque pourrait être liée à la crainte de leur animation. - Les Cahiers de l'AARS, 13, p 90

⁽³⁷⁷⁾ Koen de Smet et al ., 2009, op.cit, pp12-13

⁽³⁷⁸⁾ إبراهيم العيد بشي ، 2009، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 122

الشمال في فصل المطر بين جوان و أوت، ويصل أحيانا إلى الصحراء الليبية ثم يتجه نحو الجنوب، ومنذ وقت قريب كان يمكن مشاهدته في الهوقار وفي الصحراء الغربية، أما الآن فهو نادر الوجود ماعدا في مناطق "الايندي" و"الايير"⁽³⁷⁹⁾، وهي متواجدة بأعداد قليلة في "أدرار إفوغاس" وتصل أحيانا إلى "طاسليات الشمال"⁽³⁸⁰⁾. والنوع الموجود منها في الصحراء الجنوبية يدعى "الظبي الحصاني" (*Hippotragus equinus*)، أما "الظبي الجاموسي" فقد كان موجودا لغاية القرن التاسع عشر في شمال إفريقيا ثم انقرض منها⁽³⁸¹⁾.

ونشير هنا إلى أن الباحث إبراهيم بشي يعتقد أنه موجود في العروق إذ يوجد نوعان من هذه الضباء هي: "الريم الممزوج" (*antelope oryx*) و"المها" وفي المناطق الجبلية يعيش نوع آخر من الضباء هو "الظبي المهر"⁽³⁸²⁾، وخلال الدراسة التي قامت بها حملة البحث في العرق الغربي الكبير تم الكشف عن أربعة أنواع من الغزلان والضباء والأروية وهي: "الريم" (*Gazella leptoceros*)، و"اللروي" (*Ammotragus lervia*)، و"اللدمي" (*Gazella cuvieri*)، و"غزال الداما" أو "المهر" (*Gazella dama*)، أو "الغزال السوين" (*Gazella Swouin*) وهو نفسه "غزال الدوراس" (*Gazella dorcas*)⁽³⁸³⁾.

- الأروية (*Ammotragus lervia*): كانت هذه الحيوانات موجودة في الفترات السابقة فقد ظهرت في الفن الصخري منذ مرحلة الرؤوس المستديرة القديمة، إلا أنه انقرض من الصحراء الوسطى والشمالية بعد ذلك⁽³⁸⁴⁾، لكن إبراهيم العيد بشي يذكر أنه لا يزال موجودا وبأعداد كبيرة في الطاسيلي لكنه معرض للانقراض بسبب الصيد المكثف⁽³⁸⁵⁾، وقد كان سكان الصحراء يسمونه باسم اللروي، وتعتبر أعداده قليلة اليوم إذ لا يوجد إلا في بعض المناطق "كالزغامرا" (*Zeghamra*) وجبال "أوقراتا" (*Ougartha*) في الجنوب الغربي للجزائر⁽³⁸⁶⁾.

⁽³⁷⁹⁾ Julien d'Huy et Jean-Loïc Le Quellec., 2009, op.cit.p 90

⁽³⁸⁰⁾ Claude Blanguernon., 1955, op.cit, pp39-40

⁽³⁸¹⁾ Gabriel Camps., 1988, op.cit, pp212-213

⁽³⁸²⁾ إبراهيم العيد بشي ، 2009 ، ج 1 ، ص 122

⁽³⁸³⁾ Koen de Smet et al ., 2009, op .cit.p26

⁽³⁸⁴⁾ Julien d'Huy et Jean-Loïc Le Quellec ., 2009, op.cit.p 90

⁽³⁸⁵⁾ إبراهيم العيد بشي ، 2009 ، ج 1 ، ص 121

⁽³⁸⁶⁾ Koen de Smet et al ., 2009, op.cit. p13

- ابن أوى : يتواجد هذا الحيوان في كل الأماكن ويسبب مشكلات للرعاة حيث يفترس الماعز، ويتواجد أيضا في الصحراء الشمالية⁽³⁸⁷⁾، والجدير بالذكر أن النوع الموجود منه في الصحراء هو "ابن آوي الذهبي" المعروف علميا باسم (canis aureus) ، وهو موجود في العروق وأنحاء مختلفة من الصحراء⁽³⁸⁸⁾.

- الثعلب و الفنك: يتواجد الثعلب في الطاسيلي والهوقار لكونه يتلاءم مع المناطق الجافة ، ويعرف النوع الموجود منه في الصحراء بـ "ثعلب الرمال (Vulpes ruppelli)⁽³⁸⁹⁾، ورغم أن الثعالب أصغر حجما من الضباع إلا أنها أشرس منها تعرف علميا بـ (Fennecus zerda)، يتواجد في مناطق الكثبان الرملية في حدود الطاسيلي، ويوجد نوع آخر من الثعالب في الجبال مختلف عن الموجود في السهول⁽³⁹⁰⁾، وهذا الحيوان منتشر بكثرة في الطاسيلي والهوقار يسميه السكان باسم " تارزيت " ويسمى أيضا " أقولاه " ، وهو من آكلات اللحوم إذ أنه يمثل خطرا كبيرا على القطعان⁽³⁹¹⁾ .

- الفهد الصحراوي: يعد هذا الحيوان هو الحيوان المفترس الوحيد من سلالة السنوريات الموجود في الصحراء إذا استثنينا القط البري⁽³⁹²⁾، ويسميه الطوارق باسم " أمياس" (amayes) بينما اسمه العلمي هو (Acinonyx jubatus)، وتتواجد أعداد قليلة منه في المنطقة، فهو يتعرض للانقراض ربما بسبب قلة الطرائد، ومن الصعب معرفة مناطق تواجدفه فهو يسير مسافات طويلة⁽³⁹³⁾، وهذا الحيوان النادر موجود في الهوقار والطاسيلي أكثر منه في المناطق الأخرى من الصحراء الشمالية أو الجنوبية⁽³⁹⁴⁾.

- الضبع و الكلاب البرية: نادراً ما نجد الضبع في الصحراء والنوع الصحراوي يعرف الضبع المخطط (Hyaena hyaena)، يتركز تواجدفه في الطاسيلي أكثر من "أدرار افوراس"

⁽³⁸⁷⁾ Julien d'Huy et Jean-Loïc Le Quellec ., 2009, op.cit.p 90

⁽³⁸⁸⁾ Koen de Smet et al., 2009, op .cit.p26

⁽³⁸⁹⁾ Ibid.pp15-17 .

⁽³⁹⁰⁾ Claude Blanguernon ., 1955, op.cit.pp39-40

⁽³⁹¹⁾ إبراهيم العيد بشي ، 2009، المرجع السابق ، ج1 ، ص 121
⁽³⁹²⁾ ينتشر هذا الحيوان بكثرة في الجبال ، وهناك نوعين من القطط البرية ، الأول ويعرف علميا بـ Felis caracal وبين السكان يسمى بـ "عق العرب" Anek el Arab أو "بوريشة" Bouricha ، والثاني يسمى عند العامة " بقط الخلا " ، ويعرف علميا بـ Felis sylvestris libyca ، ينظر :

Claude Blanguernon ., 1955, op.cit.p39-40 , Koen de Smet et al ., 2009, op.cit. p26

⁽³⁹³⁾ Claude Blanguernon., 1955, op.cit, pp39-40

⁽³⁹⁴⁾ Koen de Smet et al ., 2009, op.cit, pp 14-15

(395)، وقد انقرض هذا الحيوان من بلاد المغرب في الفترة المعاصرة لكنه لا يزال موجودا في الصحراء⁽³⁹⁶⁾، أما الكلاب البرية فلا تزال موجودة في الصحراء الجنوبية لكنها انقرضت من بلاد المغرب والصحراء الشمالية والوسطى⁽³⁹⁷⁾.

- التماسيح : كان التماسيح موجودا إلى غاية القرن العشرين في وادي "إميهر" (Imihrou) و"إهرير" بالطاسيلي ووادي "إساكارسن" (Isakarsen) بالهوفار، وفي "التيبستي"، وهو موجود اليوم في "قناة مطماطة" في موريتانيا، وفي "الينيدي"⁽³⁹⁸⁾، وقد شوهد في الطاسيلي في ما سبق ووصف بأنه ذو حجم كبير إذ يصل طوله إلى 240 سم وهو يسمى لدى الطوارق بـ "إجلمان" و"أروشاف"⁽³⁹⁹⁾.

وقد أفادت معلومات أن آخر تمساح قتل في قرية "إهرير" (Iherir) سنة 1946 ، وقيل بأنه كان موجودا في وادي "إميهر" وفي "تاجولت" (Tadjoult) بالطاسيلي وفي جبال "الاميدر"، وفي قلعة "إن تاويناست" (I-n-Tawinast)، كما أن وجوده كان مؤكدا في "إن هتر" (I-n-Houter) بالهوفار سنة 1950، إلى جانب وجوده في موريتانيا إلى فترة قريبة ، وفي "شط الجريد" بتونس شوهد آخر تمساح سنة 1960، كما انقرض من وادي درعة" بالمغرب، علما بأن التماسيح التي كانت موجودة هي من النوع النيلي (Crocodylus niloticus)⁽⁴⁰⁰⁾.

ومنذ وقت قريب اكتشف النقيب "تيلهو" (tilhou) في "التيبستي" تمساح في إحدى حفر الماء⁽⁴⁰¹⁾، كما أكتشف في وادي "إهرير" تمساح في فترة حديثة 1909 وآخرها قتل

⁽³⁹⁵⁾ Claude Blanguernon., 1955, op.cit, pp39-40

⁽³⁹⁶⁾ Gabriel Camps., 1988, op.cit, p210

⁽³⁹⁷⁾ Julien d'Huy et Jean-Loïc Le Quellec., 2009, op.cit.p 90

⁽³⁹⁸⁾ Michel LE BERRE., 1990, Faune du Sahara : Poissons – Amphibiens – Reptiles, tome II, Paris : Lechevalier / R. Chabaud, pp306-307

⁽³⁹⁹⁾ إبراهيم العيد بشي ، 2009، ج 1 ، ص 125

⁽⁴⁰⁰⁾ Jose C. Brito and al ., 2011, Crocodiles in the Sahara Desert: An Update of Distribution, Habitats and Population Status for Conservation Planning in Mauritania, PLoS ONE, February 2011, Volume 6, Issue 2, p2

⁽⁴⁰¹⁾ Marius Gustave Dalloni ., 1935.Mission au Tibesti II (1930-1931) Mémoires de l'Académie des Sciences de l'Institut de France, T62, pp405-449

من طرف النقيب "تيجر"⁽⁴⁰²⁾، وفي منطقة قريبة من الصحراء الوسطى شوهد التماسح في بحيرة مطماطة في موريتانيا، أما بقاياه التي تعود إلى الهلوسان الأوسط فهي موجودة في مناطق مختلفة من الصحراء⁽⁴⁰³⁾.

- الحمير : الحمير البرية توجد في الطاسيلي والهوقار ولا يعير لها السكان كبير اهتمام، وذلك لأن الطوارق لا يركبون الحمار ويعتبرون ركوبه "عار ما بعده عار"، وهذه الحيوانات توجد في سفوح جبال أدرار خاصة في منطقة "أبادا هاجرين" (abadahag'g'erin) ، كما تتواجد في بعض المناطق الجبلية الأخرى من الهوقار⁽⁴⁰⁴⁾ .

- القوارض: توجد أنواع من القوارض منها الذي يسمى "فوندي" (goundi) واسمه العلمي هو (vali Ctenodactylus) وقد وجد في العرق الغربي الكبير في منطقة وادي "تواريس" (Touaris) كما وجد في الطاسيلي والهوقار⁽⁴⁰⁵⁾، ويوجد أيضا "الجربوع" وهو منشتر بشكل كبير في الصحراء الوسطى والشمالية، ومن أندر أنواع القوارض نذكر "السناجب الصحراوي" ويعرف "بالسناجب البربري"، أما علميا فيسمى ب(Ecureuil terrestre)، وهو نوع نادر من السناجب يتواجد بأعداد قليلة في المناطق ذات الطبيعة الصخرية ويتوارى في الجحور⁽⁴⁰⁶⁾

ويوجد أيضا "القنفذ الصحراوي" الذي يعرف علميا ب(Paraechinus aethiopicus)، كما يوجد "الضربان الصحراوي"، وهو نوعان : النوع الاول الذي يعرف ب(Mellivora capensis) ويعرف بين السكان ب " الكرزازة" أو " التزكا" ، اما النوع الثاني فهو الذي يسمى ب (Poecilictis libyca) ويعرف بين السكان ب "السيفشا" أو "خير الخنزرا"، ويوجد نوع من القوارض وهو " الجرذ " ويسمى علميا ب(Gerbillus spp)وهو مختلف عن

⁽⁴⁰²⁾ Vaufrey Raymond., 1936, L'Âge des Spirales de l'Art rupestre nord-africain. In: Bulletin de la Société préhistorique de France. 1936 ,tome 33, N. 11. P627

⁽⁴⁰³⁾ Klaas de Smet ., 1999, op.cit. pp81-86,

⁽⁴⁰⁴⁾ إبراهيم العيد بشي، 2009، ج 1 ، ص 122

⁽⁴⁰⁵⁾ Koen de Smet et al ., 2009, op.cit, p10

⁽⁴⁰⁶⁾ Albert Visage.,2005, Gérard Grolleau,Jacqueline Visage, L'écureuil, Editions Artemis,p62

الجربوع (*Jaculus spp*)، وهناك الخفافيش التي تسمى عند العامة اسم " طير الليل " ويعرف علميا باسم (*Chiroptera*) (407).

- الزواحف والطيور والأرانب: (408) هناك أنواع كثيرة من الطيور منها تلك التي تتجمع في مصادر المياه كالبط، وهناك الحمام البري والغريان وأنواع أخرى (409)، والطيور يمكن تصنيفها إلى صنفين: الطيور المحلية والطيور المهاجرة، أما المحلية فهي قليلة وتتمثل في البط والغريان والحمام، أما الطيور المهاجرة فتستقر في المناطق الرطبة لفترة من السنة قبل مواصلة سيرها، وهي تتواجد عادة في الأودية والجروف والخنادق، ومعظمها متواجد في الأودية الرطبة وقلما نجدها في المناطق الصحراوية المفتوحة، ونجدها بصفة خاصة في "القلات".

ومن بين تلك الطيور : طائر الخطاف، والطائر الأبلق (*traquet*) وطائر الكركي وطائر القطا المتوج (*Pterocles coronatus*) ، كما توجد النعامة وهي من الحيوانات التي هي على وشك الانقراض من المنطقة، وقد تم إحصاء 60 نوع من الزواحف والطيور بالعرق الغربي الكبير اثناء حملة البحث في 2007 (410). ولا تزال عملية البحث عن أنواع أخرى من الطيور والزواحف والحشرات، أما بالنسبة للزواحف فرغم أن عملية الجرد لا تزال لم تكتمل بعد إلا أن الأبحاث أظهرت أن الزواحف كثيرة وهي تنقسم إلى 7 عائلات و 21 صنفا، منها 04 أصناف محمية من الانقراض (411)، أما الأرانب فهي موجودة بكثرة ومعظمها من نوع (*Lepus capensis*) (412).

- الأسماك: تتوفر الكثير من الأسماك في "القلات" والمناطق الرطبة في الطاسيلي والهوقار، وهذه المناطق تتوفر على مجارى مائية دائمة ذات منشأ مداري، فمثلا في "إهرير" البيئة المدارية تبدو واضحة ، وهذه المنطقة صنفّت بواسطة اتفاقية "رامسار" للمناطق الرطبة ،

(407) Koen de Smet et al., 2009, op.cit. p26

(408) للاستزادة حول الحيوانات في الهوقار والطاسيلي ، يرجى العودة إلى :

T.J Wacher et al., 2005, Inventaire de la faune du Groupe Sahelo-Saharien. Dans Massif Central de l'Ahaggar, Algérie..

(409) إبراهيم العيد بشي ، 2009، ج 1 ، ص 126

(410) Koen de Smet et al., 2009, op.cit . p26

(411) M. Tolba T., 2003, op.cit.Tome 2, p14

(412) Koen de Smet et al., 2009, op.cit. p17

فالمجاري المائية فيها تتضمن الأسماك والصفدييات. والأسماك تتوزع على ثلاثة مجموعات منها السمك الملتي (cybrinidés) والنوع الموجود منه يدعى "الملتي البسكري"، و"الملتي الصحراوي" والنوع الثاني هو السمك النهري المسمى (claridae) ويوجد منه سمك "الجري" الموجود في وادي "إمهيرو"، وسمك "البطي" والنوع الموجود منه يسمى ب (tilapie de zill).

ولا تزال أسماك "الجري" موجودة في بعض "القلات"، كما يوجد نوعين من أسماك "البطي" في قلّة "تيهوبار" بالطاسيلي هي النوع المسمى "البطي الأخضر" (Tilapia zillii) و"البطي النيلي" الذي يعرف ب (Tilapia nilotica) ⁽⁴¹³⁾، وتوجد هذه الأسماك في "إهرير" أيضا ، وكانت قد وجدت في "وادي جرات" أيضا إلى جانب أسماك "البوري" (Barbeaux) و"الجري" (Silures) وفق ما يذكر رايموند فوفري ⁽⁴¹⁴⁾ .

أما بالنسبة للزواحف فنذكر منها العظايا: "كالضب" والسحلية "بوكشاش" ويعرف أيضا "ببوريس"، ويتشام السكان بهذه السحلية ويعتقدون أنها تجلب الحظ السيئ والأمراض لذلك يجب قتلها، وهناك الورن كما توجد أنواع من الأفاعي .

وبشكل عام يمكن القول أن معظم الحيوانات هي حيوانات نموذجية للمناطق الصحراوية أما الحيوانات الموجودة في المناطق الرطبة فتعود أصولها إلى بيئة صحراوية سودانية وإلى الفترات الرطبة التي مرت بها الصحراء، وقد مثلت تلك المناطق عبر الزمن ملجأ لأنواع نادرة من الحيوانات ، وهذه المناطق الرطبة إنما تتمثل في القلّات والأودية الرطبة التي تتوفر على بيئة نباتية غنية وأنواع نادرة من الحيوانات كالفهد الصحراوي الذي هو نادر الوجود في الصحراء ومن الصعب تتبع مساره، كما يوجد غزال الدوراس والأروية، ومن بين الحيوانات الموجودة فيها أيضا حيوان الدمان (دمان الصخور) والفوندي، كما توجد أنواع من الأسماك والضفادع والزواحف.

⁽⁴¹³⁾ للمزيد من المعلومات حول الأسماك في منطقة الطاسيلي، ينظر: Malika Hachid., 1998, op.cit.p74

⁽⁴¹⁴⁾ Vaufrey Raymond., 1936, op.cit. P627

الفصل الثاني

حضارات ما قبل التاريخ في الطاسيلي والهوقار

أولا : حضارات الباليوليتي الأسفل

ثانيا: حضارات الباليوليتي الأوسط

ثالثا: ثقافات العصر الحجري القديم المتأخر في الصحراء

رابعا: الإنسان الإيبرومغربي والقفصي في الصحراء

خامسا : النيوليتي في الطاسيلي و الهوقار

سادسا : الفن الصخري في الطاسيلي والهوقار

أولاً: حضارات الباليوليتي⁽⁴¹⁵⁾ الأسفل:

لقد أظهرت الأبحاث الأثرية أن منطقة الصحراء الوسطى قديمة التعمير فقد وجدت فيها آثار تعود إلى بدايات الحضارة الإنسانية، حيث سكنها الإنسان الأول وترك فيها مخلفاته المادية والحضارية، وهي إلى جانب ذلك تمتلك تراثاً حضارياً يمتد إلى مختلف العصور فقد ترك الإنسان فيها بصماته التي لا تزال ماثلة إلى اليوم في العديد من المناطق، وتعود أقدم الآثار الموجودة بالمنطقة إلى بداية ظهور الإنسان على الأرض .

أ – الحجارة المشذبة:

يعتبر الباحثون أن الإنسان الذي يطلق عليه "شبه القردي" والذي يعرف علمياً بـ "الأسترالوبتكويس" (Australopithecinae)⁽⁴¹⁶⁾ مسؤول عن أولى الإنجازات الحضارية على سطح الأرض⁽⁴¹⁷⁾، وقد أظهرت الأبحاث أن أقدم المنجزات الحضارية تعود إلى حوالي

⁽⁴¹⁵⁾ نستخدم مصطلح "الباليوليتي" للدلالة على العصر الحجري القديم، ومصطلح "الايبي باليوليتي" للدلالة على العصر الحجري القديم المتأخر، ومصطلح "النيوليتي" للدلالة على العصر الحجري الحديث، وذلك رغم كونها مصطلحات أجنبية من أجل تيسير الأمر على القارئ وتقديراً للتكرار.

⁽⁴¹⁶⁾ لقد ساد نقاش كبير في الماضي وفي الحاضر حول نظرية التطور التي تدعي أن الاجداد الأوئل للإنسان هم القرود ، وهو ما يخالف التعاليم الدينية ، وبالنسبة لنا فإنه لا شك أن الانسان قد حدثت عليه عملية تطور فالانسان الاول مختلف على الانسان الحالي ، ولكنه تطور في النوع البشري في حد ذاته دون أن يكن منحدر من جنس آخر ، فالناس القدماء كانوا يعمرن طويلاً مثل سيدنا نوح عليه السلام وهو ما يعني تركيبة جسمية مختلفة عنا ، قال الله تعالى : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ » سورة العنكبوت، الآية 14 ، وبعضهم أعطاهم الله قدرات جسمية كبيرة وهم قوم هود عليه السلام ، فقد قال تعالى : « وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ » سورة الأعراف، الآية 69 ، وجاء في آيات أخرى أن الله كرم بني آدم ، فقد قال تعالى : « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » سورة التين، الآية 04 ، وقال أيضاً : « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » ، سورة الاسراء، الآية 70 ، ولا شك أن الاجناس البشرية التي وجدت بقاياها في مختلف المناطق والتي أعطى لها الباحثون أسماء مختلفة، ماهية إلا تغيرات حدثت على الانسان عبر الزمن والله تعالى يأتي بخلق بعد خلق ، فقد قال عز وجل : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ » ، سورة ابراهيم، الآية 19 ، للمزيد من المعلومات حول مختلف الاجناس البشرية وخصائصها ، ينظر :

D. Johanson. and Edey, M Lucy., 1981, The Beginnings of Humankind ،Simon and Schuster, New York, 348 p

⁽⁴¹⁷⁾ يعتقد الباحث هنري لوهيرو أن حضارة الحصى المشذبة تنسب إلى كل من الإنسان شبه القردي والإنسان الماهر اللذان كانا يعيشان في وقت واحد، ينظر: Henry N. Le Hou'rou., 1997, op.cit. p632 ، لكن يبقى هناك اختلاف بين الباحثين حول من هو أول من قام بنشذيب الحجارة ، فحسب الباحثة " أوماسيب" فإن الصناعة الحجرية الأولى

2.95 مليون سنة وتتضمن في حجارة أحدثت عليها تعديلات حيث أصبحت تشبه رأس إنسان وقد وجدت في كهف "ماكابنسقات" (Makapansgat) شمال جنوب إفريقيا، وتعد هذه الحجارة أقدم الصناعات الحجرية التي عرفها الإنسان⁽⁴¹⁸⁾.

وقد أطلق الباحثون تسمية حضارة الحصى المشذبة على أقدم الحضارات الإنسانية التي ظهرت في شمال إفريقيا، لكنها عُرِفَت بأسماء أخرى في مناطق أخرى من العالم، مع العلم أن منطقة شرق إفريقيا كانت هي أقدم المناطق التي وجدت فيها بقايا حضارية للإنسان الأول⁽⁴¹⁹⁾، وقد سميت باسم حضارة "كافوان" (Kafuen) نسبة إلى حوض كافو Kafu في "أوغندا"⁽⁴²⁰⁾، وعُرِفَ شكل آخر من هذه الحضارة باسم "الحضارة الألدوانية" نسبة إلى موقع "الألدوفاي" قرب بحيرة "تانجنيقا" في تنزانيا⁽⁴²¹⁾، وكانت هذه الحضارة قد شغلت جزءاً كبيراً من البلايستوسين الأسفل وهي من الناحية الجيولوجية والستراتوغرافية تعود إلى بداية الزمن الرابع⁽⁴²²⁾.

وبشكل عام تُعد هذه الحضارة أقدم الحضارات الإنسانية، وهي موجودة في شمال إفريقيا في العديد من المواقع منها موقع "عين الحنش"⁽⁴²³⁾ قرب سطيف الذي اكتشفه أرامبورغ (C). (Arambourg) سنة 1947⁽⁴²⁴⁾. وقد توالى على هذا الموقع عدة أبحاث أحدثها تلك التي قام بها محمد سحنوني، وأشارت الدراسات إلى أن هذا الموقع يعد أقدم مواقع ما قبل

تعود إلى 2.6 مليون سنة وهي لا تمثل جنس واحد بل تعود إلى ثلاثة أجناس معاصرة لبعضها البعض، وهي الإنسان القردى بوازي *Australopithecus boisei*، والإنسان القردى المتين *Australopithecus robustus* والإنسان الماهر *Homo habilis*، ينظر: Ginette Aumassip., 2001.p42

⁽⁴¹⁸⁾ Robert G. Bednarik., 2013, op.cit, p8

⁽⁴¹⁹⁾ حول الحضارات الأولى في شرق إفريقيا، ينظر:

SONIA COLE.,1956, The Prehistory of East Africa, American Anthropologist, Volume 56, Issue 6 ,December 1954, pp1026–1050, ،

⁽⁴²⁰⁾ R .De Bayle Des Hermens., 1980, Préhistoire De L 'Afrique Centrale، Partie 1, Histoire Générale De L'afrique، Volume 1, Unesco, 1980, P567

⁽⁴²¹⁾ Gabriel Camps., 1974, op.cit.p14

⁽⁴²²⁾ Lionel Balout., 1972, op.cit, p15

⁽⁴²³⁾ يعتبر موقع عين الحنش أهم موقع حضاري في شمال إفريقيا ، فقد توالى عليه عدة دراسات حيث قام الباحث "بومال" A POMEL بدراسة البقايا الحيوانية والنباتية فيه ولاحظ بانها مشابهة لتلك الموجودة في "عين بوشيرات" بتونس التي تعود أيضا نفس الفترة، وقد بحث فيه أيضا "أرامبورغ" حيث اكتشف بقايا حجارة مشذبة مع عظام حيوانات، كما قام بدراسة هذا الموقع سحنوني الذي صنف البقايا الحيوانية الموجودة فيه ، ويعتبر هذا الموقع من المواقع القليلة التي عرفت وجودا بشريا متواترا عبر الزمن، ينظر: Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit.P38

⁽⁴²⁴⁾ Gabriel Camps., 1974, op.cit, p14

التاريخ في شمال إفريقيا، لذلك نرى أنه من المفترض أن نسمى حضارة الحصى المشذبة في شمال إفريقيا باسم "حضارة عين الحنش" نسبة لهذا الموقع المهم الذي يشكل مركزاً حضارياً يضم أيضاً كل المواقع الأخرى القريبة منه كجبل "المقسم" قرب سطيف و"الخربة" في نفس المنطقة، كما توجد مواقع أخرى غير بعيدة عنه كهضبة "المنصورة" بقسنطينة و"نقرين" في أقصى الشرق الجزائري، ووادي "سباو" بمنطقة القبائل وموقع "العمارية" قرب المدية، وهناك مواقع كثيرة تعود لنفس الحضارة في المغرب الأقصى لكنها متأخرة نوعاً ما. (425)

أما في الصحراء فإن آثار الحياة تعود إلى فترة البلايستوسين الأسفل حيث وجدت آثاراً تعود إلى حضارة الحصى المشذبة والأشولية القديمة في مواقع مختلفة منها في جبال الأتاكور بالهوقار (426).

وكان يُعتقد أن حضارة الحصى موجودة في ثلاثة مواقع فقط هي موقع رڨان (427) و"عرق بورحراحت"، وموقع "الولف" (Aoulef) الذي يقع في أدرار (428)، لكن هناك مواقع أخرى تم اكتشافها مثل "إن أفيلاله" (In Afaleleh) قرب جانت ومواقع أخرى على طول وادي تفاساست، وفي شمال الهوقار اكتشف هنري هوجو (H.J. Hugot) بقايا حضارية تعود لتلك الحضارة في "حاسي الخنيق" (Khenig el Hassi) و"تاكمبارت" (Takoumbaret) و"منيت" و"أراك" و"تين زواتين" وتم التعرف على بقايا أخرى في "التيديكلت" بأدرار على بعد 120 كلم شرق عين صالح، وفي "إن جران" (In jerane) بتادراوت الجنوبية، وفي "برج تان كانا" (Tan Kena) (429) الذي اكتشفه عبد القادر حدوش (430).

أما خارج نطاق الصحراء الوسطى فقد وجدت هذه الحضارة في فزان قرب بحيرة "شاتي" المتحجرة، وفي وادي "أشاشاتي" وحوض "أوباري"، وحمادة زكار وهي مشابهة من

(425) Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit, pp38-39

(426) jean faber., 2005, op.cit, p461

(427) قام باكتشاف هذا الموقع ب بيرسون P. BIBERSON ، وهو متأخر قليلا في الزمن عن موقع عين الحنش، ينظر: Gabriel Camps., 1974, Op.Cit.P16

(428) Gabriel Camps., 1974, Op.Cit.P15

(429) للتعرف على البقايا في هذا الموقع، ينظر:

A Heddouche., 1986, Étude de l'industrie du gisement néolithique de Bordj Tan Kena. Illizi (Algérie), dans: Libyca, XXXII-XXXIV, pp139-157.

(430) Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit, P39

حيث الصناعة للحضارة الألدوانية⁽⁴³¹⁾، وهذه الحضارة تتميز بحجارتها كبيرة الحجم وهي مشذبة من جهة واحدة أو من عدة جهات، مع أنها تختلف من منطقة لأخرى ففي "برج تان-كانا" وصل طول الحجرة إلى 22 سم وعرضها إلى 16 سم وسمكها 11 سم، وبلغ وزنها في المتوسط بين 1 و1.5 كلغ، أما في موقع الولف Aoulef فهي ذات حجم صغير حيث يتراوح طولها بين 6 و8 سم، وفي رقان حجمها أصغر فهو بين 32 و71 مم فقط ولعلها قد تطورت عبر الزمن لتصبح عبارة عن شظايا، أما نوع الحجرة المستخدمة فهي من الكوارتز والكوارتزيت وقليلًا ما تكون من الحجر الرملي أو من الصوان⁽⁴³²⁾. (الشكل 01)

وتُوصف هذه الحضارة بأنها معاصرة أو متأخرة قليلًا عن الحضارة الألدوانية في شرق إفريقيا، فقد أُرّخ موقع "عين الحنش" من طرف "سحنوني" بزمان يتراوح بين 1.95 و1.77 مليون سنة، وهو إلى جانب ذلك له أهمية كبيرة في التعرف على بداية ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا⁽⁴³³⁾، بينما أرخت المواقع الصحراوية الأخرى التي تعود لهذه الحضارة بطريقة البوتاسيوم-أرغون بما يقارب 1.000.000 سنة⁽⁴³⁴⁾، ونشير هنا إلى عدم وجود بقايا عضوية للإنسان صاحب هذه الحضارة سواءً في شمال إفريقيا أو في الصحراء بينما وجدت بقاياها في شرق إفريقيا فقط .

ب- الحضارة الأشولية:

انتشرت هذه الحضارة في كل أنحاء العالم، وتُعرف بكونها حضارة الفؤوس اليدوية والحجارة ذات الوجهين، وهي متأخرة زمنيًا في شمال إفريقيا مقارنة بمثيلاتها في أوروبا أو في شرق وجنوب إفريقيا وقد شهدت انتشار موجة "الإنسان المعتدل"⁽⁴³⁵⁾. والمعروف أن الحضارة الأشولية تعود بدايتها إلى 1.6 مليون سنة في موقع "ستراكوفونتان" (sterkfontein) في جنوب إفريقيا، وفي "العبيدات" في فلسطين تعود إلى 1.4 مليون سنة، أما في أوروبا فأقدم موقع لها هو موقع "أبيفيل" الذي يعود إلى 600 ألف سنة قبل

⁽⁴³¹⁾ Mirazon Lahr and al ., 2010, Preliminary Results From 2010 Fieldwork On The Human Prehistory In The Libyan Sahara, Libyan Studies 41 , 2010, pp151-153

⁽⁴³²⁾ Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit.P40

⁽⁴³³⁾ Mohamed Sahnounia et al ., 2004, op.cit , P744

⁽⁴³⁴⁾ Lionel Balout., 1972, op.cit, P15

⁽⁴³⁵⁾ Henry N. Le Hou'rou., 1997, op.cit, p632

الحاضر، بينما هي متأخرة في شمال إفريقيا إذ أنها تقع ما بين 500.000 و 100.000 سنة قبل الحاضر (436).

وتعتبر الدراسات التي تناولت هذه الحضارة في الصحراء قليلة خاصة بالنسبة للمواقع التي تعود للأشولية النهائية والأمر نفسه يمكن ملاحظته بالنسبة للموسثيرية والعاترية، والملاحظ أن معظم المواقع التي تعود للبلايستوسين الأسفل في الصحراء الوسطى تؤرخ في الفترة النهائية لهذا العصر، وغالبا ما تكون الحجارة ذات وجهين متناثرة في كامل الطبقة الأثرية التي تنتهي بطبقة من الرمال الخشنة كما هو الأمر في تين هناكتن وعرق آدمر وجبل إلارن (437).

وقد مرت هذه الحضارة بعدة مراحل ففي الصحراء هناك دلائل على إقامات إنسانية تعود إلى حوالي 420.000 سنة، و 320.000 سنة، و 250.000 سنة، و 130.000 سنة وهذه الفترات في الواقع تمثل مختلف مراحل الحضارة الأشولية (438)، علما بأن الأشولية القديمة شبيهة "بالأبيفيلية" الفرنسية (439)، أما الأشولية الوسطى فهي متأخرة حيث تقع في فترة ما بين جليدية "مندل" و"ريس" (440)، وفيما يخص الأشولية المتطورة في الصحراء فمواقعها كثيرة وقد تكون معاصرة للمرحلة الجليدية "ريس" أي بين 300.000 و 200.000 سنة قبل الحاضر (441). (المخطط 02)

وقد كانت الأشولية في الصحراء محل أبحاث عديدة من طرف الباحثة نيكول ماري N (Petit-Maire) التي اكتشفت بقاياها في موقع بحيرة "شاتي" الأحفورية في فزان وذلك خلال البلايستوسين الأوسط الذي يتزامن مع المرحلة الجليدية الألبية "ريس" Ress في أوروبا (442).

(436) James B. Harrod., 2014, Palaeoart at Two Million Years Ago? A Review of the Evidence, Art, tome3, pp148-149

(437) Olivier Dutour., 1997, op.cit, p222

(438) Robert Vernet., 2007, op.cit. p36

(439) حول الأبيفيلية ومختلف حضارات الباليوليتي الأسفل في أوروبا، ينظر:

H. Breuil Et Harper Kelley., 1954, Le Paléolithique Ancien Bulletin De La Société Préhistorique De France, T. 51, Fasc. 8, (1954), pp 9-26

(440) Gabriel Camps., 1974, Op.Cit.P21

(441) Lionel Balout., 1972, op.cit. p14

(442) N. Petit-Maire., 1991, op.cit, P 126

وتعتبر الأشولية متواجدة بصفة قليلة في الجهة الشمالية الغربية للهوفا، إذ لا نجدها إلا في موقعين: الأول هو موقع وادي "تين تمارت" (Tin Tamatt) في "إن إيكير" (Inîker) ويتضمن بقايا لحجارة مشذبة إلى جانب بقايا للأشولية القديمة حيث وجدت حجارة ذات وجهين، كما وجدت في نفس الموقع بقايا للأشولية المتأخرة التي تتضمن شظايا ذات حجم كبير، والموقع الثاني هو موقع أمفيد في الشمال الذي يتضمن بقايا للأشولية المتطورة (443).

أما بالنسبة للطاسيلي فالأشولية القديمة وجدت في "تاويرت تان أفلا" (taourirt Tan Afella) قرب إليزي، وفي إهاران (Iherène) وجدت حجارة ذات وجهين وفؤوس يدوية مع بعض الشظايا، وفي عرق تيهوداين نجد الأشولية في مستويين يمثلان مراحل مناخية مختلفة فالمستوى الأسفل يعود إلى الأشولية القديمة (444)، ولعل موقع "تيهوداين" يعد أبرز مواقعها في الصحراء فهو يمثل مراحل مختلفة من الأشولية أقدمها يعود إلى حوالي 400 ألف سنة، مع العلم أن الأشولية المتطورة وجدت بكثافة أكبر في هذا الموقع مقارنة بالأشولية القديمة (445).

والملاحظ أن مواقع الأشولية المتطورة كانت دائما قرب البحيرات المتحجرة، التي انتشرت في الصحراء الوسطى وفي شمال إفريقيا بكل من تونس والجزائر، وفي شمال مالي، والنوبة، فالأشوليون كانوا يصطادون الأسماك إلى جانب الحيوانات البرية، لذلك وجدت بقاياهم في العروق التي كانت بحيرات في السابق، والأمر نفسه بالنسبة للأشولية القديمة فقد وجدت في كل من "إن أفالاله" (In Afâleleh) و"أنوا أو ليلوا" (Anou Oua Lelioua) بعرق آدمير (446)، وفي أدرار إجاله (Adrar Edjeleh) وأواكاروزا (Ouakarouza) جنوب شرق هذا

(443) Pierre Rognon Et Al., 1986, op.cit.P312

(444) Ginette Aumassip ., 2001, Op.Cit, pp 32-33

(445) Marta Mirazón Lahr ., 2010, Saharan Corridors and Their Role in the Evolutionary Geography of 'Out of Africa I'. In: J.J. Fleagle, J.J. Shea, F.E. Grine, A.L. Baden & R.E. Leakey (Eds.) Out of Africa I: The First Hominin Colonization of Eurasia, New York: Springer, p32

(446) يعتبر هذا الموقع من المواقع المهمة في عرق آدمير يبعد عن جانب ب30 كلم في جهة الغرب، وهو يحتوى على بقايا تعود إلى الأشولية وإلى النيوليتي، ينظر :

E.B., 1988, " Anou oua Lelioua ", Encyclopédie berbère, n°5 Aix-en-Provence, Edisud, 1988, pp 695-701

العرق وجدت أشولية متطورة فقد تضمنت هذه المواقع حجارة ذات وجهين وفؤوس يدوية وأدوات ذات تقنية لافلوازية مختلطة معها مما يعني أن الأشولية المتطورة كانت متزامنة مع اللافلوازية أو أقدم منها قليلا في تلك المواقع⁽⁴⁴⁷⁾. (الشكل 02)

أما الأشولية الوسطى فهي قليلة وكان هنري دوفريي (H. Duveyrier) هو أول من اكتشفها سنة 1864 في عرق تيهوداين، ثم قامت عليها عدة أبحاث لموريس ريفاس سنة 1933، ومن الأبحاث الحديثة التي تمت على هذا الموقع أبحاث قام بها الباحث عمر أوصديق⁽⁴⁴⁸⁾، ويتميز هذا الموقع بكثافة الحجارة ذات الوجهين وبضخامة حجمها⁽⁴⁴⁹⁾.

وبخصوص الأشولية النهائية تم التعرف عليها في بحيرة شاتي بفران، فقد وجدت في هذا الموقع بقايا "أشولية" متوضعة تحت بقايا "موسستيرية" و"عاترية"⁽⁴⁵⁰⁾، مع العلم أن الأشولية النهائية ربما استمرت بعد ذلك في الصحراء الجنوبية، فالمواقع الأشولية المكتشفة في أدرار بوس وفي جبال الآير كانت متأخرة حيث أرخت بواسطة فريق أنجلو أمريكي في حدود 60 ألف قبل الحاضر⁽⁴⁵¹⁾.

وإذا كانت مواقع الأشولية قليلة في الصحراء فإن مواقعها في شمال إفريقيا كثيرة، ومن أهمها موقع "سيدي عبد الرحمان" قرب "الدار البيضاء" في المغرب، وموقع "تغنيف" قرب معسكر في الجزائر، وتتمثل أهميتهما في أنهما الموقعان الوحيدان اللذان وجدت بهما بقايا للإنسان المعتدل المعروف باسم "إنسان الأطلس"، ولم يتم العثور على البقايا العضوية لهذا الإنسان في الصحراء، وخلال تلك الفترة لم يكن المناخ مستقراً في الصحراء فقد شهد رطوبة ثم تلاها مناخ استوائي جاف، ولعل البحيرة القديمة لتيهوداين تنتمي إلى الفترة⁽⁴⁵²⁾، مع العلم أن الحضارة الأشولية كانت منتشرة في الصحراء خلال الفترة الجافة أيضاً، وقد

⁽⁴⁴⁷⁾ N. Petit-Maire ., 1991, Op.Cit, Pp125- 126 , Ginette Aumassip., 2004, Op.Cit, P100

⁽⁴⁴⁸⁾ O, OUSSEDIK., 1972 , Les bifaces acheuléens de l'erg Tihodaïne, Sahara central algérien.(Analyse typométrique) , Actes 7^e Sess. Cong. Panaf. de Préhist. et d'Et. du Quat . Addis-Abeba, 1976 (1971), p.153-157.

⁽⁴⁴⁹⁾ Ginette Aumassip ., 2001, Op.Cit, pp32-33

⁽⁴⁵⁰⁾ N. Petit-Maire ., 1991, op.cit, pp125- 126

⁽⁴⁵¹⁾ Boudé, Gado., 1996, op.cit. p273

⁽⁴⁵²⁾ Pierre Rognon., 1967, Op.Cit ,P509

استمرت الحضارة الأشولية طويلا حيث أن بقاياها غطت جميع الفترات بما فيها الجافة منها في شمال إفريقيا كما في الصحراء (453).

وقد مرت بعدة تطورات وتحكمت فيها خصوصا التغيرات المناخية التي شهدتها البلايستوسين، وفي الأخير تنتهي هذه الحضارة بجفاف كبير ضرب المنطقة، حيث أن الحرارة بدأت في الارتفاع منذ حوالي 140.000 سنة قبل الحاضر لتصل أقصاها في حوالي 125.000 قبل الحاضر (454). (المخطط 02)

ثانيا - حضارات الباليوليتي الأوسط:

أ- الحضارة الموسستيرية اللافلوازية:

الموسستيرية هي من أهم حضارات الباليوليتي الأوسط، تعود بدايتها في أوروبا إلى حوالي 200 ألف سنة قبل الحاضر في بعض المناطق (455)، وقيل بأنها كانت ما بين 130 ألف و 110 ألف وأنها تواصلت إلى غاية 40 ألف سنة فهي تغطي كامل الباليوليتي الأوسط، وقد كانت بدايتها متزامنة مع الفترة ما بين جليدية "ريس" و "الفورم" riss- würm ثم تواصلت في جليدية "الفورم"، وتُنسب التسمية إلى كهف "موستيه" في فرنسا، أما أدواتها فهي مصنوعة من الشظايا الدقيقة المشذبة والمديبة الأطراف، وقد استخدمت شظايا من الصوان كسكاكين ومحكات ومكاشط ذات الحافة ومسننات، وانتشرت هذه الصناعة في كامل أفريقيا الشمالية وآسيا و أوروبا (456).

ومن المفترض أن الصناعة الأشولية قد تطورت في المرحلة الأخيرة إلى صناعة لافلوازية موسستيرية (457)، فقد شوهدت في مواقعها الأدوات اللافلوازية إلى جانب البقايا الأشولية المتطورة في العديد من المواقع الصحراوية مثل "تيهوداين" وبحيرة "مرزوق" في فزان فالناس

(453) Henry N. Le Hou´erou.,1997,op.cit, p633

(454) Jean Fabre., 2005, op cit, pp 488-489

(455) Emilie Campmas.,2012, Caractérisation De L'occupation Des Sites De La Région De Témara (Maroc)Au Pléistocène Supérieur Et Nouvelles Données Sur La Subsistance Des Hommes Du Paléolithique Moyen D'afrique Du Nord: Exemples Des Approches Taphonomiques Et Archéozoologiques Menées Sur Les Faunes D'el Harhoura 2 Et D'el Mnasra , Thèse Présentée Pour Obtenir Le Grade De Docteur De L'université Bordeaux 1 , Spécialité : Préhistoire Et Géologie Du Quaternaire , p73

(456) Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit, P 45

(457) تنسب اللافلوازية إلى تقنية لافلوا في فرنسا وهي من بين العديد من التقنيات التي عرفتها الصناعة الموسستيرية

الذين عاشوا هناك تركوا صناعة أشولية تطورت فيما بعد إلى اللفلوازية (Levalloisien) بعد 115000 قبل الحاضر⁽⁴⁵⁸⁾. (الشكل 03).

وفي الوقت الذي اختفت فيه الحجارة ذات الوجهين من المواقع حلت محلها نسبة كبيرة من الشظايا المشذبة وغير المشذبة ابتداءً من 130.000 سنة، وهذه الفترة تمثل تقريباً بداية المرحلة ما بين جليدية "الفورم" التي تقع ضمن البلايستوسين الأوسط، وفي هذه الفترة حدث تطور كبير على الصعيد البشري، حيث ظهر إنسان نياندرتال الذي يعد أقدم أجداد الإنسان الحالي، أما على الصعيد الحضاري فإن هذه الفترة لم يتم التعرف عليها بشكل جيد في شمال إفريقيا وتميزت خصوصاً بأدواتها الفقيرة التي تتضمن الشظايا⁽⁴⁵⁹⁾.

وقد مرت المستيرية بعدة مراحل فقد قسمها ف بوردس (F Bordes) و م بورفون (M. Bourgon) إلى خمسة مراحل بعد دراستهما لموقع "بيروغورد" (Périgord) وحوض السين الفرنسي وهذه المراحل هي: المستيرية ذات التقاليد الأشولية، والمستيرية نمط "كينا" (Quina)، والمستيرية نمط "فراسي" (Ferrassie) والمستيرية المسننة والمستيرية النموذجية، كما تم إضافة مراحل أخرى محلية في كل منطقة وجدت فيها هذه الحضارة.⁽⁴⁶⁰⁾

وقد انتشرت المستيرية والتي يُطلق عليها في شمال إفريقيا اسم اللفلوازية⁽⁴⁶¹⁾ لكونها تشبه صناعة "لافلوا" التي انتشرت في فرنسا خلال الباليوليتي الأوسط، وهي تعود إلى 125 ألف سنة وربما أقدم من ذلك⁽⁴⁶²⁾، أما في شمال إفريقيا فقد انتشرت بين 80.000 و 50.000 قبل الحاضر، وهي متأخرة نوعاً ما عن المستيرية الأوربية التي بدأت في حوالي 130.000 قبل الحاضر⁽⁴⁶³⁾، والمظهر العام للمستيرية في شمال إفريقيا تشبه

⁽⁴⁵⁸⁾ Jean Fabre., 2005, op cit.pp 488-489

⁽⁴⁵⁹⁾ Ginette Aumassip ., 2001, Op.Cit.P 45, Nick A. Drake Et Al., 2011, Op.Cit,P458

⁽⁴⁶⁰⁾ Bordes François ., 1981, Vingt-cinq ans après : le complexe moustérien revisité .In : Bulletin de la Société préhistorique française, 1981. tome78, N °3, pp77-78.

⁽⁴⁶¹⁾ تعتمد التقاليد الصناعية اللافلوازية على الإعداد الدقيق للنواة ذات الشكل المحدب واستخراج مجموعه متنوعة من

الشظايا المختلفة الأحجام يمكن استخدامها مباشرة، وهي منتشرة في شمال إفريقيا، بينما تنتشر المستيرية في أوروبا

والشرق الأوسط ، ينظر : Ginette Aumassip., 2001,Op.Cit.P 45

⁽⁴⁶²⁾ Nick A. Drake Et Al., 2011, op.cit,P458

⁽⁴⁶³⁾ Gabriel Camps., 1974, Op.Cit.P52

الموستيرية الأوربية من نمط فراسي (Ferrassie)⁽⁴⁶⁴⁾، مع العلم أن مواقعها في الصحراء قليلة جدا، ومن بينها موقع قرب "إنكير" في الهوثار وموقع آخر في منيت، أما في الطاسيلي فقد وجدت في تين هناكتن و"تيورينين" (Tiouririne) كما وجدت في الصحراء الشمالية قرب "غرداية" وفي "متيلي"⁽⁴⁶⁵⁾. (المخطط 02).

والجدير بالذكر أن بعض الباحثين ينفي وجودها في بلاد المغرب لكونها لا تختلف كثيرا عن الحضارة العاترية، ولكن تبين أن هذه الحضارة موجودة سواءً على مستوى الأدوات أو على المستوى الأنثروبولوجي، ويعود الفضل للفصل بين الموستيرية والعاترية إلى الباحث ب استورج (P. Estorges) الذي اكتشف موقعاً شمال "واحة بريزينة" (Brézina) في الأطلس الصحراوي، وهو يتضمن مستويين تفصل بينهما طبقة من الرمال الخشنة والحصباء حيث يتضمن المستوى الأسفل صناعة شظية خشنة ذات تقنية "لافلوازية" وحجارة مشذبة، بينما يحتوى المستوى العلوي على صناعة عاترية⁽⁴⁶⁶⁾.

وتتضمن أدوات هذه الصناعة شظايا كبيرة تشبه النصال الكبيرة، إلى جانب أدوات خشنة لكنها لا تصل إلى حجم الأشولية، فبعض النصال التي اكتشفت في "تين تمات" السابقة الذكر يصل طولها إلى 27 سم، وبعضها يصل إلى 29 سم⁽⁴⁶⁷⁾، وعلى العموم فإن مواقعها تعد قليلة مقارنة بالحضارة العاترية التي تلتها في الزمن، ومن بين مواقعها في شمال إفريقيا: القطار، ووادي عكرت، وسيدي منصور، وعين مترشم وعين محروثة، وسيدي الزين وهي مواقع تونسية، أما في الجزائر فنجدتها في كل من الرتيمة ورأس تنس، كما وجدت في ثلاثة مواقع مغربية هي: تافوغالت، وكيفان بلغماري، وجبل أرحود⁽⁴⁶⁸⁾، وفي ليبيا تعود البقايا الموستيرية في موقع هوافتيح شمال ليبيا إلى حوالي 80 ألف سنة قبل الحاضر⁽⁴⁶⁹⁾.

⁽⁴⁶⁴⁾ Emilie Campmas., 2012, op.cit , p73

⁽⁴⁶⁵⁾ Gabriel Camps., 1974, Op.Cit.P52

⁽⁴⁶⁶⁾ Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit.P 48

⁽⁴⁶⁷⁾ Ibid , pp50-51

⁽⁴⁶⁸⁾ Gabriel Camps ., 1974, Op.Cit.P23

⁽⁴⁶⁹⁾ N. Petit-Maire., 1991, Op.Cit.P125

وقد مثل هذه الحضارة الإنسان العاقل الذي وجدت بقاياها في جبل "إرحود" في المغرب الأقصى⁽⁴⁷⁰⁾، وهو يعتبر الإنسان العاقل القديم⁽⁴⁷¹⁾، ورغم أن إنسان نيادرتال⁽⁴⁷²⁾ يعتبره الكثيرون مثلاً لهذه الحضارة، إلا دراسات حديثة تمت على كهوف "تمارا" و"دار السلطان" بالمغرب الأقصى، قد أدت إلى إعادة النظر في المعلومات السابقة، فقد تبين أن إنسان هذه الحضارة لم يكن أصله من "الإنسان المعتدل" الذي انتشر في أوروبا وفي الشرق الأوسط مثلما كان يُعتقد، لكن أصوله تعود إلى "الإنسان الأطلسي الموريتاني" (ATLANTHROPUS MAURITANICUS)، وهذا يعني وجود سلسلة بشرية في شمال إفريقيا تمتد من الأشولية إلى العاترية⁽⁴⁷³⁾.

مع العلم أن إنسان نيادرتال ربما كان موجوداً في شمال إفريقيا، ويعود أول تواجد لهذا الإنسان إلى حوالي 400 ألف سنة واستمر إلى 30 ألف سنة وقيل بأنه استمر في التواجد بعد ذلك أيضاً فقد أرخت مواقع متأخرة له في موقع "بيزافيا" في الأورال شمال روسيا بـ 27000 قبل الحاضر⁽⁴⁷⁴⁾، وأرخت بقايا أخرى له في مضيق جبل طارق وفي جنوب البرتغال بحوالي 30 ألف سنة قبل الحاضر⁽⁴⁷⁵⁾.

⁽⁴⁷⁰⁾ Emilie Campmas., 2012, op.cit , p94

⁽⁴⁷¹⁾ Abdeljalil Bouzouggar ., 1997, Matières Premières, Processus De Fabrication Et De Gestion Des Supports D'outils Dans La Séquence Atérienne De La Grotte Des Contrebandiers A Témara, Thèse De L'université Bordeaux I pour Obtenir E Gade De Docteur ,Speciatie : Préhistoire Et Geologie Du Quaternaire, p11

⁽⁴⁷²⁾ للمزيد من التفاصيل عن إنسان جبل ارحد ، ينظر :

Jean-Jacques Hublin ، Anne-Marie Tillier ، J Tixier., 1987, L'humérus d'enfant moustérien (Homo 4 du Djebel Irhoud (Maroc) dans son contexte archéologique, In : Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris ، XIV °Série ، tome 4 fascicules. 1987 ، 2 ، pp115-141.

⁽⁴⁷³⁾ Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit.P54

⁽⁴⁷⁴⁾ T.H van Andel, W. Davies & B. Weninger., 2003, The Human Presence in Europe during the Last Glacial Period I. Human Migrations and the Changing Climate. Chapter 4, in : Neanderthals and modern humans in the European landscape during the last glaciation: archaeological results of the Stage 3 Project, Publisher: Cambridge: McDonald Institute for Archaeological Research monographs ., Editors: T.H. van Andel; W. Davies , p45

⁽⁴⁷⁵⁾ Rachel E. Wood, Cecilio Barroso-Ruiz, Miguel Caparrós, Jesús F. Jordá Pardo, Bertila Galván Santos, and Thomas F. G. Higham ., 2013, Radiocarbon dating casts doubt on the late chronology of the Middle to Upper Palaeolithic transition in southern Iberia., February 19, 2013 , vol110 , n° 8 , pp2781-2786

ب- الحضارة العاترية :

العاترية هي حضارة محلية أُكتشف موقعها الرئيسي في وادي الجبانة بمنطقة بئر العاتر قرب تبسة، وهي تتميز بأدواتها الحجرية ذات العنق، وقد امتدت زمنيا بين 45 ألف سنة و 20 ألف سنة، ولم يتم التعرف على هذه الحضارة منذ البداية فقد كان يُعتقد أنها بقايا تعود للموستيرية، لكن بفضل اكتشاف موقع "بئر الجبانة" القريب من بئر العاتر بتبسة، تبين للباحثين أن الأمر يتعلق بحضارة مختلفة عن الموستيرية، وقد تم الاعتراف بها في مؤتمر ما قبل التاريخ في "مونبولي" بفرنسا 1922، واعتبرت سابقة زمنيا للحضارة السوليتيرية الأوربية⁽⁴⁷⁶⁾ ⁽⁴⁷⁷⁾. ومع ذلك ظل الجدل قائما حولها حيث اعتبرها بعض الباحثين مرحلة حديثة من الموستيرية وقد اعتبرت العاترية في طنجة المغربية جزء من السوليتيرية الأوربية، فقد أظهرت البقايا الموجودة في مغارة العالية شيها بأدوات هذه الحضارة ⁽⁴⁷⁸⁾.

ومن المفترض أن العاترية قد غطت جزءاً كبيراً من الباليوليتي الأوسط، وأناس الحضارة العاترية من الممكن أنهم ظهرت منذ حوالي 80 ألف سنة وفق ما يذكر الكثير من الباحثين ، ولكن ساد جدال بين الباحثين حول الانتقال من الموستيرية إلى العاترية، ورغم أنه اصطلح على تمييز العاترية عن الموستيرية بالأدوات ذات الساق⁽⁴⁷⁹⁾، وكان كامبس قد حدد بدايتها بحوالي 40 ألف سنة في شمال إفريقيا، ولعلها كانت متزامنة مع العديد من الحضارات الأوربية كحضارة "شتال بيريني"(Châtelperronien)⁽⁴⁸⁰⁾ والحضارة "الأورغناسية"

⁽⁴⁷⁶⁾ السوليتيرية من حضارات الباليوليتي الأعلى ظهرت في جنوب غرب إسبانيا وفي البرتغال في 20 ألف قبل الحاضر، ثم بشكل متأخر ظهرت في فرنسا، ينظر :

Janusz K. Kozlowski., 2005, Paléolithique supérieur et Mésolithique en Méditerranée : cadre culturel, L'anthropologie 109, p528

⁽⁴⁷⁷⁾ M. Reygasse. 1922, Note au sujet de deux civilisations préhistoriques africaines pour les quelles deux termes nouveaux me paraissent devoir être employés, in: XLVIème session de l'Association française pour l'avancement des Sciences, Montpellier, pp. 467-472.

⁽⁴⁷⁸⁾ Georges Laplace., 1962, Solutrén Et Foyers Solutréens Essai De Typologie Analytique Sur Le Phénomène De Solutréanisation, Munibe, n°14, pp415,421

⁽⁴⁷⁹⁾ Emilie Campmas., 2012, op.cit, p5

⁽⁴⁸⁰⁾ حضارة شتال بيريني Châtelperronien تنتشر هذه الحضارة في جنوب غرب فرنسا والجلال الوسطى في إسبانيا بالإضافة إلى شمال إسبانيا، ووسط أوروبا بما فيها إيطاليا، تحمل هذه الحضارة بعض الملامح الموستيرية ، تؤرخ هذه الحضارة بين 38.000 و 33.000 قبل الحاضر، ينظر: Janusz K. Kozlowski., 2005, op.cit, p52

(Aurignacien) و"الغرافيتية" (Gravettien) ⁽⁴⁸¹⁾، و"البروغوردية وربما كانت نهايتها متزامنة مع بداية السوليتيرية الأوربية" ⁽⁴⁸²⁾ .

وقد تميزت بكثرة الشظايا والنصال مع وجود تقنية لافلوازية في مرحلتها القديمة، ووجود أدوات ذات الساق والتي تزداد أكثر في المراحل المتطورة، ومن بين أدواتها رؤوس السهام الخشنة والنصال الكبيرة والمتوسطة التي أصبحت أكثر دقة في المرحلة المتطورة، وقد أطلق موريس ريفاس تسمية "العاترية" في سنة 1922 على مختلف البقايا الحجرية المزودة بساق، ولكن ج . تيكسي (J. Tixier) اعتقد أنها مرحلة من المستيرية تميزت بتقنية التقصيب اللافلوازية التي تُمكن من صنع نصال ومكاشط وأدوات مختلفة مزودة بساق منها رؤوس سهام كبيرة، لكن فيما بعد تم الإقرار بأن هذه الحضارة منفصلة عن المستيرية ⁽⁴⁸³⁾. (الشكل 03).

وقد انتشرت في رقعة جغرافية واسعة حيث شملت شمال إفريقيا وامتدت إلى الصحراء، كما وُجدت في مصر والسودان وإثيوبيا والصومال وفي غرب واد النيل وقيل بأنها امتدت إلى جنوب إفريقيا، وامتدت أيضا إلى الشرق فقد ظهرت مواقعها في فلسطين وفي شبه الجزيرة العربية ⁽⁴⁸⁴⁾، وإلى جانب اتجاهها شرقا نحو شبه الجزيرة العربية وفلسطين اتجهت غربا إلى المحيط الأطلسي، واجتازت الصحراء لتصل لمنطقة الساحل حيث سجلت في العديد من المناطق مثل التينيري شمال النيجر والإينيدي بتشاد ⁽⁴⁸⁵⁾.

⁽⁴⁸¹⁾ الغرافيتية Gravettien : كانت هذه الحضارة بين 29 ألف و 19 ألف سنة قبل الميلاد انتشرت في كامل أنحاء أوروبا ، وقد أصبحت الأدوات الحجرية والعظمية فيها خفيفة وأكثر دقة وتطورا، ينظر:

Pascal Foucher Et Al., 2008, Le Le Gravettien des Pyrénées, in :Le Gravettien: entités régionales d'une paléoculture européenne, Actes du colloque des Eyzies, juillet, 2004, Paléo 20, pp331-356.

⁽⁴⁸²⁾ Gabriel Camps., 1974, Op.Cit,P35

⁽⁴⁸³⁾ Ginette Aumassip ., 2001, Op.Cit.P55

⁽⁴⁸⁴⁾ Lionel Balout., 1955, préhistoire de l'Afrique du nord, essai de chronologie, Art Et Métier Graphique .paris, p334

⁽⁴⁸⁵⁾ M.-L. Inizan et al ., 1995, Technologie de la pierre taillée, Publié par le Cercle de Recherches et d'Etudes Préhistoriques CREP ,tome 4, p27

وبالنسبة للإنسان صانع هذه الحضارة فهو بلا شك الإنسان العاقل وقد عثر على بقايا العضوية في الكثير من المواقع بصفة خاصة في المغرب الأقصى حيث عثر على بقايا في كهف دار السلطان 2 وفي كهف الزهرة بالحريرة وفي كهف تمارة، ومغارة العالية قرب طنجة وفي موقع الصخيرات قرب الرباط، كما عثر على بقايا عضوية للعاترية في مصر في نزلة خاطر بمصر العليا.⁽⁴⁸⁶⁾

وفيما يخص أصولها ذكر "تومسن" (C Tompson) أن أصلها من الشرق مثل بقية الحضارات الإنسانية، غير أن الكثير من الباحثين يعارضون هذا الرأي على رأسهم ليونال بالو الذي يرى أنها أصيلة في المنطقة⁽⁴⁸⁷⁾. ورغم أن مواقع هذه الحضارة منتشرة في رقعة واسعة من شمال إفريقيا والصحراء إلا أن الفترة التي انتقلت فيها إلى الصحراء كانت محل جدال بين الباحثين، فقد ذكر جون فابر (Jean Fabre) أن مواقعها الصحراوية متأخرة قليلا عن الشمال الإفريقي، وذلك لوجود فترة جافة كانت تمر بها الصحراء في البلايستوسين الأعلى تم تسجيلها في بحيرة تشاد الجنوبية بين 50.000 و 40.000 قبل الحاضر⁽⁴⁸⁸⁾.

وفي المقابل جمعت تواريخ قديمة في منطقة فزان مما يطرح فرضية أصولها الصحراوية⁽⁴⁸⁹⁾، وإذا كانت العاترية قديمة في الصحراء فهي متأخرة⁽⁴⁹⁰⁾ في المغرب الأقصى حيث تعود إلى 28 ألف قبل الحاضر في موقع دار السلطان في الدار البيضاء وإلى 30400 قبل الحاضر في موقع تافوغالت⁽⁴⁹¹⁾.

وقد مرت هذه الحضارة بثلاثة مراحل هي:

أما العاترية القديمة فأغلب مواقعها موجودة قرب ساحل البحر المتوسط وهي قريبة من الحضارة الموسستيرية ومن مواقعها في المغرب الحنك ودار السلطان، عين الجماعة، وفي الجزائر: الخروبة، أرزيو، وكدية بوغرارة، وعلى باشا، وفي تونس رقبة بلقاسم والرأس الأسود

⁽⁴⁸⁶⁾ André DEBENATH., 1992, Hommes Et Cultures Matérielles De L'atérien Marocain, L'anthropologie- Paris, Tome 96 ; N°4, P712-714

⁽⁴⁸⁷⁾ Lional Balout., 1955, op.cit.p334

⁽⁴⁸⁸⁾ Jean Fabre., 2005, op cit .p489

⁽⁴⁸⁹⁾ M.-L. Inizan et al ., 1995, op.cit, p27

⁽⁴⁹⁰⁾ مسألة تأخر المواقع الحضارية في سواحل المغرب الأقصى طرحت أيضا في الحضارة الإيبيرومغربية، أنظر ما سيأتي عن الحضارة الإيبيرومغربية.

⁽⁴⁹¹⁾ Gabriel Camps ., 1974, op.cit. P35

والمونستر، وقد وجد في مواقعها بقايا للتقنية اللافلوازية مما جعل الباحث كامبس يعتقد أن العاترية ولدت من رحم المستيرية⁽⁴⁹²⁾، وتقل في هذه المرحلة الأدوات ذات الساق، أما نوع الحجارة فهي من الكوارتزيت والحجارة البركانية والجيرية ونسبة قليلة من الصوان⁽⁴⁹³⁾، ومن المرجح أن الأدوات المستيرية ضلت موجودة في هذه المرحلة بشكل كبير خاصة الأوتاد المثقوبة والحجارة ذات الوجهين⁽⁴⁹⁴⁾.

أما العاترية النموذجية تقع معظم مواقعها في الجزائر وهي تحتوي أدواتها على النصال ذات العنق، ومن مواقعها "وادي الجبانة" ببئر العاتر و"وادي جوف"، و"بئر الشعشاع" بالشرق الجزائري⁽⁴⁹⁵⁾، وفي هذه المرحلة ضلت التقنية اللافلوازية موجودة مع كثرة النصال، والمكاشط، والأدوات ذات الساق المشذبة من الوجهين⁽⁴⁹⁶⁾.

وتتميز العاترية العليا بوجود نسبة قليلة من الصوان مع وجود أدوات ذات وجهين، وقد وصلت العاترية في هذه المرحلة إلى المغرب الأقصى، ومن مواقعها: طنجة، تيت مليل، المغارة العليا، دار السلطان، عين تاكيليت، كما امتدت إلى الصحراء ويحتمل أنها تواصلت في بعض المناطق من الصحراء الجنوبية إلى غاية النيوليتية⁽⁴⁹⁷⁾.

1- العاتريون في الصحراء:

اتجه العاتريون نحو الطاسيلي والهوقار في فترة مبكرة، أما الصحراء الجنوبية ومنطقة الساحل الحالية فاتجهوا إليها بعد حلول الجفاف في الصحراء في حوالي 20 ألف قبل الحاضر⁽⁴⁹⁸⁾، وقد اختلف الباحثون في الزمن الذي انتقل فيه العاتريون إلى الصحراء إذ يرى هنري هوجو أنهم انتقلوا إلى الصحراء من الجنوب القسنطيني في حوالي 30 ألف سنة، وقد

⁽⁴⁹²⁾ Gabriel Camps ., 1974, op.cit. p30

⁽⁴⁹³⁾ Georges Laplace., 1962, op.cit, p415

⁽⁴⁹⁴⁾ André DEBENATH., 1992, op.cit, P711

⁽⁴⁹⁵⁾ Marta Mirazón Lahr et al .,2011, Prehistoric Sites In The Wadi Barjuj, Fazzan Libyan Sahara, Libyan Studies 42 (2011),pp117,122,135

⁽⁴⁹⁶⁾ Georges Laplace., 1962, op.cit, pp415-416

⁽⁴⁹⁷⁾ Marta Mirazón Lahr and al ., 2011, op.cit. pp117

⁽⁴⁹⁸⁾ Piere Rognone ., 1989 ,Op.Cit, P 11

توزعوا في الصحراء الشمالية أولا ثم الوسطى ومنطقة الساورة ثم الصحراء الغربية، وخلال المرحلة الثانية من العاترية استقروا في الشطوط والبحيرات الداخلية الصحراوية حيث وجدت أدواتهم في المستويات السفلى⁽⁴⁹⁹⁾ .

وقد ترك العاتريون الكثير من أدواتهم وبقاياهم في المواقع الصحراوية ومن بينها: تين هناكن و تيوريرين⁽⁵⁰⁰⁾ (Tiouririne)، ويعتبر موقع تيوريرين (Tiouririne) القريب من تيهوداين من المواقع الهامة، إذ يتميز بحجمه الكبير حيث تصل مساحته إلى كيلومتر مربع واحد تقريبا، وإلى جانب تلك المواقع وجدت آثار للعاترية في الإيميدر (Immidîr) و"منيت" (Méniet) اللذان قام بالبحث فيهما "هنري هوجو"، أما في "التيديكلت" فنجد آثارهم في موقع كبير بوادي "أسريول" (Asrioul) حيث تتواجد الآثار ضمن مساحة واسعة تمتد لعدة كيلومترات، وتتواجد البقايا العاترية بقوة في وادي الساورة، وعرق آدم، وتيهوداين (tihoudaine)، وأدرار بوس بالنيجر⁽⁵⁰¹⁾.

ومن بين مواقعها في الهوقار موقع "أهنات" وهو من المواقع الأولى الذي قام بدراستها الباحث أرامبورغ (Aramborg C)، أما موقع "تيديكلت" فقد تمت دراسته من طرف هوجو (Hugot H G) وهو يقع في عين صالح، ومن المواقع الصحراوية أيضا وادي الساورة و تلبالة أيضا، وتتميز الصناعة الصحراوية بنسبة كبيرة من الكوارتز بينما يقل فيها استعمال حجر الصوان، وتميزت أيضا بكثرة السهام والأزاميل والأدوات المثلثية الشكل⁽⁵⁰²⁾.

وهناك دراسات حديثة أظهرت وجود العاترية في تادارات أكاكوس المحاذية للطاسيلي ، فقد وجدت هذه الآثار في كهفي "وان تابو" (uan tabou) و"وان أفودا" (uan afuda)، وفي كهف هوافتيح (Haua Fteah) في ليبيا أعطت البقايا العضوية تواريخ قديمة جدا فقد أرخت في حدود 3200 ± 45000 ق.م⁽⁵⁰³⁾. كما جمعت تواريخ قديمة في الصحراء أيضا

⁽⁴⁹⁹⁾ محمد الصغير غانم ، 2003، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب، الجزائر : دار الهدى ،ص 75

⁽⁵⁰⁰⁾ Marta Mirazón Lahr et al., 2011, op.cit.pp117,122,135,Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit, P53

⁽⁵⁰¹⁾ Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit, pp62-63

⁽⁵⁰²⁾ محمد الصغير غانم، 2003، المرجع السابق، ص 74-75

⁽⁵⁰³⁾ Mauro Cremaschi., Savino Di Lernia., 1998, Some Insights on the 'Elena A. A. Garcea Aterian in the Libyan Sahara: Chronology, Environment, and Archaeology', African Archaeological Review, Vol. 15, No. 4, 1998, p261

حيث أرخت مواقع وادي الساورة وفزان بما بين 45.000 و 35.000، أما مواقع العاترية النهائية فالتواريخ المسجلة فيها تعود إلى ما بين 16.000 و 14.000 في الطبقة العلوية من وادي الساورة .

ومن الناحية المناخية يمكن القول أن المناخ كان رطباً في معظم الفترات التي شغلتها الحضارة العاترية وهي تتناسب مع البلايستوسين الأعلى في أوروبا، وقد تزامنت تلك الفترة مع انتشار كبير للأنهار والبحيرات في أنحاء الصحراء، ففي فزان تم تسجيل ظهور بحيرات صغيرة في حوالي 40.000 و 26000 سنة قبل الحاضر، وسجل وجود بحيرات في شمال النيجر بين 26.000 و 20.000 قبل الحاضر⁽⁵⁰⁴⁾، وعلى العموم الفترة ما بين 38 ألف و 19 ألف سنة قبل الحاضر كانت رطبة في كامل الصحراء وهي تتناسب مع العاترية⁽⁵⁰⁵⁾.

وفي الفترة التي شغلتها الحضارة العاترية كانت أوروبا لا تزال تحت رحمة العصر الجليدي الأخير "الفورم"، الذي شهد أيضاً فترات ما بين جليدية انحصر فيها الجليد، حيث تم التعرف على ثلاثة فترات في عصر الفورم الجليدي وهذه الفترات امتد فيها الجليد بشكل كبير وتخللتها فترات ذات مناخ مناسب (المخطط 02).

أما بخصوص الفترة التي انتهت بها العاترية فقد كان المناخ فيها جافاً وقاسياً وقد بلغ الجفاف ذروته في 18.000 ألف سنة قبل الحاضر وهو ما يتزامن مع المرحلة النهائية لجليدية "الفورم" التي كانت قوية، فقد انخفض مستوى البحر فيها وارتفعت درجات الحرارة وتوسعت الكثبان الرملية نحو الجنوب، مما يعني وجود صحراء قاسية أكبر من الصحراء الحالية، إذ تم تسجيلها في مواقع تمتد من السنغال إلى وادي النيل وتأثرت بها حتى مجاري الأنهار الرئيسية كوادي النيل⁽⁵⁰⁶⁾.

ويعتقد بيار رنون أن الكثبان الرملية وصلت إلى الصحراء الجنوبية أي إلى الأراضي الواقعة بين 10° و 12° شمالاً واستمرت لعدة آلاف من السنين ويرى هذا الباحث أنها قد

⁽⁵⁰⁴⁾ N. Petit-Maire., 1991, p126

⁽⁵⁰⁵⁾ Babacar sall ., 1998, hommes et cultures du sahara ancien» revue ANKH,n°6/7, pp121-137

⁽⁵⁰⁶⁾ N. Petit-Maire ., 1991, p 127

بدأت في الانحصار تدريجيا ابتداءً من 10500 ق. م⁽⁵⁰⁷⁾، ولكن من الصعب قبول ما ذهب إليه الباحث رنون حول قوة المرحلة الجافة الأخيرة، نظرا لوجود بعض الدلائل على انقطاع هذا الجفاف بفترات رطبة، وهذه الدلائل تتعلق أيضا بالعاترية النهائية (المخطط 03).

2- نهاية العاترية :

لقد ثار جدال كبير حول نهاية العاترية فرغم أن الكثير من الباحثين يعتقدون أن الجفاف هو المسؤول عن نهاية هذه الحضارة في الصحراء إلا أن هناك اختلاف حول شدته ومدته وفيما إذا كانت الصحراء خالية تماما من السكان في ذلك الوقت .

وقد ذكر الباحثون أن تلك الفترة الجافة بدأت وفق معظم الأقوال في حوالي 20 ألف قبل الحاضر، وقد اعتقد كل من روبرت فارني (R VERNET) وجينات أوماسيب، وهنري هوجو (H HUGOT) وغابرييل كامبس (CAMPS) أن المنطقة كانت شبه خالية من السكان بين 20 ألف و 10 آلاف سنة، ولكن بعض الباحثين أكدوا أن ذلك غير صحيح وإن الجفاف لم يدم طويلا (المخطط 03).

ولكن ما يهمنا نحن في هذا الأمر كله هو مصيرُ العاتريين، فالمعروف أن منطقة الساحل الحالية كانت بمنأى عن الجفاف الذي أصاب عموم الصحراء، ومن الممكن أن العاتريين قد التجأوا إلى تلك الأنحاء بسبب قساوة المناخ، ومن المرجح أن بعض البحيرات بقيت صامدة هناك⁽⁵⁰⁸⁾، والكثير من الباحثين يساندون وجهة النظر هذه مثل مليكة حشيد وباربارا باريش وثياري تيلي (thierrey Tillet)، إذ يقول هؤلاء أن الجفاف الذي حدث في حوالي 20 ألف سنة قد أدى إلى زوال العاترية وانتقال العاتريون إلى مناطق أخرى هامشية مثل الصحراء الجنوبية أو إلى شمال إفريقيا أو إلى وادي الساورا⁽⁵⁰⁹⁾ .

⁽⁵⁰⁷⁾ Pierre Rognon ., 1989, Op.Cit.P11.

⁽⁵⁰⁸⁾ Robert Vernet., 2007, op.cit.p36

⁽⁵⁰⁹⁾ Thierry Tillet et Y Callot., 1997, Sahara Nord- occidental : Saoura - Ahnet - Nord Erg Chech, in : Tillet (Dir), Sahara, Paléomilieux et peuplement préhistorique au Pléistocène supérieur, Programme une Internat de Corrélation Géologique (IGCP) 252: Evolution Passée et Future des Déserts. Colloque de Solignac 13-15 juin 1991, L'Harmattan, p19

ومن جهة ثانية استمرت العاترية في الصحراء الجنوبية⁽⁵¹⁰⁾ والساحل إلى ما بعد 20 ألف سنة وفق ما يذكر الباحث تيلي (th Tillet) الذي اكتشف بقاياها في أدرار بوس في التينيري بالنيجر وأرخه ب 16000 ق.م⁽⁵¹¹⁾، كما أن الباحثة جينات أوماسيب تعتقد أيضا أن العاترية استمرت إلى الإيبي باليوليتي l'épipaléolithique (العصر الحجري القديم المتأخر) وذلك نظرا لوجود بقاياها في وادي الساوره في طبقة تؤرخ ب 14350 قبل الحاضر⁽⁵¹²⁾ .

وما يرجح صمود العاتريين في الصحراء الجنوبية وفي بعض المناطق من الصحراء الوسطى هو معطيات مناخية أكدت أن المرحلة المناخية الجافة لم تكن بتلك القوة التي توصف بها فقد انقطعت في حوالي 17000 قبل الحاضر بفترة رطبة سجلت في التيبستي⁽⁵¹³⁾.

وهناك بعد الأدلة التي تدعم ذلك إذ أن بقايا بشرية وجدت في العديد من مواقع الصحراء الجنوبية خاصة في سهل التينيري والآير خلال العصر الحجري القديم المتأخر⁽⁵¹⁴⁾، وكذلك في وادي الساوره وجبال الأكاكوس وفي تين هناكتن وأمكني في الهلوسان المبكر⁽⁵¹⁵⁾، تدل كلها على انقطاع المرحلة الجافة وأنها لم تدم طويلا، ومن الدلائل الأخرى أيضا وجود بقايا عاترية في كهف تمارا (Temara) في المغرب في فترة تعود إلى 12.000 قبل الحاضر، كما يبدو أن العاترية في الساوره صمدت إلى فترة متأخرة⁽⁵¹⁶⁾.

⁽⁵¹⁰⁾ للمزيد من المعلومات حول العاترية في الصحراء الجنوبية ، يرجى العودة إلى :

Thierry Tillet ., 1995, Recherches sur l'Atérien du Sahara méridional (Bassins Tchadien et de Taoudenni), L'homme méditerranéen. Mélanges offerts à Gabriel Camps. Robert CHENORKIAN ed., Laboratoire d'Anthropologie et de Préhistoire des pays de la Méditerranée occidentale (URA 164 du CNRS), Publications de l'Université de Provence, Aix-en-Provence, 1995, pp19-28.

⁽⁵¹¹⁾ Thierry Tillet et Y Callot., 1997, op.cit.p19

⁽⁵¹²⁾ Jitka Soukopova., 2012, Round Heads: The Earliest Rock Paintings in the Sahara, UK: Cambridge Scholars Publishing , pp15-16

⁽⁵¹³⁾ للمزيد من التفاصيل يرجى العودة إلى مبحث المناخ القديم في الصحراء الوسطى ، ص 57

⁽⁵¹⁴⁾ Thierry Tillet., 1997, Op.Cit , P304

⁽⁵¹⁵⁾ H. Camps-Fabrer , Gabriel Camps., 1972, Op.Cit, P21

⁽⁵¹⁶⁾ Ginette Aumassip ., 2001, Op.Cit.P55

ومن جهة ثانية سجل تحول مناخي في حوالي 14.000 قبل الحاضر في بلاد المغرب نتج عنه امتداد الإيبرومغربية جنوباً⁽⁵¹⁷⁾، كما سُجل التحول المناخي أيضاً في جبال التيبستي في حوالي 16.000 قبل الحاضر⁽⁵¹⁸⁾. وبغض النظر عن الرطوبة التي سجلت في بعض المناطق الهامشية من الصحراء الوسطى، فإن عالم المناخ "جون ميلي" قد أكد أن المناطق المرتفعة من الصحراء كانت قد شهدت ظروفًا مناخية مغايرة لتلك التي شهدتها المناطق المنخفضة وذلك بين 20 ألف و12500 قبل الحاضر، وهذا يعني بالطبع أن مناطق الطاسيلي والهوقار كانت أفضل من بقية الصحراء من حيث المناخ.⁽⁵¹⁹⁾

كما أن مرحلة حضارية في الهلوسان المبكر قد شهدتها الصحراء وسماها الباحثون الإيطاليون باسم "الأكاكوس المبكر"، وهي مرحلة تبدأ مع بداية الهلوسان وزوال الجفاف العاتري في حوالي 8000 ق.م، وفي تلك الفترة عاش الصيادون الجامعون وصيادو الأسماك في مناطق الطاسيلي والأكاكوس والهوقار، وهؤلاء السكان يمكن اعتبارهم من مجموعات العصر الحجري القديم المتأخر، وهم قد عاشوا في بيئة رطبة تضمنت عدة حيوانات من بينها الخراف البرية التي كانوا يصطادونها، كما اهتموا إلى اكتشاف الفخار في 7000 ق.م في "وادي التانزوفت" بالأكاكوس.⁽⁵²⁰⁾

إلى جانب تلك الأدلة نذكر أيضاً معطيات مناخية جمعت من أكثر من مصدر قد أكدت وجود ظروف رطبة في كل من حوض الساورة وفي الصحراء الجنوبية وجبال التيبستي، وكذلك وجود مركز حضاري مهم في الصحراء الجنوبية هو "موقع غوبرو" (Gobero) في التينيري شمال النيجر الذي أعطى ما يزيد عن 200 جثة إنسانية⁽⁵²¹⁾، منها ما يعود إلى

⁽⁵¹⁷⁾ Hellal Hemimi, 2011, Réflexion Sur L'extension De l'Ibéromaurusien Au Maghreb A La Fin Du Pléistocène, L'anthropologie 115, 2011, P612

⁽⁵¹⁸⁾ Alain Durand ., 1997, Op.Cit, pp305-306

⁽⁵¹⁹⁾ Jean Maley., 2000, Last Glacial Maximum lacustrine and fluvial Formations in the Tibesti and other Saharan mountains, and large-scale climatic teleconnections linked to the activity of the Subtropical Jet Stream , Global and Planetary Change 26 , p129

⁽⁵²⁰⁾ M ,Cremaschi., And S Di Lernia., 2001, op.cit, p820

⁽⁵²¹⁾ للمزيد من المعلومات حول هذا الموقع وبقايا المجموعات البشرية التي وجدت فيه، ينظر:

M Christopher. Stojanowski, Charisse L. Carver., 2011, Inference of emergent cattle pastoralism in the southern Sahara desert based on localized hypoplasia of the primary canine, International Journal of Paleopathology 1 (2011), pp 9-89

نهاية البلايستوسين، وبعض تلك الجثث تعود إلى الهلوسان المبكر بين 7700- 6200 ق.م والهلوسان الأوسط بين 5200-2500 ق.م⁽⁵²²⁾.

وبالاعتماد على كل تلك المعطيات يمكن القول أن المناخ بين 20.000 و 10.000 قبل الحاضر لم يكن جافاً بشكل كامل بل تخللته فترات رطبة، فقد قسم "جون ميلي" هذه الفترة إلى قسمين، فالفترة بين 20 ألف و 15500 قبل الحاضر شهدت مناخ مختلفاً عن الفترة بين 15500 و 12500 قبل الحاضر⁽⁵²³⁾.

وبغض النظر عن ما أصاب الصحراء من جفاف بعد الحضارة العاترية، فإن منطقة الهوڤار والطاسيلي ضلت تتمتع بأفضلية مناخية بسبب ارتفاعها وموقعها الجغرافي، بالإضافة إلى أن هذه المنطقة كانت تحصل على تأثيرات مناخية قادمة إليها من المناطق الاستوائية، وهو ما يجعلنا نرجح أن أناس الحضارة العاترية ربما يكونوا قد صمدوا هناك إلى بداية الهلوسان، وقد شكل وجودهم هناك قاعدة حضارية سمحت بظهور مراكز ثقافية في البلايستوسين النهائي والهلوسان المبكر.

ثالثاً - ثقافات العصر الحجري القديم المتأخر⁽⁵²⁴⁾ في الصحراء :

مع نهاية البلايستوسين الأعلى انقطعت الرطوبة العاترية بمرحلة صحراوية جافة متزامنة في جميع المناطق، ففي المناطق المنخفضة من الصحراء وفي تيهوداين كما في عين قزام عند الحدود الجنوبية للهوڤار تشكلت الكثبان الرملية، بينما نجد أن آثار هذا التصحر قليلة في المناطق الجبلية⁽⁵²⁵⁾.

ويبدو أنه على العكس مما يذكر بعض الباحثين حول فراغ الصحراء من السكان، فإن معطيات المناخ القديم في بحيرة تشاد تدل على انقطاع ذلك الجفاف بفترة رطبة، مع العلم

⁽⁵²²⁾ Paul C. Sereno et al., 2008, Lakeside Cemeteries in the Sahara: 5000 Years of Holocene Population and Environmental Change, PLoS ONE, August 2008 , Volume 3 , Issue 8, p14

⁽⁵²³⁾ Jean Maley., 2000, op.cit , p121

⁽⁵²⁴⁾ يتراوح الإطار الزمني للعصر الحجري القديم المتأخر بين 20 ألف سنة و 8000 ق.م

Gabriel Camps., 1996, Épipaléolithique ,In : encyclopedie berbère, n° 17, Douiret – Eropaei , Aix-En-Provence ,Edisud Volumes, N° ,P. 26587

⁽⁵²⁵⁾ Jean Fabre., 2005, op cit .pp463-466

أن التغيرات على مستوى بحيرة تشاد لها علاقة بالمناخ في الصحراء الوسطى، وللإشارة فقط فإن بحيرة تشاد تتغذى بجزء من المياه القادمة من جبال الصحراء الوسطى كالهوقار والطاسيلي عبر أودية أحفورية كوادي "التفساسات"، حيث تمثل مستويات تلك البحيرة انعكاس للمناخ السائد في كامل الصحراء، وإلى جانب تغير مستويات بحيرة تشاد هناك معطيات مناخية وحضارية أخرى من جبال التيبستي تسير في نفس الاتجاه، وكذلك بقايا حضارية وأنتروبولوجية من موقع غوبرو "(Gobero)" بالتينيري في النيجر، ومعطيات مناخية وحضارية من وادي الساورة بالجنوب الغربي الجزائري (526).

وإلى جانب تلك المعطيات هناك احتمال أن العاتريين قد ضلوا متواجدين إلى الهلوسان وذلك في بعض المناطق التي تحضي بظروف مناخية جيدة كمرتفعات الهوقار والطاسيلي والتيبستي ووادي الساورة (527)، فقد استطاعت مجموعات منهم اللجوء إلى بعض المناطق التي كانت تتمتع بظروف مناخية مناسبة إلى غاية الهلوسان، وعلى الأقل تم تأكيد وجود العاترية في وادي الساورة إلى غاية 14350 قبل الحاضر (528).

ولكن تلك المعلومات عن صمود العاتريين إلى غاية بداية الهلوسان لا تنفي وجود ظروف مناخية قاسية عند نهاية الحضارة العاترية في الصحراء، فالمؤكد أن المناطق الصحراوية قد شهدت جفافا قاسيا بعد انتهاء الحضارة العاترية مما أجبر الناس على الهجرة واليوم في معظم الأماكن فإن الطبقة الأثرية التي تعود إلى ما بعد العاترية نجدها مليئة بالرمال مما يدل على وجود صحراء كبيرة، فقد اختفت الرياح الموسمية التي تجلب الأمطار، وحلت محلها رياح قادمة من المناطق الاستوائية الحارة، لذلك فإن البقايا الحضارية منعدمة في الطبقة الأثرية المتناسبة مع هذه المرحلة، ومع ذلك فإن هناك إشارات على وجود السكان في بعض المناطق من الهوقار والطاسيلي والتيبستي .

(526) A .Nick. Drake and al., 2011, op.cit, p2

(527) Thierry Tillet, Y Callot., 1997, op.cit, p19

(528) Jitka Soukopova., 2012, op.cit, p15-16

1- الثقافة الأونانية:

رغم أننا نفترض صمود العاتريين في ظل تلك الظروف إلا أن البقايا الحضارية الأكثر وضوحا خلال البلايستوسين النهائي والهولوسان المبكر هي الثقافة "الأونانية" (ounânian)⁽⁵²⁹⁾ وهي صناعة تعود للعصر الحجري القديم المتأخر إنتشرت في الصحراء الوسطى بشكل عام وخاصة في منطقة التينيري وفي بعض المناطق من فزان كوادي "لاقادا" وفي مواقع كثيرة من الطاسيلي وفي حوض الأزواد شمال مالي⁽⁵³⁰⁾ وقد انتشرت هذه الثقافة في تلك الفترة في أنحاء الصحراء الوسطى والجنوبية والغربية وكذلك قرب وادي النيل⁽⁵³¹⁾، علما بأنه لم يتم تحديد إطارها الزمني بدقة، وقد وصفها كامبس بأنها ثقافة قبل نيوليتية مما يعني أنها تنتمي إلى العصر الحجري القديم المتأخر⁽⁵³²⁾، ولعلها قد حلت محل العاترية في الصحراء⁽⁵³³⁾، ومن بين مواقعها وادي "لقادة" بفزان ومواقع التينيري بالنيجر⁽⁵³⁴⁾.

ومن المواقع الرئيسية التي تعود للعصر الحجري القديم المتأخر والتي تمثل الثقافة الأونانية أو بقايا متأخرة للعاترية، وربما قبل نيوليتية هي: مواقع وادي "الساورة" في الحدود الشمالية الغربية للصحراء الوسطى، فقد وجدت البقايا في "الحمامة" (Hémama)، و "مرجومة" (Merdjouma) في "التيديكلت"، وفي "التانزروفت" وجدت صناعة في "رقان" وهذه المواقع توصف بأنه من المواقع، ويُستعمل مصطلح "الأونانية" للدلالة على المواقع التي تميزت بكثرة النصال والتي انتشرت في الصحراء الجنوبية خصوصا⁽⁵³⁵⁾، وتتركز

⁽⁵²⁹⁾ حول هذه الثقافة ، ينظر :

Clyde .Winters., 2012, Origin of the Niger-Congo Speakers . Webmed Central GENETICS 2012;3(3), p1-18

⁽⁵³⁰⁾ يعتبر هنري بروي أول من عثر عليها وسمّاها بهذا الاسم نسبة إلى رؤوس سهام وجدت في أونان ouane، وهي بئر

في منطقة التاوديني شمال مالي، وقد تميزت بوفرة المئاقب والمخارز والنصال المشوهة التي جمعت أكبر كمية منها في

التينيري وفي حوض وادي تفاساسات ، وهذه الصناعة مختلفة عن التينيرية وفق الأبحاث التي توصل إليها j desmond

clark فهي تعود للعصر الحجري القديم المتأخر لكنها استمرت إلى النيوليتي، ينظر :

Gabeiel. Camps., 1974, op.cit.,pp 39,115

⁽⁵³¹⁾ Thierry . Tillet, Y Callot., 1997, Op.Cit.p19

⁽⁵³²⁾ Gabriel. Camps.,1974, Op.Cit.P216

⁽⁵³³⁾ للمزيد من التفاصيل يرجى العودة إلى موضوع المناخ القديم في الصحراء الوسطى ، ص57

⁽⁵³⁴⁾ Gabriel. Camps.,1974, Op.Cit.P216

⁽⁵³⁵⁾ Gabriel .Camps., 1996, op.cit, pp 265-266

مواقعها خاصة في التينيري وفي بعض المناطق من فزان ومواقع أخرى في الطاسيلي وفي حوض "الأزواد" شمال مالي (536).

ولعل موقع غوبرو (Gobero) في التينيري شمال النيجر هو أهم مواقعها، فقد عُثر فيه على العشرات من الجثث (537)، بعضها يعود إلى البلايستوسين النهائي والهولوسان المبكر، كما وجدت بقايا حضارية أخرى لها في "تاوديني" شمال مالي، وفي الجهة الجنوبية للآير أيضا (538).

وبشكل عام فإن وجود "الأونانية" في الصحراء الوسطى يبقى غامضا إذ لم تكتشف مواقع كثيرة لها، كما أن المعلومات حولها شحيحة وهي تُوصف بأنها من حضارات العصر الحجري القديم المتأخر، فقد جاءت بعد العاترية ولكن ليس مباشرة بل بعد تحسن المناخ وهي بلا شك متأثرة بها، فالعاتريون الذين صمدوا في بعض المناطق من جبال التيبستي أو الطاسيلي والهوقار هم الذين مثلوا تلك الثقافة (539).

ورغم وجود بعض المظاهر الحضارية التي تعود للعصر الحجري القديم المتأخر كالأدوات الحجرية ورؤوس سهام، إلا أن المظاهر الأكثر وضوحا هي الرسوم القديمة جداً التي عثر عليها الباحثون في تادرارت الجنوبية (540)، وهي تمثل دليلا على الوجود البشري خلال الفترة الممتدة من العصر الحجري القديم المتأخر إلى بداية الهولوسان المبكر، وقد قامت عدة أبحاث على هذه الرسوم من بينها الأبحاث التي قام بها كل من "نجيب فرحات" و"كارل سترايدر"، وقد أظهرت النتائج أن هذه الرسوم هي الأقدم على الإطلاق في الصحراء

(536) Gabriel. Camps., 1974, op.cit, pp114-115

(537) M , Christopher. Stojanowski , Charisse L. Carver.,2011, op.cit, p90-92

(538) Thierry Tillet ., 1997, SAHARA Paléomilieux Et Peuplement Préhistorique Au Paléistocène Supérieur - Paleo Environnements And Prehistoric Populations In The Upper Pleistocene ,Paris : Edition L' Harmattan, , p304

(539) Gabriel Camps., 1974, op.cit, pp114-115

(540) للمزيد من المعلومات حول الفن الصخري في هذه المنطقة، ينظر :

N. Ferhat., 2003, Dans les abris de la Tadrart, des images troublantes. Les "Kel Essuf", pp. 53-55, in :Algérie, deux millions d'années d'histoire. L'art des origines. Nemours/ Dijon: Musée de Préhistoire d'Île-de-France / Museum d'Histoire naturelle de Dijon.

N. Ferhat - K. Striedter. H. and M. Tauveron ., 2005, Traces de l'art fezzanais dans la Tadrart algérienne, in: (T. Tillet, B. E. Barich and K. H. Striedter eds), Hunters vs Pastoralists in the Sahara: Material Culture and Symbolic Aspects. Oxford: Archaeopress, pp15-23

فهي تعود إلى البلايستوسين النهائي، ومن مواقعها موقع "أمان سماندين" (Aman Semednine) ووادي تيدوناجي، وقد أطلق عليها تسمية "كلّ اسوف" نسبة لقبيلة من الطوارق تسكن هناك وقيل بأن رسومها تشبه رسوم مرحلة الرؤوس المستديرة، وانها تعود إلى المرحلة الجافة التي تلت العاترية (541).

وإذا كانت الرسوم الأولى بالفعل تعود إلى البلايستوسين النهائي فهذا يعني أن الصحراء كان تتوفر على مراكز سكانية حتى خلال الجفاف الكبير الذي أصابها عند نهاية البلايستوسين، وهي المرحلة المناخية التي تسمى "بالكانيمية" (kanémien) في نواحي تشاد أو "الأقولية" (ogoulén) في غرب إفريقيا (542)، مع العلم أن تلك الرسوم ليست هي الوحيدة التي تعود إلى هذه الفترة، إذا أن نقوشا في منطقة "كرتا" في الصحراء المصرية أرخت بحوالي 17 ألف سنة قبل الحاضر وقيل بأنها الأقدم في شمال إفريقيا (543).

2- ثقافة الكيفان (Kiffian):

انتشرت هذه الثقافة في أقصى الجنوب بسهل التينيري وكذلك في منطقة الآير بالنيجر وهي تعود للعصر الحجري القديم المتأخر وتمثل الصيادين القدامى، وقد أرخت بقاياها في أدرار بوس ب 9130 ± 35 قبل الحاضر، وكان جون كلارك (J.D. Clark) هو أول من تعرف عليها في الأبحاث التي قام بها سنة 1970 بمنطقة أدرار بوس (544).

ويعود أصل التسمية إلى موقع أدرار أن كيفي (adrar n'kiffi) التي تقع جنوب أدرار بوس بالتينيري وتتميز بصناعاتها القرمزية التي تتخذ أشكالا هندسية كالمكعبات والمثلثات بالإضافة إلى الفؤوس ورؤوس السهام، وقد أرخت بعض مواقعها في التينيري في 7310 ± 120 قبل الحاضر، وهذه الثقافة تعتبر المرحلة القديمة التي شهدت استيطانا بشريا في التينيري والآير تلتها بعد ذلك مرحلة الحضارة التينيرية التي كانت معاصرة للنيوليتي

(541) Nour-Eddine Saoudi., 2002, Les Temps Préhistoriques En Algérie, Alger: Edition Dalimen. P88

(542) Ginette Aumassip., 2004, op.cit.p286

(543) Dirk Huyge., 2009, Late Palaeolithic And Epipalaeolithic Rock Art In Egypt:Qurta And El-Hosh , ARCHÉO-NIL, , N°19 - Janvier 2009 ,P 109

(544) Andrew B. Smith ., 2005,African Herders: Emergence of Pastoral Traditions (African Archaeology Series, African Archaeology Series (Book 8), AltaMira Press ,p84

البقري في الطاسيلي⁽⁵⁴⁵⁾، وقد كانت هذه الثقافة معاصرة للأونانية ولثقافات الأكاكوس المبكرة ومن الممكن أنها كانت معاصرة أيضا لثقافة أمكني أو تين هناكتن، إلا أنه من المرجح أن تأثيراتها لم تصل إلى الطاسيلي .

3- الثقافة الملالية والحجارية :

"الثقافة الملالية" هي صناعة ذات ملامح للعصر الحجري القديم المتأخر وقد تميزت بغناها بالنصال ذات الظهر المطروق، وهي من ثقافات الصحراء الشمالية كما أنها فقيرة من حيث الصناعة الهندسية القزمية مما يعني أنها مختلفة عن القفصية، أما مواقعها الرئيسية فهي حاسي المويلح، وحول سبخة ملالة (Mellala) ومواقع أخرى قريبة من ورقلة، كما امتدت تأثيراتها إلى وادي مية⁽⁵⁴⁶⁾ (Oued Mya)، ويعتبر غابريل كامبس هو أول من اكتشف مواقعها وهو من سماها بهذا الاسم⁽⁵⁴⁷⁾.

ووفق ما يذكر كامبس فإن هذه الثقافة قريبة الشبه بالقفصية نظرا لوجود بيض النعام المزين فيها إلى جانب كونها معاصرة للقفصية العليا، فقد تراوح إطارها الزمني بين الألف السابعة والسادسة قبل الميلاد⁽⁵⁴⁸⁾، وتُصنف هذه الثقافة ضمن العصر الحجري القديم المتأخر، وذلك لأن معظم بقاياها وجدت مفصولة بـ 3300 م. ق⁽⁵⁴⁹⁾. ومن المفترض أن الثقافة الملالية لم تنتشر على نطاق واسع ولعلها وصلت إلى تڨرت ووادي سوف، كما وجدت ثقافة أخرى تدعى "الحجارية" نسبة لموقع الحجار (El Hadjar) القريب من ورقلة.

⁽⁵⁴⁵⁾ Elena A. A. Garcea ., 2013, Gobero: The No-Return Frontier. Archaeology and Landscape at the Saharo-Sahelian Borderland , Journal of African Archaeology Monograph Book 9 , Africa Magna Verlag, germany , p9

⁽⁵⁴⁶⁾ في هذا الصدد يمكن الرجوع إلى الدراسة التي قامت بها جينات أوماسب في وادي مية فيما يلي :
Ginette Aumassip Et Al ., 1970, Neolithique Sans Poterie De Laregion De L'oued Mya ,
Memoires De Centre De Recherches Prehistorique Et Ethnologiques , N°10, Algerie : Societe
Nathional D'edition Et De Diffusion , , 227p

⁽⁵⁴⁷⁾ Gabriel, Camps., 1974, Tableau chronologique de la Préhistoire récente du Nord de l'Afrique .Deuxième synthèse des datations obtenues par le carbone , In :Bulletin de la Société préhistorique française .Études et Travaux .tome ,71 N .1 .P268

⁽⁵⁴⁸⁾ Gabriel .Camps.,1996, op.cit .p 2657

⁽⁵⁴⁹⁾ Gabriel Camps, Henriette Camps-Fabrer ., 1972, op.cit. p23

وغير بعيد عن المناطق التي انتشرت فيها الثقافة الملالية والحجرية وُجدت مراكز حضارية تعود للحضارة الإيبيرومغربية التي امتدت على ما يبدو لتصل إلى حواف الصحراء لكن امتدادها الزمني وصل إلى الهولسان المبكر فقط⁽⁵⁵⁰⁾، ومن مواقعها موقع "الحوبتة" (El Haouita) بالأغواط الذي عُثر فيه على نصال شبيهة بالإيبيرومغربية وهي تقع من الناحية الستراتوغرافية في طبقة بين العاترية وما قبل النيوليتي ضمن الأفق القفصي وتؤرخ بـ 6270 ± 280 ق.م⁽⁵⁵¹⁾.

4- ثقافة الأكاكوس المبكرة:

لقد أظهرت الدراسات الإيطالية⁽⁵⁵²⁾ التي تمت في ملاجئ الأكاكوس أن هذه المنطقة قد عرفت استيطاناً بشرياً مبكراً كما عرفت تطورات حضارية مهمة، وتعود التطورات الأولى إلى بداية المرحلة الرطبة للهولسان، والمعروف أن الأبحاث الأثرية قد أعطت تواريخ قديمة جداً بالنسبة للنفار ولبقايا الأبقار أيضاً، ويعترف كامبس أن النيوليتي هناك كان قديماً جداً، وكذلك الفن الصخري وبصفة خاصة الرسوم الموجودة في ملجأ "تين لالان" وجنوب فزان في إن هابتر ووادي ماثندوش⁽⁵⁵³⁾، ويبدو أن ثقافة الأكاكوس قديمة جداً فهي تعود إلى الهولسان المبكر وتقع زمنياً بين 9000 و 9800 قبل الحاضر⁽⁵⁵⁴⁾، أما الإقامة الإنسانية

⁽⁵⁵⁰⁾ Jean Fabre., 2005, op cit .pp463-466

⁽⁵⁵¹⁾ Gabriel Camps ، Henriette Camps-Fabrer ., 1972, op.cit. p23

⁽⁵⁵²⁾ قام الباحثون الإيطاليون بأبحاث عديدة في الأكاكوس، وقد كان "ليو فروبينوس" ثم فابريزيو موري هم أول من بدأ هذه الأبحاث، وقد اكتشفت فيها مواقع هامة كموقع "وان موهيجاج" و"تين تورها" و"وان أفودا" و"وان تالوكت"، وهذه المواقع أعطت معلومات قيمة حول تدجين الحيوانات وحول ثقافة الرعاة في هذه المنطقة.

⁽⁵⁵³⁾ Gabriel camps., 1975, op.cit., pp224 , 257

⁽⁵⁵⁴⁾ Victor. Fernández., 2003, Four thousand years in the Blue Nile .paths to inequality and ways of resistance, Complutum 12, p410

الأولى فتعود إلى حوالي 10.000 سنة قبل الحاضر في كهف تاكروري⁽⁵⁵⁵⁾، وفي كهف وان موهيجاج أيضاً⁽⁵⁵⁶⁾.

وهؤلاء كانوا من الصيادين الجامعين الذين تركوا آثارهم في الأكاكوس وفي هضبة المساك، وقد عرفوا صناعة قزمية مع نسبة قليلة جدا من الفخار، وتؤرخ هذه الثقافة بين 9550 ق.م - 8600 ق.م، وأهم مواقعها "وان تابو (Tabu Uan)"⁽⁵⁵⁷⁾ ووان موهيجاج و"تين تورها الشرقية" وتعرف لدى الباحثين الإيطاليين باسم ثقافة الأكاكوس المبكر⁽⁵⁵⁸⁾

و يمكن تلخيص المظاهر العامة للعصر الحجري القديم المتأخر في عموم الصحراء وشمال إفريقيا بالعناصر التالية:

- في حوالي 14.000 قبل الحاضر تحسن المناخ في معظم المناطق في شمال إفريقيا فبعد أن كان الجو باردا جدا وجاف أصبح رطبا وتزامن ذلك مع تراجع العصر الجليدي في

⁽⁵⁵⁵⁾ Alexander Cherkinsky. Savino Di Lernia., 2013, Bayesian Approach To 14 C Dates For Estimation Of Long-Term Archaeological Sequences In Arid Environments: The Holocene Site Of Takarkori Rockshelter, Southwest Libya, Radiocarbon, Vol 55, N° 2-3, 2013 , p676

⁽⁵⁵⁶⁾ Simona Minozzi et al ., 2003, Nonalimentary Tooth Use in Prehistory: An Example From Early Holocene in Central Sahara Uan Muhuggiag, Tadrart Acacus, Libya, American Journal Of Physical Anthropology, n° 120, p226

⁽⁵⁵⁷⁾ وان تابو (24.51 ° شمالا و 10.31 ° غربا) قرب وادي تاشوينت Teshuinat وهو أكبر الأودية في وسط الأكاكوس يقع في أقصى جنوب غرب ليبيا، اكتشف سنة 1960 وهو موقع مهم في ما قبل التاريخ في الصحراء حيث يحتوي على بقايا تعود إلى 90 ألف سنة ، فقد تواترت الإقامة الإنسانية في هذا الموقع على مر الزمن ، ويعد من بين أقدم المواقع التي سكنها الإنسان بعد انتهاء الجفاف العاتري إلى جانب موقع فوزيجارن وتين تورها الشرقية في نفس المنطقة ، والبقايا في هذا الكهف تغطي كل من إلى الحضارة اللافلوازية الموسستيرية والحضارة العاترية ثم إلى النبوليتي في حوالي 7 آلاف سنة ، وقد شهد هذا الكهف استقرار بشريا في فترات متقطعة آخرها تلك التي تتزامن مع الرسوم الصخرية لمرحلة البقرات ويمثل هذا الموقع جميع المراحل الحضارية في الأكاكوس التي قسمها الباحثون الإيطاليون إلى الأكاكوس المبكر والأوسط وهو الرعوي والأكاكوس المتأخر والنهائي، وقد توالى عليه الأبحاث منذ الستينات فقد بحث فيه كل من فابريزيو موري وباربارا باريش وغراماشي ودي لارينيا، ينظر:

Elena A. A ,Garcea., 1995, New investigations in the Tadrart Acacus: Libyan

Sahara .Nyame Akuma44 , pp 27-35

Elena A. A. Garcea., 2001, Uan Tabu in the Settlement History of the Libyan Sahara, Arid Zone Archaeology, Monographs, 2 Edizioni All'Insegna del Giglio, Firenze , p59

Elena A. A , Garcea., 2004, Crossing Deserts and Avoiding Seas: Aterian North African-European Relations, journal of Anthropological Research.(1)60 ,p 27-53

⁽⁵⁵⁸⁾ Annabelle Gallin, Jean-Loïc Le Quellec ., 2008, Les ensembles céramiques du Bassin de Murzuq Une contribution de l'archéologie préventive à la connaissance du Messak, Cahiers de l'AARS, N° 12 , p71

أوروبا وهو ما تُرجم على الواقع بتوسع الإيبرومغربيون في مناطق واسعة من شمال إفريقيا (559).

- أن الحضارة القفصية أو حجارة شبيهة بها تسمى " الملالية " قد انتشرت حول ورقلة وامتدت إلى تقرت ووادي سوف، وتؤرخ بعض بقاياها ب 6650 ± 150 قبل الميلاد مع أنها قد تكون أقدم من ذلك، كما أرخ موقع " الحجار " (El Hadjar) في ورقلة أيضا الذي وجدت فيه صناعة مختلفة قليلا عنها ب 5350 ± 170 ق.م وقد وُجدت فوق طبقة تعود للنيوليتي ذو تقاليد قفصية.

- ومن الناحية المناخية أكد الباحثون أن المرحلة الجافة في الصحراء الشمالية قد أرخت بين 14.000 و 10.000 سنة قبل الحاضر (560)، وكانت المنطقة قبل ذلك قد مرت بفترة رطبة أرخت في الساورة بحوالي 16300 ± 350 قبل الحاضر، و 14500 ± 190 قبل الحاضر، مع العلم أن تلك التغيرات المناخية التي شهدتها منطقة الساورة تصل تأثيراتها إلى "أهناث" و"المويدير" في الطاسيلي وربما تتجاوزها (561).

وذلك يعني فإن الفترة بين 20 ألف إلى 14 ألف قبل الميلاد كانت رطبة، وهي تتزامن مع العصر الحجري القديم المتأخر ومع نهاية العاترية، والصناعة التي عُثر عليها في وادي الساورة تعود لهذه الفترة، وهي محل اختلاف بين الباحثين بين من يعتبرها صناعة عاترية متأخرة، ومن يُسميها بالأونانية، وما يزيد من تعقيد الأمر هو وجود صناعة قرمية في رقان تعود إلى العصر الحجري القديم المتأخر وهي مشابهة " للسبيلية " (562) الثالثة في مصر (563).

(559) Hellal Hemimi., 2011, op.cit. p612

(560) Georges Conrad., 1969, L'evolution continentale post-hercynienne du Sahara algérien, C. N. R. S., Cent. Rech. Zones Arides, 10, p271

(561) Georges Conrad., 1969, op.cit.p266

(562) السبيلية نسبة إلى قرية السبيل قرب "كوم أمبو" في مصر، وتنتشر أيضا في النوبة في الجنوب، تؤرخ بين 13 ألف و 9 آلاف سنة قبل الحاضر فهي من حضارة العصر الحجري المتوسط (الميزوليتي)، ينظر : فرنان دي بونو، 1983، وادي النيل قبل التاريخ، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول، باريس : جون أفريك واليونيسكو، ص 647-649

(563) Gabriel Camps., 1974, op.cit, P39

ومن جهة ثانية وُجدت في الصحراء الغربية صناعة مماثلة في موقع "طرفاية" وهي تعود للعصر الحجري القديم المتأخر⁽⁵⁶⁴⁾، أما في الصحراء الوسطة فموقع أمكني بالهوفار تضمن صناعة تعود للنيوليتي القديم جدا فقد أرخ ب 6100 ق.م، واقترح كامبس وجود قاعدة حضارية تعود إلى العصر الحجري القديم المتأخر تطور منها هذا الموقع ليدخل في النيوليتي ، وأن سلسلة التطور هذه قد تكون بدأت قبل ذلك بعدة آلاف من السنين⁽⁵⁶⁵⁾، فالبقايا التي تعود للنيوليتي كانت متوضعة فوق رواسب وطبقة أثرية قديمة جدا، قد تكون متزامنة مع العصر الحجري القديم المتأخر .⁽⁵⁶⁶⁾

ومن خلال تلك الأفكار التي قدمها كامبس يمكن القول أن هناك احتمال قوي على وجود صناعة تنتمي إلى العصر الحجري القديم المتأخر في الصحراء الوسطى بشكل متزامن مع الإيبرومغربية والقفضية .

وفي الأخير يمكن القول بأن الانقطاع الحضاري الذي مس المنطقة بفعل الجفاف الكبير الذي تلا العاترية، لم يشمل كل الأنحاء بل إن بعض المناطق من الصحراء قد احتفظت ببعض الرطوبة، وهذا ما يفسر وجود مراكز ثقافية و في أنحاء الصحراء منها في الصحراء الغربية كموقع الطرفاية أو مواقع وادي الساوره، أما في الصحراء الوسطى فقد انتشرت المراكز الحضارية في الهوفار "بأمكني" و رقان، وفي "التينيري" و "التفاساسات" و "قزان" ، كما وجدت ثقافات تعود لهذا العصر في الصحراء المنخفضة في نواحي ورقلة والوادي وتقرت.

وذلك يعني أن مجموعات بشرية قد تمكنت من الصمود في المنطقة معتمدة على صيد الحيوانات البرية وصيد الأسماك، وهي التي تمكنت بعد مرور زمن من التحول إلى اقتصاد إنتاجي بابتكارها لصناعة الفخار ثم تربية الحيوانات والزراعة فدخلت بذلك في النيوليتي.

رابعا - الإنسان الإيبرومغربي والقفصي في الصحراء :

لقد توغلت الإيبرومغربية إلى مناطق قريبة من الصحراء، كما وجدت بقاياهم في شمال مالي وفي مناطق أخرى من مصر والسودان، أما القفصيون فقد ثبت وجودهم في فترة

⁽⁵⁶⁴⁾ Gabriel Camps., 1974, P214

⁽⁵⁶⁵⁾ Gabriel Camps ,Henriette Camps-Fabrer., 1972, Op.Cit .P235

⁽⁵⁶⁶⁾ Gabriel Camps., 1974, op.cit, P39

النيوليتي في الصحراء الشمالية، كما أن بيض النعام المزين وهو طابع خاص بالقفصية قد انتشر بكثافة في مناطق واسعة من الصحراء الوسطى.

وبما أن وجود الإيبرومغربية والقفصية محتمل في الصحراء خلال العصر الحجري القديم المتأخر، فإن وجودهم أو وجود سلالات متحدرة منهم في النيوليتي أمر ممكن، وللاستدلال على ذلك يجب أولاً التعرف على الخصائص العامة للأجناس التي عاشت في تلك الفترة، ثم التعرف على علاقتهم بأوائل البربر الذين عمّروا الصحراء الوسطى في الفترة الأخيرة من النيوليتي .

وتعتبر الحضارة الإيبرومغربية والقفصية من أكثر الحضارات في شمال إفريقيا من حيث البقايا الإنسانية، وهذه البقايا منتشرة على رقعة جغرافية كبيرة كما أنها تشمل إطار زمنيا كبيرا يمتد لعدة آلاف من السنين، مما يشكل قاعدة جيدة للباحثين عن أصول الإنسان في شمال إفريقيا، ولكن ككل المعطيات الحضارية في شمال إفريقيا لا تزال تُطرح الكثير من التساؤلات حول أصول السكان الحاليين ومدى ارتباطهم بالإيبرومغربين أو بالقفصيين ، فما هي المعطيات المتوفرة حول هذه المسألة ؟ وهل هناك تقارب بين الجنسين من حيث الخصائص الأنثروبولوجية والحضارية ؟

في البداية نعلم أن الإنسان العاقل الذي وجد في "جبل إرحود" في المغرب يمثل الحضارة المستيرية في شمال إفريقيا وكان قد وُصف بأنه الإنسان العاقل القديم ، بينما مثل "الإنسان العاقل - العاقل الذي وجدت بقاياها في كهف "الحريرة" في المغرب الأقصى الحضارة العاترية، ولكن وجدت بقايا أخرى لم يتم تحديد انتمائها إلى أي من الحضارات التي شهدتها شمال إفريقيا .

ومن الدراسات الأنثروبولوجية التي تناولت العلاقة بين مختلف المجموعات التي تعاقبت على شمال إفريقيا، الدراسة التي قام فيها الباحث فرامباش (D Ferembach) والتي قام فيها بمقارنة البقايا الإنسانية المكتشفة في موقع دار السلطان 2 بالمغرب الأقصى الذي يعود للعاتريين مع البقايا التي تمثل إنسان المشتى في كل من "تافوغالت" بالمغرب و"مشتى آفالو"

قرب بجاية بالجزائر، ثم مع كل من إنسان وادي حلفا⁽⁵⁶⁷⁾ (wadi Alfa) شمال السودان، وإنسان "جبل إيغود" بالمغرب الأقصى .

وقد أظهرت النتائج أن إنسان "دار السلطان" 2 يبتعد قليلا عن صفات إنسان المشتى في كل من "تافوغالت" و"مشتى آفالو" من حيث الملامح الفيزيولوجية وعرض الجمجمة وحجمها ويقترب نوع ما مع صفات إنسان "حلفا"، أما بينه وبين إنسان جبل إيغود فهناك بعض الصفات المشتركة، وبذلك فإن إنسان دار السلطان 2 يحمل صفات النياترتاليين إضافة إلى صفات إنسان "جبل حلفا" في النوبة الذي يعود للمشتاويين، وخلصت النتائج إلى أن هذا الإنسان لا يمثل العاترية، فهو بمثابة مرحلة وسطى بين النياترتاليين وبين "إنسان المشتى"⁽⁵⁶⁸⁾.

وخلال العصر الحجري القديم المتأخر شهدت المنطقة تواجد جنس من أوائل المتوسطيين الذي ينتمون إلى جنس الكرومانيون⁽⁵⁶⁹⁾ (Cro-Magnon) ، ويسمون بالمشتاويين نسبة إلى المواقع التي وجدت فيها بقاياهم وهي كل من مشتى العربي بشلغوم العيد قرب قسنطينة ومشتى آفالو بورمال ببجاية، وإلى هؤلاء تنسب الحضارة الإيبرومغربية⁽⁵⁷⁰⁾ .

وهؤلاء يتميزون بقامتهم الطويلة التي تتراوح ما بين 1.74 و 1.72 متر بالنسبة للرجل وأقل بعدة سنتيمترات بالنسبة للمرأة، كما يتميزون بقلّة الانسجام ما بين الوجه العريض

⁽⁵⁶⁷⁾ إنسان وادي حلفا وُجد في النوبة شمال السودان وهو يعود إلى العصر الحجري القديم المتأخر ، ويتميز هؤلاء بوجود ملامح مشتركة مع الإنسان المشتاوي، وهذا ما لاحظته الباحثة فراد واندراف بشكل كبير في منطقة جبل الصحابة أيضا، ولكن هذا الإنسان الذي ينتمي إلى " كرومانيون" أيضا متأخر في الزمن عن إنسان المشتى، وهو يتميز عنه بانصباب الفك نحو الأمام إلى جانب صفات أخرى مختلفة ، كما أن حضارتهم والتي تسمى الكادية Qadier تختلف عن الإيبرومغربية فهي تتميز بكثرة الأزاميل والمثاقب وقلة النصال مضروبة الظهر، ينظر: Gabriel Camps., 1974, op.cit, p85

⁽⁵⁶⁸⁾ D, Ferembach ., 1976, Les restes humains de la Grotte de Dar-es-Soltane II (Maroc). Campagne 1975. In: Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris, XIII^e Série, tome 3 fascicule 2, pp188-190.

⁽⁵⁶⁹⁾ عن المشتاويين و ارتباطهم بالكرومانيون، ينظر:

D, Férembach., 1970, Les Cro-magnoïdes d'Afrique du Nord. L'Homme de Cro-Magnon. AMG, Paris, pp81-91

C , Roubet, S , Hachi., 2000, Les sépultures de Mechta-Afalou, Cro-Magnon de l'Afrique du Nord : Approche culturelle à partir de nouvelles découvertes. L'identité humaine en question, Colloque du Val-de-Marne, pp26-28

⁽⁵⁷⁰⁾ Henry N. Le Hou´erou., 1997, op.cit.p636

ومحجر العين ذي الشكل الطويل، والأطراف طويلة والمرافق والسيقان ممتدة والأأيادي طويلة ورقيقة، أما الرأس فلا يوجد فيه انسجام بين الجمجمة والوجه بسبب الجبهة العريضة المنخفضة كما أن باطن الجمجمة بارز ومنحني، أما محجر المخ فهو ذو حجم كبير يبلغ 1650 سم³، ويتميز المشتايون أيضا بالعضلات القوية⁽⁵⁷¹⁾. والمظهر العام للجمجمة يدل على الوجه الواسع، كما أن الفك قوي ومحاجر العين منخفضة ومستطيلة الشكل يعلوها مفرق وقوس الحاجب، وفتحة الأنف متوسطة، أما العظام فهي طويلة وقوية والجسم صلب وقوي وضخم⁽⁵⁷²⁾.

وقد وجدت بقاياهم في مناطق مختلفة في تافوغالت بالمغرب الأقصى عُثر على عدد كبير من البقايا الإنسانية إذا وجدت بقايا لأكثر من 180 فردا من الرجال والنساء والأطفال، بينما عثر في آفالو بورمال ببجاية على أكثر من 50 فردا⁽⁵⁷³⁾.

وبخصوص الجنس الثاني الذي عمر المنطقة فهو الإنسان القفصي وهو أقل قديما من جنس المشتى⁽⁵⁷⁴⁾، وقد وجدت بقاياهم في: "عين متشرم" التونسية، و"خنقة الميهاد" و"عين دوخارة" بتيبازة⁽⁵⁷⁵⁾، كما وجدت خمسة مدافن أخرى لهم ب فايد السوار (Faïd Souar II) بأم البواقي التي تعود إلى القفصية العليا 5500-7800 قبل الحاضر، ووجدت بقاياهم في كلوميناطة بتيارت أيضا⁽⁵⁷⁶⁾، ويعتقد الباحثون أن الجنسين كانا يعيشان في وقت واحد رغم أن المشتايين أقدم من القفصيين، ومع بداية النيوليتي انتشر القفصيون في كامل بلاد

⁽⁵⁷¹⁾ Ginette Aumassip ., 2001, op.cit , p67

⁽⁵⁷²⁾ Olivier Duteur., 1981, Extension Saharienne Du Type Anthropologique De Mechta-Afalou , Cahier de . O.R.S.T.O.M, sér. Géol, vol °14 , n°2, 1981, p209

⁽⁵⁷³⁾ J.Bruzek, Sefcakova, A., Cerny, V., 2004, Révision du sexe des squelettes épipaléolithiques de Taforalt et d'Afalou-bou-Rhoummel par une approche probabiliste. Antropo, 7, p196

⁽⁵⁷⁴⁾ M, C Chamla., 1968, les Populations Anciennes Du Sahara Et Des Région, Limitrophe Mémoire de C.R.A.P.E .n°9, Paris: A M G , p87.

⁽⁵⁷⁵⁾ Olivier Duteur., 1981, op.cit. p210 .

⁽⁵⁷⁶⁾ Louiza Aoudia-Chouakri et Fanny Bocquentin., 2009, Le crâne modifié et surmodélé de Faïd Souar II Capsien, Algérie Masque, trophée ou rite funéraire? Cahier des thèmes transversaux ArScAn, Vol IX, 2007-2008, Thème VI, pp 171,176,177.

المغرب بينما إنعزل الإيبيرومغربيون في الجبال والكهوف وهاجروا نحو المحيط الأطلسي ثم نحو جزر الكناري (577).

والفرق بين الجنسين يتمثل في كون القفصيون أقل غلظة وقساوة من المشتايون وفق الأبحاث التي قامت بها ماري كلود شاملة⁽⁵⁷⁸⁾، ويتميز الإنسان المشتاي عن القفصيين بقامته الطويلة وعضلات المفتولة وقوامه الرشيق والقوي، والمعروف أن الإنسان القفصي أقام في المناطق الداخلية وامتد إلى الجنوب، وتركز وجوده في جنوب شرق تونس وشرق الجزائر إلى غاية منطقة أولاد جلال واتجهوا في الألف الرابعة إلى السهول القسنطينية، ورغم أنهم اتجهوا غربا إلا أنه لم يعبروا جبل طارق إلى أوروبا، ومن الممكن أنه استمروا بعد ذلك في التواجد ليصادفوا أوائل الفنيقيين البحارة، ومن الممكن أن يكون هؤلاء القفصيون هم أجداد البربر (579).

ومن الممكن وجود أصل مشترك بين القفصيين والمشتايين، فحتى من الناحية الحضارية هناك تشابه واضح بين الثقافتين مما جعل بعض الباحثين ومنهم غوبرت وفوفري (E G Gobert et Vaufer) يعتقدون أن الإيبيرومغربية هي حضارة ساحلية للقفصية (580)، ويحتمل أن إنسان الحضارة القفصية متحدر من جنس مشتي آفالو ولكنه أقل غلظة منه وفق ما تذكر الباحثة "ماري كلود شاملة" (581).

ويساند فكرة الأصول القفصية للبربر الباحث "ليونال بالو" الذين يستدل بالطقوس المدفنية الذي وجدت لدى القفصيين والتي استمرت في التواجد لدى البربر فيما بعد (582)، أما الباحث "جون ديسبوا" فيرى أن هناك تشابهاً بين الإنسان القفصي وبين إنسان بعض حضارات كينيا ومصر العليا وذلك اعتماداً على وجود ملامح زنجية لهذا الإنسان، مما يعني

(577) Jean Despois., 1957, op.cit, pp458-459

(578) M ,C Chamla ., 1968,op.cit. p87

(579) Jean Despois., 1957, op.cit.pp458-459

(580) Slimane Hachi., 2003, Les Cultures De L'homme De Mechta Afalou, Les Gisment D'afalou Bou Rhmmel (Massif Des Babors, Algérie), Mémoire de C.N.R.P.A.H, Nouvelle Série, n°2, p12.

(581) M ,C Chamla ., 1968,op.cit. p87

(582) Lionel Balout., 1955, op.cit.p437

أصول إفريقية وفق ما يذكر هذا الباحث، والمرجح بالنسبة له أن القفصيون هم أجداد للبربر (583).

ويختلف الباحثون في أصول البربر بين الإنسان المشتاي والإنسان القفصي، فالباحث "محمد العربي عقون" إلى جانب باحثين آخرين يعتقدون بالأصول القفصية للبربر، بينما تذكر الباحثة "ملكة حشيد" أن أوائل البربر يشبهون المشتايون من حيث الخصائص الأنثروبولوجية، وتضيف هذه الباحثة أن هناك تشابهاً واضحاً بين القفصيين والمشتايون من الناحية الحضارية وخاصة في الطقوس المدفنية إذ يبدوا أن للحضارتين أصل مشترك من الناحية البشرية (584).

ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن أوائل البربر لم يكونوا من أصل واحد فجزء منهم قد يكون من بقايا المشتايون الذين سكنوا الجبال بعد غزو الإنسان القفصي لكامل شمال إفريقيا، بينما هناك جزء منهم ينتمي إلى القفصيين نظراً لوجود دلائل على بقاء القفصية إلى غاية الألف الثالثة قبل الميلاد وربما إلى الفترة التاريخية، أما الجزء الثالث المكون لسكان شمال إفريقيا فهم خليط من الشعوب قدمت من الشرق وهم راكبوا الخيول والعربات والذين عبروا عن فنهم في جبال الأطلس والطاسيلي والهوقار وصولاً إلى التيبستي بتشاد، حيث اصطلح على تسميتهم باسم الشعوب الليبية البربرية، وإلى جانب ذلك قدمت هجرات أخرى إلى المنطقة في نهاية النيوليتي من منافذ مختلفة كمضيق جبل طارق ومن صقلية وبعضهم قد يكونوا من "الهكسوس" الذين طردوا من مصر أو من شعوب البحر الذين تحالفوا مع الليبيين ضد المصريين، وقد يكون جزء منهم من الفينيقيين الذين استقروا في شمال إفريقيا وبقوا فيها إلى غاية وجود الرومان (585).

ويمكن تلخيص المظاهر الحضارية التي شهدتها الباليوليتي في شمال إفريقيا بما فيها الصحراء بأن كل المعطيات تدل على أن المنطقة كانت قديمة التعمير، فقد وجدت بها آثاراً للإنسان الأول صانع أولى الحضارات الإنسانية للباليوليتي الأسفل ممثلاً بحضارة الحصى المشذبة التي عثر على مخلفاتها في عدة مواقع، ويُعد موقع عين الحنش أقدمها على

(583) Jean Despois., 1957, op.cit.pp458-459

(584) Malika Hachid., 1983, op.cit.p20.

(585) للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ينظر مبحث أوائل البربر في الصحراء ، ص422

الإطلاق في شمال إفريقيا، وتوجد بالصحراء مواقع كثيرة تعود لهذه الحضارة مثل: رقان وعرق بورحراحت، والولف، "إن أفيلاله" و"تاكمبارت"، "منيت"، "أراك" و"تين زواتين"، وفي "إن جران"، برج تان كانا.

وإذا كانت مواقع حضارة الحصى قليلة في الصحراء، فإن الحضارة الثانية التي خلفتها وهي الأشولية قد انتشرت بكثافة في أنحاء شمال إفريقيا، ووجدت بقاياها الإنسانية على الأقل في موقعين هما دار السلطان بالمغرب الأقصى وتغنيف بالجزائر، ومن مواقعها في الهوقار: وادي "تين تمانت، وأمفيد، أما بالنسبة للطاسيلي فقد وجدت في "تاويرت تان أفلا" وفي إهاران (Iherène)، وفي عرق تيهوداين.

أما بالنسبة للبالوليتي الأوسط فقد كانت الموسستيرية مصحوبة بأولى آثار الإنسان العاقل التي وُجدت في موقع القطار بقفصة، وفي جبل إيغود بالمغرب الأقصى الذي يعود إلى ما بين 190 و130 ألف سنة، أما مواقعها في الصحراء الوسطى فهي قليلة، ومن بينها موقع قرب "إنكير" ومنيت في الهوقار، أما في الطاسيلي فقد وجدت في تين هناكتن و"تيورينين".

وفي البالوليتي الأعلى بين 60 ألف و20 ألف انتشرت الحضارة العاترية وهي حضارة محلية أصيلة في شمال إفريقيا، انتشرت مواقعها بكثافة في رقعة جغرافية واسعة شملت شمال إفريقيا من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسي وفي الجنوب توغلت في منطقة الساحل.

ومن المفترض أن العاتريون قد اتجهوا نحو الطاسيلي والهوقار في فترة مبكرة، أما الصحراء الجنوبية ومنطقة الساحل الحالية فاتجهوا إليها بعد حلول الجفاف في الصحراء في حوالي 20 ألف قبل الحاضر، وقد انتشرت مخلفاتها في تين هناكتن و"تيوريرين" (Tiouririne) و"تيهوداين"، وفي الإيميدر وعرق آدمر و"منيت" وأهنات، والتيديكلت، ووادي الساوره، وانتشرت أيضا في تادارارت أكاكوس المحاذية للطاسيلي.

أما بالنسبة لحضارات العصر الحجري القديم المتأخر فالإيبرومغربية لم تصل إلى الصحراء وفق ما نعلم والسبب يعود للجفاف القاسي الذي مرت بها الصحراء بعد العاترية، أما القفصية فقد امتدت إلى الصحراء الشمالية، ومن المفترض أن ثقافات أخرى قد شهدتها

الصحراء بعد تحسن المناخ كالملاية والحجارية وهما من الثقافات المتأثرة بالقفصية، كما انتشرت الأونانية وهي ثقافة ذات منشأ صحراوي .

خامسا : النيوليتي في الطاسيلي والهوقار :

لقد حدث انقطاع حضاري بين الباليوليتي وبداية النيوليتي في الصحراء في بعض المواقع، بسبب مرحلة شديدة الجفاف انتهت بها الحضارة العاترية، وذلك يتناسب مع ثقافات العصر الحجري القديم المتأخر في شمال إفريقيا (الإيبرومغربية والقفصية) التي وصلت إلى حواف الصحراء، ولقد لاحظنا أن العصر الحجري القديم المتأخر يتزامن مع الجفاف الكبير الذي ضرب الصحراء، لكن مع بداية النيوليتي تعود الأمطار ويعود معها الإنسان وتزدهر الحضارة في الصحراء الوسطى (586) .

ويُجمع معظم الباحثين على قدم النيوليتي في الصحراء الوسطى فهذه المنطقة تعتبر من المناطق الأولى التي عرفت الفخار في العالم (587)، كما أنها عرفت الزراعة وتربية الحيوانات في فترة مبكرة أيضا، وبالنظر إلى خريطة انتشار النيوليتي في العالم يلاحظ أن الصحراء تحتل مكانة مرموقة في ذلك (588)، غير أن أهم المظاهر الحضارية لهذا العصر في الصحراء هو الفن الصخري الذي يعتبر فريداً من نوعه في هذا العصر .

(586) Lionel Balout .,1972, Op.Cit, pp 15-18

(587) تتواجد أقدم مواقع النيوليتي في العالم في اليابان حيث اكتشف أقدم فخار في كهف فوكي Fukui وفي موقع كاميكورواوا kamikuroiwa في جزيرة هونشو في اليابان، وتعرف تلك الثقافة ب ثقافة الجومو jomons وتعود إلى ما يزيد عن 10500 ق.م ، ينظر :

Hiroshi Kajiwarara And Aleksei V. Kononenko ., 1999, The Origin Of Early Pottery In Northeast Asia In The Context Of Environmental Change, Society For California Archaeology, Vol 12, P64-65, Junko Habu., 2004, Ancient Jomon of JAPAN, Cambridge University Press, United Kingdooom, p27.

(588) في الوقت الذي تعود فيه بداية النيوليتي في الصحراء إلى ما يقارب 8000 ق.م ، فإن النيوليتي في أوروبا متأخر جدا فوفق آراء كلارك J.D clark فإن النيوليتي الأقدم في أوروبا سجل في مواقع في سواحل اليونان (اليونان واسيا الصغرى وكريت) في حوالي 5200 ق.م وبشكل متزامن تقريبا في بعض مناطق وسط أوروبا، لكن الباحث أماريان AMMERMALIANN وضع خريطة مغايرة لانتشار النيوليتي تنتقل تدريجيا من الشرق إلى الغرب ، واضعا موقع "أريحا" في فلسطين كأقدم موقع نيوليتي، أما بالنسبة للباحث ألكسندر J Alexander فإن هناك جبهتين لتوسع النيوليتي في أوروبا الشمالية عبر الدانوب والجنوبية عبر البحر المتوسط، للمزيد من المعلومات حول الموضوع، ينظر :

A M ,AMMERMALIANN , CAVALLI , SFORZA L.L., 1971, mesuring the rate of spread of early farming in Europe , MAN, n°6, pp674-688

ويُقسم الباحثون فترة النيوليتي إلى ثلاثة مراحل وهي النيوليتي القديم والوسيط والحديث تفصل بينها فترات جفاف شهدت تراجعاً في الحياة في الصحراء، بينما يقسمها الباحثون الإيطاليون إلى أربعة مراحل هي على التوالي: نيوليتي قديم، وسيط، حديث، ومتأخر⁽⁵⁸⁹⁾، وتمثل تلك المراحل أوجه ثقافية وجغرافية وكرونولوجية في آن واحد، ومن الواضح أن تقسيم النيوليتي الصحراوي مرتبط بالفن الصخري باعتباره المظهر الرئيسي لهذا العصر في الصحراء الوسطى، إلى جانب الفخار والمخلفات الحضارية الأخرى التي تزخر بها المنطقة، وذلك كله مرتبط بالتقلبات المناخية التي شهدتها المنطقة والتي أثرت على الوجود البشري والحضاري.

وبالاعتماد على الفن الصخري الذي يمثل مصدراً رئيسياً للمعلومات حول مختلف المظاهر الحضارية والأنثروبولوجية في الصحراء فإنه يمكن القول أن النيوليتي القديم يتناسب مع مرحلة الجاموس العتيق ومرحلة الرؤوس المستديرة وهم الصيادون الذين تركوا الفخار والأعمال الفنية القديمة في الطاسيلي والهوفار، أما النيوليتي الأوسط والحديث فهو يمثل الرعاة وهي المرحلة التي أُصطلح على تسميتها باسم "مرحلة البقرات".

أ- المظاهر الحضارية النيوليتية:

إن من الملامح الحضارية لهذا العصر هو الانتشار الواسع للمثاقب والمطاحن والمخارز والصناعة الحجرية أصبحت أكثر دقة، لكن من الواضح أن تطور الصناعة الحجرية لم يواكب المظاهر الحضارية الأخرى كالفخار والفن الصخري، أما بالنسبة للصناعة العظمية فقد تمثلت في الخناجر والإبر والمخارز والخطاطيف والصنارات التي تستخدم في صيد الأسماك، (الشكل 07) كما استعملت بعض العظام كحلي وربما لأغراض الحماية السحرية

J. Alexander., 1978, Frontier Studies And The Earliest Farmers In Europe, In: Green D, Haselgrove C, SPRIGGS M, eds, social organization and settlement oxford :britch archaeological reports , international series , pp12-29

J, D Clark., 1976, Prehistoric populations and pressures favoring plant domestication in : Africa.In: Harlan, J., deWet, J. M. J., and Stemler, A. B. L. (eds.),Origins of African Plant Domestication,Mouton Publishers, The Hague, pp465-478.

⁽⁵⁸⁹⁾ Annabelle Gallin Jean-Loïc Le Quellec., 2008, Les ensembles céramiques ..., p72

حيث كانت تعلق حول الرقبة، أما أهم سمات النيوليتي في الصحراء الوسطى فهي الفن الصخري من نقوش ورسوم وكذلك صناعة الفخار وتدجين الحيوانات.

ويعد الفخار من أكثر المظاهر الحضارية انتشاراً في هذا العصر، وهو يدل على تغير في نمط الحياة في الصحراء بالتحول إلى إنتاج الطعام، وقد استخدم الإنسان الفخار لتخزين الحبوب البرية والسوائل وكذلك لدفن الموتى كما استخدمه كأواني للشرب، وإلى جانب الفخار استخدم الإنسان السلال لنفس الأغراض، وعرف بعد ذلك تدجين الحيوانات .

ومن المفترض أن الصيادين الجامعين وصيادي الأسماك هم أنفسهم الذين اكتشفوا الفخار، فقد عثر الباحثون على قطع الفخار قرب البحيرة الأحفورية في عين قزام التي كان الناس يمارسون فيها صيد الأسماك⁽⁵⁹⁰⁾، فقد وجدت ضمن البقايا خطاطيف وصنارات، كما وجدت أدوات مماثلة في "تافرجيت" و"تيويين"، وفي "تمايا ميلي" بمالي، كما وجدت بقايا النباتات التي كان يستهلكها الإنسان مثل حبوب "الميش" (النشم) و"التين الجاف"، إلى جانب بقايا الحلزون والجراد في الكثير من المناطق فقد كانت ضمن طعام الإنسان في ذلك الوقت⁽⁵⁹¹⁾.

والجدير بالذكر أن الإنسان استخدم في النيوليتي العديد من الأدوات بعضها تم التعرف عليها سواء في الفن الصخري أو ضمن البقايا في المواقع المختلفة، وهي تشمل: النصال والمكاشط، والأزاميل، ورؤوس السهام، والقطع الحجرية ذات الوجهين، والمسننات، والمناقيش والأدوات القرمزية الهندسية، والمطاحن والمدقات، وحجارة الشحذ. (الشكل 5,6,8,9,10)

أما الأدوات العظمية فكانت تتضمن: ملاعق، وإبر، وسنانير، وحراب، وخطاطيف ومسننات (الشكل 04)، واستخدم أدوات ليزين بها الفخار كالأمشاط وأدوات نباتية وحيوانية بل وحتى بقايا أسماك وقد عثر الباحثون على بعض منها في المواقع الأثرية، وإلى جانب تلك الأدوات استخدم الإنسان مطاحن ومدقات وصنع تماثيل مختلفة (الشكل 04)، كما

⁽⁵⁹⁰⁾ بخصوص هذا الموقع، ينظر:

Henri Lhote ., 1950, Le gisement néolithique d'In-Guezzam ,Sahara central,In :Bulletin de la Société préhistorique de France ،tome 47. N°3-4, pp171-165 .

⁽⁵⁹¹⁾ Ginette Aumassip Et Michel Tauvron., 1993, Op.Cit .P 74

استخدم الكثير من الأشياء التي وجدها في الطبيعة من أجل الزينة، كالحجارة الملونة والمخارز والقواقع واستخدم قشرة بيض النعام في صنع حلي مختلفة (الشكل 08) .

كما استخدم الإنسان الفخار على نطاق واسع وهو يختلف من حيث النوع والسمك وطريقة التزيين، وتسمح دراسة شكل الفخار وزخارفه في التعرف على الخصائص الثقافية لكل منطقة ، وحتى داخل المنطقة الواحدة نجد التنوع الثقافي ففي منطقة الهوفاث مثلا نجد اختلاف بين "أمكني" و"أدرار تيويين" (Adrar Tiouiyne) في شكل الفخار وزخارفه مما يعني بالضرورة أن المجموعات البشرية لم تكن هي نفسها في الموقعين ⁽⁵⁹²⁾. (الشكل 07)

أما بخصوص بداية إنتاج الفخار في الصحراء فيمكن القول أنه قديم جدا، فقد أرخه ج. ب ماطر (J.-P. Maître) في موقع "لاوني" بالهوفاث ب 7265 قبل الميلاد ⁽⁵⁹³⁾، أما في أمكني فقد أرخ ب 6720 ق.م ⁽⁵⁹⁴⁾، بينما في تيمدوين (Timidouin) ⁽⁵⁹⁵⁾ بالتفادست بالهوفاث يعود التاريخ إلى 6150 ± 130 قبل الميلاد ⁽⁵⁹⁶⁾، وهذه الاكتشافات في "أمكني" و"لاوني" و"تمدوين" تجعل من الهوفاث مركزاً حضارياً رئيسياً نظراً لقدم النيوليتي فيه، والمعلوم أن وجود الفخار يرتبط بتطورات حضارية أخرى كالزراعة مثلاً ⁽⁵⁹⁷⁾ .

والجدير بالذكر أن تواريخ أخرى قد جُمعت في أنحاء الصحراء أكدت قدم الفخار ففي منطقة الأير بالنيجر أرخ موقع "تاغالاغال" (Tagalagal) ب 7420 ± 130 قبل الميلاد ، وفي "تامايا ملي" أرخ ب 7600 ± 100 قبل الميلاد، أما في "تاوديني" بمالي فيعود الفخار

⁽⁵⁹²⁾ Gabriel Camps , Henriette Camps-Fabrer ., 1972, op.cit. p25

⁽⁵⁹³⁾ D. Grébénart ., 1986, Encyclopedie Berbère 1986, Edisud, P 348

⁽⁵⁹⁴⁾ Henri De Contenson, G. Camps., 1971, Amekni, Néolithique ancien du Hoggar, Syria, Année 1971, Volume 48, Numéro 1 , pp 243 - 247

⁽⁵⁹⁵⁾ هذا الموقع له أهمية كبيرة فيما يخص النيوليتي الرعوي، وقد اكتشفه ماطر وأكد على أهمية حيث أطلق اسمه على مرحلة البقريات في الهوفاث تحت اسم " بقريات تفادست"، ينظر :

J.-P., Maître ., 1974, Nouvelles perspectives sur la préhistoire récente de l'Ahaggar, Libya . t.XXII, pp 93-143

⁽⁵⁹⁶⁾ Ginette Aumassip Et Michel Tauvron. 1993, p.cit. p66

⁽⁵⁹⁷⁾ Jean-Pierre Roset., 1974, Un Gisement Néolithique Ancien Près De Fach Erg Du Ténéré Cah de l' O.R.S.T.O.M, Sér. Sci. Hum., Vol. XI, 110 1 - 1974, P106 .

القديم إلى 7550 قبل الميلاد ⁽⁵⁹⁸⁾، وفي "تين تورها" (Ti-n-Torha) ⁽⁵⁹⁹⁾ بالأكاكوس فقد أرخ الفخار ب 7130 قبل الميلاد من طرف الباحثة باربارا باريش (B. Barich). ⁽⁶⁰⁰⁾

ومن الممكن القول بتزامن النيوليتي في الصحراء الوسطى مع وادي النيل خاصة في موقع "نباتا بلايا" في أقصى جنوب مصر ⁽⁶⁰¹⁾، مع الأخذ في الاعتبار قدم النيوليتي في موقع "الآدام" (El Adam) في السودان ⁽⁶⁰²⁾ الذي يعود لحوالي 7850 قبل الميلاد وهو ما يعطى فكرة على أن انتشار النيوليتي كان اتجاهه من الشرق إلى الغرب ⁽⁶⁰³⁾.

ومن جهة ثانية يجب التأكيد على أن وجود الفخار لا يعني بالضرورة وجود تطورات حضارية أخرى كتربية الحيوانات، لكنه يعطي احتمالا قويا على وجود الزراعة، كما أن تلك المناطق التي أعطت تواريخ قديمة جدا للفخار أعطت تواريخ أقدم منها للإقامة الإنسانية التي تعود إلى 10 آلاف سنة وحتى 11 ألف سنة قبل الحاضر في منطقة الآير، والفن الصخري هناك قديم جدا فبدايته ربما تعود إلى 10.000 سنة قبل الحاضر ⁽⁶⁰⁴⁾. (الشكل 07)

⁽⁵⁹⁸⁾ D. Commlin., 1984, La Céramique du sahara malien implications chronologiques et anthropologiques, cahier de l' O.R.S.T.O.M, sér.géol, vol 14, n°2, 1984, p204

⁽⁵⁹⁹⁾ يعتبر موقع تين تورها من أهم المواقع في جبال تادراث الأكاكوس المحاذية للطاسيلي، وقد كانت محل أبحاث عديدة من بينها :

Angella. E Close., 1987, The Lithic Sequence from Wadi Ti-n-Torha (Tadrart Acacus). In: B.E. Barich (ed), Archaeology and Environment in the Libyan Sahara. The Excavations in Tadrart Acacus 1978-1983. Oxford: British Archaeological Reports: International Series, No 368, pp 63-85

Yves & Achilles Gautier, Van Neer Wim., 1982, Prehistoric Fauna from Ti-n-Torha (Tadrart Acacus, Libya), Origini, Roma, 11, 1982, pp 87-127.

⁽⁶⁰⁰⁾ D. Grébénart., 1986, op.cit. P 348

⁽⁶⁰¹⁾ Henri Contenson De, G. Camps., 1971, op.cit, pp 243 - 247

⁽⁶⁰²⁾ للمزيد حول موقع الآدام وموقع "نباتا بلايا"، ينظر :

Angella E Close., 2001, Sites E-91 3-and E-91 :4-The Early Neolithic of El-Adam type at Nabta Playa. In Wendorf, F., Schild, R., and Associates (eds), 'Holocene Settlement of the Egyptian Sahara, Vol. 1: The Archaeology of Nabta Playa', Plenum, New York, pp 71-96

⁽⁶⁰³⁾ G inette Aumassip., 1984, La Neolithisation Au Sahara, Cah. O.R.S.T.O.M., sér. Géol., v14 n° 2, 1984, p199.

⁽⁶⁰⁴⁾ Malika Hachid., 1998, Op.Cit. P218

أما الإشارات الأولى عن الزراعة فقد وجدت في أمكني من خلال اكتشاف اثنين من حبوب اللقاح لنوع من الدُّخن يعرف علمياً باسم (Pennisetum) كما وجدت في الموقع نفسه وفي مواقع أخرى مطاحن قد تدل على وجود الزراعة ⁽⁶⁰⁵⁾، والجدير بالذكر أن أبحاث أثرية في بعض المناطق قد أكدت وجود حبوب اللقاح للنوع نفسه من الدُّخن في معظم المواقع وقد وجد ملتصقا بكسر الفخار، فهذه الأواني كانت تستعمل لتخزين الحبوب، ومن بين المناطق التي وجد فيها "ظهر ولاتة" بموريتانيا ⁽⁶⁰⁶⁾ .

وفي "منيت" (Menit) بالتديكلت وُجد اثنان من حبوب اللقاح لنوع من الحبوب، كما أن هناك الكثير من مشاهد الفن الصخري التي تُظهر أشخاصاً يقومون بزراعة الأرض، ففي المشهد الذي يعود لمرحلة الرؤوس المستديرة في موقع "تين تافريست" نلاحظ أشخاصاً يقومون ببذر الحبوب ⁽⁶⁰⁷⁾، وفي موقع جبارين القريب من جانت يوجد مشهد لذر الحبوب ⁽⁶⁰⁸⁾. (اللوحة 28)

مع العلم أن مرحلة الرؤوس المستديرة تمثل بالأساس مجموعات الصيادين وهم أنفسهم الذين عرفوا الفخار وعرفوا أيضاً صناعة السلال، حيث يمكن بسهولة مقارنة زخارف الفخار بالزينات على أجساد النساء في العديد من المشاهد التي تعود لهذه المرحلة وبالتالي فإنه من المرجح أن هؤلاء الناس قد عرفوا الزراعة . (اللوحة 27، 28)

ولا يقتصر الأمر على رسوم مرحلة الرؤوس المستديرة، فحتى النقوش الصخرية التي تنتمي إلى مرحلة الجاموس العتيق القديمة ⁽⁶⁰⁹⁾ فيها ما يدل على وجود الزراعة وهذا ما لاحظناه في نقوش عديدة في "يوف أغلال" و "أفونار" في الهوقار، كما أن صوراً للنخيل

⁽⁶⁰⁵⁾ D. Grébénart., 1986, op.cit. P 348

⁽⁶⁰⁶⁾ Sylvie Amblard & J , Pernes., 1989, The identification of cultivated pearl Millet (Pennisetum) amongst plant impressions on pottery from oued Chabbi (Dhar Oualata, Mauritania), The African Archaeological Review ,n° 7, pp117-126.

⁽⁶⁰⁷⁾ Karl Heinz Striedter ., 1984, Felsbilder der Sahara, München, Prestel, p28

⁽⁶⁰⁸⁾ Henri Brueil ., 1952, les roches peintes de tassili, d'après les relevés du colonel Brenans)en collaboration avec H .Lhote, Actes du Congrès Panafricain de Préhistoire, Iie session, Alger 1952 , p190

⁽⁶⁰⁹⁾ للتعرف على مراحل الفن الصخري في الطاسيلي أنظر ما سيأتي في مبحث التعريف بمرحلة البقرات ، ص245

وجدت في "وادي جرات" وفي "تين أكاتافا" (tin akatafa) و"تين أنويين" (tin anneuin) وفي مواقع أخرى⁽⁶¹⁰⁾.

1 - النيووليتي الصحراوي:

لقد سُمي النيووليتي في الصحراء الوسطى باسم "النيووليتي الصحراوي السوداني" اعتقاداً من الباحثين أن أصله من نواحي الخرطوم، ورغم أن الدراسات التي قام بها كامبس في "أمكني" بالهوقار أثبتت أن تواريخ الراديو كربون في الطاسيلي والهوقار أقدم من منطقة الخرطوم ووادي النيل⁽⁶¹¹⁾، ومع ذلك ظلت التسمية لصيقة به، مع الإشارة إلى أن المقصود منها هو أصحاب البشرة الزنجية، ولكن الباحثين اصطَلَحُوا أخيراً على تسمية النيووليتي الصحراوي.

ويتنوع النيووليتي في الصحراء الوسطى تبعاً للمراكز الحضارية المختلفة الموجودة في المنطقة، وهي: الطاسيلي، والهوقار، وأدرار إفوغاس والتلمسي بمالي، والتينيري بالنيجر، و"ظهر تشيت" بموريتانيا، والصحراء الغربية (الخريطة 01)

وقد كان الاعتقاد السائد أن النيووليتي في الصحراء تم بواسطة مجموعات مهاجرة من الشرق⁽⁶¹²⁾، لكن أبحاث عن ثقافات العصر الحجري القديم المتأخر في الصحراء أظهرت وجود صناعة تتضمن الشفرات والنصال ولم تُكتشف إلا في بعض الأماكن من وادي النيل ومن شمال الصحراء وشمالها الغربي، وفي التينيري شمال النيجر، وفي أمكني بالهوقار وفي مواقع مختلفة بالأكاكوس وهذه الأخيرة وجدت مختلطة مع الفخار.

مما يعني أن النيووليتي الصحراوي تم بواسطة المجموعات البشرية نفسها التي مثلت ثقافات العصر الحجري القديم المتأخر الصحراوية، فهي التي كانت تستعمل الشفرات والنصال إلى جانب أدوات أخرى، وقد ظلت التأثيرات الحضارية لهذا العصر موجودة خلال النيووليتي، إذ لم يحدث تغيير كبير على الأدوات ماعدا بعض التعديلات التي أحدثت عليها،

⁽⁶¹⁰⁾ Ginette Aumassip Et Michel Tauvron., 1993, Op.Cit .P 74

⁽⁶¹¹⁾ Gabriel Camps, Henriette Camps-Fabrer., 1972, op.cit. p26

⁽⁶¹²⁾ حول هذا الموضوع ينظر مبحث جماعات البقريات، ص374

فالنصال والشفرات أصبحت خشنة وغير مصقولة بشكل جيد، لذلك تعتبر الصناعة النيوليتية رديئة نوعاً ما (613).

ويعتبر وجود صناعة العصر الحجري القديم المتأخر وإن كانت فقيرة دليلاً على أن الصحراء لم تكن خالية تماماً خلال مرحلة الجفاف بعد العاترية كما أسلفنا، فبعض المناطق كانت تتواجد فيها مجموعات بشرية ساهمت في اكتشاف الفخار وربما في الفن الصخري أيضاً، والشكل العام للفخار في "أمكني" يدل على نيوليتي قديم جداً ذو تقاليد سودانية فهو من جهة مشابه للفخار في مواقع وادي النيل إلى جانب كونه يعود للزئوج الذين كانوا متواجدين بكثافة في الصحراء الوسطى، وهو مختلف من حيث الشكل والحجم والسماكة عن بقايا الفخار المكتشفة في "أدرار تيويين" (tiouiyne) الذي يتميز بصغر حجمه، وهذه المنطقة تقع على ضفاف "وادي أمدة" (Amded) قرب التانزروفت في الجهة الغربية من الهوقار (614).

ووفق لما ذكره كامبس فإن الفخار الموجود في "أدرار تيويين" يعود إلى النيوليتي الأوسط وقد عاشت هناك مجموعات من صيادي الأسماك الذين كانوا يستخدمون الفخار، ولم يعثر لديهم على صناعة حجرية متطورة ماعدا رؤوس السهام وبعض الفؤوس اليدوية، وأرخ هذا الموقع ب 3370 ± 130 ق.م⁽⁶¹⁵⁾، وهذا الزمن الذي قدمه كامبس إذا كان صحيحاً فهو يتزامن مع نهاية مرحلة البقريات الوسطى⁽⁶¹⁶⁾ بالنسبة للفن الصخري، ومن جهة ثانية فإن النيوليتي الصحراوي يتميز بكثرة الفخار المزين بزخارف في شكل خطوط منقطة متموجة⁽⁶¹⁷⁾.

وقد عُرف هذا النيوليتي تطوراً وانتشاراً واسعاً بفضل انتشار الرعاة في كامل الصحراء، وهو إلى جانب ذلك غني بالأدوات فقد عُثر في "أمكني" على بقايا عظمية وحلي تتمثل في

(613) Ginette Aumassip., 1984, op.cit. p199

(614) Henri De Contenson ,G. Camps., 1971, op.cit, pp 243 - 247

(615) Gabriel Camps., 1974, Tableau chronologique ... P269

(616) تقسم المرحلة الرعوية التي تعرف بين الباحثين في الفن الصخري باسم مرحلة البقريات إلى ثلاثة مراحل هي: بقريات قديمة، وسطى وحديثة ، للمزيد من التفاصيل أنظر ما سيأتي حول مواضيع الفن الصخري ، ص 293، 337

(617) Ginette Aumassip., 1984, op.cit.pp199-200

مجوهرات من العظام والعاج⁽⁶¹⁸⁾ كما وُجدت قطع من بيض النعام وحلقات من الحجارة، أما بالنسبة لنوع البقايا الإنسانية فهي تعود للزواج⁽⁶¹⁹⁾ وتتمثل في ثلاثة أفراد امرأة وطفلين مدفونين في ملجأ صخري⁽⁶²⁰⁾.

والمعروف أن بقايا للزوج وجدت أيضا في "لاوني" بالهوفار وفي "تين هناكتن" بالطاسيلي وفي العديد من المواقع في الطاسيلي والهوفار، وعموما يمكن القول أن النيوليتي الصحراوي متواجد بكثافة في هذه المنطقة التي هي محل الدراسة وأنه قد عَرَف تطورا كبيرا.

2 - النيوليتي ذو التقاليد القفصية :

لقد امتدت القفصية إلى النيوليتي في شمال إفريقيا وفي الصحراء، ويعتبر النيوليتي القفصي غنيا بأدوات الزينة، ومن أبرز مواقعه كهف "الكابيليتي" بالأوراس الذي تضمن صناعة حجرية وعظمية، كما تضمن حلي حجرية وعظمية، وبيوض النعام المزينة وغير المزينة وفخار، وقواقع المولسك⁽⁶²¹⁾، وقد عُثِر في موقع "فايد السوار" بأم البواقي على أداة فريدة من نوعها هي عبارة عن قناع منقوش في جمجمة إنسان⁽⁶²²⁾.

وقد تميزت القفصية عن بقية الحضارات في شمال إفريقيا بكثرة استعمال الحلي الحجرية والعظمية، وبعض هذه الحلي مصنوع بدقة من كسر بيض النعام ومن الحجارة أو العظام⁽⁶²³⁾، كما وجد الباحثون العديد من التماثيل الحجرية والطينية الشبه الإنسانية

⁽⁶¹⁸⁾ وجدت بقايا المجوهرات المتمثلة في حلقات وعقود...، في الكثير من المدافن التي تعود للنيوليتي، نذكر في هذا الإطار العديد منها التي اكتشفت في مواقع الأكاكوس، وكذلك تلك التي اكتشفتها فرانسوا باريس في مقابر منطقة "إن إردال" شمال النيجر، وهي تعود إلى ما بين 3370 و 3385 ق.م، ينظر:

François Paris., 1996, Les Sépultures Du Sahara Nigérien Du Néolithique A L' Islamisation, Tome 1, Coutumes Funéraires, Chronologie, Civilisations, Orstom Editions , Paris, P39

⁽⁶¹⁹⁾ أنظر ما سيأتي حول الزواج في مرحلة البقريات ، ص 374

⁽⁶²⁰⁾ Henri De Contenson, Gabriel. Camps., 1971, op.cit, pp 243 - 247

⁽⁶²¹⁾ Aicha Bachir Bacha., 2000, Nouvelle Contribution H La Compréhension Du Neolithique De l'Algerie Orientale : Le Matériel Archéologique De La Grotte Capeletti, Collection Thérèse Rivière, L'Anthropologie 104,2000, pp301-302

⁽⁶²²⁾ Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit, pp122-123

⁽⁶²³⁾ H.-V. Vallois ., 1980, La sépulture et la parure de l' Homme Capsien de Ain Méterchem, (TUNISIE), Notions nouvelles et discussion, Bulletin de société préhistorique française ,1980 , tome 77 , 5, pp138-139

والحيوانية بالإضافة إلى مطاحن ومدقات ضخمة، كما يُعتقد أن القفصيون هم الذين نفذوا الفن الصخري في الأطلس الصحراوي (624).

وقد امتدت تأثيرات القفصية إلى الصحراء في النيوليتي وانتشرت خصوصاً في الصحراء الشمالية لكن على ما يبدو فإن ذلك قد تم في فترة متأخرة نوعاً ما (625)، ويمكن تمييز منطقتين على الأقل انتشر فيهما النيوليتي ذو التقاليد القفصية، المنطقة الأولى هي منطقة وادي الساوره التي عُرفت بكثافة بقاياها الحضارية ومنها ما يعود للنيوليتي، أما المنطقة الثانية فهي الصحراء المنخفضة بين كل من ورقلة وتقرت ووادي سوف، حيث انتشرت فيها كل من الثقافة "الملاية"، و"الحجارية" وكلا الثقافتين لهما علاقة وثيقة بالقفصية (626)، حيث أن مواقع "الحجار" و"المويلح" في ورقلة يحملان تأثيرات قفصية (627).

ومن المفترض أن امتداد القفصية إلى الصحراء قد تم عبر الأطلس الصحراوي، حيث وجدت مواقع حضارية قديمة لها في وادي جدي وأولاد جلال على أبواب الصحراء الشمالية وفي "وادي سوف" ووجدت متوغلة أكثر في "تادمايت" وفي منطقة "مرجومة" بالصحراء (628).

ومن خلال الأبحاث التي قام بها كامبس في كل من مثلث واحات "ورقلة" و"القولية" el gouliaa) و"تيماسين" (temassinine)، ودراسته للأدوات والبقايا الإنسانية والحيوانية أكد على وجود النيوليتي الصحراوي القفصي في منطقة ورقلة، أما النيوليتي في توات وتيديكلت والهوقار والتبيستي، والطاسيلي، والتلمسي، وموريتانيا فهو ذو تقاليد سودانية لكونه يعود على الأرجح للزنج (629).

(624) Lionel Balout., 1972, op.cit. p180 Paul, Bellin., 1957, L'art rupestre des Ouled Naïl .In : Bulletin de la Société préhistorique de France ,tome N°54 ,5-6, pp .299-302, Ginette Aumassip., 2006, Stratigraphie Et Art Rupestre, Mém. Serv. Géol. Nation. N°13 , p247

(625) Henry N. Le Hou'rou., 1997, op.cit, p633

(626) عن هذه الحضارة أنظر ما سيأتي في مبحث ثقافات العصر الحجري القديم المتأخر في الصحراء، ص135

(627) ginette Aumassip ., 2001, Op.Cit.P112

(628) محمد الصغير غانم، 2003، المرجع السابق، ص 103-104.

(629) Ginette Aumassip., 1970, Note Sur Le Néolithique Saharien, Bull, Ass, Sénégal. Et Quater. Ouest Afr, Dakar, N°25, Mars1970, pp17-19

ومن خلال ما سبق يمكن تأكيد وجود تأثير قفصي في الصحراء الشمالية، لكن امتداد تأثيرات هذه التأثيرات إلى الطاسيلي والهوقار غير مؤكد نظراً لقلة المواقع التي تتضمن بقايا قفصية، وكان هنري هوجو قد أشار إلى أن القفصية إمتدت إلى الأطلس الصحراوي وإلى الصحراء الشمالية، لكن هانريت فابريه ومن خلال دراستها لنقوش بيض النعام والفخار لاحظت أن النيوليتي القفصي قد امتد جنوباً وأنه وصل إلى الصحراء الوسطى.⁽⁶³⁰⁾

وقد قيل إن حدوده الجنوبية تصل إلى "عرق أقدي" و"رقان" وموقع "الولف" و"عين صالح" إلى جانب "إليزي" وشمال "فزان"، وكان ليونال بالو قد عثر على بقايا أخرى للقفصية في وادي جرات بالطاسيلي، وأضافت الباحثة كوليت روبي مناطق أخرى مثل "حاسي المويلح" في ورقلة و"أبيار ميجي" (Abiar Miggi) في ليبيا و"عين القطارة" بتادميت. ويتميز هذا النيوليتي بوجود النصال وبالأدوات الميكروليتية الهندسية وندرة الفخار، مع كثرة بيض النعام والأدوات العظمية⁽⁶³¹⁾.

ويعتقد أن المرحلة القديمة من النيوليتي القفصي متواجدة في ورقلة خاصة بحاسي مسعود والمناطق الجنوبية في "زوية الخالة" (Zaouia el Khala)، و"وادي الأبيض" ومنطقة البيّض، وموقع "إزيمان" القريب من إليزي، أما المرحلة الحديثة منه فانتشرت في الصحراء الشمالية، كما انتشرت في الشرق في العديد من المواقع الليبية مثل "أبيار ميجي" ومناطق قريبة من كهف هوافتيح في الساحل، وفي الجهة الغربية الليبية في كل من مواقع "عبد العظيم" و"قوم السيدة" (Foum Seiada) وهي تعود إلى 2200 ما بين 1700 ق.م⁽⁶³²⁾.

أما بالنسبة للأطلس الصحراوي فوجود النيوليتي ذو التقاليد القفصية فيه مرتبط بالفن الصخري وبيض النعام المنتشر في العديد من المواقع، وقد كان هذا الأمر محل جدال بين الباحثين فقد طُرحت العديد من الآراء حول أصول الفن الصخري في الأطلس الصحراوي، فمن القائلين بأنه ينسب للفن "الفرنسي الكانتابيري" (franco-cantabirique)، أو إلى

⁽⁶³⁰⁾ Ibid, pp17-19

⁽⁶³¹⁾ Henri-Jean, Hugot., 1954, «Du Capsien au Tidikelt ?». Actes du Congrès Panafricain de Préhistoire, IIe Session, Alger, 1952. Alger / Paris: Arts et Métiers Graphiques. pp 601-603

⁽⁶³²⁾ Henriette Camps-Fabrer, 'Camps Gabriel., 1972, Op.Cit. P29-30

الفن الموجود في شرق إسبانيا، بينما أكد "هنري لوت" أن هذا الفن منفصل عن الفن الأوربي وأنه متأخر عنه، وكان الباحث "ريموند فوفري" قد قال بأنّ القفصيين هم الذين نفذوا هذا الفن، بينما تُعارض "كوليت روبي" (Colette Roubet) هذا الطرح وتقول أن هذا الفن من إنجاز حضارة أقدم من الحضارة القفصية لكنها لم تحددها⁽⁶³³⁾، بينما يعتقد هنري هوجو أن الفن في الأطلس الصحراوي يعود إلى النيوليتي وليست له علاقة بالقفصيين، وهو ينسبه إلى حضارة صحراوية غير محددة⁽⁶³⁴⁾.

ومن جهة ثانية الكثير من الباحثين يعتقدون أن القفصيين بالفعل يمثلون جانباً من الفن الصخري للأطلس الصحراوي، إذ يذكر بول بيلين (Paul Bellin) أن: «هذا الفن يعود للنيوليتي ذو التقاليد القفصية»⁽⁶³⁵⁾، أما مليكة حشيد فتعتقد أن جانباً من هذا الفن ينتمي إليهم، وهو الأمر نفسه الذي ذهب إليه كل من هنري بروي (H. Breuil) وغابريل كامبس (G Camps) وكامبس فابريه (H. Camps-Fabrer) وليونال بالو⁽⁶³⁶⁾، والجدير بالذكر أن بعض مواقع هذه الحضارة وجدت قرب مواقع للفن الصخري خاصة في الأطلس الصحراوي مما يدل على ارتباط واضح بين القفصيين والفن الصخري، كما وجدت قربها ببيوض النعام⁽⁶³⁷⁾.

ويتميز النيوليتي القفصي بغناه بالأدوات الحجرية وكذا ببيوض النعام لكنه فقير من الفخار خاصة في مراحله القديمة، فالمرحلة القديمة من القفصية المتواجدة في الأطلس الصحراوي والمغرب الأقصى خالية تماماً من الفخار، ويتميز النيوليتي القفصي في الشمال بكونه حديثاً نسبياً فهو يعود لما بين الألف الرابعة والخامسة، بينما يصل في الصحراء إلى ما بين الألف الخامسة والسادسة وهذا الأخير متأثر بالحضارة التينيرية (Ténéréen) في الجنوب⁽⁶³⁸⁾.

⁽⁶³³⁾ Ginette Aumassip., 2004, Op.Cit, pp268-269

⁽⁶³⁴⁾ Lionel Balout., 1972, Op.Cit. P18

⁽⁶³⁵⁾ Paul, Bellin ., 1957, L'art rupestre des Ouled Naïl .In :Bulletin de la Société préhistorique de France ،tome N°54 ,5-6, pp 299-302

⁽⁶³⁶⁾ Ginette Aumassip., 2006, Stratigraphie Et Art Rupestre, Mém. Serv. Géol. Nation. N°13 , p247

⁽⁶³⁷⁾ الكثير من محطات الفن الصخري الذي زرتها حول بوسعادة مثل محطة وادي الشعير التي تبعد ب50 كلمتر عن بوسعادة في جهة الجنوب الشرقي ومحطات بعين الريش على بعد 70 كلم في الجهة الغربية، وكذلك محطات قرب الجلفة، عثرت فيها ببيوض النعام قرب محطات للفن الصخري .

⁽⁶³⁸⁾ Gabriel Camps., 1974, op.cit, P 220

ويعد وجود بيض النعام دليلاً على القفصيين في النيبوليتي فهذه الحضارة التي بدأت منذ حوالي 7500 ق.م استمرت إلى النيبوليتي، واستخدم السكان ببيض النعام كأواني ومستوعبات وكؤوس كما استخدموا قطعاً منها كمجوهرات للزينة في شكل حلقات مثقوبة كانوا يتزينون بها، كما كانت بعض ببيض النعام مزخرفة بصور حيوانات مثل الغزلان والأبقار وهي من الحيوانات المقدسة لديهم، وتضمنت الزخارف أيضاً رموزاً سحرية، كما وُجدت ببيضاً مدهونة بالمغرة الحمراء في "برج ملالة" (Bordj Mellala) جنوب ورقلة مما يدل الممارسات السحرية. والمعلوم أن بيض النعام كان يغطي مساحة كبيرة فقد وصل إلى "عرق إساون" (issaouan) شمال الطاسيلي، أما الأفق الزمني لهذا النيبوليتي فهو يتراوح بين 4500 و 3000 ق.م، كما ظهرت مرحلة حديثة منه فيما بين 2200 و 1700 ق.م في موقع "إزيم" جنوب ورقلة (639).

من جهة ثانية فإن وجود النيبوليتي في الصحراء الشمالية شمل كل المواقع سواء تلك التي تقع ضمن تأثيرات الحضارة القفصية أو الثقافة الملالية في ورقلة، لكن لم يسجل وجود النيبوليتي القفصي في الهوقار والطاسيلي، رغم أن بيض النعام كان موجوداً هناك . وبغض النظر عن نوع النيبوليتي في الصحراء إذا ما كان ذو تقاليد قفصية أو ذو تقاليد سودانية فإنه يمكن تقسيمه إلى قسمين "نيبوليتي ما قبل رعوي"، ونيبوليتي الرعوي وهذا الأخير هو الذي يتناسب مع مرحلة البقريات في الفن الصخري .

ب- ثقافات النيبوليتي ما قبل الرعوي في الصحراء الوسطى :

إن بداية النيبوليتي في الصحراء غير معروفة على وجه الدقة وهو مرتبط بالفخار خصوصاً وذلك لأن التطورات الأخرى كتدجين الحيوانات والزراعة كانت متأخرة، والأمر مختلف عن الشرق الأدنى الذي برز فيه مصطلح النيبوليتي ما قبل الفخاري، والمعروف أن هذا الأخير عرف تطورات حضارية مهمة كالزراعة وتربية الحيوانات وحياة الاستقرار وظهرت فيه القرى والتجمعات السكانية لكنه لم يعرف الفخار، بينما النيبوليتي في الصحراء لم يعرف هذه التطورات إلا في وقت لاحق .

(639) Ginette Aumassip., 1970, Op.Cit, pp150-155

ورغم أننا لا نعرف على وجه الدقة بداية النيوليتي، إلا أنه من الممكن أن بدايته كانت متزامنة مع بداية الرطوبة الكبرى في الهلوسان المبكر، حيث ساعد تحسن المناخ الإنسان على الاستيطان في المنطقة فالصناعة الحجرية للعصر الحجري القديم المتأخر⁽⁶⁷⁰⁾ حلت محلها في منتصف الألف السابعة قبل الميلاد صناعة النيوليتية، والصيادون القدامى كانوا قد عرفوا صناعة الفخار في وقت مبكر، أما الزراعة فهي محتملة في أمكني من خلال حبوب اللقاح التي عُثر عليها لنوع من الحبوب البرية⁽⁶⁷¹⁾.

وعموما تتميز الحضارات النيوليتية الصحراوية بندرة الأدوات القرمزية الهندسية ماعدا في بعض المواقع، وباستخدام ضعيف لبيض النعام مع عدم وجود الزينات عليه في حال وجوده، وكثرة الفخار وتنوعه فهناك الشكل الكروي والمقوب وذو الفتحات الصغيرة، وهو يختلف حسب المناطق وحسب الزمن، وذلك يدل على التعدد الثقافي الذي يعكس التنوع العرقي .

كما نلاحظ تطوراً في الصناعات الحجرية مع نهاية الألف السابعة إلى غاية الألف الرابعة قبل الميلاد، فقد أصبحت تشمل المحكات المتطورة، والمسحاج أو المنجل والمخارز والأزاميل والمكاشط، بالإضافة إلى المناقيش الذي كان يستخدم في تنفيذ النقوش، وأدوات تشبه المشط كان الإنسان ينفذ بواسطتها زخارف على الفخار⁽⁶⁷²⁾، ومن الأدوات التي كانوا يستخدمونها المطاحن والأواني الفخارية والمجوهرات الكثيرة⁽⁶⁷³⁾ والمتنوعة⁽⁶⁷⁴⁾.

⁽⁶⁷⁰⁾ لا يمكن التأكد من وجود ثقافات العصر الحجري القديم المتأخر في الهوقار، فالمعروف لحد الآن هو وجود ثقافات في الصحراء الشمالية خاصة في مناطق حول ثفرت وورقلة تعرف بالثقافة الملالية، نسبة لحاسي المويلح في ورقلة، وهي متأثرة بالقفصية، ولكن لا يعرف على وجه الدقة من أنها قد وصلت إلى الهوقار، وإن كان كامبس قد اقترح وجود ثقافة أولية في أمكني سابقة للنيوليتي، كانت بمثابة القاعدة تطور على أساسها النيوليتي، ينظر :

Ginette Aumassip., 2001, op.cit ,P 124

⁽⁶⁷¹⁾ Franz Trost ., 1998, op cit. P24

⁽⁶⁷²⁾ Ginette Aumassip Et Michel Tauvron ., 1993,Op.Cit, P66

⁽⁶⁷³⁾ عثر على العديد من المجوهرات الحجرية في مواقع مختلفة منها في تيميلين Timelain في النقادست من طرف ماتر Maître .P.-J وهي تتخذ شكل مكعبات أو شكلاً شبه دائرية، كما وجدت أيضاً خواتم غليظة ومنها خاصة تلك التي وجدت بكثرة في أدرار تيويين Tiouiye Adrar بالهوقار، ويمكن ملاحظة الكثير من هذه المجوهرات في مشاهد مرحلة الرؤوس المستديرة في صفار وتين تزاريفت، للتوسع أكثر في موضوع المجوهرات يرجي العودة إلى :

H .Camps-Fabrer et B .Dudot., 1992, Bracelets de pierre, Bracelets – Caprarienses in : encyclopedie berbere, Volumes n°11, Aix- en -Provence : Edisud, 1992, p1607.

H Camps-Fabrer., 1961, Parures des temps préhistoriques en Afrique du Nord ,Alger ,Impr . officielle.1961 .

⁽⁶⁷⁴⁾ Ginette Aumassip Et Michel Tauvron ., 1993, Op.Cit,pp 69-70.

ويتميز النيوليتي ما قبل الرعوي أيضا بوجود رؤوس السهام والفخار والذي وجد في المستوى الأدنى من موقع تين هناكتن وأرخ ب 8100 ± 130 قبل الحاضر، وهو يتزامن مع مستويات الفخار والصناعات الحجرية ورؤوس السهام في تادرارت أكاكوس التي تؤرخ في 9080 ± 70 قبل الحاضر و 8072 ± 100 قبل الحاضر⁽⁶⁷⁵⁾.

ومن التطورات الحضارية التي عرفها هذا النيوليتي وجود الفن الصخري وهو يمثل الصيادين فالحياة الرعوية لم تبدأ بعد في الصحراء، إذ توجد أدلة على تدجين الأغنام أو الأبقار، وفي المقابل سجل إنتاج الفخار في المنطقة تواريخ موهلة في القدم كما أسلفنا، ورغم أن الكثير من الباحثين يقولون أن السكان كانوا من الصيادين الجامعين وصيادي الأسماك، إلا أننا نجد صعوبة في تقبل فكرة وجود مجموعات تستعمل الفخار ولا تقوم بتربية الحيوانات، لأنه من المعروف أن استعمال الفخار يتطلب نوعا من الاستقرار. والجدير بالذكر أن بقايا خراف برية وبقايا روث متحجر لأنواع ماعزية أخرى تم العثور عليها في طبقة تنتمي إلى طور الاكاكوس المبكر الذي يعود للصيادين وقد أرخ بما بين 7850 و 6850 قبل الميلاد في ملجأ "وان تابو" بوادي تاشوينت بالأكاكوس⁽⁶⁷⁶⁾، وطبعاً ذلك لا يشكل دليلاً على أن هذه الحيوانات كانت مستأنسة.

أما بالنسبة لشعوب الصحراء في ذلك الوقت فقد عاشوا في ضل ظروف طبيعية سادت فيها رطوبة واسعة في كامل الصحراء مما سهل عليهم التبادل الحضاري، فالأنهار كانت تخترق الصحراء الكبرى رابطة بن مناطق الصحراء الشمالية والجنوبية والوسطى، وذلك ساهم في الانتقال الحضاري، ولقد كانت بالفعل الاتصالات بين الشعوب سهلة بسبب التجاور، وعدم وجود العوائق المتمثلة في الكثبان الرملية التي تشكل اليوم العروق أو الأراضي القاسية مثل الحمادة، وكانت المجاري المائية هامة في ذلك الوقت في الصحراء الكبرى والتي كانت تتبع من سلسلة جبال الأطلسي ومن الهوفا، ولا تزال المجاري الواسعة للوديان الجافة تشهد على ذلك الازدهار رغم ما أصابها من ردم.

⁽⁶⁷⁵⁾ Ginette Aumassip ., 1984, Le site de Ti-n-Hanakaten et la néolithisation sur le marges orientales du Sahara central., Cahiers ORSTOM. Série Géologie ،t 14, n°2, pp201-202

⁽⁶⁷⁶⁾ M ,Cremaschi. and L Trombino., 2001, The formation processes of the stratigraphic sequence of the site and their palaeoenvironmental implications. In: E.A.A. Garcea (ed), Uan Tabu in the Settlement History of the Libyan Sahara, All'Insegna del Giglio, Firenze, pp15-23

وتلك الظروف الطبيعية المواتية التي شهدتها الهلوسان المبكر كان لها أثر كبير في بروز مراكز حضارية كبيرة في الصحراء الوسطى، وقد تميزت كل من هذه المراكز بخصائص حضارية معينة وشكل كل منها ثقافة ذات ملامح خاصة .

1- ثقافة الأكاكوس :

لقد ظهرت في الأكاكوس ثقافتان مميزتان في الهلوسان، الثقافة الأولى تعود للهلوسان المبكر وهي تمثل ثقافات العصر الحجري القديم المتأخر للصيادين الجامعين، أما ثقافة الأكاكوس المتأخرة فمواقعها قليلة حيث وُجد فيها الفخار بكثرة وهو فخار شبيه بفخار الطاسيلي، حيث الشكل البسيط والتزيين بخطوط متوازية متموجة، وتؤرخ هذه الثقافة بحوالي 7940 ق.م و 7540 ق.م في "تين تورها الشرقية" وحوالي 7820 ق.م و 7480 ق.م في وان تابو⁽⁶⁷⁷⁾ .

ومن المواقع الأخرى في الأكاكوس: وان موهيجاج (Uan Muhuggiag)، ووان تلوكت (Uan Telocat)، ووان أفودا (Uan Afuda)، ووادي تاشوينت (Wadi Teshuinat) الغني بالفن الصخري، بالإضافة إلى مواقع متناثرة في عرق وان كازا (Uan Kasa).

أما بالنسبة لموقع "وان موهيجاج" القريب من تين تورها فيعتبر موقعا مهماً فقد عُثر فيه على بقايا حضارية تشمل أواني فخار كبيرة وصال، وصناعات حجرية وعظمية غنية بما فيها مجوهرات من العظام ومن أبرز ما عُثر عليه فيه مومياء لطفل صغير من الزنوج، إلى جانب بقايا إنسانية أخرى تعود إليهم، وقد قام بالبحث فيه فابريزيو موري في سنة 1965 ثم توالى حملات البحث الإيطالية عليه، وأظهرت نتائج البحوث أن هذا الكهف تواترت فيه الإقامة البشرية ثلاث مرات، الأولى وهي الأقدم كانت في الألف الثامنة قبل الحاضر، والاستيطان الثاني كان بين الألف السادسة والخامسة قبل الحاضر وهو متزامن مع الاستيطان البشري لموقع وان تلوكت (Uan Telocat) المجاور، أما الاستيطان الثالث فقد كان في الألف الرابعة قبل الحاضر قبل أن تتعرض المنطقة للجفاف وتُهجّر هذه المواقع نهائياً .

⁽⁶⁷⁷⁾ Annabelle Gallin, Jean-Loïc Le Quellec ., 2008, Les ensembles céramiques..., p71

أما موقع "وان تلوكت" فهو عبارة عن ملجأ صخري يقع في وادي إمها (Imha) بالأكاكوس جنوب "وادي تاشوينت"، ويحتوى الموقع على محطات للفن الصخري تعود لمرحلة الرؤوس المستديرة ومرحلة البقریات، أما البقايا الأثرية فتؤرخ ب 6745 ± 175 قبل الحاضر، وحسب الباحث "فابريزيو موري" فإن الطبقة الأثرية يزيد سمكها عن 140سم وتحتوى على بقايا لفخار مزخرفا وأبقار مستأنسة وأغنام، أما تاريخ الإقامة الأولى في هذا الموقع فهي تعود إلى الألف السادسة قبل الحاضر⁽⁶⁷⁸⁾.

2- ثقافات الهوفاار :

يتميز النيوليتي في الهوفاار بتعدد مواقعه ومنها: أمكني، منيت، أدرار تيووين، تمرناست وتتعدد الأدوات في هذه المواقع ومنها المطاحن والمدقات الضخمة بالإضافة إلى رؤوس السهام والصناعة العظمية الغنية، إلى جانب الخطاطيف والصنارات التي تدل على صيد مكثف للأسماك، أما الفخار فهو غني بالزخارف ذات الخطوط المتموجة والمتقطعة، وتؤرخ بداية النيوليتي في الهوفاار ب 6100 ق.م أما الإقامة الإنسانية فهي أقدم من ذلك⁽⁶⁷⁹⁾.

ويكتسي موقع أمكني أهمية كبيرة في التعرف على النيوليتي في الصحراء فهذا الموقع الذي يقع قرب مدينة تمرناست، يتضمن مستودعات أثرية على ارتفاع يقدر ب 1.50 متر، ويعتبر بذلك موقعا فريدا من نوعه في الصحراء، وتتمثل البقايا المتواجدة فيه في الصناعات الحجرية كالنصال المضروبة ورؤوس سهام والمكاشط وبقايا العظمية ولكن خصوصا قطع الفخار المتواجدة بكثافة، كما وجدت قطع من بيض النعام⁽⁶⁸⁰⁾.

وتكمن أهمية هذا الموقع في أن أثار الاستقرار البشري فيه قديمة جدا فهي تعود للألف الثامنة والسابعة قبل الميلاد وتمثل الزنوج، ومن المفترض أن هؤلاء الصيادون قد مارسوا في فترة ما نوعاً من الزراعة البدائية⁽⁶⁸¹⁾، ونظرا لأهمية هذا الموقع فإننا نقترح تسمية المرحلة القديمة من النيوليتي في الهوفاار باسم "ثقافة أمكني"، ويعتبر هذا الموقع من أقدم المواقع حيث يؤرخ المستوى السفلي فيه ب 8250 ق.م و 7450 ق.م، كما يوجد موقع آخر مهم

⁽⁶⁷⁸⁾ Elena A.A. Garcea., 1995,op.cit , p35

⁽⁶⁷⁹⁾ محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 132-134

⁽⁶⁸⁰⁾ Henri De Contenson, Gabriel. Camps., 1971, op.cit. pp243 - 247

⁽⁶⁸¹⁾ Andréa Dué ., 1994,op.cit, p34

في الهوٲار هو موقع "لاوني" الذي يعرف "بأدرار تالتيكن" ويؤرخ ب 7750 و 7150 ق.م وكلا الموقعين وُجد فيهما فخار مزخرفا بخطوط منقطة وأشرطة متعرجة من النقاط (682).

وبالإضافة إلى "أمكني" و"لاوني" وجدت مواقع أخرى في الهوٲار لكنها متأخرة نوع ما كموقع أدرار "تين ترين" الذي يؤرخ ب 4226 ق.م – 2626 ق.م والذي وجدت فيه صناعة قزمية هندسية كثيرة، أما مختلف البقايا في "منيت" فتؤرخ بين 4885 ق.م و 3670 ق.م وهي تشبه الطبقة العليا لأمكني المترامنة معها (683)، والجدير بالذكر أن معظم البقايا العظمية والصناعات الحجرية بما فيها رؤوس السهام في معظم المواقع بالهوٲار تدل على الطابع الزنجي .

وتلك التطورات الحضارية التي كانت موجودة في هذا الزمن المبكر تجعلنا نفترض أن تاريخ استيطان بعض تلك المواقع سواءً في الهوٲار أو في الطاسيلي والاكاكوس كانت قديمة ولا شك أن الاستيطان البشري يعود إلى العصر الحجري القديم المتأخر، وربما كان هؤلاء هم بقايا الصيادين العاتريين الذي ضلوا متواجدين هناك، ولا ريب أن منطقة الهوٲار قد استهوتهم فهي كانت ولا تزال أفضل حال مقارنة بمناطق الصحراء الأخرى، فقد كانت مغطاة بالغابات المتوسطية كما كان الجو فيها باردا مع بداية الهلوسان، لذلك فنحن نفترض أن المناطق الجبلية من الهوٲار كانت تمثل ملجأ جيدا لجماعات العاتريين وجماعات العصر الحجري القديم المتأخر .

ومع بداية النيوليتي وفي ضل الظروف المناخية المثالية ازدادت الكثافة السكانية في المنطقة نتيجة قدوم مجموعات من الشرق ومن الشمال وكذلك من الجنوب نحو الصحراء الوسطى، ولكن من المرجح أن تذبذبات المناخ قد سببت أيضا هجرات من المنطقة فقد لاحظنا أن الإنسان هجر بعض المواقع من الطاسيلي والاكاكوس، إلا أن الهجرة لم تكن كبيرة نظرا لكون تلك التذبذبات الجافة كانت قصيرة المدى .(الخريطة 12)

ويبدو أن عملية الانتقال إلى النيوليتي كانت تلقائية بسبب التطور الذي وصلت إليه مجموعات الصيادين، فقد أظهرت البقايا الأثرية التي جمعتها باربارا باريش في الاكاكوس

(682) Annabelle Gallin , Jean-Loïc Le Quellec., 2008, Les ensembles céramiques...,p71

(683) Ginette Aumassip Et Michel Tuvron., 1993, Op.Cit , pp 69-70

خاصة في ملجأ" تين تورها" الشرقي وجود إتجاه نحو التدجين والاقتصاد الإنتاجي، ومن الممكن أن قرى بدائية وتجمعات سكانية قد ظهرت في الصحراء الوسطى⁽⁶⁸⁴⁾، وبداية من الألف الخامسة قبل الميلاد بدأت مجموعات النيوليتي النيلية الصحراوية في التسلل إلى المنطقة، وهم الزوج الذي كانوا متواجدين في الحدود الجنوبية الغربية للهوفا⁽⁶⁸⁵⁾، ولا شك أن ذلك ساهم في تطور النيوليتي في الصحراء الوسطى .

وعلى كل حال فمن خلال البقايا الأثرية يمكن القول أن النيوليتي في الهوفا كان قديماً جداً ويمكن تلخيص مظاهره في ما يلي :

- صناعة حجرية رديئة على غرار معظم المواقع الصحراوية وقد تضمنت: النصال والنصيليات، والمكاشط، والمثاقب ومناقيش، والأزاميل، ورؤوس سهام، وقطع حجرية ذات وجهين ومساقل ومسننات ومطاحن و مدقات، وحجارة الشحذ وكمية كبيرة من رؤوس السهام إلى جانب أدوات قزمية هندسية .

- صناعة عظمية متقدمة وتمثلت في: الملاعق، الإبر، السنابير، الحراب، الخطاطيف ، والمسننات، والمخارز، والحلي .

- فخار مشكل ومزين عرف عدة أشكال منها الكبيرة والصغيرة، وبعضها ذو عنق وقد عرفت تنوعاً تبعاً للمناطق، ولكن على الأقل يمكن تمييز نوعين من الفخار هما فخار أمكني وفخار أدرار تيويين (Adrar Tiouiye) .

- وجود ببيض النعام وفي بعض الأحيان يكون مزينا، وهو ما يطرح إمكانية وجود تأثيرات قفصية .

- الفن الصخري هو من أهم مظاهر النيوليتي رغم أن هذا الفن قد يكون بعضه على الأقل قبل النيوليتي.

⁽⁶⁸⁴⁾ B. E Barich., 1987, Archaeology and Environment in the Libyan Sahara .(23) Cambridge: British Archaeological Reports International Series 368, Cambridge Monographs in African Archaeology, p102

⁽⁶⁸⁵⁾ Franz Trost ., 1998, op.cit, P24

- أدوات الزينة وتتمثل في مجوهرات من بيض النعام ومن الحجارة الملونة إلى جانب أدوات مختلفة يستعملونها مثل الأمشاط والأدوات النباتية أو الحيوانية وحتى بقايا أسماك وقواقع.

- احتمال وجود الزراعة فقد وجدت في مواقع الهوغار أنواع من حبوب اللقاح في أهنا، وأمكني، وفي أدرار بوس، والاكاكوس ومواقع موريثانية أخرى ، وهو ما يجعلنا نفترض وجود زراعة أو على الأقل وجود ظروف تسمح بالانتقال إلى الزراعة، حيث حاول الإنسان في وقت مبكر تخزين حبوب الذرة في موقعي أمكني وأهنا، وكذلك في أدرار بوس .

- أما الثقافات المنتشرة في الهوغار خلال النيوليتي القديم فهي ثقافة "أمكني" وثقافة "تمدوين" وهما متواجدان في نفس المنطقة، إلى جانب ثقافة "لاوني" وهذه الأخيرة هي تعتبر قديمة جداً ، وقد وجد فيها الفخار كما وجدت فيها مواد وأدوات الطحن وحجارة مشذبة، وصناعة عظمية فقيرة، ومن خلال البقايا الأثرية فإن النيوليتي القديم في أمكني⁽⁶⁸⁶⁾ يمكن تقسيمه إلى ثقافتين إحداها في المناطق الجبلية والأخرى في السهول⁽⁶⁸⁷⁾.

وبشكل عام فإن مناطق الصحراء الوسطى والجنوبية كانت مراكز للثورة النيوليتية منذ الألف السابعة، والدراسات الأنثروبولوجية أكدت وجود الزوج في فترة قديمة جدا في أمكني وتمنراست⁽⁶⁸⁸⁾ .

وقد أقر معظم الباحثين بقدّم النيوليتي الصحراوي، وذلك بفضل التواريخ القديمة جدا التي جمعت في موقعين رئيسيين في الهوغار هما أمكني و لاوني، فقد تم الحصول على زمن قديم جدا للفخار في لاوني⁽⁶⁸⁹⁾ يقدر ب 9210 ± 115 قبل الحاضر، وقد أكد الباحث جون بول ماطر أن هذا الزمن يتوافق حقيقة مع بداية النيوليتي في الهوغار، كما أكدته تواريخ أخرى

⁽⁶⁸⁶⁾ للمزيد من المعلومات حول النيوليتي القديم في أمكني، ينظر:

Gabriel Camps ., 1969, Amekni, Néolithique Ancien Du Hoggar , Mémoires Du Centre De Recherches Anthropologiques, Préhistoriques Et Ethnographiques,.(10) , Paris: Arts Et Métiers Graphiques,P153

⁽⁶⁸⁷⁾ Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit.P 137

⁽⁶⁸⁸⁾ Camps-Fabrer Henriette, Camps Gabriel., 1972, Perspectives ... , pp25-26

⁽⁶⁸⁹⁾ موقع "لاوني" المسمى أيضا بأدرار تلتكين Adrar Tiltakin اكتشف في 1964 من طرف ج ب ماطر حيث يتوفر الموقع على بقايا حضارية هامة تعود للنيوليتي تمثلت في صناعة حجرية رديئة وصغيرة الحجم ، ومنها المكاشط ، ورؤوس السهام مع فخار، والفخار في الهوغار تميز بشكله المنحني وهو ذو قاعدة في شكل قرص ، مع فتحة كبيرة وكان لها مقبض، وهذا الفخار كان مزينا بزخارف مختلفة ، وموحدة من حيث الشكل، ينظر :

Ginette. Aumassip ., 2001, op.cit, pp128-129

من "أمكني" جمعها كامبس، ولم تراود الباحثون أية شكوك حل صحة تلك التواريخ بعد الحصول على تواريخ مماثلة من مواقع أخرى، فقد تم الحصول على زمن متقارب في تاغلغال (Tagalagal) في الآير بالنيجر، وفي موقع "تاميت" في نفس المنطقة ⁽⁶⁹⁰⁾، كما تم الحصول على نتائج مماثلة في مواقع أخرى في "تين أوافادان" (Tin Ouafadene) وأدرار بوس حيث قدرت ب 9550 و 9000 قبل الحاضر ⁽⁶⁹¹⁾.

ومع أن التواريخ المنسوبة للنيوليتي في الهوقار تعد قديمة جداً، إلا أن "فراواندورف" قد جمع تواريخ أقدم في منطقة نباتا بلايا التي تقع في أقصى جنوب غرب مصر حيث قُدر الفخار ب 10.300 قبل الحاضر، وتضمن الموقع صناعة حجرية وعظمية إلى جانب أدوات وبقايا أخرى تشمل حبوب اللقاح لنوع من الذرة البرية ونوعين من البقوليات ولا يوجد أثر للمنازل أو الآبار، أما في موقع "الآدام" في السودان وهو قريب من موقع "نبتا بلايا" المصري، قُدرت بداية النيوليتي فيه بما بين 10.800 و 9800 قبل الحاضر وهو بذلك يعتبر أقدم مواقع النيوليتي في إفريقيا، وقد وجد فيه الفخار الذي يدل أسلوب زخرفته على أنه ينتمي إلى حضارة الخرطوم الأولى ⁽⁶⁹²⁾.

ومن جهة ثانية كان المناخ رطباً في النيوليتي فبقايا البحيرات والأنهار الأحفورية متواجدة في الكثير من المواقع ومنها على الخصوص عرق تيهوداين و آدمر، حيث وُجدت بقايا أسماك من نوع "الجري" و "الفرخ" (Perciformes) وهما من الأسماك النهرية، كما وُجدت الأسماك في الكثير من مواقع أجرى منها موقع "أدرار تيويين"، و"سيلي"، و"عين قزام" و"منيت"، أما في الطاسيلي فقد وجدت بقايا أسماك في عرق آدمر أيضاً، وفي كل من أنو أو ليليونا (Anou oua Lelioua)، وعين غليجم ⁽⁶⁹³⁾.

⁽⁶⁹⁰⁾ Ginette. Aumassip ., 1984, La Néolithisation ..., pp199-200

⁽⁶⁹¹⁾ Alain Durand Et Al., 1986, Vallée De L'azawagh (Sahara Du Niger) , Etudes Nigériennes, N°57 , Livre I, Peuplements Et Environnements Holocènes Du Bassin Oriental De L'azawagh (Niger), Paris : Editions Sepia, p30

⁽⁶⁹²⁾ Fred Wendorf , Romuald Schild., 1998, Nabta Playa and Its Role in Northeastern African Prehistory, journal of anthropological archaeology, 1998, 17,p100

⁽⁶⁹³⁾ Camps-Fabrer Henriette Camps Gabriel., 1972, Perspectives ..., p21

وبخصوص المناخ والبيئة التي كانت سائدة فقد كانت الأجواء شديدة الرطوبة في الهلوسان المبكر في كامل الصحراء، لكن المناخ لم يكن مستقراً فقد وجدت فترات جفاف قصيرة، ولكن مع بداية الألف السادسة بدأ التحول نحو الجفاف، ولا شك أن المناطق السهلية قد تأثرت بالجفاف أكثر من الجبال، ففي أمكني كانت البيئة النباتية تتمثل في أشجار الزيتون والبلوط والصنوبر من فئة البحر المتوسط وكان المناخ بارداً⁽⁶⁹⁴⁾.

وبشكل عام يمكن القول أن النيوليتي القديم في الهوثار قد عرف الصيد كما عرف اقتصاداً إنتاجياً بوجود الأواني الفخارية مع احتمال وجود زراعة بدائية، وبالنسبة لتدجين الحيوانات فقد تم في فترة لاحقة، أما عن الشعوب التي عاشت في تلك الفترة فقد كان معظمها من الزنوج، ومن الناحية الحضارية احترفت بعض الشعوب النقوش الصخرية فنفذوا الأعمال الفنية التي تعود لمرحلة الجاموس العتيق، وهي موجودة في وادي جرات خصوصاً وفي مناطق أخرى من تادرارت الجنوبية ومن الطاسيلي وفي الهوثار، بينما احترفت شعوب أخرى الرسوم، وإليهم تعود الرسوم الجميلة التي تعود لمرحلة الرؤوس المستديرة في الطاسيلي وهؤلاء كانوا من الصيادين، لكنهم في الأخير اهتموا إلى تدجين الحيوانات وهو ما أدى إلى تحول حضاري واضح ترجم على مستوى الفن الصخري بظهور رسوم الرعاة ضمن المرحلة التي نطلق عليها اسم "مرحلة البقرات القديمة".

3- ثقافات الطاسيلي :

يتميز الطاسيلي بكونه مركزاً رئيسياً للاستثناس كما أنه من أكثر المناطق غنى بالفن الصخري الذي يعود إلى مراحل مختلفة، فقد تواصل الاستيطان في مختلف المواقع لعدة آلاف من السنين، والمرحلة الرعوية ممثلة فيه بقوة من خلال الفن الصخري والبقايا الحضارية التي تركها الرعاة، ومما لا شك فيها أن المرحلة الرعوية قد شهدت ازدهاراً كبيراً في الطاسيلي.

وقد ظهرت أدلة على الاستثناس المبكر للأبقار في "تين هناكتن" أكدتها مشاهد الفن الصخري في الموقع نفسه وفي مواقع أخرى كموقع "وان درباون" (Ouan Derbaouen)، وعلى العموم تميزت المرحلة الرعوية في الطاسيلي بغناها بالأدوات التي تضمنت الصفائح

⁽⁶⁹⁴⁾ Franz Trost ., 1998, op.cit, P24

ذات الجوانب المشوهة والحلقات والمجارف والمكاشط، كما نسجل كثافة رؤوس السهام والشظايا الصغيرة والشفرات، أما الفخار فهو كروي الشكل وأحيانا له عنق ضيق، في حين أن الزخارف كانت في شكل نقاط خشنة تشبه خلية النحل وأحيانا في شكل أسنان، كما نجد بعضاً من الأواني مزخرفة بخطوط متموجة وهي تعود لمجموعات الصيادين لمرحلة الرؤوس المستديرة .

- **تين هناكتن** : وهو من أبرز المواقع ⁽⁶⁹⁵⁾ يقع في "تادرت الجنوبية"، ويعد من أقدم المواقع من حيث البقايا الحضارية، والنيوليتي في هذا الموقع يعتبر قديماً جداً فهو يعود إلى 9800 قبل الحاضر ويمثل الزنوج بالدرجة الأولى ⁽⁶⁹⁶⁾، ويعد هذا الموقع مهماً وذلك لكونه يعطي مخلفات أثرية لعدة حضارات، فالإقامة الإنسانية تواترت فيه منذ الحضارة الأشولية ثم العاترية، ثم إلى النيوليتي وما بعد النيوليتي، كما يحتوى الموقع على بقايا إنسانية للزنوج وللجنس الأبيض ⁽⁶⁹⁷⁾ .

- **عرق آدمر** : يمثل هذا العرق مركزاً حضارياً كبيراً في ما قبل التاريخ فقد كان موقع مثالياً للرعاة من أجل الاستقرار فيه لما توفر فيه من المروج الخضراء، وذلك ما يفسر كثرة الموجودات الأثرية فيه، حيث تواترت الإقامة البشرية في الباليوليتي حيث عُثر في هذا الموقع على بقايا تعود للأشولية ⁽⁶⁹⁸⁾، أما البقايا التي تعود للنيوليتي فهي تمثل الصناعات الحجرية وخاصة رؤوس السهام الكثيرة والأدوات الأخرى كالفخار المنتشر بكثافة ⁽⁶⁹⁹⁾، وتعتبر الصناعة في هذه المنطقة امتداداً للثقافة التينيرية فصناعتها مشابهة لها، فقد امتدت هذه الحضارة إلى الطاسيلي وانتشرت في عرق آدمر خصوصاً لقربه من التينيري .

⁽⁶⁹⁵⁾ حول موقع تين هناكتن ودوره في ما قبل التاريخ في الصحراء، ينظر :

Ginette Aumassip., 1984, Le site de Tin Hanakaten ...,pp 201-203.

⁽⁶⁹⁶⁾ Ginette Aumassip Et Michel Tauvron ., 1993, Op.Cit .P66

⁽⁶⁹⁷⁾ حول البقايا الإنسانية في تين هناكتن، ينظر :

Heim Jean-Louis et Hadjouis Djillali., 2007, L'enfant néolithique (Homo 5) de Tin Hanakaten (Tassili des Ajers, Algérie). Examen anthropologique et paléopathologique, **11 Actes Du Premier Colloque De Préhistoire Maghrébine**, Tamanrasset Les 5, 6 Et 7 Novembre 2007 , **Tome II**, pp27-41

⁽⁶⁹⁸⁾ Ginette Aumassip ., 2001, Op.Cit.P33

⁽⁶⁹⁹⁾ François Paris., 1996, op.cit, P139

ومن المواقع الحضارية في هذه المنطقة موقع أنو أوا ليليو (anou oua) (700) و "إن غليجم" وكلاهما يحويان بقايا نيوليتية ومحطات للفن الصخري، ومن بين المواقع أيضا موقع "إهارن" الذي وجدت فيه العديد من المواقع النيوليتية المتكونة من مجموعة من الأحجار تشكل دوائر كما وجدت الفخار بكثرة وهو مزخرف بنقاط غليظة وذو شكل دائري، وتوفرت أيضا أواني بعنق تشبه الفراشة، كما وُجد فخار تينيري (701) وفؤوس ذات عنق مثل تلك التي وُجدت في أدرار بوس، إضافة إلى رؤوس السهام المثلية الشكل وهي منتشرة في كل مكان، كما وجدت قبور ميغالييتية متنوعة تعود للنيوليتي (702).

ويبدو أن المنطقة قد استوطنت من الصيادين وصيادو الأسماك في البداية، ثم أصبح المكان مفضلا للرعاة، لكن نشاط صيد الأسماك استمر في المرحلة الرعوية، ويُحتمل أن البحيرات كانت موجودة في عرق آدمر، فقد عُثر على بقايا أسماك في أنو أوا ليلو وفي طاهور tahor وإن غليجم (in relidjem) (703).

- عرق تيهوداين : يعد هذا العرق الواقع بين الهوڤار والطاسيلي من المواقع الحضارية الهامة فقد وجدت فيه بقايا حضارية تعود إلى فترات قديمة، حيث عُثر فيه على بقايا أشولية اكتشفها الباحث موريس ريقا (704)، وقد كانت هذه المنطقة بحيرة خلال المراحل الرطبة التي مرت بها الصحراء ومنها في النيوليتي (705)، وقد وجدت هناك عشرات المقابر التي تتخذ شكل فتحة القفل وهي تعود إلى النيوليتي النهائي (706)، ومن أهم المواقع في هذا العرق

(700) أنو أوا ليليو Anou Oua Leliou وهو موقع مهم يقع في عرق آدمر تعود بقاياه الأولى إلى الأشولية، كما وجدت بقايا للعاترية في منطقة قريبة منه، ينظر :

Ginette Aumassip., 2004, Op. Cit, P 100,178, Ginette Aumassip., 2001, Op. Cit.P144

(701) يتميز الفخار التينيري بكونه دائري الشكل وينتهي بفتحة ضيقة وهو منتشر في جنوب الطاسيلي وصولا إلى النيجر

(702) François Paris ., 1996, Op.Cit., P139

(703) Gabriel Camps ., 1974, op.cit, pp221-222

(704) حول أبحاث ريقا في عرق تيهوداين، ينظر :

Maurice Reygasse.1935 , Découverte d'ateliers de technique acheuléenne dans le Tassili des Ajjers , Erg Tihodaine .In :Bulletin de la Société préhistorique de France ،1935 .tome ،32 N . 6,pp362-358 .

(705) C, Arambourg، L Balout., 1952 , L'ancien lac de Tihodaine et ses gisements préhistoriques, Actes du IIème Congrès Panafricain de Préhistoire d'Alger , 1952, p 281-292

(706) Smaïl Iddir ., 2013, Peuplement Holocene du bas Mertoutek, zone centrale de la chaîne Téfedest, Massif de l'Ahaggar (Algérie). Archaeology and Prehistory Université Toulouse le Mirail – Toulouse II, 2013, p108

موقع نيوليتا هاما يسمى " تيوريرن" (Tiouririn) وهو عبارة عن منطقة جبلية صغيرة تحتضن العديد من البقايا الحضارية والعديد من القبور، بالإضافة إلى موقع آخر هو مغارة تين عبد الله (tin – Abdallah) التي تحتوى على بقايا نيوليتية⁽⁷⁰⁷⁾.

وبشكل عام يمكن القول أن النيوليتي ما قبل الرعوي تركز في الهوآار، كما وجدت مراكز ثقافية له في منطقة تادارارت الجنوبية التي يوجد فيها موقع "تين هناكتن" وموقع "منخور" وهي تضم محطات للفن الصخري في أودية إن جران وتيدوناجي، ومن المراكز الأخرى في الطاسيلي عرق آدمر وتيهوداين، وكذلك المحطات الرئيسية للفن الصخري حول هضبة تامريت وقرب جانت، إلى جانب منطقة إهرير وهضبة تاجيلايين وأودية تسات وأهرهار وديدر، وفي بعض الملاجئ في الأكاكوس الأوسط "كفوزيجارن" و"وان فودا"، وفي الأكاكوس الشمالي في كل من "تين تورها" و"وان موهيجاج"، وذلك كله يدل على وجود مرحلة ما قبل رعوية طويلة في المنطقة تميزت باقتصادها الإنتاجي⁽⁷⁰⁸⁾.

ج- أوجه النيوليتي الرعوي (البقري) وثقافته:

عرف النيوليتي الأوسط انتشار الحياة الرعوية على نطاق واسع، فقد تم تدجين الحيوانات وتوسع الرعاة في كامل أنحاء الصحراء، وفي هذه الفترة حدث تطور بسيط على الصناعات الحجرية، وانتشرت رؤوس السهام بشكل أكبر وهو ما يدل على وجود كثيف للزئوج، وقد تميزت ثقافات النيوليتي الأوسط بالفؤوس المصقولة والمصاقل بالإضافة إلى أدوات الزينة المنتشرة بكثرة، أما الفخار فلم يختلف كثيرا عن فخار أمكني، وفي هذه الفترة أيضا برزت ثقافة جديدة في الهوآار في موقعين رئيسيين هما: أدرار تيويين⁽⁷⁰⁹⁾ و"منيت" اللذان يختلفان عن موقع أمكني القديم.

⁽⁷⁰⁷⁾ Yves et Christine Gauthier ., 2003, Chronologie ..., p156

⁽⁷⁰⁸⁾ J.D. Clark ., 1980, Human populations and cultural adaptations in the Sahara and the Nile during prehistoric times . In: M.A.J. Williams and H. Faure (eds), The Sahara and the Nile. Balkema, Rotterdam, p 565

⁽⁷⁰⁹⁾ يقع هذا الموقع قرب وادي أمدد في غرب الهوآار عند حدوده مع عرق التانزرفت، وجد في الموقع بقايا أسماك وأدوات الصيد مما يدل على أن السكان كانوا من صيادو الأسماك ، رؤوس السهام وجدت بكثرة ، كما وجد فخار من حجم كبير ، كما وجدت أدوات الزينة بكثرة خاص من بيض النعام ، كما وجدت مطاحن ومدقات، وفؤوس يدوية والأدوات أخرى مختلفة ، ينظر : Ginette Aumassip., 2001, op.cit.p140

ونسجل أن النيوليتي الرعوي يعرف أيضا باسم النيوليتي البقري فقد عرف كثافة في المواقع الأثرية مما يدل على الكثافة السكانية الكبيرة، بالإضافة إلى أن بقايا الأبقار موجودة بكثرة فمعظم سكان الطاسيلي والهوفار تحولوا إلى نشاط تربية الحيوانات، وبدأت أنشطة الصيد في الاختفاء تقريبا في هذه المرحلة وانتشر رعاة الأبقار في كل مكان لكنهم لم يصلوا إلى المناطق الجبلية إلا في الفترة المتأخرة والتي تتناسب مع البقرات الحديثة، كما يبدو أن نشاط تدجين الحيوانات لم يكن كبيرا في البداية إذ لم يظهر ما يدل على ذلك في المواقع الأثرية، وتكون الحياة الرعوية قد انتشرت في الهوفار بعد أن ترسخت في الطاسيلي.

وإذا كانت أنشطة الصيد قد تراجعت فإن صيد الأسماك ظل موجودا وربما توسع بشكل أكبر من السابق وهذا ما تؤكد به بقايا الأسماك في مختلف المواقع ، وكذلك أدوات الصيد المتمثلة في الخطاطيف والصنارات وهو ما يدل أيضا على درجة الرطوبة الكبيرة، والبيئة البحرية المنتشرة في الصحراء الوسطى في ذلك الوقت (710).

أما السكان فأغلبهم كانوا هم من الزنوج سواء في الهوفار أو في الطاسيلي وفقاً للبقايا الحضارية المصاحبة لهم أو صورهم في الفن الصخري، ولكن توجد إلى جانبهم أيضا مجموعات بيضاء قدمت من الشمال أو من الشرق بالإضافة إلى مجموعات الصيادين القادمين الذين تحولوا إلى الرعي، وقد انعكست هذه المرحلة على الهوفار بشكل إيجابي فقد انتشر الفن في كل مكان بما في ذلك التفادست وأدرار أهنا، وتعكس هذه المرحلة أيضا تعدداً في الأساليب الفنية وتنوعاً عرقياً أيضاً.

والملاحظ أن النيوليتي الأوسط في الهوفار كما في الطاسيلي لم يكن على نمط واحد بل عرف عدة مراحل وهذه المراحل يمكن تمييزها من خلال البقايا الأثرية في "أمكني" و"تمدوين" (Timidouin) اللذين استمر فيهما الاستيطان البشري زمنا طويلا، فقد تواترت الإقامة في أمكني منذ بداية الهلوسان وهي ممثلة على الصعيد الأثري في ثلاثة طبقات، كل منها تمثل مراحل زمنية للاستيطان البشري في الهوفار، أما في تمدين (Timidouin) فيمكن تمييز مرحلتين تمثلان النيوليتي الرعوي في منطقة التفادست كلها. ومن بين المواقع المهمة التي تعود للنيوليتي الرعوي في الهوفار موقع "أدرار تيووين" الذي يتواجد في وادي

(710) Gabriel camps., 1974, op.cit, p 238

أمدد" غير بعيد عن التانزوفت، وقد وجدت فيه بقايا للأسماك مما يدل على أن السكان الذين استوطنوه كانوا من صيادي الأسماك، وقد أרך الموقع في حوالي 4000 ق.م، ومظهره العام وأدواته مماثلة لتلك التي وجدت في "منيت" التي تعود لنفس الزمن⁽⁷¹¹⁾.

ومن مواقع الهوفاًر أيضاً موقع "باقينا 5" (baguena) وهو قريب من منيت، قام بدراسته هنري لوت بين 1956 و1957، وقد توافرت في هذا الموقع كمية كبيرة من الأدوات الحجرية والعظمية وقطع الفخار المزين بزخارف شبيهة بزخارف موقع الشهانب السوداني⁽⁷¹²⁾، ويتميز هذا فخار بقاعدته المخروطية الشكل، أما الإقامة البشرية فيه فتتزامن مع المستوى الأوسط لأمكني والمستوى الأعلى لموقع "أبوليج" (abouleg)، والملاحظ أن الأدوات التي نجدها في مواقع الهوفاًر مثل "منيت" و"مكني" و"أبوليج" مماثلة لتلك التي وجدت في عرق آدمر وتادرات الجنوبية، أما الصناعة العظمية فهي فقيرة وتضمنت على الخصوص الصنارات والخطاطيف⁽⁷¹³⁾.

وبشكل عام فالأدوات في النيوليتي الرعوي تضمنت عدداً معتبراً من رؤوس السهام مثلما هو الأمر في "أدرار تيويين"، إلى جانب فؤوس مصقولة وعدد كبير من الحلقات الحجرية والكرات المهيئة، أما الفخار فهو ذو حجم كبير ومزين بزخارف متنوعة وهو مختلف عن الفخار القديم، كما وجدت بيوض النعام بكثرة، وبالنسبة لأدوات الزينة فهي متنوعة فمنها الحلقات الصغيرة المشكلة من بيض النعام، كما وجدت حلي من مادة الأمازونيت وهي من الأحجار الكريمة ذات الألوان المختلفة، والأساور المشكلة من الحجارة، والشفنورات المصنوعة من العظام وهي أدوات من عظام أو خشب تضعها أقوام بدائية في شفيتها.

وقد كان للتغيرات المناخية التي طرأت على الصحراء أثرها على الحضارات النيوليتية فالمراكز الحضارية السابقة الذكر في الهوفاًر لم تمتد تأثيراتها إلى الطاسيلي، ففي الطاسيلي تبدو الأمور أكثر وضوحاً إذ يمكن تمييز حضارتين هما الحضارة التينيرية التي انتشرت في الجنوب وفي المناطق السهلية من الطاسيلي، وحضارة البقريات التي انتشرت في كامل الطاسيلي وامتدت أيضاً إلى الهوفاًر في مرحلة لاحقة، والجدير بالذكر أن "هانريت كامبس

⁽⁷¹¹⁾ Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit., pp137-140

⁽⁷¹²⁾ Smail Iddir., 2013, op.cit, p27

⁽⁷¹³⁾ Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit, P140

فابر" تذكر أن كل من الحضارة التينيرية وحضارة البقریات ما هما إلا مرحلتان لحضارة واحدة مشتركة فأحداها كانت في المناطق الجبلية والأخرى كانت في السهول مثل آدمر⁽⁷¹⁴⁾.

1- وجه النيوليتي التينيري⁽⁷¹⁵⁾ :

التينيري هو سهل فسيح يقع شرق النيجر وهو محدود بجبال صخرية من الغرب بمنطقة الاير ومن الشمال الغربي بالهوقار وهضبة جادو والتيبستي والبوركو في الشمال الشرقي وفي الجنوب مفتوح على حوض تشاد⁽⁷¹⁶⁾، وقد تعاقبت على هذه المنطقة عدة حضارات أخرها كانت ثقافة كفيان التي تعود للعصر الحجري القديم المتأخر ، وقد اندثرت هذه الثقافة التي تمثل الصيادين بعد حلول الجفاف، لتحل محلها بعد ذلك في نفس المنطقة ثقافة جديدة هي الثقافة التينيرية وهي متزامنة مع النيوليتي.

وهذه الأخيرة انتشرت في السهول جنوب الطاسيلي وفي الآير بالنيجر، كما كانت تغطي شمال عرق آدمر وانتشرت في وادي تفاساست وتطورت هناك، وهي تختلف عن الحضارة التي انتشرت في المناطق الجبلية في بعض المظاهر الحضارية، لكنها تشبهها في الصفائح المشوهة الجوانب وفي زينات الفخار التي تتخذ شكل نقاط كبيرة، أما الفخار فهو مختلف في شكله وحجمه عن فخار النيوليتي البقري في الطاسيلي ، وانتشرت في هذه الثقافة المنحوتات الحجرية التي تمثل الحيوانات المقدسة، أما الموقع الرئيسي لهذه الحضارة فهو أدرار بوس في النيجر⁽⁷¹⁷⁾ .

⁽⁷¹⁴⁾ Hanriette Camps-Fabrer., 1967, Les Sculptures Néolithiques De L'erg Admer, Leurs Relations Avec Celles Du Tassili N Ajjer, Libyca, T 15, P123

⁽⁷¹⁵⁾ كان موريس ريقاس هو أول من تعرف على هذه الحضارة سنة 1934، ينظر :

Elena A. A. Garcea .,2013, Gobero..., p8

⁽⁷¹⁶⁾ Gerared Quéchon.,1979, Art Rupestre A Termit Et Diabella, Cahier De O.R.S.T.O.M, Serie Sciences Humaines , Vol 12 , N°4, 1979, P320

⁽⁷¹⁷⁾ أدرار بوس L'Adrar Bous هي منطقة جبلية صغيرة في شمال الآير في النيجر أين يوجد تركيز كبير للمواقع الأثرية ، وبفضل الدراسة التي قام بها باحثين أمريكيين من جامعة كاليفورنيا على الفخار في هذا الموقع ، تم تقسيم المواقع إلى أربعة مراحل ، المرحلة القديمة تسمى فخار كفيان Kiffien ، والثنية تسمى التينيرية وهي تمثل النسبة الأكبر من الفخار 82,9 % ، أما المرحلتين الباقيتين فالأولى منهما أقدم من التينيرية النموذجية ولكنها متأخرة عن مرحلة كفيان لذلك سميت التينيرية القديمة وتمثل 7.1 % من الفخار في المنطقة ، والمرحلة الأخرى هي حديثة نوع ما عن التينيرية النموذجية فسميت عندئذ التينيرية النهائية وتمثل 5.5 % من الفخار في الموقع وتمثل المجموعات الليبية البربرية، ينظر :

وبخصوص صناعتها الحجرية فقد تمثلت في أدوات قزمية ورؤوس سهام إلى جانب أدوات حجرية متمثلة في حلقات ومثلثات، كما وجدت أدوات من العظام، أما الفخار فقد وجد بكثافة وكانت الأواني الفخارية مزودة بعنق، وقد انتشرت لدى المجموعات التينيرية عبادة الأبقار، فقد كانوا يقومون بدفن الأبقار في مدافن خاصة مثلما هو الأمر في موقع أدرار بوس وفي فزان الليبية ، ويوجد في مشاهد الفن الصخري ما يدل على ذلك فقد وُجدت رسوم في إن جران (in djeane) بها مجموعة من الأشخاص يحيطون بثور ويرقصون حوله، مع العلم أن هذه المنطقة التي تقع في تادرايت الجنوبية قد امتدت إليها تأثيرات الحضارة التينيرية (718) .

ومن أبرز المواقع التي تمثل الحضارة التينيرية عرق آدم، حيث وجد الفخار التينيري الذي يتخذ شكل دائريا بالإضافة إلى رؤوس السهام، ولكن الحضارة التينيرية وجدت أيضا في تادرايت الجنوبية حيث عثر هناك على فخار تينيري منتشر بكثافة، ووجدت أيضا رسوم لأواني فخارية تينيرية في موقع "إن جران"، مما يدل على انتشار هذه الحضارة هناك، وتلك المشاهد الفنية تظهر فيها أيضا عبادة الأبقار، ويبدو أن منطقة تين هناكتن قد تأثرت أيضا بالتينيرية.

ورغم أن ثقافة البقرات كانت مترامنة مع الحضارة التينيرية وذلك بين الألف السادسة والثانية قبل الميلاد، إلا أن هناك أوجه اختلاف بينهما فقد تميزت الحضارة التينيرية بوجود الحلقات والمجارف الدائرية الشكل والأدوات المهيئة من الجانبين الشبيهة بما كان موجود في مصر، وتضمنت أدواتها القزمية مكعبات وخناجر ونصال ذات ظهر مضروب، وقد شكل كل من سهل التينيري وعرق آدم وضاف وادي تقساسات مناطق التقاء بين الثقافتين (719) .

Elena A. A. Garcea et Antonio Caputo., 2004, Outils statistiques pour l'étude de la production et de l'utilisation de la céramique au Sahara et au Soudan, Préhistoires Méditerranéennes 13 , 2004, p88

(718) François Paris., 1996 ,op.cit.p 68

(719) Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit. P144

2 - وجه النيوليتي البقري في الطاسيلي والهوقار:

لقد اختلف الباحثون في تحديد بداية النيوليتي البقري فهنري لوت اكتشف مجموعة من البقايا الأثرية منها تماثيل صغيرة لأبقار وقطع من فخار مزين بنقاط كبيرة، كما اكتشف أن الأدوات القزمية الهندسية أصبحت قليلة جداً، وكان هنري بروي هو أول من اطلق تسمية "البقریات" وظهر بعد ذلك مصطلح النيوليتي البقري، ووفقاً لما يذكر فابريزيو موري فإنه قد بدأ في منتصف الألف السادسة قبل الميلاد في الأكاكوس، وهو ما تؤكد بقايا تين هناكتن أيضاً حيث نجد الملامح نفسها المذكورة سابقاً في الفترة ما بين 6600 ق.م و 5550 ق.م التي تتزامن مع بداية النيوليتي البقري⁽⁷²⁰⁾. ويفضل فابريزيو موري مصطلح "الرعية (pastoral)" للدلالة على هذه المرحلة بدل من "البقریات" (bovidian) لكون هذه الكلمة مشتقة من "(Bovidae)" وهي كلمة تستعمل في علم الحيوان على 11 جنساً من الحيوانات من بينها الأبقار.⁽⁷²¹⁾

وكان فابريزيو موري قد قام بدراسة رسوم في سقيفة سقطت من ملجأ "وان موهيجاج" بالأكاكوس وذكر أنها تعود إلى المرحلة الرعية الوسطى وأطلق عليها "أسلوب وان تابو" (Uan Tabo)، كما أمكن ملاحظة وجود علاقة واضحة بين الفن الصخري والبقايا الحضارية التي وجدت في مستوى يعود إلى "البقریات النهائية" التي عرفت انتشار أسلوب فني سمي بـ "تين لالان" (tin lallan) نسبة إلى موقع في الأكاكوس تضمن مشاهد فنية، وفي سنة 1971 قامت الباحثة نيكول ماري (Nicole petite-maire) بدراسة موقع التفادست في الهوقار وأكدت امتداد ثقافة البقریات إلى الهوقار⁽⁷²²⁾.

ومن المفترض أن النيوليتي البقري للهوقار قد تطور في التفادست، حيث تدل مختلف الأدوات كالفخار المزين ذو النقاط الكبيرة، وكذلك معطيات الفن الصخري الذي ظهر فيه

⁽⁷²⁰⁾ Ginette aumassip et michel tauvron. 1993, op.cit. p68

⁽⁷²¹⁾ Mori Fabrizio., 1998, the Great Civilizations of the Ancient Sahara. Roma : L'Erma di Bretschneider, p91

⁽⁷²²⁾ Aumassip, Ginette , Vernet, Robert. Tauveron, Michel ., 1994, L'Elevage au Sahara, Milieux, hommes et techniques du Sahara préhistorique: Problèmes actuels, Actes du Colloque de Montignac-Lascaux, 20-23 septembre 1988, Edition L'Harmattan , paris L'Harmattan , paris, pp 151-152

أشخاص ذوو وجوه سوداء، مما حدا بالباحث "ج . ب ماطر" إلى تسمية تلك الصناعة النيوليتية باسم "بقريات تفادست" وهي تمثل المرحلة الأولى للبقريات (723).

أما المرحلة الثانية للنيوليتي البقري في الهوفاًر فقد انتشرت في "تمدوين" (timiduine) و في "تين أنسنيس" (tin ainesnis) وقد تطورت هذه الحضارة في اتجاه الجنوب بين 3550 و 2000 قبل الميلاد، وعرفت فخار مزيناً بخطوط متموجة، ولتلك المواقع علاقة مباشرة بصناعة موجودة في تمنراست (724)، كما عرف الهوفاًر مرحلة جديدة للبقريات تُعرف بمرحلة إيديليس (725) نسبة لموقع كبير يحمل نفس الاسم توفر على الكثير من البقايا ومنها الفخار .

وبشكل عام يمكن القول أن حضارة البقريات هي الحضارة التي انتشرت بداية من الألف السادسة في الطاسيلي و جبال الأكاكوس، وكانت تستعمل العديد من الأدوات كالمكاشط والصفائح المشوهة، وكانت زخارف الفخار فيها متمثلة في نقاط خشنة تشبه خلايا النحل، ووجدت في هذه الحضارة العديد من التماثيل الحيوانية وشبه الإنسانية (726)، وقد كان الفن الصخري هو أبرز المظاهر الحضارية إلى جانب انتشار الحياة الرعوية بكل تفاصيلها في المنطقة وكل ما صاحبها من تطورات حضارية أخرى .

وقد كان لانتشار الحياة الرعوية تأثير كبير على المجتمعات من كل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والدينية، فمجتمعات الصيادين كانت تملك ثقافة مختلفة عن ثقافة الرعاة، وكان كثير من الباحثين على غرار "إيمانويل أناتي" و "جون لكلو" وهاورد وغيرهم، قد أكدوا على وجود ثقافة مشتركة للصيادين في كل أنحاء العالم ومنها خاصة الصحراء ووادي النيل (727)، وقد كان للظروف المناخية التي تميزت بالرطوبة دور كبير في تلك التحولات .

(723) J.-P, Maitre., 1971, Contribution à la Préhistoire de l'Ahaggar. I Tefedest centrale.- mémoires du C.R.A.P.E. 1971, p141

(724) Ginette Aumassip Et Michel Tauvron., 1993, op.cit. p68

(725) أنظر ما سيأتي حول هذا الموقع ضمن مبحث البقريات الحديثة في الهوفاًر .

(726) Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit. P144

(727) حول ثقافة الصيادين في النيل و الصحراء، ينظر:

Jean, Leclant , Paul Huard , Léone Allard-Huard., 1980, La culture des chasseurs du Nil et du Sahara , Mémoires du CRAPE n°29, 2 vol. Alger.

3- ثقافة الأكاكوس الرعوية :

تعد منطقة الأكاكوس من الناحية الجغرافية امتداداً للطاسيلي لكن هذه المنطقة توفرت على ملاجئ صخرية عميقة، كما أن وضعيتها الجغرافية ربما جعلت منها المناطق الأولى التي استقر فيها الإنسان في الهلوسان، بل من الممكن أنها كانت تمثل ملجأً للمجموعات التي عاشت خلال الجفاف التي انتشر بعد نهاية العاترية ضمن البلايستوسين النهائي، وقد ذكرنا سابقاً ثقافة الأكاكوس المبكر التي كانت ضمن العصر الحجري القديم المتأخر، وهي لم تعرف حياة الاستئناس.

ولكن المنطقة ما لبثت أن عرفت تطورات حضارية مهمة بظهور الرعاة هناك فازدهرت المنطقة ، وأصبحت مركزاً لحضارة البقرات، وكان الباحثون الإيطاليون قد تعرفوا على أوائل الرعاة في الأكاكوس، حيث أن تدجين الأبقار بدأ مبكراً في "وان موهيجاج" و"وان تالوكت" و"تين تورها"، فقد سجلت البقرات القديمة في كهف تاكروري بالأكاكوس تاريخاً يتراوح بين 5300-6400 ق.م⁽⁷²⁸⁾.

والمجموعات البشرية هناك هي نفسها التي أطلق عليها اسم المجموعات الرعوية للنيوليتي الصحراوي ، وقد مرت البقرات في الأكاكوس بأربعة مراحل هي: ثقافة البقرات القديمة، والوسطى، والحديثة، والمتأخرة، وهذه المراحل كانت بالتوازي تنتج الفخار وتربي الأبقار، أما أقدم البقايا الأثرية للأبقار المستأنسة فقد أرخت بواسطة الفحم ب 6470 ق.م و 6060 ق.م⁽⁷²⁹⁾، مما يعني أن إستئناس الحيوانات كان قديماً في هذه المنطقة.

⁽⁷²⁸⁾ Alexander Cherkinsky. Savino Di Lernia.,2013, op.cit, p775

⁽⁷²⁹⁾ Barbara Barich.,1987 ،Archaeology and Environment in the Libyan Sahara. Excavations in the Tadrart Acacus ،1983-1978 ،Oxford, BAR International Series,pp331-340

سادسا : الفن الصخري في الطاسيلي والهوفار :

أ - الدراسات حول الفن الصخري :

لقد بدأ الاوربيون في إرتياد الصحراء في القرن التاسع عشر وكان هؤلاء الرواد إما أطباء أو عسكريون، وكان الهدف من وراء أغلب الحملات هو الامتداد والتوسع لربط شمال إفريقيا بما وراء الصحراء وعقد معاهدات تجارية، وبشكل عام يمكن القول بأن الحملات الاولى كانت تهدف للإستكشاف والتمهيد للإستعمار ولم تتخذ طابعاً علمياً .

أما أولى محاولات إكتشاف مواقع ما قبل التاريخ فتعود إلى سنة 1872 حيث أكتشف ش فيرود (Ch- Féraud) موقع حاسي الموخادم (elmokhadem) الذي يعود للنيوليتي وهو يقع على بعد عدة كلومترات من ورقلة، وفي نفس الفترة قام الدكتور "لارجو" (largeau) بأبحاث في التيدكلت، وفي 1880 قام "وايسجاربر" (weisgerber) باكتشاف بقايا تعود إلى ما قبل التاريخ وأرسلها إلى متحف الآثار القديمة، وفي سنة 1876 "ف توماس" (thomas ph) بقايا أثرية، وكانت بعثة فلاتر أيضاً قد اكتشفت 17 موقعاً أثرياً في "وادي إغرار" (730) ، كما قام "مارتين" (Martin) سنة 1881 بدراسة حول القبور الميغالييتية ما قبل الإسلامية (731) .

ومع مطلع القرن العشرين بدأت الأبحاث العلمية في مناطق الجنوب الوهراني وفي الصحراء، وهي الأبحاث التي قام بها كل من : "ج ب فلامند" (G. B. M. Flamand) و"ليو فروبينوس" (Frobenius) و"اوبرميير" (Obermaier) و"ريموند فوفري" (R. Vaufrey) (732) ، وموريس ريفاس" (M. Reygasse A) و"ديبورج" (Debrugge) ، وبين المواقع التي جرت فيها الحفريات موقع "تيت" بالهوفار، الذي تم التنقيب فيه عن القبور الميغالييتية ، كما جرت أبحاث في موقع "تين تريت" و"إن إتينان" في الطاسيلي من طرف "هانريت أليمان" (H Alimen) (733) ، وقام "روبات كابو راي" (R Capot Rey)

(730) Smaïl Iddir ., 2013, op.cit , pp34-35

(731) Ibid, p29

(732) Henri Lhote ., 1966, Données Récentes Sur Les Gravures Et Les Peintures Rupestres Du Sahara ، 'In: Ripoll Perelló E. (Cur.), Simposio Internacional Del Arte Rupestre , Barcelona . 1966, P273

(733) H, Alimen et al ., 1968, Les gisements néolithiques de Tan-Tartait et d'I-n-Itinen Tassili-n- Ajjer (Sahara Central). B.S.P.F. LXV, pp421- 456. 13 fig. 4 tabl

بعملية مسح أثري لمناطق الطاسيلي الشرقية⁽⁷³⁴⁾، بينما قامت "هانريت فابر (H Camps- Fabre) بدراسة حول مواقع "عرق آدم" ⁽⁷³⁵⁾، أما "جون دوبيف" (J.Dubief) فقد قام بدراسة الأودية والشبكة المائية في الطاسيلي ⁽⁷³⁶⁾، كما قام ليروود (C Lerrede) بأبحاث بيئية في المنطقة ⁽⁷³⁷⁾ .

وقامت الباحثة "نيكول مار" (N Petit-Maire) بدراسة المناخ في الصحراء⁽⁷³⁸⁾، كما قام بدراسة المناخ كل من "جون ميلي" (J MALEY) و"بيار رونون" (p regnon) خاصة في جبال الهوقار، بينما قامت "جينات أوماسب" (G Aumassip) بدراسة موقع "تين هناكتن" ونشرت أبحاثها عبر عدة سنوات⁽⁷³⁹⁾، أما الباحث "بول أوزندا" (P Ozenda) فقد قام بدراسة الحيوانات في الطاسيلي والهوقار⁽⁷⁴⁰⁾، وقام غابرييل كامبس بدراسة موقع "أمكني" بالهوقار ⁽⁷⁴¹⁾.

أولى محطات الفن الصخري تم اكتشافها سنة 1847 من طرف "فليكس جاكو" F. Jacko بمنطقة "تيوت" القريبة من عين الصفراء أثناء حملة الجنرال "كوفينياك" التي تعرضنا لها سابقا⁽⁷⁴²⁾، وبعد ذلك بسنتين قام "هنري بارث" بالتعليق على أحد المشاهد في هضبة المساك الليبية حيث أطلق على أحد المشاهد اسم لوحة "أبولو الجرامنتي"، ثم قام بعد ذلك "هنري دوفري" في سنة 1876 باكتشاف محطات للفن الصخري بالاعتماد على ملاحظات "هنري بارث" ⁽⁷⁴³⁾ .

⁽⁷³⁴⁾ R, Capot Rey., 1953, Recherches géographiques sur les confins algéro-libyens. Trav. De l'I.R.S., p10

⁽⁷³⁵⁾ Hanriette Camps-Fabrer ., 1967, op.cit, pp101-123.

⁽⁷³⁶⁾ J Dubief., 1953, Essai sur l'hydrologie superficielle au Sahara. S.E.S. Alger, 457 p. 2 cartes H.T.

⁽⁷³⁷⁾ claude ,LERREDE., 1957, op.cit , p51.

⁽⁷³⁸⁾ N Petit-Maire., 1991, op.cit, pp 125-132

⁽⁷³⁹⁾ Ginette Aumassip., 1980, Ti-n-Hanakaten, Tassili-n-Ajjer, Algérie. Bilan de six campagnes de fouilles . Libyca 28-29, pp115-127

⁽⁷⁴⁰⁾ Paul Ozenda., 1983, Flore du sahara. 2 eme edion. Paris : Edition C.N.R.S.

⁽⁷⁴¹⁾ Gabrial camps ., 1969, Amekni, Néolithique ancien du Hoggar (10). Paris: Arts et Métiers Graphiques, Mémoires du Centre de recherches anthropologiques, préhistoriques et ethnographiques, 230 p.

⁽⁷⁴²⁾ Ginette. Aumassip., 1986, Trésors de l'Atlas .Alger: Entreprise Nationale du Livre, P10

⁽⁷⁴³⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 2001, Les arts graphiques du Sahara et de l'Egypte ancienne : que comparer, in :AULA AEGYPTIACA Studia n°1, Barcelona, 2001, Africa Antigua - el

أما أول من قام بنسخ مشاهد الفن الصخري فهو "فيليكس دوبوا" (Dubois Félix) ، فقد قام بزيارة الإيميدر وذكر منطقة "تاهاي تلكين" (Teheta-n-Tilkin) كما زار "جبل إلامان" الشهير في الهوفار بالإضافة إلى "الأتاكور" و"الأسكيرام" وقمة "طاهات" و"تيت" (744).

وفي أوائل القرن العشرين قام النقيب كورتي⁽⁷⁴⁵⁾ باكتشاف رسوم وادي "إيسوف ملان" سنة 1909⁽⁷⁴⁶⁾ ، تلاه بعد ذلك النقيب "غابريال قاردال" (g Gardel) في اكتشاف مناطق أخرى⁽⁷⁴⁷⁾ ، وفي سنة 1921 أنجز "ج ب م فلامند" (G.B. M.flamand) دراسة كبيرة عن الفن الصخري في الأطلس الصحراوي⁽⁷⁴⁸⁾ ، وفي الهوفار قام كل من "م مرتان" و"ريقاس" بدراسات بين 1912-1921 ، وفي نفس الفترة تقريبا قام الأب "فوكولد" بتقسيم منطقة الأهفار إلى عشرة مناطق طبيعية، ثم قام "ريقاس" سنة 1925 بأبحاث حول قبور ما قبل التاريخ في "توات" و"التيدكلت" والعرق الشرقي الكبير⁽⁷⁴⁹⁾.

وتوالى بعد ذلك الدراسات ففي سنة 1932 قام تيودور منود (théodore monod) بدراسة منطقة "أهنات" (ahnet)⁽⁷⁵⁰⁾ ، ثم قام موريس "ريغاس" سنة 1933 بأعمال بحث في منطقة الهوفار اكتشف خلالها قبر "تين هينان" في "الابالاسا" ، كما قام بأبحاث أخرى في "سيلي" (Silet) وفي "تيت" (Tit)، كما اكتشف مواقع النقوش والرسوم الصخرية فيها،

Antiguo Egipto, una Civilizacion Africana, Actas de la IX Semana de Estudios Africanos del Centre d'Estudis Africans de Barcelona (18-22 de marzo de 1996), pp 159-160

⁽⁷⁴⁴⁾ Jean Loic Le Quellec., 2008, L'exploration saharienne de Félix Dubois en 1907, Cahiers de l'AARS , n°12 , Mai 2008 , pp 161-163

⁽⁷⁴⁵⁾ ترك هذا الأخير عدة مؤلفات حول الصحراء منها:

Maurice. Adrien CORTIER ., 1908 , D'une rive à l'autre du Sahara (Mission Arnaud-Cortier), 15 février-24 juin 1907, , Paris, Larousse, 416 p.

Maurice, Adrien CORTIER ., 1913, Reconnaissance Ouallen-Achourat. (Route d'In Salah à Tombouctou par Achourat), Paris, Larousse, 32 p- Édouard

⁽⁷⁴⁶⁾ Jean loic le Quellec ., 1998, op.cit. pp 152-153

⁽⁷⁴⁷⁾ حول الاكتشافات التي قام بها غابرييل قارديل، ينظر : p 388 , op.cit, 1961 , Gabriel . Gardel .

⁽⁷⁴⁸⁾ Christian dupuy. 2007, op.cit, p29.

⁽⁷⁴⁹⁾ Maurice Reygasse., 1925, Nouvelles de la mission au Tidikelt ,Touat-Gourara ,Grand Erg oriental et dans la région du Tademayt -Mouydir-Hoggar .In :Comptes-rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres 69 ,e année ,N, 1925 , 4 , p324

⁽⁷⁵⁰⁾ Jean loic le Quellec., 1998, op.cit. pp 152-153

وفي سنة 1935 قام بدراسة نقوش وادي جرات⁽⁷⁵¹⁾، وفي نفس السنة قام بجرد مواقع ما قبل التاريخ في الصحراء ونقل فيها بعضاً من مشاهد الفن الصخري⁽⁷⁵²⁾.

وفي نفس الفترة قام الإثنولوجي الألماني "ليو فروبينوس" (Léo frobenius) باكتشافات في "إيدو" (iddo) و"ازاك أن إميران"⁽⁷⁵³⁾ (azak némiren)، ثم قام "روبرت بيري" (R. Perret) بتقسيم أعمال وادي جرات إلى نقوش ذات زنجرة سوداء وذات زنجرة حمراء وقد كان "هنري لوت" معه في هذه الحملة⁽⁷⁵⁴⁾.

وفي نفس الفترة تقريباً قام "ريموند فوفري" (raymond voufréy) بإنجاز دراسة عن الفن الصخري، وبعد الحرب العالمية الثانية قام "القس بروي" مع تلميذه "هنري لوت" باكتشاف ثمانية مواقع للفن الصخري عُرضت في ملتقى ما قبل التاريخ الذي عقد بالجزائر سنة 1952، وبما أن "القس بروي" كان كبيراً في السن فقد كلف الباحث الشاب "هنري لوت" بالتنقل إلى الصحراء وإتمام العمل، وفي نفس الفترة تقريباً قامت الباحثة السويسرية "جولانث تشودي" بدراسة واكتشاف مواقع "تاشيكيلوت" و"أوان بندي" و"تين تزاريفت" ونشرت أعمالها سنة 1956 وهي أول من قام بإنجاز صور ملونة عن الفن الصخري⁽⁷⁵⁵⁾.

ورغم أن بعض الباحثين قد نقلوا بعض المشاهد في وقت مبكر، إلا أنّ عمليات النسخ التي تمت على نطاق واسع هي التي قام بها "شارل برينان" (brenans) سنة 1938 وهي تتمثل في رسومات تخطيطية لمشاهد "تماجرت" و"إيهيرير" و"مداك" و"تمريت" و"أجريت" ووادي "جرات"، كما قام القس "هنري بروي" (H breuil) بنسخ مجموعة من الرسوم⁽¹⁾، أما "جولانث تشودي" فقد نسخت رسوم عديدة في كل من: "ان أقوية"، "تين بجاج"، "اساجان وان ملان"، "تشيكلوات"، "وان ملان"، "تين تساسكت"، "ألان ادومنت"، "تان زميتاك"، "تيتغاس نلياس"، "ان اتوامي"، "تين تزارفت"، "تين أبوتكا"⁽⁷⁵⁶⁾.

⁽⁷⁵¹⁾ Jean Loic Le Quellec ., 1998, Op.Cit. Pp 155-156, Malike Hachid., 1998, Op.Cit, P 173

⁽⁷⁵²⁾ Maurice, Reygasse ., 1934, La Préhistoire Du Sahara Central , Hoggar Et Tassili Des Ajjers, Congrée Préhistorique De France , XI Session, pp1-15

⁽⁷⁵³⁾ Malika Hachid., 1998, Op.Cit.P 173.

⁽⁷⁵⁴⁾ Henri Lhote ., 1976, Vers D'autre ..., P 12.

⁽⁷⁵⁵⁾ Malika Hachid., 1998, Op.Cit. P174.

⁽⁷⁵⁶⁾ Yolande Tschudi., 1956, Les peintures rupestres du Tassi-n-Ajjer, paris : La Baconnière , pp57-80

ومن أكبر الأبحاث التي تمت في الطاسيلي هي الأبحاث التي قام "هنري لوت" بدعم من السلطات الفرنسية فقد قام بحملتين في 1956-1957 في شرق ووسط الطاسيلي، وقام بإحضار فرقة من الرسامين لرفع الرسومات وأنجز نسخ بالمقاسات الحقيقية للأشكال و بالألوان لعدة محطات، منها: "وادي إيدو"، "تين بجاج"، "تين زوميتاك"، "تامريت"، "تيمنزوزين"، "جبارين"، "ان أونغهايت" و "تين تزارفت" ... (757) .

وفي فترة الستينات نظم "هنري لوت" رحلات أخرى في أعوام 1960، 1962، 1969، وقد دامت إحدى الحملات مدة ستة عشر شهرا وشملت هذه الحملات مناطق غرب واحة "إهرير" بين "وادي إهرير" شمال الطاسيلي و"تاست" و"تاجيلايين" ومحطات "تاهيلاهي" و"إهرن"، "وان تبويقت"، و"تين أبهار"، و"تين خديجة" و"مناطق أخرى" (758)، أما في سنة 1972 فقد قام بأبحاث في الأجزاء الغربية والشمالية للطاسيلي خاصة "هضبة تاجيلايين" و"تاسجبت" ثم إهرير، ثم في وادي جرات (759) .

كما قام باحثون آخرون بدراسة بعض المناطق الصغيرة فقد قام "سترايدر" (Kunz Strieder) بدراسة مناطق مثل "إهرير" و"تماجرت"، أما "ألفرد موزيليني" فقد درس موقع "إهرير" ومواقع "إهرن" و"تاهيلاهي"، وبعد تأسيس الحاضرة الوطنية للطاسيلي والحاضرة الوطنية للهوقار (760)، تم تنظيم عدة رحلات استكشافية إلا أن النتائج كانت محدودة .

وعلى العموم فقد شهدت الخمسينات طفرة كبيرة فيما يخص اكتشاف الفن الصخري فقام الباحث "هنري هوجو" (h g hogut) مع فرقة هولندية باستكشافات في "منطقة الإميدير" و "أراك" و "إن أكير" بالهوقار، كما قامت جامعة الجزائر بإرسال بعثات علمية إلى الصحراء وبدوره معهد الأبحاث الصحراوية I.R.S التابع لجامعة الجزائر قام هو الآخر بإجراء دراسات جيولوجية و أثرية بمنطقة الهوقار (761) .

(757) Henri Lhote., 1958, A La Découverte Des Fresques De Tassili.: Paris, Arthaud, pp29, 38.

(758) Henri Lhote., 1976, Vers D'autre ..., P29

(759) Henri Lhote., 1976, Les Gravures Rupestre De L'oued Djeret, 2vol , Mémoire De CRAPE, N°25, 1976

(760) تأسست بمقتضى مرسوم رقم 87 - 231 مؤرخ في 3 نوفمبر سنة 1987

(761) Marcel Larnaud., 1946, La géographie du Sahara et l'institut de recherches sahariennes . In :Annales de Géographie ،1946 .t55، n°300, pp294 -299.

والهوفار كان يحظى بالاهتمام منذ البداية فقد زاره كل من "هنري بارث" (H Barth) و"دوفيري" (Duveryrier)، والأب "شارل دوفوكو" (Cherl De Foucoud) الذي استقر هناك زمنا وترك قاموسا للغة الطوارق، كما أنجز العديد من الباحثين دراسات حول المنطقة منهم: "ج ب فلامند" (G.B.M Flamand)، "نيكول مار" (N- Petit-Maire) وموريس ريفاس (M Regasse)، و"كيليان" (Killian) و"تيودور منود" (TH Monod)، و"ليلوبر" (Lelubre)، و"بوردي" (Bordet)، و"فولوت" (Follot)، وجون دوبياف (j Dubief)، و"هنري لوت" (H Lhote) و"بيار بونوا" (Pierre Benoit) ⁽⁷⁶²⁾.

وقد حظيت منطقة الأتاكور و التفادست خاصة بالاهتمام الأكبر من الباحثين، لما لهما من أهمية في ما قبل التاريخ، بالإضافة إلى "أدرار أهناث" التي بحث فيها "تيودور منود"، وهناك أبحاث هامة قام بها قوتي وريفاس ⁽⁷⁶³⁾ وهنري لوت ومنود في "أدرار أهناث" و"فرانسوا دو شالوب" (de Chasseloup- Laubat) في "مرتوتك"، وريموند فوفري في مناطق مختلفة من الهوفار ⁽⁷⁶⁴⁾، كما قام هنري ج هوجو بالبحث في سهل الإميدير (Immidir) وفي موقع إنيكير (Inîker) شمال غرب الهوفار ⁽⁷⁶⁵⁾، وشارك في الأبحاث حول البقايا البشرية في "تاقديت" بالهوفار ⁽⁷⁶⁶⁾.

وابتداء من 1963 بدأ مركز البحث في الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا وما قبل التاريخ تحت إدارة غابريل كامبس بالاهتمام بالهوفار، فقد أرسل بعثة لدراسة مواقع ما قبل التاريخ والتعرف على الوجود البشري فيها فأنجز "جون بول ماتر" (J. P. Maître) عدة بحوث خلال 12 بعثة علمية قام بها في "الاتاكور" و"التانزروفت" (Tanezrouft) و"سركوت" و"التفادست"، وبعد ذلك قام "كامبس" وفريقه بدراسة موقع "أمكني" (Amekni) المهم جدا

⁽⁷⁶²⁾ Claude Blanguernon., 1955, op.cit ,p15

⁽⁷⁶³⁾ قامت بعثة ريفاس بأعمال بحث عن المقابر ما قبل الإسلامية في الهوفار خاصة في الغرب في الابالاسا و"تيت" واكتشف الكثير من مشاهد الفن الصخري، أنظر حول هذه الأعمال :

Émile-Félix Gautier., 1933, Compte rendu de la mission de M. Reygasse dans le Hoggar. In : Comptes-rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, T77, N° 4, pp130-133

⁽⁷⁶⁴⁾ Pierre Rognon et al., 1990, Ahaggar ,in :encyclopedie berbère ,Aix-en- Provence , Edisud,Volumes 8 ,1990 ,p1240

⁽⁷⁶⁵⁾ Ibid, pp1268 - 1233 .

⁽⁷⁶⁶⁾ M, Charon , H,j Hugot, N Petit-Maire., 1974, Les restes humains de Tagdaït (Ahaggar), In :Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris ,XIII °Série ,tome 1 fascicule 1974 ,1, pp158-151 .

فيما ما يخص ما قبل التاريخ في الصحراء الوسطى، أما الباحث قاست (Gast .M) فهو الآخر قام بعدة أبحاث حول المنطقة منها أبحاث أنثروبولوجية حول الطوارق⁽⁷⁶⁷⁾ .

أما ج. ب مائتر (J. P Maître) فقد قام بعملية جرد للمواقع الأثرية بمنطقة "التفادست" بداية من 1965 و 1966، وفي سنة 1968 حاول نفس الباحث إجراء تعديل منهجي للجرد، بحيث أعاد تقسيم المناطق الطبيعية الهوقار اعتمادا على معطيات الأب "دو فوكو" وأبحاث "هنري لوت"⁽⁷⁶⁸⁾ .

وخلال هذه الأعمال قام باكتشاف ما يقارب 238 موقعا لما قبل التاريخ في المنطقة ، ثم اكتشف مواقع أخرى في 1971 في التفادست بلغ عددها 39 موقعا، وقد استخرج من الجبال بقايا حضارية وإنسانية تعد بالمئات، وكذلك الكثير من مشاهد الرسوم والنقوش الصخرية، كما قام بجرد ما يقارب 113 من الصروح الجنائزية ما قبل الإسلامية⁽⁷⁶⁹⁾ .

والجدير بالذكر أن الأبحاث حول الفن الصخري في الهوقار ضلت محدودة مقارنة بالطاسيلي، ومنها تلك التي قام "تيودور منود" في "أهنات" والتي قام بها "فرانز تروست" و فرانسوا دوشوسالوب"، وعندما تأسست الحاضرة الوطنية للهوقار عام 1987⁽⁷⁷⁰⁾، قامت بتوجيه الأبحاث بهدف حماية المناطق الجيولوجية والموارد النباتية والحيوانية والفن الصخري، وقد أصبحت الأبحاث أكثر تنظيما لكنها اقتصرت على المجال البيئي خاصة ما تعلق منها بالحفاظ على البيئة النباتية والحيوانية والمناخ والبيئة القديمة.

وفي الوقت الحالي ظهرت أبحاث متخصصة وانصب الاهتمام على مواضيع الفن الصخري وتفسيراتها المختلفة، ومن الباحثين المختصين نذكر: ألفرد موزيليني ، ميشال توفر (M tauveron) وأمبرتو سانسوني (Umberto sansoni)، فرانسوا سولاهافوب (f

⁽⁷⁶⁷⁾ Marceau GAST ، 1978، Pastoralisme nomade et pouvoir : la société traditionnelle des Kel Ahaggar . Coll .intern .sur le Pastoralisme nomade ، Production pastorale et Société ، Paris ، 03/12/1976، Cambridge University Press، Londres ،Maison des Sciences de l'Homme ، Paris ، 1978 ، pp201-220.

⁽⁷⁶⁸⁾ Jean-Pierre, Maître., 1966, Etat Des Recherches Sur Le Néolithique De L'ahaggar. Trav. De L'I.R.S. XVI (1er Et 2e Semestre). pp 29-54

⁽⁷⁶⁹⁾ Pierre Rognon et al ., 1990, op.cit.p1240

⁽⁷⁷⁰⁾ يشمل إقليم الحاضرة الوطنية للهوقار مناطق مختلفة هي : المناطق الجبلية "للطاسيلي أن أهقار" ، "التفادست" ، "أمادغوغ" ، "طاسيلي أهنات" ، "تين ميساو" ، و "تين غيغو" و "عين صالح" وتبلغ مساحتها 450000 كم².

(soleilhavaup ، الزوجين هالي (Ulrich Hallier Et Brigitte) و جون لوكلاك...⁽⁷⁷¹⁾، كما قام مجموعة من الباحثين المهتمين بالفن الصخري بتأسيس جمعية أصدقاء الفن الصخري الصحراوي AARS على رأسها "جون لوكلاك" تقوم هذه الجمعية بأعمال بحث تنشر في مجلة خاصة بهم بنفس الاسم أو في مجلة "الصحراء" (sahara) التي تصدر في ألمانيا.

ومن أهم الاكتشافات الحديثة تلك التي قام بها كل من "كارل سترايدر" و"ميشال توفّر" في منطقة تادرارت الجنوبية فقد تم تسجيل 500 موقع للفن الصخري بين سنوات 1994-1997⁽⁷⁷²⁾، دون أن ننسى الأعمال الهامة للزوجين الألمانيين "هالي" (Hallier) اللذان قاما باكتشافات في هضبة "تاجيلاهي" ومناطق "جبال إيدانويين" وأعمال فرانز تروست في الهوقار.⁽⁷⁷³⁾

وقد شارك الباحثون الجزائريون ببعض الأبحاث حول الفن الصخري وحول المظاهر الحضارية الأخرى، فقد قامت "ملكة حشيد" بعدة دراسات حول الطاسيلي في سنوات 1998 و 2000، كما اهتم "حاشي سليمان" بالجانب الأنثروبولوجي، أما "سليم شاكّر" فقد ركّز اهتمامه بالفن الصخري منصبا على مرحلة الحصان والعربة وبالنفوش الليبية البربرية.

ومن الباحثين الجزائريين نذكر أيضا "تجيب فرحات" الذي نشر أبحاثا في سنوات 1996 و 1997 عن الفن الصخري، وعن مقبرة "منخور" (mankhor) القريبة من إليزي، وشارك مع "ميشال توفّر" في أبحاث في منطقة "تادرارت الجنوبية"، ونذكر من الباحثين "يسمينة شايد سعودي" و"عبد القادر حدوش" (A. Heddouche)⁽⁷⁷⁴⁾ ونجاة عين السبع⁽⁷⁷⁵⁾.

⁽⁷⁷¹⁾ Émile-Félix Gautier., 1933,op.cit ,p132

⁽⁷⁷²⁾ حول هذا الموضوع، ينظر:

karl heinz Striedter, and M. Tauveron ., 2005, Traces de l'art fezzanais dans la Tadrart algérienne. In: T. Tillet, B. E. Barich and K. H. Striedter (eds), Hunters vs Pastoralists in the Sahara: Material Culture and Symbolic Aspects. (pp. 15-23). Oxford: Archaeopress

⁽⁷⁷³⁾ U. W. Hallier , Brigitte . C. Hallier., 2005, New Paintings In The Ifedaniouène Mountains, Part II(Tassili Of The Ajjer / South-Algeria ,The World Of Petroglyphs Cd 31 , Stonewatch 2005, pp1-28

⁽⁷⁷⁴⁾ من بين الأبحاث التي قام بها عبد القادر حدوش:

A HEDDOUCHE., 1984-1986. « Étude de l'industrie du gisement néolithique de Bordj Tan Kena. Illizi (Algérie) », dans : Libya, XXXII-XXXIV, pp.139-157, A HEDDOUCHE.,2003,

ب- المظاهر الفنية الأولى في الصحراء:

قد تكون الصناعات الحجرية الأولى هي أولى أشكال الفن لأنها أول شيء أبدعه الإنسان وأول تغيير أحدثه في الطبيعة، وذلك لا يتنافى مع طبيعة الفن المرتبطة دوماً بالناحية الجمالية، فعمل الإنسان يرى في تلك الحجارة المشذبة ناحية جمالية ما، ولكن بغض النظر عن ذلك أظهرت اكتشافات حديثة أن أولى النقوش قد تمت على قوقعة عثر عليها في "تيرنيل" شرق جاوة بإندونيسيا وهي تعود إلى "جنس الإنسان المعتدل"، وقد تم تنفيذ هذه النقوش التي تتمثل في خطوط وأشكال هندسية منذ ما يقارب 450.000 سنة (776).

وقد مثلت تلك القوقعة المزينة بالنقوش تحدياً بالنسبة للعلماء الذين كانوا يعتقدون أن "الإنسان المعتدل" الذي مثل الحضارة الأشولية لم يعرف الفن، وهذا الاكتشاف سوف يعيد النظر في الكثير من المعلومات السابقة. فالإنسان في الباليوليتي كان يجمع القواقع والعظام ويقوم بتزيينها، كما كان يقوم بتلوينها بمادة ملونة خاصة هي المغرة الحمراء، وهي عبارة عن تراب صلبالي يستخدم في التخصيب كان الإنسان يدهن بها موتاه ويستخدمها في تلوين جسده أيضاً (777)، وفي بعض الأحيان كانت عملية تلوين الجسد تعبر عن هوية المجموعات كما كانت تعبر عن معتقدات سحرية (778).

ونجد الأمثلة على هذه المنجزات الفنية في مختلف مناطق العالم وخاصة في أوروبا وفي جنوب إفريقيا وأستراليا، وتجدر الإشارة إلى أن بعض الشعوب البدائية في عصرنا لا تزال تقوم بهذا الأمر.

Le temps des monuments protohistoriques .Les nouvelles de l'archéologie n°94 - 4ème Trimestre .pp 28 – 32, A HEDDOUCHE., 2003, Note sur les monuments protohistoriques de l'Ahaggar .Annales du Musée National des Antiquités n°13 pp5 – 22, A HEDDOUCHE., 2005, Fouilles des monuments protohistoriques de Tagrera (Ahaggar, Algérie). Premiers résultats .Annales du Musée National des Antiquités n°15.pp5-17

(775) AMARA I., HEDDOUCHE A., IDDIR S., 2004, Le site de Youf Eheket : art rupestre et monuments funéraires .Valcamonica Symposium.

(776) Josephine C. A. Joordens, and al ., 2014, Homo erectus at Trinil on Java used shells for tool production and engraving , Nature 10, 2014, pp1-16

(777) Henriette camps fabrer. 1966, op.cit. pp15-38.

(778) Ibid, pp187-200.

وبخصوص استعمال الألوان فلا شك أنه قديم جدا كما أسلفنا فقد استخدمه الإنسان على جسده في نوع من الممارسات السحرية، وهي تعود على الأقل إلى الباليوليتي الأوسط في إفريقيا وفي أوروبا أيضا، لكن استخدام الألوان على الصخور قد بدأ منذ حوالي 48.000 قبل الحاضر في ناميبيا، وفي نفس الزمن في أوروبا أيضا فقد اكتشفت قواقع المحار الأطلسية الملونة في مناطق مختلفة من أوروبا وهي تؤرخ بـ 50 ألف سنة قبل الحاضر، وقيل بأنها أقدم من ذلك بكثير فقد اكتشفت في جنوب إفريقيا بقايا أذن البحر وهي تعود إلى 100 ألف سنة قبل الحاضر، وهذه الأخيرة عبارة عن رخويات يُعتقد أنها استخدمت من أجل الحصول على صباغة ملونة حمراء وصفراء (779).

وهناك آراء أخرى تقول أن بداية استخدام الألوان يعود إلى الباليوليتي الأسفل أي إلى "الإنسان المعتدل" والحضارة الأشولية، فقد قدر عمر بقايا ألوان في كهف "واندرورك" (Wonderwerk) بجنوب إفريقيا بنحو 800 ألف سنة قبل الحاضر (780)، أما في شمال إفريقيا فإن أولى إشارات استعمال الألوان تعود إلى الحضارة الإيبرومغربية فقد وجدت بقايا ألوان في العديد من مواقعها، ومن الممكن أن الحضارة العاترية قد عرفت بعض المظاهر الفنية (781)، وقيل بأن المظاهر الفنية الأولى تعود للحضارة الأشولية (782).

ومع ذلك فإن الأعمال الفنية الأكثر وضوحاً وجدت لدى الإيبرومغربيين والقفصيين بشكل أكبر، أما في النيوليتي فتتعدد الفنون بين النحت والفن الصخري وكذلك الزينات الجسدية كالوشم الرسوم الجسدية التي تبدو لنا واضحة في صور الفن الصخري، وهذه الرسوم الجسدية هي ذات دلالات سحرية ودينية، كما كان الإنسان ينفذ نقوشاً ورسوماً على بيوض النعام وعلى الفخار في شكل خطوط عمودية و أفقية أو في شكل خطوط متموجة أو منقطة أو صور حيوانات مثل رأس نعامة أو صورة لغزال (783). (الشكل 08، اللوحة 52)

(779) Ulrich W. Hallier & Brigitte C. Hallier., 2012, op.cit, P8

(780) Robert G. Bednarik., 1994, The Oldest Art In The World, Espacio, Tiempo Y Forma, Serie I, Prehist. Y Arqueol., T. 7, 1994, P76

(781) Slimene Hachi ., 2003, Op.Cit.P28

(782) Henriette camps fabrer., 1966, op.cit. pp15-38, Eric Delson, Ian Tattersall, John Van Couvering, Alison S. Brooks., 2004, Encyclopedia of Human Evolution and Prehistory, E-BOK. Taylor and Francis, pp226-227

(783) Gabriel Camps., 1974, op.cit, pp329-333

و بالإضافة إلى النقش على بيض النعام وعلى الفخار، كان يقوم بنحت الصخور فأنجز منها تماثيل رائعة تجسد حيوانات تحضي بمكانة كبيرة في تفكيره الروحي ومنها خاصة تماثيل الأبقار والغزلان...، بالإضافة إلى مطاحن ومدقات ضخمة ⁽⁷⁸⁴⁾ ، وبعض تلك المنحوتات معروضة اليوم في متحف باردو، كما توجد تماثيل شبه إنسانية تمثل نساء بديئات، قد تمثل تجسيدا لآلهة الخصوبة، كتلك التي وجدت في مقبرة "تين هينان" في "الأبالاسا" بتمنراست وهي تعود إلى الفترة الرومانية ⁽⁷⁸⁵⁾ . (الشكل 04، 09)

والجدير بالذكر أن فن النحت من الفنون القديمة فقد عرفه الإنسان في الباليوليتي، حيث تعود المنحوتات الحجرية في أوروبا إلى الباليوليتي الأعلى، فتمثال "سيدة برسومبوي" في فرنسا يعود إلى 23 ألف سنة ق.م، أما "سيدة واندورف" في ألمانيا فتعود إلى 27 ألف سنة ق.م ⁽⁷⁸⁶⁾ . وبالنسبة لشمال إفريقيا وجدت تماثيل أنثوية في موقع "أفالو بومال" ببجاية ⁽⁷⁸⁷⁾ وهي تعود إلى الحضارة الإيبيرومغربية، كما وُجدت في الموقع نفسه تماثيل من الطين المشوي لأنواع من الماعز، وتبعاً للطبقة التي وجدت فيها فهي تعود إلى حوالي 15 ألف قبل الميلاد، وفي "تمار هات (Tamar Hat) ببجاية أيضاً وُجدت قطع من تماثيل طينية تعود تبعاً للمستوى الذي وجدت فيه إلى 20 ألف سنة قبل الميلاد ⁽⁷⁸⁸⁾، (الشكل 09) ، وفي "تافوغالت" عُثر في المستوى الأول والرابع من هذا الموقع الأثري على حجارة منقوشة تمثل صوراً لـ قليل إلى جانب قواقع كانت تستخدم كحلي ⁽⁷⁸⁹⁾ . (الشكل 08)

⁽⁷⁸⁴⁾ J. Bouyssone. Collection Préhistorique, Planches Albume N°1, Pasis :Editions A.M.G, P110. Fig107

⁽⁷⁸⁵⁾ Houria Mahsas ., 1998, Bijoux Et Mobilier Funéraire De Tin –Hinan Abalessa:Algérie, Edition Dumusée national du bardo :Algérie,p74, fig41.

⁽⁷⁸⁶⁾ O. Soffer, J. M. Adovasio, and D. C. Hyland ., 2000, The Venus Figurines Textiles, Basketry, Gender, and Status in the Upper Paleolithic, Current Anthropology Volume 41 , Number 4 ,August–Octobe2000, p517

⁽⁷⁸⁷⁾ حول هذا الموقع، ينظر :

M.-C .Chamla ,J .Dastugue et S .Hachi., 1985, Afalou-Bou-Rhummel ,in :encyclopedia berberes , Volume، n°2,1985 , Aix-en-Provence ,Edisud , p182-192

⁽⁷⁸⁸⁾ حول اللقى الأثرية في موقع "تمار حمات"، ينظر :

C .BRAHIMI., 1969, L'Industrie lithique de l'abri de Tamar Hat) Petite Kabylie .(Libya)، ، 1969t 17 .p35-48.

A.-E .CLOSE., 1981, The iberomaurusian sequence at Tamar Hat .Libya ،t .XXVIII-XXIX ، 1981, p 69-103

⁽⁷⁸⁹⁾ Ginette Aumassip ., 2004, Op.Cit.P 264

وفي المواقع التي تعود للحضارة القفصية عُثر بالمقطع بتونس على تماثيل منحوتة لنساء، أما التماثيل التي اكتشفت في الصحراء في كل من "تين هناكتن" والأكاكوس فهي تعود إلى الألف الخامسة قبل الحاضر، وهذه تماثيل مختلفة فمنها الشبه إنسانية ومنها التي تمثل حيوانات لها دور ديني لا شك فيه⁽⁷⁹⁰⁾، كما اكتشفت تماثيل حجرية لضباء وأبقار و في "تمنطيط" بتوات، وفي "تلبالة" عُثر على تسعة تماثيل ذات مظهر شبه إنساني⁽⁷⁹¹⁾.

واكتشفت تماثيل أخرى لأبقار في "تازروق" داخل إحدى القبور التي تعود إلى النيوليتي، وفي "وان سيدي" و"إيدو" بالطاسيلي عثر على ثلاثة تماثيل لأبقار، كما عثر على إحداها في "سيلي" بالهوقار، أما التماثيل الإنسانية وشبه الإنسانية فقد عثر عليها في بعض المناطق منها في "الابالاسا" بالهوقار لكنها حديثة، كما عُثر في "وادي أمزار" وفي أوان أمدي (Oua-n-Amidi) جنوب تمنراست على تماثيل في شكل قضيب ذكري، وذلك قرب مواقع للفن الصخري تعود إلى المرحلة الرعوية⁽⁷⁹²⁾، وهو ما يعطي إشارة على عبادة الخصوبة والقوة الجنسية . (الشكل 09)

ورغم أهمية كل من الفخار والمنحوتات الحجرية وأدوات الزينة المختلفة، إلا أن الفن الصخري هو أهم المظاهر الفنية الموجودة في الصحراء، لكون هذا الفن يمثل سجلاً لحياة الإنسان، فهو بمثابة الكتاب المفتوح الذي يُمكننا من معرفة تفاصيل كثيرة عن حياة الإنسان وحضارته، ففي الوقت الذي لم يعرف فيه الإنسان الكتابة كان الرسم على الجدران بمثابة التاريخ الحضاري للشعوب التي سكنت في الصحراء، حيث نجد فصولاً كاملة من حياتهم وتراثهم .

والأمر الملفت للانتباه بالنسبة للفن في الطاسيلي والهوقار هو أنه لا يمثل شعباً واحداً، بل يمثل شعوباً مختلفة متقاربة أو متباعدة في الزمن، فكل شعب كان يترك بصماته على الملاحي الصخرية التي تعد الأغنى في العالم من حيث الرسوم والنقوش بالإضافة إلى أنها غطت فترة زمنية تقارب 10 آلاف سنة، ويُجمع الباحثون على أن الفن الصخري الموجود

⁽⁷⁹⁰⁾ Gabriel Mandel., 2002, Op.cit, p39

⁽⁷⁹¹⁾ اكتشفت هذه التماثيل من طرف العسكريين الفرنسيين في منطقة تالبالة وقام الباحث ج. ب. فلانمند بدراساتها، ينظر :

G.-B.-M. Flamand., Laquière Emm ., 1909, Idoles (pierres roulées) à tête de chouette du Sahara Central (Tassili des Azdjer .(In: Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris, V° Série. Tome 10, 1909. pp 180-197.

⁽⁷⁹²⁾ François Soleilhavaup ., 1993, Une statuette en terre modelée au sud du Sahara algérien. In: Bulletin de la Société préhistorique française. 1993, tome 90, N. 5. pp 365-367.

في الطاسيلي بالدرجة الأولى وفي الهوفاًر بدرجة ثانية يمثلان أحد أكبر الإنجازات الحضارية التي عرفتتها البشرية في النيوليتي .

وقد لا تكون الرسوم في الصحراء قديمة جداً فهي غالباً ما تعود إلى الهلوسان ما عدى بعض الاستثناءات⁽⁷⁹³⁾، أما أولى الرسوم الصخرية على مستوى العالم فتعود إلى العصر الحجري القديم الأعلى وربما أقدم من ذلك، فالرسوم المتواجدة في كهف "شوفي" (Chauvet) في مقاطعة "الأرداش" الفرنسية تعود إلى ما بين 33.000 و 30.000 سنة قبل الحاضر، أما الفن الصخري في كهوف "لاسكو" و "كوسكي" و "ألتاميرا" في إسبانيا فهي أحدث إذ يعود إلى الحضارة "المجدالية" بين 16.000 و 10.000 قبل الحاضر، وقد يكون الفن الصخري الموجود في مقاطعة "الدوردون" الفرنسية الأقدم على الإطلاق في أوروبا، فقد دلت الأبحاث في كهف "كاستاني" (Castanet) أن أحد المشاهد هناك تعود إلى ما بين 35.000 - 28.000 سنة قبل الحاضر⁽⁷⁹⁴⁾.

والجدير بالذكر أن الرسوم في أوروبا ليست هي الأقدم في العالم فالرسوم الصخرية في تنزانيا تعود إلى ما يقارب 40.000 قبل الحاضر وفق تقديرات الباحث إيمانويل أناتي (E.Anati) ، وفي ناميبيا التي كانت تعرف على أنها تحتضن أقدم الفن الصخري الإفريقي أرخت بعض المشاهد فيها من طرف "واندت" (E.Wendt) بما بين 28.000 و 26.000 قبل الحاضر⁽⁷⁹⁵⁾ .

أما في الصحراء فرغم أن المنطقة غنية جداً بالرسوم والنقوش على نحو لا نجد مثلاً له في العالم، إلا أن هذا الفن يعتبر متأخراً في الزمن كما أسلفنا فهو يعود في معظمه إلى النيوليتي⁽⁷⁹⁶⁾ ، ولعل السبب في عدم وجود فن صخري في الباليوليتي في شمال إفريقيا،

⁽⁷⁹³⁾ تعود أقدم مشاهد الفن الصخري في الطاسيلي و الهوفاًر والأطلس الصحراوي إلى بداية الهلوسان وربما إلى

البلايستوسين النهائي، وتستثنى من ذلك رسوم منطقة تادرايت الجنوبية بالطاسيلي والتي تعتبر قديمة جداً ، ويقل بأن

موقع كيرتا الواقع في جنوب غرب مصر به رسوم تعود إلى ما بين 19 ألف و 17 ألف قبل الحاضر، ينظر:

Dirk Huyge., 2009, Late Palaeolithic And Epipalaeolithic Rock Art In Egypt:Qurta And El-Hosh , ARCHÉO-NIL, , N°19 - Janvier 2009 ,P 109

⁽⁷⁹⁴⁾ Randall Whitea et al ., 2012, Context and dating of Aurignacian vulvar representations from Abri Castanet, France, PNAS , May 29, 2012 , May 29, 2012, no. 22, pp 8453-8454

⁽⁷⁹⁵⁾ Robert G. Bednarik., 1994, op.cit, P75

⁽⁷⁹⁶⁾ الجدير بالذكر أن بعض الباحثين يذكرون أن الفن الصخري الصحراوي قديماً جداً فهم يعيدونه إلى البلايستوسين الأعلى، ومن هؤلاء الباحثة ياسمين شايه سعودي التي قدرت عمر الفن الصخري في الصحراء وفي الأطلس الصحراوي

بحوالي 30.000 سنة ولكن لا يوجد ما يدعم ما ذهب إليه، ينظر :

إنما يعود إلى عدم وجود الكهوف العميقة التي يمكن أن تأوي هذا الفن وتحفظه من عوامل المناخ، كما أن تقلبات المناخ بين الحرارة والرطوبة من شأنها أن تساهم في تدهور الأعمال الفنية واندثارها، خاصة وأن معظم الرسومات توجد في ملاجئ مكشوفة على الهواء الطلق ، والتي لا يمكن أن تصمد أمام مناخ الصحراء المتقلب .

لكن الفن الصخري في الصحراء الوسطى يتميز بخصائص لا نجدها في غيرها من مناطق العالم، فهو يتواصل لمدة 10 آلاف سنة، كما أن الرسوم والنقوش تُعد بالآلاف وهو أمر لا نجده في أي منطقة أخرى، وهو يتميز بالتعقيد فهو يمثل مجموعات بشرية مختلفة عن بعضها البعض وقد تكون متزامنة، ولكن في الكثير منها نجد تباعدا زمنيا قد يصل إلى آلاف السنين.

كما أن المعلومات التي يمكن أن نستخرجها من الفن الصخري الصحراوي كبيرة جدا خاصة ما تعلق بالخصائص الفيزيولوجية للأفراد والمظاهر الثقافية المختلفة وهي واضحة تماما هنا، وهو ما لا نجده إلا في الرسوم التي تعود لمصر الفرعونية، ويمكن أن نلاحظ بسهولة تعاقب عدة أجناس على المنطقة وذلك يتجسد في تنوع الأسلوب واختلاف الملامح الفيزيولوجية والثقافية، مما يجعلنا نعتقد أنه يمثل مجموعات مختلفة، وعلى الأقل يمكن تحديد مجموعات سوداء وأخرى بيضاء .

وتعتبر بداية ظهور هذا الفن غير معروفة بدقة، فلم يتمكن الباحثون من إعطاء زمن دقيق لهذا الفن وكل ما طُرح من آراء هو عبارة عن تخمينات لا تستند إلى أسس علمية دقيقة، كما أن هناك معضلات تحول دون التعرف على زمنه، ومن بينها كثافة المشاهد وتعدد مراحلها وتطابق الصور إذ أن في المشهد الواحد نجد صور تعود إلى أكثر من مرحلة، وربما أزال الناس بعضاً من الصور ليرسموا صورا أخرى فوقها، فقد تواترت الإقامة الإنسانية في معظم المواقع على مدار آلاف السنين .

مع العلم أن مواقع الفن الصخري كانت بمثابة معابد للإنسان الذي كان ينجز الرسوم بعد قيامه بطقوس معينة وقد يلجأ لإزالة المشاهد القديمة، وهي من بين المشاكل التي يعاني منها الباحثون في دراستهم لهذا الفن، إلى جانب انتشاره في رقعة جغرافية واسعة تمتد لمئات

الكيلومترات مع قساوة المناخ الذي يجعل عملية البحث شاقة، كما أن عوامل المناخ ربما ساهمت في اندثار بعض الرسوم عبر الزمن، وإلى جانب ذلك يعتبر هذا الفن حساسا وهو معرض لأخطار التشويه والإزالة من طرف السواح الذين يفدون إلى المنطقة .

ج - تقنية تنفيذ النقوش والرسوم الصخرية:

تختلف تقنية إنجاز النقوش عن الرسوم فبالنسبة للنقوش هناك ثلاثة تقنيات أساسية وهي التتقيط والصقل والحز، مع العلم أن عملية التتقيط وهي التقنية المنتشرة في معظم النقوش فقد كانت تتم بواسطة أزاميل ومناقيش حجرية، كما استعملت الوسائل المتاحة في ذلك الوقت من عظام و حجارة الصوان أو الكوارتز خاصة تلك التي لها حواف حادة لتنفيذ النقوش، أما عملية التتقيط فكانت تتم بالنقر على الصخور باستعمال أدوات مماثلة لتلك الأدوات التي ذكرناها آنفا كالمثاقب، وقد يكون التتقيط متقاربا أو متباعدا، وهذه التقنية نجدها خصوصا في النقوش القديمة .

والحدود المنقوشة بواسطة التتقيط المتباعد يمكن أن تستعمل كطريقة لتحضير الواجهة من أجل النقش عليها بطرق مختلفة، ويمكننا في بعض الحالات تمييز بقايا التتقيط الأصلية أما الحدود فقد تكون منطقة تتقيطا غليظا أو رقيقا، وهذه التقنية موجودة في النقوش التي تعود لمرحلة الجاموس العتيق ومرحلة الجمل⁽⁷⁹⁷⁾، وهناك التتقيط العميق الذي ترافقه في الغالب عمليات نقش أو حفر للحدود، وفي الكثير من المشاهد تعتبر عملية الصقل مرحلة أولية لتنفيذ المشاهد وتحضير الجدار الذي تتم عليه النقوش⁽⁷⁹⁸⁾ .

أما الصقل فيتم بتمرير الحجارة على الجدار لتحضيره قبل أن يتم النقش عليه، وفي بعض الأحيان يتم إنجاز تتقيط مسبق، وقد يتم تنفيذ التتقيط أولا ثم الصقل ثانيا بحجارة

⁽⁷⁹⁷⁾ قام الباحثون بتقسيم الفن الصخري في الطاسيلي و الهوثار إلى مراحل فنية تبعا لمعطيات مختلفة وهذه المراحل هي

من الأقدم إلى الأحدث : مرحلة الجاموس العتيق وتمثل الصيادين وهي عبارة عن نقوش ، ومرحلة الرؤوس المستديرة

وتمثل الصيادون وهي عبارة عن رسوم ، ثم رسوم مرحلة البقرات وتمثل الرعاة ، ومرحلة الحصان والعربة ، ثم مرحلة

الجمل ، للمزيد من التفاصيل أنظر ما سيأتي في مبحث تصنيف الرسوم النقوش ، ص 245

⁽⁷⁹⁸⁾ للمزيد من التفاصيل حول عملية تنفيذ النقوش والرسوم يرجى العودة إلى:

G Lefebvre., 1970, Typologie De La Technique Des Gravures Rupestres Pré Et Protohistoriques De l'Algérie Non Saharienne : Types 1-25 .Alger: Centre De Recherches Anthropologiques, Préhistoriques Et Ethnographiques, 58p

François Rambeau ., 1988, Technologie De La Gravure Rupestre , L'anthropologie (Paris) Tome 92 , N°1, pp255-270

ملساء لتهيئة الجدار⁽⁷⁹⁹⁾، وقد تؤدي عملية الصقل العميق أحيانا إلى تشكيل تضاريس على الصخرة، ويمكن أن تضاف أيضا حدود عميقة للمشهد، وهذه التقنية استعملت خاصة في أسلوب تازينة⁽⁸⁰⁰⁾ في النقوش التي تعود لمرحلة البقريات⁽⁸⁰¹⁾ في الهوفار كما استخدمت في النقوش الحديثة⁽⁸⁰²⁾، والنقوش التي يتم تنفيذها بطريقة الخط المصقول العميق هي الأقدم، بينما الخط المنقط يعود لفترة حديثة خاصة إذا كان غير متقن⁽⁸⁰³⁾.

أما تقنية الحز فتتقسم إلى الحز الخفيف والحز العميق الذي يمكن أن نسميه الحفر، وتعد تقنية الحز والنقر من أقدم التقنيات في إنجاز النقوش، حيث تم بواسطتها تنفيذ النقوش القديمة من مرحلة الجاموس العتيق ومن مرحلة البقريات في وادي جرات وهضبة المساك .

وبخصوص الرسوم الصخرية فتقنية إنجازها مختلفة تماما فعملية تنفيذها هي عملية معقدة حيث يتم أولا اختيار الواجهة الصخرية الملائمة للمشهد، وفي الغالب يتم تنفيذ الرسوم من طرف الكهنة أو السحرة ووفق طقوس معينة. وقد استعمل الإنسان مواداً طينية مختلفة وترباً صلصالياً ملوناً من أجل تحضير الألوان، فبواسطة هذا التراب يتم الحصول على الألوان كالأحمر والبرتقالي والأصفر والبني، ويتم استخدام فحم الخشب للحصول على اللون الأسود، إضافة إلى استخدام الطين الأبيض للحصول على اللون الأبيض، أما الألوان الفاتحة فيتم الحصول عليها بخلط الألوان المختلفة، كالحصول على اللون الأزرق الذي كان استعماله نادراً، وقد تخلط هذه المواد بمادة مكثفة كالحليب لإعطاء الألوان قدرة على التماسك وللحصول على سائل سهل الإلصاق على الواجهة الصخرية، ومن بين تلك المواد التي تستعمل في تحضير الصبغة: الماء، الحليب، العسل، الدم، الشحم، البيض⁽⁸⁰⁴⁾.

⁽⁷⁹⁹⁾ G. B. M. Flamand ., 1921, Les pierres écrites (Hadjrat Mektoubat). Gravures et inscriptions rupestres du Nord-Africain, Missions du Ministère de l'instruction publique et du Gouvernement général de l'Algérie (Service géologique), Paris: Masson & Cie, p 236

⁽⁸⁰⁰⁾ يتميز هذا الأسلوب برسم الحيوانات بشكل جميل وبأعضاء ممدودة وجسم نحيل ، وتتمثل تلك الحيوانات في الأبقار والزرافات والضباء ، تفاصيل أوفى تجدها في الفصل السادس .

⁽⁸⁰¹⁾ نقصد بمرحلة البقريات المرحلة الرعوية وهي المرحلة التي انتشر فيها نشاط تربية الأبقار وظهرت في صورها بكثافة في الفن الصخري ضمن المشاهد الرعوية .

⁽⁸⁰²⁾ Jan Jelienc ., 2004, Sahara Histoire De L'art Rupestre Libyen, Edition Millon ,Paris , 2004, P35

⁽⁸⁰³⁾ Jean-Loic Le Quellec., 2008, What's new ...,p61

⁽⁸⁰⁴⁾ Henri, Lhote ., 1970, Gravures Rupestres De Ti-N-Terirt, Aharar Mellen, Amsedenet Et In Tebourboug (Tassili-N-Ajjer, Sahara Central). Libyca, XVIII, P170

والجدير بالذكر أن عملية تحضير الألوان وتنفيذ الرسوم ليست عادية بل كانت تتم وفق طقوس معقدة من طرف الكهنة وقد تكون تلك الألوان تحمل طابعاً سحرياً مقدساً، ومن المفترض أن القبيلة كلها كانت تشارك في الطقوس، والرسوم في حد ذاتها تحمل طابع التقديس، كما أن الإنسان اختار أماكن الرسوم بعناية، وهذه الأماكن لم يكن يسكن فيها بل كانت بمثابة المعابد، ومن بين الأمثلة عليها موقع " صفار " الذي توجد فيه مشاهد للرعاة مع أن تضاريس المنطقة لا تصلح للحياة الرعوية وهو ما يعني أن المنطقة كانت معبد للرعاة الذين يأتون إليه لأداء طقوسهم فيه.

وقد كان الفنان يبسط الألوان على الجدار بواسطة فرشاة كبيرة قد تكون من ريش النعام⁽⁸⁰⁵⁾، وقد تكون عصي، وربما استخدم أصابعه⁽⁸⁰⁶⁾، كما استعمل أدوات جافة كالحجارة أو الخشب، وربما فرشاة من وبر الحيوان أو من ألياف نباتية⁽⁸⁰⁷⁾، وربما استعمل وبر الحيوانات أو ريش الطيور كما استعمل الفنان فمه لرش السائل، واستعمل ملعقة من القش أو من الأخشاب الممضوغة، وأحيانا يغمس يديه ثم يضعهما على الجدار خاصة في الرسوم السلبية للأيدي التي مازلنا نراها على الجدران، أما اللمسات والنقاط فقد كانت تنفذ بواسطة نهاية الأصابع المغموسة في الألوان⁽⁸⁰⁸⁾.

بالإضافة إلى ذلك استخدم سلالماً ومنصات لتنفيذ المشاهد في الأماكن العالية من أجل حمايتها⁽⁸⁰⁹⁾، ومن المرجح أن الأدوات التي كان يستعملها في الرسم كانت تختلف من فترة لأخرى ومن منطقة لأخرى، فقد أستخدمت ريشة النعام في رسوم الرعاة بينما أستخدمت أدوات صلبة في رسوم مرحلة الرؤوس المستديرة، والملاحظ أن عملية مزج الألوان في مرحلة الرعاة تختلف أيضاً عن مرحلة الرؤوس المستديرة، فالألوان كانت قوية في المرحلة القديمة بينما كانت مخففة في مرحلة الرعاة⁽⁸¹⁰⁾.

⁽⁸⁰⁵⁾ René Gardi. Neukom. Julantha. Y Tchudi .. 1969, Peintures Rupestre Du Sahara .Tassili-N- Ajjer.Suisse: Edition Hallwag Berné.P 12

⁽⁸⁰⁶⁾ Jean Dominique Lajoux ., 1977, Tassili-N-Ajjer. Art Rupestre Du Sahara Préhistorique Paris :.Edition Du Chêne , 2°Ed.,P 26

⁽⁸⁰⁷⁾ Malika Hachid ., 1998, Op.Cit.P 184

⁽⁸⁰⁸⁾ Jean domnique lajoux., 1977, op.cit. p 26, Malika Hachid., 1998, op.cit. p181

⁽⁸⁰⁹⁾ جون كي زربو، 1983، الفن الإفريقي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول، باريس : جون أفريك واليونسكو، ص660-

⁽⁸¹⁰⁾ René Gardi . Neukom. Julantha. Tchudi ., 1969, op.cit. 12

وقبل تنفيذ الرسوم كان الفنان أحيانا يقوم بنقش بسيط على الصخرة لتحديد الرسم الذي يريد إنجازَه وهذا ما نجده في بعض من مشاهد الطاسيلي في منطقة "جبارين" و"تيسوكاي" و"إهرن" ⁽⁸¹¹⁾، وفي جبارين وجدنا نقوشاً أولية قام الإنسان بتلوينها ⁽⁸¹²⁾، وتبدو براعة فنان الطاسيلي واضحة في استخدام خصائص الصخور استخداماً مفيداً، حيث جعل تلك التعرجات تخدم المظهر الفني كما في ملجأ "تاهيلاهي" بالطاسيلي، فقد استعمل فجوة طبيعية في الصخرة لتصبح في المشهد بمثابة موردٍ للماء يتقاطر إليه القطيع للشرب ⁽⁸¹³⁾.

وقد استخدم الإنسان اللون الأبيض بكثرة رغم أنه نادرٌ وبعيدٌ جداً عن أماكن تنفيذ الرسوم، فاللون الأبيض مصدره الصلصال الأبيض (kaolin)، وكان عليهم الحصول عليه بكميات كبيرة، فقد كان يوضع مع الموتى في القبور إلى جانب استخدامه في الرسوم، وقد استخدم الإنسان هذا اللون إلى جانب اللون الأصفر في الطقوس المدفنية في الباليوليتي، أما استخدامه في الرسوم فيعود إلى مرحلة الرؤوس المستديرة القديمة، فقد أرخت الطبقة التي تتضمن الصلصال الأبيض في تين هناكتن ب 9420 ± 200 قبل الحاضر ⁽⁸¹⁴⁾، ولعل وجود اللون الأبيض ضمن الطقوس الجنائزية يدل على أن الرسوم في معظمها كانت ذات علاقة بالطقوس الدينية، فقد لعب الدين دوراً محورياً في تفكير الناس على مر الزمن.

وقد كان اللون الأبيض مهماً جداً لذلك كانوا يتنقلون مسافات طويلة للحصول عليه فهو غير موجود في الأماكن التي توجد فيها الرسوم، وهو موجود في منطقة واحدة في الطاسيلي هي عقبة تافيلالت ⁽⁸¹⁵⁾ (akba tafelalet)، ومن الممكن أنهم استخدموا مادة الجبس لإعطاء الصلابة للرسوم، كما استخدم الفنان مواداً ذات أصل حيواني فقد اكتشفت بقايا لون أسود في رسوم مرحلة الرؤوس المستديرة ⁽⁸¹⁶⁾ وهي قد تكون شحوماً ⁽⁸¹⁷⁾.

⁽⁸¹¹⁾ Malika Hachid., 1998, Op.Cit.P 184

⁽⁸¹²⁾ Jean Dominique Lajoux., 1977, op.cit. P 26

⁽⁸¹³⁾ جون كي زربو، المرجع السابق ، ص 660-662

⁽⁸¹⁴⁾ François Paris ., 1996, op.cit.p265

⁽⁸¹⁵⁾ Jean domnique lajoux ., 1977, op.cit. p 26

⁽⁸¹⁶⁾ عُرفت مرحلة الرؤوس المستديرة برسومها الغامضة والتي تحمل طابع سحريا ودينيا ، وكان الناس لا يمثلون ملامح الوجوه بالنسبة للأشخاص، وذلك قد يكون له علاقة بالسحر والمحرمات التي كانت سائدة لديهم، وكانوا بدل من رسم ملامح الوجه يرسمون دائرة تمثل الوجه ، وهو ما جعل الباحثين يطلقون تسمية الرؤوس المستديرة عليهم ، ويعد القس هنري بروي هو أول من أطلق هذه التسمية وتبعه في ذلك هنري لوت ، حول هذه المرحلة وخصائصها الفنية، ينظر : بن بو زيد

وعملية مزج الألوان كانت تتم ربما بالماء أو بالحليب، فقد اكتشف الإنسان في ما قبل التاريخ المزاي التي يعطيها الحليب للمزج الجيد، فالحليب يحتوي على مادة "الكازين" Caseine وهي مادة بروتينية توجد في الحليب والدم والبيض وتساعد على المزج جيدا، وقد أظهرت التحاليل الكيميائية التي تمت على رسوم منطقة تادرارت أكاكوس وجود هذه المادة، ولم يعثر على هذه المادة في منطقة "تيسوكاي" بالطاسيلي⁽⁸¹⁸⁾، لكن عثر عليها في مشاهد "تماجرت"⁽⁸¹⁹⁾ (Tamadjert)، وتأكد وجودها في رسوم جبل العوينات في مصر أيضا⁽²²⁰⁾.

ويدل اللعان المدهش الذي نشاهده اليوم على أن تلك الألوان أنها كانت ذات صلابة كبيرة، ومن الألوان الرئيسية المستخدمة في الرسوم اللون الأحمر والرمادي وأصلهما من التراب الصلصالي، واستخدم اللون الأصفر والأخضر والبنفسجي، واللون الأبيض يتوفر من الصلصال الأبيض، أما الأسود فهو يستخرج من الفحم الخشبي أو من العظام والشحم المحروق، وألوان أخرى استخرجت من بعر الحيوان أو من عصارات النباتات، ومن الممكن أنه استخدم الشحوم في دهن الرسوم لتكسب لمعانا، وربما استخدم بياض البيض أو العسل أو نخاع العظام المحروقة، وقد استعمل الإنسان المدقات والمهارس لسحق المواد الملونة قبل أن تعجن وتخلط مع سائل آخر كالحليب، كما استخدم أواني لتحضير الخلطة⁽⁸²¹⁾.

وقد عثر الباحثون على بقايا مشاغل لتحضير الألوان في موقع "إن اتينان" بالطاسيلي⁽⁸²²⁾، ووجدت أيضا الكثير من المهارس والمطاحن وأدوات أخرى كان يستخدمها الإنسان في مواقع قريبة من أماكن الرسوم⁽⁸²³⁾ (الشكل 08)

لخضر، 2008، الأثر الديني في مشاهد مرحلة الرؤوس المستديرة في منطقة الطاسيلي ناجر، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، نوقشت يوم: 28 أكتوبر 2008، ص 100-246

⁽⁸¹⁷⁾ Malika hachid ., 1998,op.cit. p 181

⁽⁸¹⁸⁾ Jean domnique lajoux., 1977, op.cit. p 26

⁽⁸¹⁹⁾ منطقة تماجرت تقع في الجنوب الشرقي لجبل تين دوسي Tin Desset، تخترق المنطقة ثلاثة أودية هي إميذار Emedar تين بهوندي Tin Bahoundi وتيلي كاردي Télékard ينظر : Jean Dubief., 1999, Op.Cit.P163

⁽²²⁰⁾ Malika ,Hachid., 1998, op.cit. p 181

⁽⁸²¹⁾ جون كي زربو، المرجع نفسه، ص 660-661

⁽⁸²²⁾ Henri Lhote., 1976, Vers D'autre...,P100

⁽⁸²³⁾ Jean Dominique Lajoux., 1977, op.cit.p 26

ورغم كثافة الرسوم في الطاسيلي إلا أننا نعتقد أن نسبة كبيرة من الرسوم قد اندثرت عبر الزمن خاصة منها القديمة، كما أن الكثير منها قد تدهورت حالته، وأصبحت لا تكاد تظهر لنا في الصخور إلا بعد تمعن دقيق، أما الرسوم القديمة التي لا تزال وضعيتها جيدة فهي الرسوم المتقنة المتغلغلة في الجدار والمنسجمة مع الصخرة والتي حُفظت بشكل جيد ، والملاحظ أن معظم الرسوم الجيدة والمتماسكة تعود لمرحلة للبقرات والرؤوس المستديرة، أما النقوش والرسوم الرديئة التي كانت تشكل طبقة خارجية سميكة لكونها لم تتغلغل في الجدار ما تلبث أن تزول بسبب الأمطار أو بسبب خشونتها و ثقلها أو لكونها جافة، وذلك يعود إلى طبيعة الصبغة المحضرة وهذا ما حدث لبعض الرسوم والنقوش التي تعود إلى مرحلة الجمل ذات التقنية السيئة (824).

د - تصنيف الرسوم و النقوش:

تعتبر عملية تصنيف المشاهد الفنية مهمة جدا في قراءة محتواها، وليس من السهل تصنيف مشهد ما ضمن مرحلة البقرات إذا لم توجد الأبقار أو المشاهد الدالة على الرعي، فمثلا عند وجود حيوانات برية مثل فرس النهر أو الفيلة فإننا لا ندري هل هي تنتمي إلى مرحلة الجاموس العتيق القديمة أم إلى البقرات وذلك لان مثل هذه الحيوانات ظلت موجودة في بعض الأماكن في الهوقار والطاسيلي إلى غاية الألف الأولى قبل الميلاد.

وعند دراسة المشاهد يجب التعرف أولا على أهم الملامح والخصائص التي تجعل ذلك المشهد ينتمي إلى مرحلة البقرات أم إلى مرحلة الجاموس العتيق، ونقصد بها الخصائص الفنية وبعض العناصر الأخرى، فقد وضع الباحث هاورد مجموعة من العناصر التي تمثل مرحلة الصيادين منها: تواجد الأقنعة، والهرارات، والقوس، والعصى المعكوفة أو البوميرانج ، حبل الاقتناص، كلاب الصيد، الفخاخ، الحيوانات الملتحمة مع بعضها، أشخاص يلمسون حيوانات برية ، والرموز المختلفة بما فيها الدوائر الحلزونية⁽⁸²⁵⁾، ومتى وجدت هذه العناصر في المشهد فإنه ينتمي إلى مرحلة الجاموس العتيق .

⁽⁸²⁴⁾ Jean jelienc ., 2004, op.cit, p35

⁽⁸²⁵⁾ Léone, Allard-Huard., 2000, Nil-Sahara. Dialogues rupestres. II - L'homme innovateur . CREST: Chez l'auteur, p275 .

ومع ذلك فإن بعض تلك العناصر موجودة لدى الرعاة أيضا، فقد مارسوا الصيد أيضا واستعملوا نفس الأسلحة المذكورة فمشاهد "أسلوب إهرن تاهيلاهي"⁽⁸²⁶⁾ الذي سوف نتعرض لها لاحقا يحمل الأشخاص فيها العصي المعكوفة (البوميرانج)، لذلك فإن هذه العناصر التي قدمها هاود لا تُعبر بالضرورة على فن الصيادين .

غير أننا لاحظنا أنه في فن الصيادين الرجال والنساء يبدون عراة عادة إلا من غطاء العورة، ونرى ذبول الحيوانات تتدلى من اللباس الجلدي الذي يرتدونه، كما أن فن الصيادين يتميز بعدم الاهتمام بملامح الجسم وتفاصيله، عكس ما نجده لدى الرعاة في مرحلة البقرات الوسطى والحديثة⁽⁸²⁷⁾، في حين أن المرحلة القديمة من الحياة للرعية كان الإنسان فيها يحتل مركزا ثانويا⁽⁸²⁸⁾، ومن جهة ثانية ليس هناك اهتمام لدي الصيادين بإبراز الجنس والمشاهد الجنسية على عكس الرعاة الذين تحتل المشاهد الجنسية ومشاهد الأشخاص ذوي القضيب البارز نسبة كبيرة خاصة في النقوش القديمة .

وإذا كانت هناك صعوبة في التمييز بين مرحلة الجاموس العتيق والبقرات، فإن هناك صعوبة أكبر في التمييز بين مشاهد الرعاة ومشاهد مرحلة الرؤوس المستديرة، لوجود تداخل كبير ومواضيع مشتركة بين المرحلتين ومن الممكن أن ذوي الرؤوس المستديرة⁽⁸²⁹⁾ مارسوا تربية الحيوانات في فترة ما، فقد وجدت لديهم الأبقار وهو ما يطرح العديد من التساؤلات، فبالنسبة للباحث "كريستيان دوبي" فإن صور الأبقار لديهم قد تمثل نوعاً من العلاقة بين مجموعات الرؤوس المستديرة والرعاة المجاورين لهم⁽⁸³⁰⁾، مما يعني حسب هذا الباحث أن

⁽⁸²⁶⁾ هو أسلوب ينتمي إلى مرحلة البقرات الحديثة ويمثل أوائل البربر في الصحراء ، ويتميز بمشاهدته الجميلة والملينة

بالحركة ، للمزيد من المعلومات أنظر ما سيأتي في مبحث أوائل البربر ، ص 422

⁽⁸²⁷⁾ قام الباحثون بتقسيم البقرات إلى ثلاثة مراحل لكل منها خصائصها والأساليب الفنية التي وجدت فيها والتي تعكس المجموعات الأثنية التي عاشت في تلك الفترة، ومن المفترض أن هناك فترات جفاف تفصل بين كل مرحلة وأخرى .

⁽⁸²⁸⁾ René Gardi. Neukom .Julantha .Tchudi .Y., 1969, op.cit , p4

⁽⁸²⁹⁾ قد تكون رسوم مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة هي رسوم تتميز بخصائص ثقافية ودينية ، كما أن المظاهر السحرية

والأسطورية غالبية عليهم، ومن الممكن أنهم قد تزامن وجودهم مع الرعاة الذين نسميهم مرحلة البقرات، كما أن كلا

المجموعتين هم من الزوج .

⁽⁸³⁰⁾ Christien Dupuy., 2006, Les Plus Anciennes Peintures Du Sahara. Paper Presented At The Le Sahara Et l'Homme: Un Savoir Pour Un Savoir-Faire. Actes Du Colloque Organisé A Douz Du 27 Au 29 Décembre 2003, Tunis.P95, Fig4

المجموعتين كانتا تسكنان في منطقة واحدة، وكلٌ منها كانت لها أساليب فنية مختلفة عن الأخرى .

وبتتبع صور مرحلة الرؤوس المستديرة نلاحظ أن هناك تطورا بين المشاهد القديمة التي تمثل أسلوباً للآلهة الكبيرة " كإله صفار " و " الإله المريخي " في جبارين⁽⁸³¹⁾ (وهي تسميات أطلقها هنري لوت على المشهدين)، وبين المشاهد الحديثة التي تمثل آلهة أنثوية كمشهد " السيدة السوداء" في صفار، ومشهد " السيدة البيضاء" في "أونغهات"⁽⁸³²⁾، فالميل إلى عبادة آلهة لأنثوية تدل على أن هؤلاء الأقوام هم من المزارعين أو الرعاة .

وبعض الباحثين يقرون بوجود تداخل بين مرحلة الرؤوس المستديرة ومرحلة البقريات، فالباحث ألفرد موزيليني يعتبر أن أسلوب إهرن - تاهيلاهي ينتمي إلى مرحلة البقريات النهائية ويحمل أيضا تأثيرات من مرحلة الرؤوس المستديرة تماما مثل أسلوب أبانيورا⁽⁸³³⁾ وذلك لكونهما يحتويان على مشاهد الأفنعة والشخصيات النصف إنسانية.⁽⁸³⁴⁾

و يضع المؤلف نفسه بعض النقوش من وادي جرات ضمن مرحلة الرؤوس المستديرة ، رغم أنها تنتمي حسب هنري لوت إلى مرحلة الجاموس العتيق، ويقول في هذا الإطار أن الطور الأخير من مرحلة الجاموس العتيق قد شهدت تغيرا في الأسلوب، فالمشاهد أصبحت قريبة من الرؤوس المستديرة، فالأسلوب الطبيعي لمرحلة الجاموس العتيق تحول إلى الرمزية وهي من أهم صفات الرؤوس المستديرة ، ولعل هذا هو السبب نفسه الذي جعل الباحث

⁽⁸³¹⁾ يمثل أسلوب الآلهة الكبرى بالنسبة لمرحلة الرؤوس المستديرة الرسوم الأقدم ، وتتميز بمشاهد تعبدية لآلهة ذات مظهرا هائل نجدها في مناطق مختلفة من الطاسيلي منها خاصة في موقع صفار وجبارين القريبان من مدينة جانت ، وهي في الغالب مشاهد للخصوبة ، حيث نجد في الصورة نساء في حالة الولادة ينظرن إلى شخصية كبيرة ربما تمثل الإله الكبير ، ولعل الهدف من المشهد متعلق بعبادة الخصوبة ولحماية الأطفال والنساء

⁽⁸³²⁾ هذه المشاهد تمثل عبادة لآلهة أنثوية تمثل آلهة الخصوبة الأنثوية، وهذه المشاهد تمثل أسلوب فنيا نجده في العديد من المشاهد في الطاسيلي، ومن الواضح أن المظاهر السحري موجودة في المشاهد، من خلال تلك الزينات الجسدية التي نجدها لدى الأشخاص .

⁽⁸³³⁾ أسلوب أبانيورا نسبة لموقع تين ابانهار الذي توجد فيه مشاهد ذات طابع رعوي يظهر فيها أشخاص ذوو بشرة نحاسية يشبهون الفولاني الذين يعيشون في غرب إفريقيا ، وكان "ألفرد موزيليني" هو أول من أطلق هذه التسمية على هذا الموضوع

⁽⁸³⁴⁾ Alfred .Muzzolini., 1991, Op.Cit. P27

الإيطالي "فابريزيو موري" (F.mori) يضم هذه المشاهد ومشاهد أخرى مشابهة إلى الرؤوس المستديرة (835) .

وبزاد الغموض أكثر لدى بعض الباحثين الذين لا يجدون فاصلا بين مرحلة الرؤوس المستديرة وبين البقرات حيث قال جون ماتر (J P Maitre) بأنه : «...لا شيء يسمح لنا في الوقت الحاضر بفصل كل من الرؤوس المستديرة عن البقرات...» (836)، وقد كان القس بروي قد وصف مرحلة الرؤوس المستديرة بأنها تمثل شعوب البقرات برأس في شكل قرص (837) ، وقد افترض الكثير من الباحثين أن مشاهد الرؤوس المستديرة تمثل الصيادين، ولكن مشاهد الصيد نجدها لدى الرعاة أيضا وقد يكون الغرض هو الترفيه، كما أن الحيوانات المقصودة بالصيد كانت موجودة أيضا في مرحلة الرعاة.

ومن جهة ثانية فيما يخص العلاقة بين مرحلة البقرات ومرحلة الحصان، نلاحظ أن هناك تداخل بينها في المرحلة الرعوية الأخيرة ، فالعربات ظهرت في مرحلة البقرات النهائية، حيث وجدت صور لعربات تجرها أبقار في كل من إهرن و"تماجرت" ووان رشلة" بالطاسيلي ووجدت أيضا في وادي جرات أيضا وذلك قبل ظهور الحصان في المنطقة، مع العلم أن صور الحصان كانت متأخرة لكنها انتشرت في منطقة واسعة تمتد من الأطلس الصحراوي إلى غاية الصحراء الجنوبية في منطقة الآير والتبيستي ومن هضبة المساك في فزان إلى غاية الصحراء الغربية قرب المحيط الأطلسي وهذه الصور تمثل اليوم بالفعل المجال الذي يعيش فيه الطوارق في الصحراء .

وقد تميزت مرحلة الحصان على غرار المراحل الأخرى بتعدد عرقي ، أما المجموعات التي عاشت في البقرات الحديثة كمجموعات "إهرن تاهيلاهي" ومجموعات "تين أنوبيين" فهي الأخرى عرفت العربات والحصان، ولعل أقرب الأساليب الفنية البقرية إلى مرحلة العربات هو أسلوب إهرن - تاهيلاهي (838) ، لذلك فإنه من المحتمل أن شعوب البقرات قد استعملوا الحصان والعربات أيضا في الفترة المتأخرة.

(835) Henri Lhote ., 1984, op.cit.P 258

(836) Jean Pierre Maitre ., 1972, Op.Cit..P135

(837) Ginette. Aumassip., 1993, Chronologies de l'art rupestre saharien et nord-africain, paris : . Calvisson: Editions J. Gandini. P18.

(838) حول مشاهد أسلوب إهرن تاهيلاهي وتين أنوبيين أنظر ما سيأتي في أوائل البربر في الصحراء

وقد اعتمد الباحثون على طرق مختلفة في تصنيف الفن الصخري وتقسيمه إلى مراحل فنية، ومن بين المعايير المستخدمة في التصنيف صور الحيوانات سواء كانت حيوانات برية أو مستأنسة باختفاء أو ظهور حيوانات معينة يمكن أن تعطينا فكرة على نوع النشاط الاقتصادي للسكان، كما اعتمدوا على دراسة الأسلوب الفني كمعيار للتصنيف، باعتبار أن كل أسلوب فني يمثل مجموعة بشرية مختلفة في عاداتها ومعتقداتها وأسلوب حياتها عن المجموعات الأخرى، وهناك معايير أخرى كتصنيف الرسوم وفق المعيار المناخي من حيث الرطوبة والجفاف أو وفق الأعراق التي تمثلها كأن نقول فن الزوج وفن للجنس الأبيض، ويراعى أيضا نوع النشاط البشري كأن يقال فن الصيادين وفن الرعاة وفن المحاربين.

وقد كانت أولى محاولات التصنيف هي التي قام بها فلامند (G.B.M Flamand) سنة 1921 من خلال دراسته للفن في الأطلس الصحراوي الذي قسمه إلى فن الصيادين القدامى وفن الرعاة ⁽⁸³⁹⁾، وبعد مدة قصيرة قام تيودور منود (Th. Monod) بتصنيف الفن الصخري لمنطقة أدرار أهناث بالهوقار سنة 1932 إلى عدة مراحل ⁽⁸⁴⁰⁾، وينسب إلى هذا الباحث أنه أول من أطلق تسمية "مرحلة الجاموس العتيق" على المرحلة القديمة، ثم مرحلة الماشية والأبقار المستأنسة ثم المرحلة الليبية البربرية، ثم المرحلة العربية والبربرية، وهو يعتقد أن تطور الفن الصخري يعكس تطوراً موازياً للمجتمعات الصحراوية إلى غاية بداية التاريخ حيث يظهر الطوارق ⁽⁸⁴¹⁾.

كما قام موريس ريقاس (M. Reygasse) باقتراح تصنيف للفن في الطاسيلي سنة 1935، حيث قسم النقوش الصخرية في وادي جرات إلى مجموعة النقوش القديمة التي يتمثل الصيادون الجامعون ومجموعة النقوش الحديثة وهي المجموعة الليبية البربرية وتمثل الرعاة وعم ذلك أيضا على نقوش الأطلس الصحراوي أيضا. ⁽⁸⁴²⁾

⁽⁸³⁹⁾ G.B.M Flamand., 1921 , op.cit, 434 p 262

⁽⁸⁴⁰⁾ من أجل تفاصيل أكثر عن تصنيف تيودور منود لمشاهد أهناث ، ينظر :

Théodore Monod., 1932, L'Adrar Ahnet. Contribution à l'étude archéologique d'un district saharien, Paris, Travaux et Mémoires de l'Institut d'Ethnologie XIX , 194 p

⁽⁸⁴¹⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 2008, Per le pitture rupestri si apre una nuova era , Dopo lunghe diatribe su classificazione e significato delle raffigurazioni è ora di usare gli strumenti della scienza moderna anche in Libia e Algeria, sahara , Quaderni Darwin , 2008 , vol 1 , p 63

⁽⁸⁴²⁾ Maurice Reygasse., 1935, Gravures et peintures rupestres du Tassili des Ajjers., L'Anthropologie, tome 45, pp 533-571

أما باولو كرازيوزي (P. Graziosi) ⁽⁸⁴³⁾ فقد قام بتقسيم الفن الصخري في ليبيا سنة 1932 إلى مجموعتين الأولى سماها "صيادو برجيج" (Berjûj) وهي تتضمن صيادون ورعاة، والمرحلة الثانية تتمثل في مجموعة صيادو شاتي (Shâti) ⁽⁸⁴⁴⁾، كما قام بعض الباحثين بإتباع نفس الطريقة في تقسيم الفن الصخري إلى فن الصيادين والرعاة والمحاربين ومنهم: بول هاورد (Huard P) و فابريزيو موري ⁽⁸⁴⁵⁾، مع العلم أن الباحثين الإيطاليون يعتمدون في تصنيفهم على الأسلوب الفني من حيث كونه طبيعيا أو رمزيا ونجد ذلك خاصة لدى كل من ألفرد موزيليني وفابريزيو موري.

ومن بين الباحثين الذين قاموا بتصنيف وتزمين الفن الصخري ريموند موني (Raymond Mauny) الذي قسم الفن الصخري إلى: مجموعة الحيوانات الطبيعية الكبرى الأثيوبية وقد حدد تاريخها بين 5000 ق.م إلى 2000 ق.م، ثم مجموعات رعاة الأبقار في النيبوليتي بين 2500 ق.م إلى 1000 ق.م، يليها مجموعات الحصان قبل حوالي 1200 سنة، ثم المجموعات الليبية البربرية من 200م إلى 700م، وأخيرا المجموعات العربية البربرية الحديثة من 700 م إلى يومنا هذا. ⁽⁸⁴⁶⁾

أما إيمانويل أناتي فقد قسم الفن الصخري الصحراوي إلى عدة مراحل، فالمرحلة الأولى تمثل الصيادين القدامى وهؤلاء كانوا قبل 11000 قبل الحاضر، ثم جامعوا الفواكه ابتداء من 11.000 قبل الحاضر، ثم الصيادون الجامعون المتأخرون ابتداء من 8000 قبل الحاضر، ثم الرعاة بين 6000 و 5000 قبل الحاضر، وأخيرا شعوب ذات اقتصادٍ مختلط ابتداء من 3200 قبل الحاضر، ويعتقد أناتي أن هذا التصنيف صالح لكل أنحاء إفريقيا وهو ما يعارضه جون لوكلاك ⁽⁸⁴⁷⁾.

⁽⁸⁴³⁾ للمزيد من المعلومات عن أعمال كرازيوزي في ليبيا، ينظر :

Paolo Graziosi., 1942, L'arte rupestre della Libia. Vol.1: Testo. - Vol.2: Tavole2 , p259-261,
⁽⁸⁴⁴⁾ Jean-Loïc Le Quellec ., 2008, Chasseurs Et Pasteurs Au Sahara Central : Les Chasseurs Archaiques Chassés Du Paradigme, **Palethnologie** 2008, 1, P402

⁽⁸⁴⁵⁾ Ginette. Aumassip., 1993, op.cit. pp 21- 24

⁽⁸⁴⁶⁾ Raymond Mauny ., 1956, Préhistoire Et Zoologie La Grande « Faune Éthiopienne » Du Nord-Ouest Africain Du Paléolithique À Nos Jours , Bulletin De L'IFAN, 1956 Tome XVIII , Série A - Sciences Naturelles,(1)18 , p270.

⁽⁸⁴⁷⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 1998, Op.Cit, pp168-169

أما كل من "ريدجي وقابريل لوتز" (rudiger et gabrial lutz) فقد قاما بتقسيم الفن إلى مراحل مختلفة تمثل جميعها الصيادين دون ذكر الرعاة⁽⁸⁴⁸⁾، والملاحظ أن الباحثين الإيطاليين كإيمانويل أناتي وكرازيوزي وكل من اتبع طريقتهم في التصنيف مثل بول هاورد ، قد اعتمدوا على معيار محدد هو النشاط الاقتصادي للإنسان، بينما اعتمد "أندرو سميث" على الأنثروبولوجي، فصنفها إلى أسلوب الجنس الأبيض وأسلوب الجنس الأسود⁽⁸⁴⁹⁾.

لكن أكثر التصنيفات قبولا بين الباحثين هو التصنيف الذي وضعه هنري لوت (H. Lhote) وهو مشابه لتصنيف تيودور منود (T.Monod) حيث اعتبر ظهور الحيوانات في فترات معينة واختفائها كمعيار للمراحل الفنية والزمنية، ووفقاً لذلك فقد قسم الفن الصخري إلى المراحل التالية على التوالي: « الجاموس العتيق وتمثل النقوش فقط، الرؤوس المستديرة وهي رسوم فقط ، البقرات وهي رسوم ونقوش، الحصان والعربات وهي الأخرى رسوم ونقوش، ثم مرحلة الجمل وهي أيضا رسوم ونقوش»⁽⁸⁵⁰⁾، وقد قدم جون دومنيك لاجو باقتراح تقسيم مختلف قليلا بالاعتماد على وجود الحيوانات في المشاهد، فوضع المراحل بالشكل التالي: «مرحلة الجاموس العتيق، مرحلة الظبي، مرحلة الأبقار، مرحلة الحصان، مرحلة الجمل»⁽⁸⁵¹⁾. (الشكل 13)

والجدير بالذكر أن الاعتماد على ظهور أو اختفاء الحيوانات في المشاهد قد يؤدي إلى أخطاء جسيمة ، وهنري لوت نفسه ذلك اعترف أن حيوانات مثل الجاموس العتيق و الفيلة والزرافات والنعام ظهرت في مرحلة الجاموس العتيق القديمة إلا أن تواجدها استمر خلال مرحلة البقرات ومرحلة الحصان والعربة، بل إن النعام قد انقرض حديثا من المنطقة ، ولكن رغم الاختلاف في التصنيف فإن جميع المختصين يتفقون على أن أغلب الرسوم

⁽⁸⁴⁸⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 1998, Op.Cit, p175

⁽⁸⁴⁹⁾ حول تصنيف أندرو سميث، ينظر :

Androw, B , smith ., 1993, New approaches to Saharan rock art .«In Calegari (Giulio) (Ed) L'arte e l'ambiente del Sahara preistorico: dati e interpretazioni) . Milano: Memorie della Società Italiana di Scienze Naturali e del Museo Civico di Storia Naturale di Milano, 26(2), pp 467-478

⁽⁸⁵⁰⁾ Jean –loic le Quellec., 1998, op.cit.pp163-164.

⁽⁸⁵¹⁾ jean dominique lajoux ., 1977, op.cit. p 27

الصخرية في الطاسيلي منجزة من طرف شعوب مرحلة البقريات، أما أقدمها فهي المنجزة من طرف الرؤوس المستديرة (852).

وبصفة عامة فإن هذه الاقتراحات والتصنيفات الكرونولوجية تبقى متفاوتة خاصة بالنسبة للنقوش، فمثلا نقوش الهوقار اعتبرت قديمة من طرف الباحث "فرانز تروست" على عكس الباحث سترابرد (Striedter) الذي اعتبرها حديثة وجعلها ضمن مرحلة الحصان (853).

هـ - ترمين الرسوم والنقوش :

1- الترمين المطلق :

وهو إعطاء تاريخ محدد للمشاهد بالاعتماد على النظائر المشعة، وأشهر طريقة للترمين بالنضائر المشعة هي طريقة الكربون 14⁽⁸⁵⁴⁾، وتعتمد آلية الترمين هذه على خصائص هذا العنصر، حيث أنه يتحد مع الأكسجين ليُكون ثنائي أكسيد الكربون، والمعلوم أن ثاني أكسيد الكربون يمتصه النبات خلال عملية التمثيل الضوئي، وينتقل من النبات إلى الإنسان والحيوان بعد ذلك، ثم يتحلل الكربون 14 بعد وفاة الكائن الحي بمقدار ثابت وفق عمر محدد، فبعد مرور 5730 عام تتحلل نصف الكمية، وبعد نفس المدة تتحلل نصف هذه الكمية وتستمر العملية بنفس الوتيرة (855).

وبهذه الطريقة يتم ترمين البقايا العضوية للكائنات الحية عن طريق قياس نسبة الكربون المشع في البقايا بواسطة أجهزة دقيقة بعد أخذ عينات منها إلى المخابر⁽⁸⁵⁶⁾، ولكن

(852) Norbert Merciera et al ., 2012, OSL dating of quaternary deposits associated with the parietal art of the Tassili-n-Ajjer plateau (Central Sahara) Quaternary Geochronology, 10 2012.p367

(853) Jean .Loic. Le Quellec., 1993, Symbolisme ... p 573

(854) الكربون 14 هو نظير مشع للكربون 12، تتكون ذرته من 06 بروتونات و8 نيوترونات ، وفي المقابل الكربون 12 تحتوى ذرته على 6 نيوترونات ، وهذا العنصر موجود بكمية ثابتة في الغلاف الجوي لأنه في حالة تجديد دائم وذلك في إطار تفاعل الأشعة الكونية واصطدامها بذرات الأزوت الموجودة في الغلاف الجوي ، وينتج عن هذا التصادم الكربون 14، ينظر :

Martine Cabasio Et Jacques Evin., 1988, « expérimentations et datation au carbone 14 », dossiers histoire et archéologie, n° 126 , 1988, paris SIP, pp 63-66,

(855) Raymond BARO.,2006, La datation par le carbone 14, Rapport sur les activités de l'Académie royale de science , ANM 2006, p 219 , M. Stuiver et al ,1998 ، CALIB rev 4.3 (Data set ،(2 Radiocarbon ،vol. 40, p 1041-1083.

(856) للتعرف على المزيد من المعلومات حول آلية الترمين بالكربون 14 ، ينظر :

عملية التزمين تستطيع تحديد عمر الكائنات الحية فقط إذا ما وجدت بقايا عضوية في المواقع الأثرية⁽⁸⁵⁷⁾. ويعود الفضل في اكتشاف هذه الطريقة في التزمين إلى الفيزيائي الأمريكي و. ف. ليبي (W.F. LIBBY) الذي حصل بموجبها على جائزة نوبل سنة 1960 وهي تعتبر الطريقة الأكثر شيوعا في تزمين البقايا العضوية، وهي يمكن أن تعطينا تواريخ مطلقة مقبولة إلى حد ما لفترة تصل إلى 50000 سنة⁽⁸⁵⁸⁾.

لكن بالنسبة للفن الصخري في الصحراء الأمر معقد بعض الشيء، فحتى إذا ما وجدت مواد عضوية في اللوحة سواء قرب النقوش والرسوم أو في التشققات أو على الجدار أو كانت ملتصقة على المشهد، فإنه لا شيء يمكن أن يثبت لنا أن هذه المواد العضوية تعود إلى نفس الفترة التي نفذت في النقوش أو الرسوم.

كما توجد طرق أخرى للتزمين بالاعتماد على النظائر المشعة الأخرى مثل طريقة التزمين "باليورانيوم - ثوريوم" (Uranium - Thorium)⁽⁸⁵⁹⁾، وهذه الطريقة تطبق على العناصر ذات الأصل المعدني بقياس درجة الاضمحلال الإشعاعي لليورانيوم، وهناك طريقة أخرى باستخدام البوتاسيوم - أرجون المشع حيث تتم قياس درجة تركيز "الأرجون (40)" والبوتاسيوم (40) وتستخدم هذه الطريقة في تحديد عمر الرواسب على الصخور، ومن طرق التزمين الأخرى هي التزمين "بالراديوم - سترونتيوم" (Rubidium-Strontium) ^{87Rb-87Sr} وهي طريقة يستخدمها الجيولوجيون في تحديد عمر التكوينات الجيولوجية المختلفة وقد استخدمت هذه الطريقة من طرف الباحث "م جرافال" في الطاسيلي⁽⁸⁶⁰⁾.

G, Delibrias., 1985, Le carbone 14, in E. Roth et B. Poty. (dir) : Méthodes de datation par les phénomènes nucléaires naturels : application, Masson, Collection CEA, pp421 -458

⁽⁸⁵⁷⁾ Alfred. Muzzolini., 1986, op.cit, pp 23-24

⁽⁸⁵⁸⁾ Lionel Balout., 1972, op.cit. P14

⁽⁸⁵⁹⁾ للمزيد من التفاصيل حول طريقة التزمين هذه، ينظر :

J.L BISCHOFF & J.A FITZPATRICK., 1990, U-series dating of impure carbonates : an isochron technique using total sample dissolution. Geochimica and Cosmochimica Acta, t55 , pp543-554

⁽⁸⁶⁰⁾ ينظر مقال م جرافال M.Gravelle :

M.Gravelle. 1968, Les âges radiométriques au Rubidium-Strontium et au Potassium- Argon et leur signification géologique .Application des méthodes géochronologiques à l'étude structurale du socle cristallin de l'Ahaggar central et occidental. Bulletin du Service géologique de l'Algérie .1968.

ولقد تمت عمليات ترميم الفن الصخري في أوروبا ونجحت في إعطاء تأريخ لتلك الرسومات التي تعود للعصر الحجري القديم الأعلى⁽⁸⁶¹⁾، ومن العمليات الأولى التي تم بها ترميم الفن الصخري تلك التي قام بها إيمانويل أناتي في موقع "فال كامنيكا" (valcamonica) في إيطاليا، كما استعملت هذه التقنية في أستراليا وأعطت تاريخاً يقدر بـ 20 ألف سنة ، وفي البرازيل أرخ الفن الصخري بـ 13 ألف سنة باستعمال تلك التقنية .⁽⁸⁶²⁾

أما بالنسبة للصحراء فرغم أن محاولات الترميم الأولى تعود إلى الستينات، إلى أنها كانت ولا تزال تطرح الكثير من المشاكل بحيث يتعذر تقريباً الحصول على زمن دقيق⁽⁸⁶³⁾، وأولى محاولات الترميم هي تلك التي قام بها فابريزيو موري في جبال الاكاكوس، وكان أول موقع تم ترميمه هو موقع "فوزيجارن" جنوب الاكاكوس وأرخ بـ 100 ± 6122 قبل الميلاد ثم "وان تابو"، و"وان تالوكت"، و"وان موهيجاج" في وسط الاكاكوس، ثم توالى بعد ذلك عمليات ترميم إيطالية أخرى على يد كل من "قراماشي" (M Gramaschi) و"دي لارينيا" (S Di Lernia)⁽⁸⁶⁴⁾. وتعتبر عملية الترميم في الأكاكوس أكثر نجاحاً منها في الطاسيلي، ومن بين المناطق التي تم ترميمها موقع "لأنكوسي" (Lancusi)، وموقع "فوزيجارن" (Fozzigiart)⁽⁸⁶⁵⁾.

وتعتبر عملية تحديد زمن دقيقٍ للرسوم في الصحراء أمر عسير حتى في حالة وجود البقايا الأثرية المتواجدة قرب المواقع، وهو ليس بالسهولة التي كانت تتم فيها عملية ترميم الرسوم الأوربية الموجودة في الكهوف المظلمة حيث لم يجد الباحثون صعوبة في ترميمها مقارنة مع الملاجئ الصخرية في الصحراء، وذلك لأن هذه الأخيرة تعرضت لتأثيرات بيئية كبيرة ، وتعرضت للتشويه أيضاً، وكما هو معروف فإنه لا يكاد يخلو أي مشهد من

⁽⁸⁶¹⁾ M.Lorblanchet., 1995, La datation de l'art pariétal paléolithique, 'Dossiers d'archéologie, L'Art préhistorique , n°209, pp 18-19

⁽⁸⁶²⁾ André Leroi-Gourhan., 1987, Introduction à la peinture préhistorique. In: Bulletin de la Société préhistorique française. 1987, Tome 84, N10-12. Études et Travaux / Hommage de la SPF à André Leroi-Gourhan. p 291

⁽⁸⁶³⁾ F.Braunstein-Sylvestre., 1981, Quelques problèmes de datation des rupestres sahariens. Journal du Groupe Français d'Étude et de Recherche sur les Origines des Représentations Graphiques et Symboliques 2, pp21-32

⁽⁸⁶⁴⁾ Jan. jeliensk., 2004, op.cit. p32

⁽⁸⁶⁵⁾ Andrew Smith., 2004, A Prehistory Of Modern Saharan Pastoralists. Sahara , t15, P45.

الصحراء من التطابقات، ونقصد بها أن يقوم الناس بتنفيذ رسومات على الرسوم القديمة وربما إزالتها أو تشويهها مما يجعل عملية التزمين صعبة جدا .

ومن المشاكل التي تعترض عملية التزمين عدم وجود مواد عضوية في الواجهات الصخرية وحتى عندما تكون موجودة، فإن انتمائها إلى نفس الفترة التي نفذت فيها الرسوم أمرا لا يمكن التأكد منه، فقد تواترت الإقامة في الملاجئ الصخرية منذ آلاف السنين، ورغم نجاح الباحثين في تحديد أعمار بعض البقايا العضوية وتحديد زمن تقريبي للفن الصخري إلا أنه لا يمكن التأكد من صحة تلك التقديرات، وذلك نظرا لسهولة اختلاط الجزيئات بواسطة المسار الكيميائي والفيزيائي وهذا يقع بشكل كبير في الصحراء، خاصة وأن جزيئات الفحم تصبح غنية بالكربون على مر الزمن ابتداء من احتراق الخشب، بينما قشر بيوض النعام أو قواقع المولوسك الأرضية تعطي نتائج جيدة أثناء التزمين بالكربون⁽⁸⁶⁶⁾.

وإضافة إلى ذلك هناك مشكلتان أساسيتان في عملية التزمين وهي :

- أن عملية التزمين تتطلب أخذ عينة من الرسوم مما يؤدي إلى إتلاف جزئي للرسوم⁽⁸⁶⁷⁾، بالإضافة إلى أن تلك العينة قد تتأثر بالكربون الحديث عند انتقالها إلى مخابر البحث، كما أن عملية التزمين تلك لا تسمح إلا بتزمين العناصر العضوية، بينما نحن نعرف أن الدهان الذي استخدم في الرسوم معظمه ذو طبيعة معدنية لأنه من الصلصال، أما المواد التي قد تكون ذات منشأ عضوي فهي بقايا الشحم أو الحليب الذي قد يكون مُزج لتحضير الخلطة⁽⁸⁶⁸⁾.

- أما المشكلة الثانية فتتمثل في أن هناك حدوداً معينة زمنياً لتقنية الكربون 14 لا تزيد عن 55.000 سنة، كما أن الكثير من الباحثين لا يذهبون بعيداً في الثقة بنتائج التزمين، حيث يشير "ليونال بالو" أن تقنية الراديو كربون قد يعطينا تواريخ صحيحة بنسبة 67% فقط وفق

⁽⁸⁶⁶⁾ Lionel Balout., 1972, op.cit. P14

⁽⁸⁶⁷⁾ اكتشف الباحث "مارفين راو" طريقة جديدة للتزمين لا يحتاج الباحثون فيها إلى أخذ عينة من الرسوم، ينظر : Marvin W. Rowe., 2009, Radiocarbon Dating of Ancient Rock Paintings. Analytical Chemistry, 2009, 81 (5), pp1728-1735

⁽⁸⁶⁸⁾ حول مختلفات عمليات تزمين الفن الصخري في شمال إفريقيا، ينظر : Julien Monney., 2002, La datation de l'art rupestre et les plus anciennes traces d'art rupestre connues en Afrique du Nord, au Sahara et dans la vallée du Nil , Département d'anthropologie et d'écologie Université de Genève, Travail de diplôme sous la direction du professeur Alain Gallay, 226 p

المجال الذي حدد للتاريخ، وكمثال إذا ما أعطي تاريخ يقدر ب 2850 ± 100 سنة قبل الحاضر، فهذا يعني أن التاريخ يكون محصوراً بين 2950 و 2750 ولكن فرص نجاح العملية برمتها هي 67 ٪ مما يعني أن تلك الأزمنة قد لا تكون صحيحة⁽⁸⁶⁹⁾.

ومن المشاكل التي تعترض الباحثين أيضاً اختفاء التربة الأحفورية المرتبطة بفترة إنجاز الرسوم بفعل عوامل التعرية، فمعظم الرسوم لا يمكن الوصول إليها إلا باستعمال سلالم أو سقالات، ويعزي ذلك إلى مراحل رطبة أو جافة نتج عنها انتقال التربة، وتلك التربة المفقودة هي التي كان الرسامون من أسلوب الرؤوس المستديرة والبقرات يعيشون فوقها . ومن الأمثلة على ذلك أن هناك نقوشاً موجودة اليوم على الأرضية في وادي جرات، بينما كانت موجودة في فترة تنفيذ تلك النقوش في مناطق عالية جداً، وذلك نتيجة لعمليات الترسيب والتعرية التي تمت عبر الزمن، والجدير بالذكر أن الكثير من الباحثين لا يتقنون بعملية التزمين بالكربون المشع ومن بينهم الباحث روبرت بيدناترك (G. R Bednarik)⁽⁸⁷⁰⁾.

وقد توصل بعض الباحثين أنه من المستحيل حالياً بالنسبة للصحراء إنجاز تأريخ مباشر للرسوم الصخرية لأنه لم يتم التحقق من تواجد الكربون أو اللدائن في الأصباغ الأساسية للرسوم، ومن الأفضل حالياً تحديد خصائص الأصباغ بواسطة التحليل الفيزيائي الكيميائي للعثور على بقايا من اللدائن المحتمل أنها لا تزال تحتفظ بكمية من الكربون تكون كافية ربما لإجراء عملية ترمين بالكربون 14⁽⁸⁷¹⁾، أما إذا كانت الرسوم والنقوش الصخرية مغطاة بالرواسب العضوية فإن ذلك سيسهل عملية التزمين⁽⁸⁷²⁾ .

⁽⁸⁶⁹⁾ Lionel Balout., 1972, op.cit.p14

⁽⁸⁷⁰⁾ Robert .G. Bednarik ., 2002, The Dating of Rock Art: a Critique, Journal of Archaeological Science ,29 , pp1213-1233

⁽⁸⁷¹⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 2010, Datations directes et indirectes des images rupestres en Ahaggar, dans la Tassili-n-Ajjer et l'Atlas saharien, Les Nouvelles de l'archéologie n° 120-121 - Septembre 2010.pp50-53

⁽⁸⁷²⁾ Robert G. Bednarik., 2002, op.cit, p1214

وقد اعتمد بعض الباحثين على أساليب أخرى للترميز منها مشاهدة الزنجار⁽⁸⁷³⁾ في المشهد ومطابقته بلون الصخور لمعرفة درجة قدم المشهد⁽⁸⁷⁴⁾، كما لجأ بعضهم للبحث عن البقايا الأثرية التي يمكن أن تكون موجودة قرب مواقع الرسوم الصخرية خاصة بقايا الحيوانات أو الإنسان أو الأدوات المختلفة مثل الفخار على أمل أنها تعود لنفس الأشخاص⁽⁸⁷⁵⁾.

وأمام هذه الوضعية الصعبة ولمواجهة مشكلة عدم توفر تأريخ دقيق للفن الصخري الصحراوي، لجأ مجموعة من الباحثين إلى إطلاق عملية واسعة لترميز الرسوم والنقوش في إطار "برنامج التعاون الجزائري الفرنسي" من أجل الترميز المباشر وغير المباشر للفن الصخري في الهوشار والطاسيلي والأطلس الصحراوي، وقد انطلقت العملية في 2004 ثم في مرحلة ثانية في 2008 تحت إدارة مليكة حشيد وجون لوك لوكلاك، وتضمن فريق البحث علماء في ما قبل التاريخ ومؤرخين وعلماء في الفيزياء والجيومورفولوجيا⁽⁸⁷⁶⁾.

وقد قام هذا الفريق بتنفيذ حملتين بحث في صفار بين أكتوبر ونوفمبر 2008، وبين نوفمبر وديسمبر 2009، ونشرت أولى النتائج سنة 2010⁽⁸⁷⁷⁾، وقد أخذت عينات لدراستها في مخابر فرنسية⁽⁸⁷⁸⁾ على أمل الحصول على تواريخ مطلقة، ولم يغفل الباحثون دراسة المستودعات الترسبية التي تعود إلى الزمن الرابع في المنطقة السفلية من موقع الفن الصخري في صفار، حيث تمت دراسة الترسبات التي تعود إلى البلايستوسين والهولوسان والتي تمثل زمنا يقارب 30 ألف سنة في كل من موقعي "صفار" و "تين تزاريفت"⁽⁸⁷⁹⁾.

⁽⁸⁷³⁾ الزنجار: هو درجة الإشماس وهو لون الأكسيد الذي تتخذه الرسوم، أي تحول كيميائي يحدث على مستوى الجدار نتيجة للشمس، يتم ظهور الزنجار ببطء فالأكسيدات والكربونات التي في شكل سوائل من جراء الرطوبة والمطر تتبخر مشكلة قشرة صلبة داكنة اللون، والزنجار الأكثر وضوحا واختلاف مع لون الصخرة الأم هو الأحدث، ينظر: .

Dictionnaire Encyclopédique Petite Larousse 1985 Librairie Larousse, P 677.

⁽⁸⁷⁴⁾ Jean Loic Le Quellec., 1998, op.cit. pp 166-167, Henri Lhote., 1984, Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien. Monts des Ouled-Nail et région de Djelfa, Alger: Office du Parc National du Tassili, pp257-258

⁽⁸⁷⁵⁾ Robert G. Bednarik., 2002, op.cit.p 1215.

⁽⁸⁷⁶⁾ Norbert Merciera et al ., 2012, op.cit,p367

⁽⁸⁷⁷⁾ Malika Hachid et al ., 2010, Premiers résultats du projet algéro-français de datation directe et indirecte des images rupestres dans la Tasili-n-Ajjer. Sahara21, p27-58.

⁽⁸⁷⁸⁾ تمثل هذه المخابر في : Centre de Recherche et de Restauration des Musées de France (CRMF)

(LSCE) : the Laboratoire des Sciences du Climat et de l'Environnement

⁽⁸⁷⁹⁾ Norbert Merciera et al ., 2012, op.cit.p367-372

ومن حسن الحظ أن الباحثين قد اكتشفوا في صفار شرائط سوداء وبيضاء في الجدار الذي يتضمن الرسوم الصخرية، وتلك الشرائط تمثل ترسبات حدثت بفعل التغيرات المناخية ، وقد تم مقارنتها بمقطع للجدار نفسه الخالي من الرسوم الصخرية بقصد دراسة الحوادث المناخية التي سببتها تلك الرواسب، ومع تزمين تلك الشرائط من الممكن الحصول على إطار زمني للرسوم، وبالفعل فقد تم تأريخ مشاهد مرحلة البقريات في جبارين بـ 300 ± 5470 قبل الحاضر وفي صفار بـ 300 ± 5020 قبل الحاضر⁽⁸⁸⁰⁾ .

2- التأريخ النسبي:

ويقصد به التأريخ بالمقارنة ويستعمل هذا التأريخ معايير فنية كالأسلوب والتقنية ودرجة الزنجرة...، ويأخذ في الحسبان تطابق الصور ودرجة الزنجرة لمعرفة قدم المشهد من خلال لون الزنجرة، أما بالنسبة لتطابق الصور فالمعروف أنه كثير ما يتم رسم صور حديثة فوق صور قديمة ، وأحيانا تكون من الصعوبة تميز الصور الأقدم، وتكمن المشكلة في أن الرسوم الحديثة قد تغطي بشكل شبه كامل الرسوم القديمة، وأحيانا تكون الرسوم المضافة قريبة في الزمن من الرسوم الأولى، وقد تسهل العملية في حالة ما إذا تم تميز لون الزنجرة ولكن هذا لا يحدث إلا في بعض الحالات⁽⁸⁸¹⁾ .

3- التزمين بقياس الزنجرة:

الزنجار هو أكسيد النحاس الذي يظهر على الصخور نتيجة لعوامل المناخ من حرارة وأمطار ورياح، وكلما كان الزنجار غامقا كلما دلّ ذلك على قدم الرسوم، ودراسة الزنجار تعني مقارنة السطوح الصخرية التي تتضمن الرسوم والتي تعرضت للتأكسد والتحول الكيميائي بالصخور الطبيعية، ويسمح ذلك بإعطاء تواريخ للرسوم الصخرية بالاعتماد على أجهزة لتحليل الزنجار، وقد طبقت هذه الطريقة سنة 1970 من طرف فابريزيو موري في ملاجئ الأكاكوس في "وان موهيجاج" و"فوزيجارن" و"وان أفودا"⁽⁸⁸²⁾، وفي سنة 1994

⁽⁸⁸⁰⁾ Malika HACHID Et Al ., 2012, Quelques résultats du projet de datation directe et indirecte de l'art rupestre saharien, in: International Colloquium "The Signs of Which Times? Chronological and Palaeoenvironmental Issues in the Rock Art of Northern Africa", Royal Academy for Overseas Sciences, Brussels, 3-5 June, 2010, Huyge D., Van Noten F. (Dir.), Brussels, Royal Academy for Overseas Sciences, p81

⁽⁸⁸¹⁾ Jan jeliensk ., 2004, op.cit. p30

⁽⁸⁸²⁾ Robert G. Bednarik;., 2002, op.cit, p 1215

استعمل موري تقنيات دقيقة متمثلة في جهاز " المايكرو سكوب " الإلكتروني لتحليل الزنجار (883).

ويتم اليوم دراسة الزنجرة في النقوش الصخرية باستعمال جهاز جديد هو المسرع (accélérateur) ويرمز إلى تلك الطريقة باسم AMS ، غير أنه في حال وجود عناصر أو مواد عضوية في شقوق النقوش فان ذلك يجعل هذه العملية صعبة نوعاً ما، في الوقت الذي يكون ذلك مفيداً باستعمال طريقة الكربون 14 (884).

وقد اعتمد الباحثون على اعتماد لون الزنجرة لوضع التقسيمات الكرونولوجية للفن الصخري، وتم الاتفاق على أن اللون القاتم الأسود و البني والرمادي يمثل الفترة النيوليتية، أما الألوان الفاتحة فتتمثل الفترة التاريخية، وتعتبر المشاهد ذات الزنجار الغامق الملون بالمنغنيز هي الأقدم، أما الزنجار البرتقالي الناتج عن الحديد فيمثل الزمن المتوسط أو المرحلة الوسطى، بينما الزنجار الفاتح يمثل المشاهد الحديثة (885).

ولدراسة الزنجرة في الفن الصخري لا بد من توفر شروط منها: أن تكون الزنجرة في الواجهة الصخرية لنفس الموقع، ولها نفس درجة التعرض للعوامل الطبيعية كالشمس، والرياح ... (886)، مع مراعاة أن بعض الفترات قد تتسارع فيها الزنجرة نتيجة للمناخ الجاف والعكس صحيح أيضاً (887).

ويعتمد الكثير من الباحثين على درجة الزنجرة في تصنيفهم للرسوم، ومن أشهر الباحثين الذين يتبعون هذه الطريقة "فابريزيو موري"، بينما يعارض هنري لوت طريقة تزمين الرسوم عن طريق ملاحظة الزنجار فيها وقد كان "فابريزيو موري" قد وضع مشهداً واحداً يضم عدة زرافات في منطقة "تين اسينغ" (Ti-N-Ascigh) بالأكاكوس ضمن عدة مراحل فنية، ففي رأيه أن كل زرافة تنتمي إلى فترة مختلفة، وذلك اعتماداً على لون الزنجار لكل واحدة بحيث تفصل بين صورة الزرافة الواحدة والأخرى عدة آلاف من السنين (888).

(883) Henri .Lhote., 1984, op.cit. p258.

(884) David S. Whitley Et. Joseph M. Simon., 2002, Récentes Dates Radiocarbone Avec Accélérateur Pour Des Gravures, INORA, N° 32, P 10

(885) Jean .jelenk., 2004, op.cit. p33

(886) Ginette.Aumassip,1986, op.cit , P 17

(887) Alfred.Muzzolini ., 1986, op.cit, P35

(888) Henri Lhote ., 1984, op.cit. p258

وإِعتماداً على ترتيب درجة الزنجرة من الفاتح إلى الداكن ثم الأسود قام الباحث الألماني فرانز تروست بتقسيم نقوش الهوقار إلى عدة مراحل، كما استعملها هنري لوت في تقسيم نقوش وادي جرات سنة 1976 قبل أن يتخلى عن الفكرة سنة 1984، ووفق الطريقة نفسها قسم "تيودرو منود" (Monod) أيضاً نقوش الصحراء الغربية ⁽⁸⁸⁹⁾.

ويتم البحث عادة على البقايا العضوية التي قد تكون عالقة في الواجهة الصخرية التي تتضمن النقوش أو الرسوم، وهو ما يمكنهم من دراسة الزنجرة وتزمينها بشكل مباشر باستعمال أجهزة حديثة، وهذا ما حدث في هضبة المساك حيث قام زاربوني (A. Zerboni ⁽⁸⁹⁰⁾) بدراسة هذه النقوش وتزمينها اعتماداً على لون الزنجرة ⁽⁸⁹¹⁾.

⁽⁸⁸⁹⁾ Jean .Loic Le Quelle., 1998, op.cit, P 130

⁽⁸⁹⁰⁾ للاطلاع على هذه الأبحاث ، ينظر :

A Zerboni., 2008, Holocene rock varnish on the Messak plateau (Libyan Sahara) Chronology of weathering processes ,Geomorphology ,Amsterdam ,2008 ,102 ,p.651-640 .

⁽⁸⁹¹⁾ Jean-Loïc Le Quelle., 2013, Périodisation et chronologie des images rupestres du Sahara central, Préhistoires Méditerranéennes ,4, 2013, p9

الفصل الثالث

البقریات القديمة فی الطاسیلی والهوفار

أولاً: بداية الحياة الرعوية فی الطاسیلی والهوفار:

ثانياً: مرحلة البقریات فی الطاسیلی:

ثالثاً: الرسوم القديمة فی الطاسیلی :

رابعاً : النقوش القديمة فی تادرات ووادي جرات:

خامساً: مواضع نقوش وادي جرات:

سادساً : البقریات القديمة فی الهوفار:

أولاً- بداية الحياة الرعوية في الطاسيلي والهوفار

أ- الأصول الحضارية والبشرية للفن الصخري:

يرى غالبية الباحثين أن الفن الصخري الصحراوي يعود إلى "النيوليتي" لكن هناك آراء أخرى تعيده إلى الباليوليتي الأعلى أو إلى العصر الحجري القديم المتأخر، ونحن نعتقد أن معظم اللوحات الفنية تعود إلى النيوليتي وقد تعود نسبة قليلة منها إلى العصر الحجري القديم المتأخر.

ويمكننا التعرف على المجموعات التي نفذت الفن الصخري الصحراوي من خلال البحث عن الحضارات السابقة، وفيما إذا وصلت تأثيراتهما إلى الصحراء الوسطى، ويتطلب الأمر البحث عن البقايا الإنسانية التي يمكن ربطها ببعض المشاهد التي تظهر فيها الملامح الفيزيولوجية للأشخاص، كما يمكن أن تعطينا معطيات المناخ القديم معلومات جيدة فيما يخص الهجرات البشرية التي حدثت في تلك الفترة الطويلة.

وبخصوص الحضارات التي مرت على الصحراء فإن الحضارة العاترية تعتبر آخر الحضارات التي عمرت الصحراء في الباليوليتي، فقد استمرت وفق أغلب الآراء إلى حوالي 20 ألف سنة قبل الحاضر، ومن الممكن أنها صمدت في بعض المناطق إلى بداية الهلوسان⁽⁸⁹²⁾. والمعروف أن الجفاف قد حل بالصحراء عند نهاية البلايستوسين، ولا يعرف فيما إذا كانت الصحراء قد خلت من السكان في ذلك الوقت، فكثيرا ما نجد فجوة حضارية بين نهاية العاترية وبين النيوليتي في العديد من المواقع ومن بينها موقع "تين هناكتن"⁽⁸⁹³⁾.

ولعل تلك الفجوة الزمنية توحى بحدوث جفاف كبير في الصحراء، ومع ذلك لا يمكن الجزم بفراغ المنطقة من السكان، فإذا ما توصل الباحثون إلى بقايا أثرية تمثل هذه الفترة فإن ذلك من شأنه أن يحل ألغاز كثيرة حول أصول السكان والتطور الحضاري في الصحراء⁽⁸⁹⁴⁾

⁽⁸⁹²⁾ قد تكون هذه الحضارة قد امتدت أكثر في الزمن في منطقة "الساوره"، وكذلك في المناطق الواقعة جنوب الصحراء ضمن منطقة "الساحل" الحالية، ينظر:

Whilst Tillet., 1997, op.cit.p19 , Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit.P55

⁽⁸⁹³⁾ Ginette Aumassip., 1984, Ti-N Hanakaten, Tassili-N-Ajjer (Algérie). Bilan De Six Campagnes De Fouilles, Libyca 28 -29, P115-127

⁽⁸⁹⁴⁾ سبق لنا أن عالجنا هذا الأمر وأشرنا إلى وجود امتداد حضاري في بعض المناطق في العصر الحجري القديم المتأخر، ينظر في هذا الإطار مبحث نهاية العاترية.

أما فيما يخص الحضارة القفصية التي تعد من حضارات العصر الحجري القديم المتأخر فقد وصلت تأثيراتها إلى الصحراء الشمالية، لكن لا توجد دلائل على وجودها في الصحراء الوسطى ما عدى ما تعلق ببيض النعام الذي وجد بكثافة في مناطق مختلفة من "عرق آدمر" وتادارات والهوقار وقد استخدم لأغراض مختلفة ⁽⁸⁹⁵⁾، ولكن وجود بيض النعام لا يعني بالضرورة وجود الحضارة القفصية، إذ أن هناك حضارات أخرى عرفت استعمال قشور بيض النعام أيضا كالعاترية والايبرومغربية ⁽⁸⁹⁶⁾ .

ومن الناحية الأنثروبولوجية وجد الباحثون بقايا للمشتاويين ⁽⁸⁹⁷⁾ في بعض المناطق القريبة من الصحراء الوسطى، فقد عثر على بقاياهم في موقع "حاسي الأبيض" شمال مالي ⁽⁸⁹⁸⁾، ويحتمل أنهم وُجدوا أيضا في ملجأ "وان موهيجاج" بالأكاكوس، وهو ما يثير التساؤلات حول مدى امتداد الايبرومغربيين في الصحراء وحول العلاقة بين التحول المناخي الذي حدث في نهاية "البلايستوسين" والوجود البشري في شمال إفريقيا والصحراء ⁽⁸⁹⁹⁾ .

أما القفصيون الذين هم أقرب إلى الطاسيلي من المشتاويين فقد تواجدوا في الصحراء الشمالية في نفس الفترة التي شغلتها مرحلة البقريات ⁽⁹⁰⁰⁾، ومع أن الملامح الفيزيولوجية للقفصيين تختلف عن الايبرومغربيين إلا أن كلا الجنسين يحملان بعض الخصائص الزنجية رغم كونهم من جنس قريب من جنس البحر المتوسط، كما وُجد جنس آخر في الشمال في عرق "إن سكان" وهو مختلف عن "المشتاويين" والقفصيين، وحسب الباحثة "ماري كلود

⁽⁸⁹⁵⁾ Gabriel Camps ., 1974, op.cit, P296-304

⁽⁸⁹⁶⁾ Henri Lhote., 1943, Découverte D'un Atelier De Perles Néolithiques Dans La Région De Gao (Soudan Français) , Bulletin De La Société Préhistorique De France , 1943, Vol 40, N° 1-3, Pp. 24-35, Vernet Robert, Rodrigue Alain, & Tous, Philippe ., 2006, Les Tests D'œuf D'autruche Gravés Du Littoral Atlantique Saharien: Du Nord Du Banc d'Arguin A L'oued Draa., Sahara , t17, pp59-72

⁽⁸⁹⁷⁾ هم أناس الحضارة الإيبرومغربية، حول خصائصهم الفيزيولوجية ، ينظر :

Gabriel CAMPS., 1970, L'Homme De Mechta-El-Arbi Et Sa Civilisation .Contribution A L'Etude De L'Origine Des Guanches .Simposio Del Cro-Magnon .Estud .Allant .Madrid , 1970,N°15, pp257-272

M-C Chamla., 1968, L'Evolution Du Type De Mechta-Afalou En Algérie Occidentale . Note ,C.R .Acad .Des Sc. Paris ,1968 ,T ,267 Sér .D, pp1851-1849 .

⁽⁸⁹⁸⁾ Olivier Duteur ., 1981op.cit, P209.

⁽⁸⁹⁹⁾ Malika Hachid ., 2001, Op.Cit. P 13

⁽⁹⁰⁰⁾ عن حضارات الصحراء الشمالية، ينظر :

Ginette Aumassip., 1987, Le Bas-Sahara Dans La Préhistoire .Paris: CNRS ,Études d'Antiquités Africaines, 624 P.

شاملة" فإن المجموعات التي وجدت في "تين لالو" (Tin Lalou) و"إبالاغن" (Ibalaghen) و"القطارة" (Guettara) لا يشبهون المشتاويين أيضا فهم من جنس آخر وجد في المنطقة⁽⁹⁰¹⁾.

وفي الأخير يمكن القول بوجود تنوع عرقي في الصحراء الوسطى مع بداية النيوليتي وهو يتزامن مع مرحلة البقريات بالنسبة للفن الصخري، ويمكن مشاهدة هذا التنوع العرقي في صور الفن الصخري.

ومن جهة أخرى تعتبر منطقة الأطلس الصحراوي همزة الوصل بين شمال إفريقيا والصحراء فهي منطقة محورية في التبادل الحضاري بين المنطقتين، وهذه المنطقة شهدت تأثيرات قفصية واضحة تمثلت في بقايا بيض النعام والفخار، أما النقوش الصخرية الموجودة فيها فيحتمل أنها تعود للقفصيين أيضا، وهذا الأمر يجعلنا نطرح التساؤلات حول العلاقة بين الفن الصخري في كل من الأطلس الصحراوي والصحراء الوسطى وفيما إذا كانوا ينتمون إلى نفس المجموعة البشرية ؟

يرى كل من "دافيد لوبال" و"نورة إبراهيمي" أن هناك صلة بين توسع الفن في مرحلة الجاموس العتيق القديمة نحو الصحراء وامتداد القفصيين جنوبا ابتداء من 6000 ق.م، وتساند الباحثة "جينات أوماسب" هذا الرأي وتقول أن هناك امتداد صحراوي للفن القفصي وذلك اعتماداً على دراسة الفخار، حيث أن هناك تأثيرات حضارية متبادلة بين المنطقتين في حوالي 5000 ق.م⁽⁹⁰²⁾، وتميل الباحثة "مليكة حشيد" أيضا إلى القول بوجود علاقة بين القفصيين والفن الصخري في الصحراء⁽⁹⁰³⁾.

بينما يرى ميشال توفّر أن هناك علاقة بين العاتريين مع نقوش مرحلة الجاموس العتيق القديمة مستدلّاً على ذلك بوجود مواقع للعاترية في الصحراء⁽⁹⁰⁴⁾ ، وفي الواقع فإن علاقة العاتريين بالفن الصخري الصحراوي مستبعدة نظراً للبعد الزمني، كما أن أبحاث حديثة قام بها رودريك (Alain Rodrigue) في الجنوب المغربي أكدت أن الفن الصخري في

⁽⁹⁰¹⁾ Olivier Duteur., 1981, op.cit. p210-211

⁽⁹⁰²⁾ Ginette Aumassip .,2004, op.cit, P269

⁽⁹⁰³⁾ Malika HACHID ., 2000, Les premiers Berbères : entre Méditerranée, Tassili et Nil, Aix-en-Provence: Ina-Yas / Edisud, P77

⁽⁹⁰⁴⁾ jean loic Le Quellec., 2008, What's New ...pp64-65, Ginette Aumassip., 2004, Op.cit.p269

المغرب الأقصى مصدره الصحراء الوسطى خلال فترات الجفاف⁽⁹⁰⁵⁾، أما غابريل كامبس الذي لم يشر إلى وجود القفصيين في الصحراء الوسطى فقد طرح فرضية الانتشار الثقافي وتطور الفن عبر الزمن، فالفن الذي بدأ في العصر الحجري القديم المتأخر لدى الإيبيرومغربيون قد تطور أكثر في الحضارة القفصية عبر المنحوتات الطينية وعناصر الحلي والتماثيل الحجرية والطينية والنقوش على بيض النعام وعلى الصخور⁽⁹⁰⁶⁾. (الشكل 09)

ومن المرجح بالنسبة لنا أن التأثيرات القفصية قد امتدت إلى الصحراء الوسطى، كما وصلت إلى الصحراء الغربية وموريتانيا وتجسدت خصوصا في بيض النعام وفي الحلي⁽⁹⁰⁷⁾، وعلى الرغم من وجود تشابه ملحوظ بين نقوش الأطلس الصحراوي ونقوش وادي جرات والهوقار إلا أن ذلك لا يعني أنهما من أصل مشترك، بل على العكس من ذلك فإن المجموعات التي نفذت الفن على الواجهات الصخرية في وادي جرات والهوقار مختلفة كلياً عن مجموعات الأطلس، كما أن أي علاقة ممكنة بين القفصيين والطاسيلي قد نجدها في الصحراء الشمالية أكثر منها في الصحراء الوسطى.

وفي هذا الإطار أشارت جينات أوماسب إلى وجود صلة حضارية بين الصحراء الوسطى والأطلس الصحراوي نظرا للتشابه بين الفن الصخري في المنطقتين، ومن الممكن وجود أصل مشترك بينهما في حضارة قديمة شملت بلاد المغرب والصحراء، وهذه الحضارة هي "العاترية"، أما عناصر الاختلاف التي وجدت بين المنطقتين فقد فسرت بالانقطاع الحضاري الذي أحدثته فترة الجفاف ما بعد العاترية التي انتهت بها "البلايستوسين" التي أدى إلى عزل المنطقتين عن بعضهما⁽⁹⁰⁸⁾.

وفي عصرنا الحاضر يمكن مقارنة الأعمال الفنية التي تعود إلى القفصيين بما هو موجود في التراث الفني البربري سواء في زخارف الفخار أو في النسيج الذي تميز بكثرة

⁽⁹⁰⁵⁾ Alain Rodrigue., 2002, « Tazina », un style opportuniste, Les Cahiers de l'AARS 7, p97.

⁽⁹⁰⁶⁾ Gabriel. Camps., 1974, op.cit, pp100- 198

⁽⁹⁰⁷⁾ حول انتشار بيض النعام والتأثيرات القفصية يرجى العودة إلى :

M, Delarozière., 1991, Une zone de confection d'éléments discoïdes perforés en coquille d'oeuf d'autruche près de Hassi Ouchtat (région des Monts d'Ougarta, Béni-Abbès, Algérie. Bulletin trimestriel - Société d'Anthropologie du Sud-Ouest (Bull. Soc. Anthropol. B.S.O) , T XXVI, n°3, p. 121-130, Vernet Robert, Rodrigue, Alain, & Tous, Philippe ., 2006, op.cit, pp59-72.

⁽⁹⁰⁸⁾ Ginette. Aumassip., 1997 .op.cit. P 216

أشكاله الهندسية، مما يجعلنا نعتقد أن هناك استمرارية لهذا الفن منذ النيوليتي. وفي الأخير يمكن القول بأن الصلات مع القفصية قد تكون موجودة ولكنها لم تكن بالحجم الذي يمكن أن نقول فيه بأن منفذي الأعمال الفنية العظيمة في الطاسيلي هم القفصيون .

ومن جهة ثانية طُرحت فرضية الأصول النيلية للمجموعات التي نفذت الرسوم الصخرية في الطاسيلي، وقد كان الرحالة "هنري بارث" هو أول من قال بالأصول المصرية لمنفذي تلك الأعمال الفنية، حيث قال: «إن البربر لم يعرفوا الفن الصخري وأن هذا الفن ذو أصول مصرية»⁽⁹⁰⁹⁾، ونحو ذلك ما ذكره "ريموند فوفري"⁽⁹¹⁰⁾، كما أن "إيمانويل أناتي" هو الآخر يرى أن الفن في الصحراء الوسطى من أصول نيلية⁽⁹¹¹⁾، ونجد رأى مماثل لدى كل من "فلامند ج م ب (G M . B. Flamand) و"ستيفان فزال" (ST Gsell)، وقد كانت معظم تلك الآراء مبنية على صور الكباش المرتبطة بالإله آمون في كل من مصر وبلاد المغرب⁽⁹¹²⁾ .

أما الباحث "باولو فراسيوزي" فرغم أنه سعى لإثبات التأثيرات المصرية في الصحراء الوسطى من خلال المشاهد إلا أنه لم يتمكن من إيجاد تشابه بين المنطقتين⁽⁹¹³⁾. وفي الواقع فإنه لا يوجد ما يدل على أن منفذي الرسوم والنقوش في الصحراء قد قدموا من مصر، كما أنه لا علاقة واضحة بين الفن في الصحراء الوسطى والأطلس الصحراوي مع الفن المصري، وذلك لأن الفن في الطاسيلي أقدم بعدة آلاف من السنين من مصر الفرعونية، وأن أي تأثيرات ممكنة بين المنطقتين قد يكون اتجاهها معاكس أي من الصحراء باتجاه وادي النيل، فقد أدى الجفاف إلى هجرة بعض المجموعات الصحراوية نحو النيل، وتجلت تلك التأثيرات خصوصا في انتشار الآلهة التي تتخذ مظهراً شبه حيواني ومنها خاصة "أنوبيس" في مصر الفرعونية، علما بأن صورته في الصحراء تعود إلى مرحلة البقريات القديمة، وللإشارة فقط فإن العديد من الآلهة المصرية تعرف على أنها من أصول ليبية أو صحراوية (الشكل 11)

⁽⁹⁰⁹⁾ Jean loic le quellec., 1998, op.cit ,p 29

⁽⁹¹⁰⁾ Raymond vauferer ., 1938 .op.cit .p 10-29

⁽⁹¹¹⁾ Emmanuel Anati., 1989, Le Origini E Il Problema De Ll'homo Religiosus, Milano: Jaca Book-Massimo, P199, Jean Loic Le Quellec., 1998, Op.Cit. pp 262-263

⁽⁹¹²⁾ G .B .M Flamand ., 1921,Op.Cit.65, Stéphane Gsell., 1912, Histoire Ancienne De l'Afrique Du Nord .T1, Paris, Hachette ، p251

⁽⁹¹³⁾ P .Graziosi., 1942, L'arte rupetre della Libia ؛ Napoli, ed. della Mostra d'Oltremare, pp275-276

كما أن صور الكباش الموجودة في نقوش الأطلس ليس لها علاقة بصور الكباش المصرية، أولاً لكونها تعبر عن الخصوبة لدى الرعاة أكبر من كونها تعبر عن الإله آمون الذي لم تنتشر عبادته في منطقة الأطلس، وربما تكون عبادته قد انتشرت لدى القبائل الليبية التي سكنت غرب مصر، هذا ربما ما يفسر أن واحة "سيوة" كانت مكرسة لعبادته، ونحن نعتقد أن هذا الإله من أصول ليبية وأنه انتقل إلى مصر وذلك لأن معظم كهنته كانوا من الليبيين.

ومن المفترض أن هناك تأثيرات صحراوية في وادي النيل نجدها خاصة في مصر القديمة وفي حضارة "كرمة" في السودان⁽⁹¹⁴⁾، ومن جهة ثانية كان هناك تشابهاً واضحاً بين النيوليتي القديم في جنوب وادي النيل والصحراء الوسطى، وهو ما جعل بعض الباحثين وعلى رأسهم "غابرييل كامبس" (g camps) يسمون النيوليتي في الصحراء باسم "النيوليتي الصحراوي".

وفي معرض الحديث عن بداية استئناس الأبقار في الصحراء يذكر بعض الباحثين أن مصدره الشرق مما يعني أصول شرقية للرعاة الأوائل أيضاً، وفي هذا الإطار يذكر هنري لوت أن رعاة الأبقار في الصحراء الوسطى قدموا من الشرق مروراً بالبحيرات الكبرى⁽⁹¹⁵⁾. وعلى ما يبدو فإن مجموعات من الرعاة قد انجذبت إلى المنطقة التي كانت تحضي بأفضلية كبيرة من حيث المناخ، وهذه المجموعات قدمت من الشرق في فترات مختلفة، فوفق ما يذكر "هنري هوجو" فإن موجات الهجرة تكونت في نواحي الخرطوم والشهانب وتتبع طريق البحيرات وصولاً إلى الهوقار، ثم توغلت غرباً نحو "الساورة" وهي تمثل مجموعات النيوليتي الصحراوي⁽⁹¹⁶⁾. (الخريطة 08)

ويدعم تلك الآراء الباحث فيكتور فيرننداز وهو من المختصين في ما قبل التاريخ في السودان، حيث ذكر أن من نتائج هذه الهجرة هو انتشار زخرفة الفخار بالخطوط المتموجة وهي زخرفة كانت تتم بنوع من المشط يشكل خطوطاً منقطة متموجة على الإناء⁽⁹¹⁷⁾، وحسب هذا الباحث فإن هذه الهجرة سببها توسع الغابات الاستوائية⁽⁹¹⁸⁾، ومن جهته يحدد

⁽⁹¹⁴⁾ عن التأثيرات الصحراوية ينظر موضوع العلاقات بين مصر والصحراء الوسطى

⁽⁹¹⁵⁾ Henri Lhote., 1979, Au Sahara, il y a 5000 ans, une civilisation de pasteurs de boeufs, Archéologia, n°129, pp51-57

⁽⁹¹⁶⁾ H .G. Hugot., 1974, Le Sahara Avant Le Désert. France: Editions Des Hespérides, P144.

⁽⁹¹⁷⁾ عثر الباحثون على هذه الأداة التي كانت تستعمل في الزخرفة في العديد من المواقع.

⁽⁹¹⁸⁾ Víctor M. FERNÁNDEZ ., 2003, op.cit, pp410- 411

رودلف كوبر " تاريخ قدوم الزنوج من جنوب وادي النيل إلى الصحراء بما بين 6000 و 5000 ق.م (919) . (الخريطة 08)

ونحن بدورنا لا ننفي قدوم مجموعات نيلية فالمنطقة كانت مفتحة على مختلف المناطق في وقت كانت الأنهار والبحيرات تربط النيل بالصحراء تقريبا، ويجب أن لا نغفل أن النيوليتي في الصحراء الوسطى قديم جدا بل أقدم من منطقة الخرطوم، لذلك فنحن نستبعد أن يكون قدوم هؤلاء كان سبباً في إدخال الأبقار المستأنسة إلى المنطقة، وهو ما أشارت إليه الباحثة "باربارا باريش" أيضا (920) .

ومن المرجح أن قدوم الرعاة من الشرق كان بصفة خاصة في مرحلة البقرات الوسطى، أما في البقرات القديمة فقد قدمت هجرات محدودة من المراكز الحضارية الواقعة على هامش الصحراء الوسطى والتي كانت مزدهرة في النيوليتي القديم، مثل منطقة "التينيري" خاصة المركز الحضاري المسمى " غوبرو" (Gobero)، أو من مناطق أخرى كوادي الساوره والصحراء الشمالية، فهذه المجموعات إلى جانب مجموعات محلية في الطاسيلي والهوفار هي التي تمكنت من التحول من الصيد إلى الرعي وهي نفسها التي كونت مجموعات مرحلة البقرات القديمة . (الشكل 13)

ب- النيوليتي القديم والاتجاه نحو التدجين :

النيوليتي القديم هو الفترة التي كان فيها الإنسان يمارس نوعاً من الاقتصاد الإنتاجي قائماً على إنتاج الفخار والزراعة أو تربية الحيوانات، وبالنسبة للمنطقة المعنية بدراستنا فإن النيوليتي فيها كان قديماً جداً حيث أن الإنسان أنتج الفخار مبكراً ، لكن التطورات الحضارية الأخرى كتربية الحيوانات والزراعة غير مؤكدة.

وقد كان للمناخ دوراً كبيراً في عملية التحول من الصيد إلى التدجين فبعد الرطوبة الكبيرة التي شهدتها الهلوسان المبكر، بدا المناخ يتحول إلى الجفاف تدريجياً، لذلك سعى الإنسان للتأقلم مع الظروف الجديدة، مما جعله يتمكن من التحول إلى تدجين الحيوانات بعد محاولات عديدة قام فيها بأسر بعض الحيوانات وهذا ما يتجلى في مشاهد الفن الصخري، فعلى

(919) Rudolph Kuper.,1978, Sahara,10.000 Jahre Zwischen Weide Und Wuste ».Museen Der Stadt Köln Trad Charlotte Von Craffenried , P118

(920) Jean. faber., 2005 , op.cit, p489

الأرجح لم يكن قدوم تلك المجموعات الشرقية المفترضة سببا في بداية الحياة الرعوية، ولكن الأمر يتعلق بتحول مجموعات محلية من الصيادين تحولت إلى استئناس الحيوانات.

كما أن بداية الطور الرعي في الفن الصخري مرتبط بالتحول من الصيد إلى الرعي وظهر أولى الأبقار المستأنسة، وقد اختلف الباحثون في تحديد الزمن الذي بدأ فيه الاستئناس في المنطقة وفيما إذا كان محليا أو دخيلا عن المنطقة، وقد لاحظنا أن الكثير من الباحثين يميلون إلى دعم فرضية الاستئناس من الخارج، ونحن على العكس من ذلك نرى أنه يجب البحث عن أصول محلية للاستئناس سواء في شمال إفريقيا أو في الصحراء لذلك وجب علينا العودة إلى الفترات السابقة .

ومن خلال دراستنا المناخية السابقة تبين لنا أن فترة البلايستوسين النهائية قد شهدت جفافاً كبيراً، وأن المنطقة لم تعرف رطوبة كبيرة إلا مع بداية الهلوسان في حوالي 8000 ق.م حيث انتشرت الأمطار في كافة الأماكن من وادي النيل إلى المحيط الأطلسي⁽⁹²¹⁾، ولكن خلال البلايستوسين النهائي من الممكن أن بعض المناطق من الطاسيلي والهوفار قد وجدت فيها مراكز حضارية " للثقافة الأونانية التي تعود إلى العصر الحجري القديم المتأخر.

ومع بداية الهلوسان كانت الظروف مواتية من حيث الرطوبة إلا أن المناخ لم يكن مستقرا على الدوام فقد شهد فترات من الجفاف قصيرة الأمد، والتحول التدريجي من الرطوبة إلى ظروف شبه جافة قد سمح للصيادين الجامعون من التحول للاستئناس⁽⁹²²⁾ .

وقد يكون هؤلاء الصيادون الجامعون شبه المستقرين فقد تمكنوا من اكتشاف الفخار ودخلوا مبكرا في النيوليتي، ومع أن النيوليتي القديم الذي تزامن بدايته مع الهلوسان المبكر لم يعرف استئناس الحيوانات، إلا أن عملية تدجين الحيوانات قد انتشرت بعد ذلك بتأثير من المناخ الجاف، ومع ذلك فإن الحياة الرعوية لم تنتشر على نطاق واسع إلا في الهلوسان الأوسط الذي يتزامن مع النيوليتي الأوسط.

ومن المعروف أن سكان الصحراء الوسطى قد دخلوا مبكرا في النيوليتي ففي حوالي 8000 ق. م كانوا ينتجون الأواني الفخارية، وهؤلاء الصيادون - الجامعون وصيادي

⁽⁹²¹⁾ Jean-Loïc Le Quellec, Pauline Et Philippe De Flers., 2012, op.cit, P173

⁽⁹²²⁾ Mary Anne Tafuri Et Al ., 2006, op.cit, P 392

الأسماك ربما حاولوا ممارسة نوعاً من الزراعة البدائية، ولا ندري فيما إذا كان هؤلاء قد عرفوا تدجين الأبقار أم لا.

وفي الفترة التي كان الإنسان يستعمل الفخار كان ينفذ أعمالاً فنية على جدران الملاجئ الصخرية وتسمى تلك المرحلة الفنية باسم "مرحلة الجاموس العتيق"، وهي تمثل النقوش القديمة جداً التي تعود للصيادين القدامى الذين عاشوا في الفترة المبكرة من الهلوسان، وقد يكون الإطار الزمني لهذه المرحلة الفنية بين 8000 و 5000 ق.م، وخلال فترة الهلوسان المبكر ظهرت أيضاً وبشكل متأخر رسوم مرحلة "الرؤوس المستديرة" التي تمثل الصيادين أيضاً وقد تميز فنها بالطابع الديني والسحري والأسطوري.

وقد سميت هذه المرحلة بذلك الاسم نظراً لأنهم اشتهروا بتمثيل الإنسان براس دائري مع عدم إظهار ملامح الوجه، وقد كانت رسومهم ذات ألوان مختلفة، وكانت تكثر فيها خصوصاً المشاهد السحرية المختلفة وصور الأشخاص ذوا البشرة الداكنة الذين لهم زينات جسدية كبيرة وبهجة عالية⁽⁹²³⁾، بينما تميزت مرحلة الجاموس العتيق بوجود الحيوانات البرية الكبرى ومشاهد الصيد والكائنات الأسطورية التي تمثل أشخاصاً لهم رؤوس حيوانات برية، وكان معظم فنها عبارة عن نقوش وقد انتشرت أعمالهم الفنية في الأطلس الصحراوي وفي وادي جرات والهوفا، ويحتمل أن يكون هؤلاء من جنس أبيض وفق ما يذكر هنري لوت⁽⁹²⁴⁾.

أما مرحلة البقرات وهي المرحلة الثالثة من حيث الترتيب الزمني الفن الصخري فهي تمثل الحياة الرعوية، وتعتبر هذه المرحلة أطول المراحل وأكثرها من حيث المشاهد، وهي قد كانت متزامنة مع الأطوار الأخيرة من مرحلة الجاموس العتيق والرؤوس المستديرة التي شهدت ظهور أساليب متطورة⁽⁹²⁵⁾، كما يحتمل أن جهات معزولة من الطاسيلي والهوفا ظل الناس فيها يعيشون حياة الصيد رغم انتشار الحياة الرعوية، ويبقى السؤال الذي يحتاج إلى إجابة هو متى ظهرت الحياة الرعوية في الطاسيلي والهوفا ؟

⁽⁹²³⁾ مرحلة الرؤوس المستديرة تتضمن الرسوم والنقوش بالنسبة لفابريزيو موري و جميع الباحثين المتأثرين بأرائه، بينما يقول هنري لوت أن الرؤوس المستديرة لا تتضمن إلا رسوماً، ينظر: Henri Lhote., 1984, Op.Cit. Pp 257-259.

⁽⁹²⁴⁾ Henri . Lhote., 1970, Op.Cit. P94 Fig 1-2.

⁽⁹²⁵⁾ أرخت بعض من رسوم الرؤوس المستديرة في ملجأ وان تلوكلت في تادرارت أكاكوس بحوالي 6754±29 قبل

الحاضر، مما يعني أنها متزامنة مع رسوم مرحلة البقرات، ينظر: Malika Hachid ., 1998, op.cit. p167-168.

لقد حاول بعض الباحثين الإجابة على هذا التساؤل فقد أشار فابريزيو موري إلى وجود طور رعوي مبكر في مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة، تميز بأسلوب مصقول وبوجود أفراد ومجموعات صغيرة الحجم مع وجود مظاهر الصيد أيضا، والباحث كريستيان دوبوي (chritian dubuy) من جهته يرى أن الثيران المستأنسة وجدت في مرحلة الرؤوس المستديرة القديمة وأن ذلك يعد طفرة في الزمن فيما يخص الاستئناس المبكر⁽⁹²⁶⁾.

أما أمبرتو سانسوني فيقول أن مجموعات الرؤوس المستديرة لم تعرف حياة الاستئناس مع أن مشاهدهم كانت أكثر تعقيدا من فن مرحلة الجاموس العتيق، فهي في نظره تمثل المقدس وتُعبّر عن ثراء مخيلة الصيادين لكونها تعبيراً عن الأحلام والنشوة⁽⁹²⁷⁾، وتساند هذا الرأي مليكة حشيد التي ترى أن ذوي الرؤوس المستديرة لم يعرفوا الاستئناس وأن الأبقار لم تكن منتشرة بكثرة عندهم⁽⁹²⁸⁾.

وبخصوص مرحلة الجاموس العتيق فقد ذكر كل من فابريزيو موري، وبول هاورد، وليون أالارد، وأمبرتو سانسوني أن هذه المرحلة أيضا كانت خالية من مظاهر الاستئناس⁽⁹²⁹⁾، وكان هنري لوت الذي يعتبر أول من أطلق تلك التسمية على هذه المرحلة قد قال بأنها خالية من الاستئناس⁽⁹³⁰⁾، لكنه أشار إلى أن الحيوان الوحيد الذي كان مستأنسا فيها هو الكلب⁽⁹³¹⁾.

وهو ما يدعو إلى الاستغراب فالمعروف أن الكلب تواجد في معظم المشاهد مع الأبقار، ففي الوقت الذي يعتبر هنري لوت أن الكلب مستأنس فإن الأبقار التي بجواره غير مستأنسة، وفي رأينا أن هذا غير صحيح وذلك لأن الكلب يستعمله الرعاة أكثر مما يستعمله الصيادون كما أن المشاهد التي يظهر فيها الكلب لا يبدو أنها مشاهد للصيد.

أما بخصوص وجود تدجين الأبقار في مرحلة الجاموس العتيق فيذكر بعض الباحثين أن هذه المرحلة خالية من الحيوانات المستأنسة، إلا أن جون لوكلاك يرى أن هؤلاء

⁽⁹²⁶⁾ Chritian Dubuy .,2007 , Sous Zone A : Algerie – Tunisie , ICOMOS , 2007, p30

⁽⁹²⁷⁾ Umberto SANSONI ., 1994, Le più antiche pitture del Sahara. L'arte delle Teste Rotonde. Milano, Jaca Book.p54-55

⁽⁹²⁸⁾ Malika Hachid., 1998, op.cit.p 168, 180

⁽⁹²⁹⁾ Umberto SANSONI., 1994 , op.cit, pp54-55

⁽⁹³⁰⁾ Henri Lhote ., 1995, prehistoire art , uncylopedia universalis,1995, p192

⁽⁹³¹⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 1998, op.cit. p192, Henri Lhote., 1995, Prehistoire Art , Uncyclopedia Universalis,1995, P192

الصيادين قد عرفوا تدجين الأبقار وتركوا بعض المشاهد الرعوية، فصور الأبقار المزينة أو تلك التي لها سرج أو التي تحمل أدوات فوق ظهرها تعود إليهم وكذلك الأبقار ذات الزوائد الطقوسية فوق رأسها بالإضافة إلى المشاهد التي تظهر فيها الكلاب (932).

وتوجد الكثير من الدلائل التي تدعم ما ذهب إليه لوكلاك، فقد لاحظنا وجود محاولات لاستئناس بعض الحيوانات البرية في مرحلة الجاموس العتيق، وكان الكلب هو أول هذه الحيوانات، فعلى ما يبدو أن الإنسان عرف مزايا الكلب في المطاردة وفي حراسة المكان، كما أن ضالة حجمه ورداءة لحمه أخرجته من قائمة طعام الإنسان في ما قبل التاريخ، فقلما نجد بقاياها ضمن بقايا الحيوانات التي استهلكها الإنسان (933).

كما حاول الناس تدجين حيوانات أخرى كالفيلة ووحيد القرن والزرافات، فكثيرا ما نجد صورا لزرافات مربوطة أو بجوارها أشخاص، أو نجد معها حيوانات أخرى كالفيلة ووحيد القرن في وضعيات أخرى تدل على الاستئناس، مع العلم أن هذه المشاهد قد تكون مشاهد تعبدية أو سحرية (3)، وقد حاول الإنسان تدجين عدة حيوانات فلم يقتصر الأمر على حيوان معين بل شملت محاولات الاستئناس الحيوانات الخطيرة أيضا كالتماسيح (934).

ومن المشاهد التي تدل على تدجين الحيوانات المشاهد التي يتم فيها رسم الحيوان في وضعية مركزية بالنسبة للأشخاص، أو رسمه بشكل كبير ومضخم مما يدل على نوع من التعبد للحيوان، وهذا ما نجده في وادي جرات وفي الهوقار حيث تظهر فيلة وزرافات بحجم

(932) Jean-Loïc Le Quellec., 2008, Chasseurs... P405

(933) المعروف أن الإنسان حاول استئناس عدة حيوانات برية ، و أولى الحيوانات التي تم استئناسها هي الذئاب التي تسمى علميا بـ *Canis lupus* في فترة ما بين 40 ألف و 15 ألف سنة قبل الحاضر في بعض المناطق من غرب آسيا ، وقد كان هذا الحيوان يعيش مع الإنسان منذ 700 حوالي ألف سنة، وقد وجد الأثريون كمية كبيرة من عظام الذئاب في موقع يعود إلى ما يقارب 20 ألف سنة في أوكرانيا، أما الكلب فقد بدأ استئناسه فيما بين 15.000 و 12000 قبل الحاضر، إذ وجد في مقبرة بوادي الأردن كلب صغير مدفون بجانب امرأة تعود إلى 12 ألف سنة قبل الحاضر، ينظر :

Kevin Stafford., 2006, the Domestication, Behaviour And Use Of The Dog, The Welfare Of Dogs , Animal Welfare, Volume 4 , 2006 , p4

(3) مشاهد لمس الحيوان موجودة في مرحلة الرؤوس المستديرة منها مشهد لشخصين يلمسان زرافة في صفار، وفي وادي جرات توجد مشاهد كثيرة من مرحلة الجاموس العتيق القديمة يوجد فيها أشخاص يلمسون فيلة ووحيد القرن، وفي الأكاكوس يوجد مشهد لشخص يلمس ذيل وحيد القرن، وفي وادي تاشوينت بالأكاكوس يوجد مشهد لشخص يلمس رأس زرافة ، ينظر: Jean Loic Le Quellec ., 1993, pp415-419, Fig 139-9, Fig 134-9

(934) أحصى لوكلاك في الصحراء الوسطى العشرات من المشاهد التي يظهر فيها أشخاص يلمسون حيوانات ، منها: 53 مشهد فيها فيلة، و 35 لزرافات، و 10 لوحيد القرن، و 06 للأسد، و 04 للظبي، و 02 للأبقار، و واحد مع تمساح، ينظر: Jean Loic Le Quellec ., 1993, op.cit. p 426

كبير تتجه إليها أنظار الناس، فقد بلغ حجم أحد الفيلة في وادي إحييتس بالهوفار 1 م و69 سم (935) .

وكان الباحث "جون جيلينيك" قد أكد أن محاولات تدجين الحيوانات جرت في مرحلة الجاموس العتيق، إذ أن وجود مشاهد لحيوانات برية كالنعامة والغزالة والزرافة مربوطة بعمود أو بصخرة تعتبر محاولة استئناس، فقد أبقيت على قيد الحياة من أجل سبب ما ولمدة من الوقت، كما توجد مشاهد أخرى لأشخاص موجودين قرب حيوانات، ويتصرفون معها مثلما يتصرف الرعاة، فهم يلمسون رأسها أو ذيلها أو ينفخون في مؤخرتها* من أجل استدرار الحليب . (936)

ويبدو أن مشاهد هضبة المساك الليبية المجاورة للطاسيلي والتي توصف بأنها الأقدم في المنطقة تعطي دلائل واضحة على الاتجاه نحو الاستئناس، فمشاهد "وادي تيدوا" (Wâdi Tidûwa) تظهر فيها أبقار عليها سرج وبعضها لها أقراط، كما توجد أبقار أخرى تركيبها النساء⁽⁹³⁷⁾، وهذه المشاهد نفسها موجود في وادي جرات، حيث نرى ثيران لها أقراط أو جرس يتدلى من رقبتها وهي تعود إلى مرحلة الجاموس العتيق.

والى جانب تلك المشاهد يمكن أن نظيف صور الحيوانات التي تحمل شيئاً بين قرونها كقرص الشمس والتي تعد دليلاً على عبادة الخصوبة المرتبطة بالشمس (اللوحة 11)، والمرجح بالنسبة لنا أن المشاهد التي تمثل أبقاراً تحمل أقراط وأشياء بين قرونها تعتبر مستأنسة أو على الأقل موضوعة في القيد وهي مرحلة أولية للاستئناس⁽⁹³⁸⁾، ومن دلائل الاستئناس أيضاً وجود أبقار ذات قرون معكوفة إلى الأسفل، في العديد من المواقع وهي

⁽⁹³⁵⁾ Henri Lhote ., 1954, Gravures Rupestres De L'oued Ahetés Dans La Téfedest (Sahara Central), travaux de L'IRS, XII, 2° semestre 1954 , p140

* أنظر المقال المهم لجون لوكلاك حول تقنية استدرار الحليب لدى الرعاة الصحراويون في النيبوليتي:

Jean-Loïc Le Quellec., 2010, Traite et insufflation sur les images rupestres du Sahara Contredisent l'hypothèse de la consommation du lait comme «révolution secondaire » en Afrique, Cahiers de l'AARS, N°14, Mai 2010, pp205-246

⁽⁹³⁶⁾ Jan jelienc., 2004,op.cit. p102

⁽⁹³⁷⁾ Jean-Loïc Le Quellec.,2008, Chasseurs..., p405

⁽⁹³⁸⁾ Henri Lhote ., 1976,Vers D'autre ..., p66

تكثر خاصة في هضبة المساك الليبية كمواقع وادي "إن إليبو" in elobu و"إن هاجالاس" (in hagalas)، و"تين شروما" (ti-n-sharuma)، وإراهار (erahar) (939).

ومن جهة ثانية هناك مشاهد أخرى تنتمي إلى مرحلة الجاموس العتيق ويظهر فيها أشخاص بقضيب بارز تدل أيضا على وجود حياة الاستئناس في تلك الفترة المبكرة، وذلك لأن مثل هذه المشاهد تتماشى مع طبع الرعاة الذين يريدون الخصوبة وكثرة الأفراد والقطعان، ومظاهر الاستئناس موجودة أيضا في رسوم ذوي الرؤوس المستديرة أيضا وذلك نظرا لكثرة صور النساء والآلهة الأنثوية.

وفي الفن الصخري ظهرت صور القطعان الكبيرة ومخيمات الرعاة وصور الحلب والأبقار ذات الضروع (940) الكبيرة في مرحلة لاحقة، ففي البداية ظهرت حيوانات برية مربوطة كما وجدت صوراً لحيوانات يلمسها أشخاص في مناظر تدل على العبادة، أما الأبقار فقد ظهرت منفردة في مشاهد ذات طابع سحري، وذلك في الكثير من مشاهد وادي جرات والهوقار (941).

أما الصور التي تدل على بداية حياة الاستئناس فهي كثيرة ومن بينها: صور الأبقار ذات الضروع الكبيرة، والأبقار ذات قرون مشوهة أو ملتوية أو مغلقة أو أبقار ذات قرون في شكل القيثارة أو بها زوائد متدلية، وأبقار مزينة بنوط وتلك التي أثوابها ملونة (اللوحة 52)، وكذلك الأبقار التي تستخدم للتنقل سواء كانت تتركبها النساء أو أنها تحمل أغراضاً، ومن المظاهر الدالة على الاستئناس أيضا وجود رجال مسلحين بالأقواس يقودون الأبقار، ووجود مظاهر تعبدية للأبقار، وكذلك وجود الكلاب مع الأبقار.

وبشكل عام يمكن القول أن الحياة الرعوية قد بدأت بشكل مبكر بعد تطور جماعات الصيادين الذين تركوا أعمالاً فنية ضمن مرحلة الجاموس العتيق أو من مرحلة الرؤوس

(939) Jan. jelienc., 2004 , op.cit. p102 .

(940) يعتقد موزيليني أن الضروع الممتلئة لا توجد إلا في مرحلة البقرات الحديثة، وهو يُلح إلى أن نشاط الحلب لم يظهر إلا في هذه المرحلة، ينظر :

Alfred Muzzolini ., 1983 , L'art rupestre préhistorique du Sahara central: classification et chronologie. Le Boeuf dans la préhistoire africaine. Aix-en-Provence/ Marseille: Thèse de troisième cycle de l'Université de Provence, p50

(941) Aumassip Ginette ., 1993 , op.cit, p76

المستديرة، فالمعلوم أن هؤلاء قد عرفوا الفخار في فترة قديمة تزيد عن 7000 ق.م في أمكني بالهوفار⁽⁹⁴²⁾، وتوفر الفخار يدل على وجود حياة شبه مستقرة فمن الممكن أن الناس قد عرفوا نوعاً من الزراعة البدائية إلى جانب تربية بعض الحيوانات .

وهناك معطيات مختلفة تدل على أن الحياة الرعوية قد بدأت مبكراً في الطاسيلي والهوفار ففي المواقع الأثرية يمكن ملاحظة كثافة سكانية كبيرة في المنطقة، فقد وجدت المئات من المقابر ضمن المسافة الممتدة من الأكاكوس إلى الحدود الشرقية لأدرار أهنت (Ahnet) ومن جنوب الهوفار إلى شمال الإميدير (Immidir)، والاطر الزمني لهذه القبور محصور بين الفترة الجافة في أواسط الهلوسان والجفاف الذي انتهى به النيوليتي وهو نفسه الاطار الزمني لمرحلة البقریات⁽⁹⁴³⁾ .

والمعلوم أنه في حوالي 5000 قبل الميلاد كانت البحيرات وفيرة وكانت نسبة الكثافة السكانية كبيرة، فقد أُحصي 150 موقعا أثريا في مساحة صغيرة بين الأكاكوس وعرق وان كازا (Wa-n-Kaza)، ومعظم تلك المواقع تعود إلى الأفق الزمني نفسه الذي تمثله مرحلة البقریات، مع العلم أن معظم تلك المواقع تتضمن بقايا للأبقار⁽⁹⁴⁴⁾، وإذا كانت الكثافة السكانية كبيرة في السهول والهضاب في حوالي 5000 قبل الميلاد مع وجود بقايا الأبقار، فإن ذلك يدل بلا شك أن وجود أوائل الرعاة كان أقدم من هذا التاريخ ولعله كان محصوراً بين 6000 و 5000 قبل الميلاد⁽⁹⁴⁵⁾ .

ومن جهة ثانية فإن البقايا الأثرية في معظم المواقع شهدت كثافة أكبر في الطبقات الأثرية التي تتزامن مع الألف الرابعة قبل الميلاد، ولعل ذلك يرمز إلى ازدهار الحياة الرعوية ولكنه لا يدل على بدايتها، كما أن الطبقة العلوية في "تين هناكتن" التي تظهر فيها بقايا الأبقار تبدأ في حوالي 5300 ق.م⁽⁹⁴⁶⁾، بينما السويات الأثرية التي تؤرخ بين 7500 و 5900 قبل الميلاد لا تتضمن إلا فخاراً وبقايا لأروية وأسماك وغزلان وضباء، أما الأبقار

⁽⁹⁴²⁾ Rudolf kuper .,1978 , op.cit., p116

⁽⁹⁴³⁾ Yves & Christine Gauthier., 2006, op.cit, p79.

⁽⁹⁴⁴⁾ Barbara E Barich ., 1998 , op.cit , p 100

⁽⁹⁴⁵⁾ Yves & Christine Gauthie., 2006, op.cit. p80

⁽⁹⁴⁶⁾ Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit. P143

فهي نادرة وإن وجدت فهي قد تكون برية، مع العلم أن هذه السويات تعود إلى النيوليتي القديم (947) .

وباعتبار موقع " تين هناكتن " موقعاً مهماً في الطاسيلي فهل يمكننا القول أن النيوليتي القديم لم يعرف الاستئناس خصوصاً وأن موقعي "أمكني" و "لاوني" بالهوقار لم تظهر بهما دلائل على الاستئناس؟

والثابت لدى أغلب الباحثين أن مرحلة البقريات تعود إلى النيوليتي الأوسط، مما يعني أن النيوليتي القديم لم ينتشر فيه استئناس الحيوانات مع أنه قد عرف الفخار، لكن الدراسات التي قام بها فراد واندورف (Fred Wendorf) وفريقه في مصر، أظهرت أن تدجين الأبقار تم في فترة مبكرة من الهلوسان في منطقة "بئر كسيبا" و "نبتا بلايا" في جنوب مصر، وقد حدد بداية الاستئناس في منطقة "نباتا بلايا" ب 7900 ق.م (948) .

ووفقاً لهذا التاريخ فهي تمثل أقدم مراكز الاستئناس في العالم، لكن هذا الرأي لم يقبله الكثير من الباحثين ومنهم على الخصوص "أندرو سميث" و "ألفرد موزيليني" واعتبرت هذه التواريخ مبالغ فيها (949)، ولاحقاً تم تعديل تأريخ الأبقار المستأنسة في "نباتا بلايا" إلى 6000 ق.م، أما في منطقة "بئر كسيبية" المجاورة لها فتعود الأبقار إلى ما بين 8500 و 7800 ق.م (950)، وهو ما يعني أن النيوليتي القديم في هذه المنطقة قد عرف استئناس الأبقار، لكن ذلك لا يكفي للاستدلال على وجود الاستئناس في الصحراء الوسطى أيضاً .

ومن جهة أخرى لا يوجد ما يمنع وجود عملية الاستئناس خاصة وأن الأبقار والأغنام كانت موجودة في شكلها البري في المنطقة منذ أقدم العصور، ففي الإيبي بليليتي وجد

(947) Michel Tauveron ., 1986 , L'art Pariétal Des Têtes Ronde .Problème De Synchronisme » Lybica n°32-34,1984-1986, P 168

(948) F. Wendorf, A.E Close and R. Schild .,1989, Early domestic cattle and scientific methodology, In: L. Krzyzaniak and M. Kobusiewicz (eds), Late Prehistory of the Nile Basin and the Sahara. Poznan, pp 61-67.

(949) Andrew Smith., 1986, Cattle domestication in North Africa., African Archaeological Review:(1)4 , pp 197-203, Braunstein-Sylvestre Florence ., 1988, Ressources alimentaires et alimentation dans la vallée du Nil aux époques préhistoriques, Anthropozoologica Numéro spécial 2: p61 . Alfred Muzzolini.,1989 , La "Néolithisation" du nord de l'Afrique et ses causes, In : Olivier Aurenche & Jacques Cauvin (Eds ,(.Néolithisation) .pp 145-186). Oxford: BAR International Series 516, pp9-10

(950) Jean-Loïc Le Quellec ., 2010, Traite et..., p239

الباحثون خرافاً وأبقاراً برية ضمن البقايا التي تعود إلى الحضارة الإيبيرومغربية إلى جانب حيوانات أخرى كالأيائل، والخنازير البرية، والضباء، والخيول البرية، والغزلان، والأسماك (951)، وتقريباً منطقة شمال إفريقيا كلها كانت تجوبها الأبقار البرية التي كانت هدفاً للصيادين القدامى، وقد ظلت هذه الأبقار متواجدة في بلاد المغرب إلى العهد الروماني، وتواجدت في مصر إلى غاية القرن السابع الميلادي (952)، وفي أوروبا ضلت الأبقار البرية موجودة إلى سنة 1627 حيث تم القضاء على آخر الأنواع في بولندا (953).

وما دامت الأبقار البرية موجودة فلا شك أنه كانت هناك محاولات استئناس مبكرة لها، وهذا ما حدث في الشرق الأدنى، فالبقايا الأثرية تعطي الأدلة على وجود الثور الآسيوي المنقرض والذي يعرف علمياً بـ (B.P. Namadicus) في موقع زراعي مبكر في "شاهري شوختا" (Sokhta Shahri) و"سيستان" (Sistan) في إيران وكذلك في أفغانستان، مما يدل على وجود استئناس مبكر للأبقار في هذه المناطق (954)، كما جمعت تواريخ قديمة جداً للأبقار المستأنسة في موقع "شيلوروكمبس" (Shillourokambos) في جزيرة قبرص، والذي يعود زمنياً إلى ما بين 8200-8300 ق.م، وجمع تأريخ مماثل في موقع في سوريا (955).

كما أن الأبقار الهندية التي تدعى بـ (B. Indicus) وجدت في موقع "موهرجار" (Mehrgarh) في باكستان وهي تعود إلى 5000 ق.م، وهو ما يعني أن النوع الهندي تم استئناسه بشكل منفصل عن الأبقار الآسيوية الأخرى، أما أصوله فقد تكون من نفس نوع الثور البري الآسيوي المنقرض (956).

وإذا كانت الأبقار المستأنسة قديمة جداً في الشرق، فهل يعني هذا أن الأبقار المستأنسة التي وجدت في شمال إفريقيا مصدرها من هناك؟

(951) David Lubell ., 2011, Late Pleistocene Early Holocene Maghreb, In Peregrine P.N And M Embr(Eds) , Encylopedia Of Prehistory, Vol 1,Africa .New York :Kluwer Academic/ Plenum Publishers, P131

(952) Jean-Loïc Le Quellec, Pauline Et Philippe De Flers.,2004, Peintures Et Gravures D'avant Les Pharaons, De Sahara Au Nil, Bovinés, Boeufs Sauvages Et Domestiques, Encyclopédie Animale, Fayard / Soleb, P304

(953) T. Ronan Loftus And Al., 1994, Evidence For Two Independent Domestications Of Cattle. Proceedings Of The National Academy Of Sciences 91, P2759

(954) Ibid, P 2760

(955) Jean-Loïc Le Quellec., 2010, Traite Et..., P225

(956) T. Ronan Loftus And Al., 1994, Op.Cit, P 2760

وربما كان الاستئناس محليا وإن كان متأخراً عن الشرق الأدنى، وذلك يدفعنا إلى البحث عن مكانة شمال إفريقيا والصحراء في مسار استئناس الأبقار ؟

في هذا الإطار يعتبر "ليونال بالو" (lional balout) من أوائل الباحثين الذين قالوا أن مناطق الصحراء الوسطى كانت هي المراكز الأولى التي عرفت تدجين الأبقار وأن الرعاة الأوائل أصلهم من المنطقة⁽⁹⁵⁷⁾، ويسانده في ذلك فابريزيو موري الذي قام بتصنيف مشاهد الأبقار المزينة والتي لها سرج ضمن مرحلة البقرات المبكرة⁽⁹⁵⁸⁾.

ومن جهته يرى جون جيلينيك (Jan Jelinek) أن الاستئناس في الصحراء بدأ في العصر الحجري القديم المتأخر (الإيبي باليوليتي)، فقد كانت تربي الأبقار من أجل الطعام ولم يتم استهلاك الحليب أو إنتاجه إلا في مراحل لاحقة⁽⁹⁵⁹⁾، ومن الذين يساندون وجهة النظر هذه الباحثة أندريا دوي (Andréa Dué) التي ذهبت إلى أبعد من ذلك عندما قالت أن الاستئناس في الصحراء كان أقدم منه في منطقة الهلال الخصيب، فقد عرفت الصحراء اقتصاداً إنتاجياً مبكراً تمثل في الفخار وتربية الأبقار⁽⁹⁶⁰⁾.

والأمر نفسه ذهبت إليه "ماريان كورنوبا" التي ترى أن الجبال الصحراوية كانت تمثل المراكز الأولى التي عرفت استئناس الأبقار⁽⁹⁶¹⁾، أما الأبحاث التي قام بها الباحث الإسباني كورتيز (O. Cortes) فقد وضعت شمال إفريقيا من بين المناطق الأولى التي عرفت الاستئناس في العالم وحدد تاريخاً يقدر ب 10 ألف سنة كبداية لهذه العملية.⁽⁹⁶²⁾

أما جون لوكلاك فيعارض الفكرة القائلة بوجود مراكز استئناس مبكرة للأبقار في شمال إفريقيا، فحسب هذا الباحث فإن التواريخ التي استخرجت من مواقع الشرق الأدنى أقدم من

⁽⁹⁵⁷⁾ Henri Lhote ., 1976, Les Gravures Rupestres ..., p821

⁽⁹⁵⁸⁾ Huard Paul ., 1968, Nouvelles figurations sahariennes et nilo-soudanaises de boeufs porteurs ,montés et attelés .In :Bulletin de la Société préhistorique française .Comptes rendus des séances mensuelles ,1968 .tome ,65 N .4 .P114.

⁽⁹⁵⁹⁾ Jan Jelínek ., 1985, Tilizahren, the key site of Fezzanese rock art , Anthropologie,23,3, p223-275

⁽⁹⁶⁰⁾ Andréa Dué ., 1994, op.cit, p34

⁽⁹⁶¹⁾ Marianne Cornovin., 1982, La Néolithique Du Sahara Central ,Paris : Edition SPF, P442

⁽⁹⁶²⁾ O. Cortes and al ., 2008 , Ancestral matrilineages and mitochondrial DNA diversity of the Lidia cattle breed, Animal Genetics ,Vol. 39, No. 6. (December 2008), pp649-654.

تلك التي وجدت في شمال إفريقيا⁽⁹⁶³⁾، وهو يعتقد أن النيوليتي الأوسط هو الفترة التي بدأ فيها الاستئناس في الصحراء، وأن الأبقار المستأنسة الأولى فقد قدمت من الشرق⁽⁹⁶⁴⁾.

ومن خلال الدراسة التي قام بها الباحث ليفتوس والتي تتبع فيها مسار استئناس الأبقار تبعا لنوعها، وتمكن من تحديد مركزين انطلقت منهما عملية الاستئناس، فالمركز الأول هو الشرق الأدنى بينما المركز الثاني هو منطقة بين أفغانستان وباكستان، ولم يأت على ذكر الصحراء الوسطى في هذه الدراسة⁽⁹⁶⁵⁾، أما الباحث نيكولاس فويوم (Nicolas Guillemin) فيرى أن هناك ثلاثة مراكز لبداية الاستئناس في العالم، هي الشرق الأدنى والهند وشمال إفريقيا، ويحدد 8000 قبل الميلاد كتاريخ لبداية للاستئناس في الشرق الأدنى وفي شمال إفريقيا⁽⁹⁶⁶⁾.

وللإشارة فإن الوضعية الجغرافية لبقايا الأبقار والمواقع الأثرية تشير إلى أن مسار التدجين كان اتجاهه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي مما يطرح احتمال أن الأبقار المستأنسة التي قدمت إلى الصحراء جاءت من الشمال الإفريقي⁽⁹⁶⁷⁾، فتواريخ الراديو كربون قد أعطت زما يقدر بما بين 5900 و 5800 ق.م في موقع "هوافتيح" قرب الجبل الأخضر بالساحل الليبي، أما في كهف كابيليتي⁽⁹⁶⁸⁾ بالأوراس فقد قدرت الباحثة كوليت روبي (C Roubet) الأبقار المستأنسة فيه ب 5400 ق.م⁽⁹⁶⁹⁾.

⁽⁹⁶³⁾ Achille Gautier., 1987, The archaeozoological sequence of the Acacus .«In Barbara Barich (Ed) , (Archaeology and Environment in the Libyan Sahara. The Excavations in the Tadrart Acacus), Cambridge: Bar International Series, p297

⁽⁹⁶⁴⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 2010, Traite ..., p205

⁽⁹⁶⁵⁾ T, Ronan Loftus and al ., 1994 ,op.cit. p 2760

⁽⁹⁶⁶⁾ Nicolas Guillemin et al ., 2011, Variations in the abundance of 24 proteins biomarkers of beef tenderness according to muscle and animal type, Animal 6.p894

⁽⁹⁶⁷⁾ Hélène Jousse ., 2004, A New Contribution to the History of Pastoralism in West Africa. Journal of African Archaeology 2 (2). p194.

⁽⁹⁶⁸⁾ كهف كابيلوتي Capeletti هو موقع مهم ينتمي إلى النيوليتي ذو التقاليد القفصية يقع في منطقة وادي الطاقة في ولاية باتنة ، قامت بالبحث فيه كل من تيودور ريفيار Th. Riviere في 1936 و س روبرت C. Roubet سنة 1968 ، قامت فيه إقامة بشرية من الرعاة المستقرين وشبه المستقرين لمدة زمنية طويلة بين منتصف الألف الخامسة والثالثة قبل الميلاد ، تدل بقايا النباتات والحيوانات على بيئة رطبة لكنها لم تكن مسقرة فأحيانا باردة و أحيانا حارة ، ينظر:

Aicha Bachir Bacha ., 2000, op.cit, p301

⁽⁹⁶⁹⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 2004, encyclopédie animale, p235, Jean-Loïc Le Quellec., 2010, Traite et...op.cit, p225

ولعل تلك المعطيات تين بوضوح أن مراكز الاستئناس المبكرة في الصحراء كانت منفصلة عن الشرق وأن لها علاقة أكبر ببلاد المغرب.

ج- الأبقار المستأنسة ومسار التدجين في الصحراء :

لا يمكننا التأكد من وجود تدجين محلي للأبقار في الصحراء الوسطى إلا إذ جمعنا مختلف التواريخ التي أعطيت لبقايا الأبقار في المنطقة، فالتواريخ الأولى التي جمعت في الأكاكوس من طرف فابريزيو موري تعود إلى 5400 قبل الميلاد في ملجأ وان موهيجاج، ولم يتم التأكيد فيما إذا كانت الأبقار أصلية أو من أصول أسيوية⁽⁹⁷⁰⁾، أما التواريخ التي جمعتها باربارا باريش في ملجأ تين تورها بمنطقة الأكاكوس فهي تعد إلى ما بين 6470 ق.م - 6060 ق.م، وكانت هذه الباحثة قد افترضت تدجين محلي للأبقار نظرا لقدم التواريخ المستخرجة من المواقع الصحراوية⁽⁹⁷¹⁾.

مع العلم أن هذه التواريخ تعرضت للانتقاد ولاحقا قامت الباحثة بتعديلها حيث ذكرت أن تدجين الحيوانات أصبح أمرا واقعا في حوالي 4000 ق.م، كما أقرت أن موقع تين هناكتن يبقى من أقدم المواقع التي تدل على التدجين، فالأفق الزمني الذي يتوافق مع الحياة الرعوية كان بين 5200 ق.م و 3800 ق.م⁽⁹⁷²⁾.

وفي الأكاكوس دائما أرخت الباحثة "هلين جوس" بقايا أبقار مستأنسة صغيرة الحجم في المستوى الأعلى لموقع "تين تورها" ب 4930 ق.م و 4790 ق.م، وفي المستوى الأوسط لوان موهيجاج ب 5180 ق.م و 4970 ق.م⁽⁹⁷³⁾، أما في الطاسيلي فقد حددت جينات أوماسب بداية التدجين في تين هناكتن بما بين 6600 ق.م و 5550 ق، مما يجعل منه أقدم المواقع التي شهدت استئناس الأبقار بالطاسيلي⁽⁹⁷⁴⁾، أما في إن غليجام In-Relidjem فقد قُدر تأريخ الاستئناس ب 4550 ق.م، وفي عرق آدمير بما بين 5800 و 4500 ق.م، بينما في الهوفار تعود أولى الإشارات على تدجين الأبقار إلى 5000 ق.م بمنيت، وإلى 4350 ق.م "بأدرار تيبوين"⁽⁹⁷⁵⁾.

⁽⁹⁷⁰⁾ Mary Anne Tafuri et al ., 2006, op.cit.p 390

⁽⁹⁷¹⁾ Barbara Barich., 1987, op.cit. pp331-340

⁽⁹⁷²⁾ Barbara E Barich ., 1998, op.cit, p127

⁽⁹⁷³⁾ Hélène Jousse., 2004, op.cit, p194

⁽⁹⁷⁴⁾ Ginette aumassip et michel tauvron ., 1993, op.cit .p68

⁽⁹⁷⁵⁾ Annabelle Gallin, Jean-Loïc Le Quellec ., 2008, Les ensembles céramiques...p73

أما في أدرار بوس ضمن صحراء التينيري بالنيجر أرخت بقايا أبقار مستأنسة ب 3810 ق.م⁽²⁷⁶⁾، بينما أرخت بقايا أخرى في أدرار بوس 3 و أرليت بما بين 5700 و 2850 ق.م⁽²⁷⁷⁾، وبشكل عام يلاحظ أن معظم التواريخ تقع ضمن الألف الخامسة قبل الميلاد، مع وجود مناطق عرفت استأنس مبكرا للأبقار كمنطقة تادراوت الجنوبية التي يقع فيها موقع "تين هناكتن"⁽²⁷⁸⁾.

ومن الواجب علينا التأكيد على أن وجود الاستئناس في موقع ما لا يعني بالضرورة انتشار الحياة الرعوية بشكل كامل في المنطقة، فعملية التعميم تلك هي التي أدت إلى اختلاف الباحثين حول الاطار الزمني لبداية الاستئناس والحياة الرعوية، وعلى الأقل يمكننا القول أن المرحلة الرعوية قد بدأت في منتصف الألف السادسة قبل الميلاد في كل من الطاسيلي والأكاكوس⁽²⁷⁹⁾، وهو ما يشير إليه الكثير من الباحثين المختصين في هذا المجال⁽²⁸⁰⁾، ويستثني من ذلك ألفرد موزيليني الذي ادعى أنه لا توجد أبقار مستأنسة قبل 4600 ق.م في كامل شمال إفريقيا⁽²⁸¹⁾.

ومن المفترض أن عملية الاستئناس كانت تلقائية من أجل الحصول على اللحم أما النشاطات المتعلقة بالحلب فقد ظهرت لاحقا، وفيما يتعلق بالاطار الزمني لعملية الاستئناس فإن معظم الأدلة الأثرية تقودنا إلى الفترة ما بين 6000 ق.م و 5000 ق.م كتاريخ لبداية ظهور الأبقار المستأنسة في الصحراء الوسطى.

ولعل ذلك التاريخ يتوافق من الناحية الفنية مع مرحلة الرؤوس المستديرة ومرحلة الجاموس العتيق، وهو ما يعني أن هؤلاء الصيادين قد تحولوا إلى استئناس الأبقار، وهم الذين شكلوا فيما بعد مجموعات مرحلة البقرات القديمة الذي بدأ معها الطور الرعوي، ثم تطورت الحياة الرعوية وازدهرت بعد ذلك في مرحلتي البقرات الوسطى والحديثة، وهنا تذكر الباحثة "يولاندا

⁽²⁷⁶⁾ CARTER P.L. et CLARK J.D., 1976, Adrar Bous and african cattle. Actes du 7è Congrès Panafricain de Préhistoire. Addis- Abéba. 1971. p.492..

⁽²⁷⁷⁾ Annabelle Gallin, Jean-Loïc Le Quellec., 2008, Les ensembles céramiques..., p73

⁽²⁷⁸⁾ Karl Heinz Striedter., 1996, Eléments de datation de l'art rupestre saharien. . In Ginette Aumassip, J. Desmond Clark, & Fabrizio Mori (Eds.), The Prehistory of Africa 15, Colloquium XXIX and Colloquium XXX, XIII International Congress of Prehistoric and Protohistoric Sciences. Forlì: ABACO, p132.

⁽²⁷⁹⁾ Ginette aumassip et michel tauvron ., 1993, op.cit. p68

⁽²⁸⁰⁾ B.E Barich., 1987, op.cit, pp 31-40

⁽²⁸¹⁾ Alfred Muzzolini ., 1983, Op.cit, p270

تشودي" أن الرسوم التي تعود إلى البقرات القديمة لا تظهر فيها الأبقار بكثافة كما أن التفاصيل الداخلية المتعلقة بالأبقار قليلة، فعلى سبيل المثال لا تظهر أذناءها منتفخة وربما لا تظهر إطلاقاً على العكس مما هو الأمر في المرحلة الوسطى والنهائية⁽⁹⁸²⁾.

ومن المفترض أن محاولات التدجين الأولى قد ظهرت في منطقة تادرارات الجنوبية التي يقع فيها موقع تين هناكتن، كما أنها تتضمن النقوش والرسوم القديمة التي تضم أبقاراً مستأنسة بوادي تيدوناجي" تعود إلى الألف السادسة قبل الميلاد⁽⁹⁸³⁾، وهي بذلك متزامنة مع النقوش القديمة التي وجدت بها أبقارٌ مستأنسة في مناطق أخرى من شمال شرق النيجر⁽⁹⁸⁴⁾

وبخصوص فصائل الأبقار⁽⁹⁸⁵⁾ التي كانت تعيش في الصحراء في النيوليتي فإن هناك عدة أنواع منها: "النوع الهندي" (B indicus) ويسمى أيضاً (zebu)، والنوع الأهلي ويسمى (B Taurus)⁽⁹⁸⁶⁾، والفرق بينهما يتمثل في وجود السنام، فالأبقار الأهلية عديمة السنام وتتنمي إلى هذا النوع غالبية العروق التي نشأت في المناطق المعتدلة والمعتدلة الباردة، أما البقرة الهندية فهي ذات السنام، وتتنمي إليها كل العروق التي نشأت في المناطق الحارة وشبه الحارة. وتشير معطيات علم الحيوان القديم إلى أن الفصيلة البقرية كانت أصيلة في إفريقية وأواسط آسيا⁽⁹⁸⁷⁾، إلا أن انتقال بعضها إلى أوروبا والمناطق المعتدلة أدى إلى اكتسابها صفات جديدة نتيجة للانعزال الجغرافي وللظروف البيئية الجديدة⁽⁹⁸⁸⁾.

⁽⁹⁸²⁾ Tschudi Jolantha ., 1956, op.cit, p19 .

⁽⁹⁸³⁾ Karl Heinz Striedter., 1996, op.cit,p132.

⁽⁹⁸⁴⁾ Malika hachid., 1998, op.cit. p 167-168.

⁽⁹⁸⁵⁾ الأبقار هي حيوانات مجترّة من الثدييات من رتبة ذوات الظلف ومن جنس "بوس" Bos وهي تنتمي إلى نظام مزدوجات الأصابع، وقد ظهرت لأول مرة في البليوسين الأعلى ضمن الزمن الجيولوجي الثالث، ينظر :

Léon. Moret., 1948, Manuel de Paléontologie animale, Deuxième édition, . Masson et Cie, paris, p669

⁽⁹⁸⁶⁾ كان هذا النوع موجوداً في ما قبل التاريخ واستمر في التواجد إلى غاية العهد الميلادي، ينظر :

Ronan T Loftus et al ., 1994, op.cit, p2759

⁽⁹⁸⁷⁾ تعود أقدم الأبقار البرية إلى ما يقارب المليون سنة وهي النوع البري الذي يسمى الأرخص ويسمى Aurochs ، أما اسمه العلمي فهو Bos primigenius، ويفترض العلماء من جامعة أوصلو أنه نشأ من نوع قديم في الهند ، ثم انتقل إلى آسيا و أوروبا ، ينظر : <http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B1%D8%AE%D8%B5> تاريخ الزيارة 19-11-2014، الساعة 14:18

⁽⁹⁸⁸⁾ Ronan T Loftus et al ., 1994, op.cit, p2759

وفي الوقت الحالي توجد ثلاثة أنواع من الأبقار المستأنسة، هي: الأبقار ذات السنام ويدخل ضمنها النوع الهندي (B indicus) وهناك النوع المسمى (B primigenius) وهو ذو قرون طويلة ويوجد نوع آخر يدعى (B brachycères) وهو ذو قرون قصيرة ، وقيل بأن الأنواع المنتشرة اليوم في شمال إفريقيا و أوروبا تنتمي إلى (B taurus) (989) ، وكنتيجة لتزاوج تلك الأنواع ظهرت أنواع جديدة منها النوع الذي يعرب "بالسنغا" (sanga) الذي ينتشر في جنوب وشرق إفريقيا، وهناك نوع آخر في غرب إفريقيا يعرف "بأبقار الفولاني" (990) .

والمعلوم أن الأبقار المستأنسة قد انحدرت من أنواع برية، ومن أهم الأنواع البرية التي كانت متواجدة قديماً، نوع يدعى "الأرخص" (B taurus)، ولكن توجد أنواع أخرى من الأبقار البرية لا تزال موجودة اليوم ومنها: "الغور" Gaur ويسمى بـ (Bibos gaurus) وهو يعيش في مناطق الغابات الجبلية من الهند وبورما وتايلند والملايو، ونوع آخر يسمى "الغَيَال" (Gayal) ويسمى (Bileos frontalis) فهو صنف مدجن من الغور والبُنْطُج (Banteng) ويسمى بـ (B. sondaicus) (991)، كما يوجد نوع من الأبقار البرية يعيش في القطب الشمالي تسمى "أبقار المسك" وهي مغطاة بالشعر.

وبغض النظر عن الأنواع البرية الموجودة اليوم، فإنه بشكل عام كان هناك نوعين من الأبقار البرية موجودة على الأقل منذ نهاية البلايستوسان في بلاد المغرب وربما في وادي النيل والصحراء، النوع الأول وهو (bos primigenius) وهو ذو حجم كبير، والنوع الثاني هو النوع الإيبيري (Bas ibericus) (992). ومع نهاية الباليوليتي كان النوع الأول يعيش في آسيا و أوروبا وشمال إفريقيا، وقد عُثِرَ على بقاياها في العديد من المناطق في شمال إفريقيا منها في "هوافتيح"، أما في الصحراء فقد عُثِرَ عليه في عرق تيهوداين، كما عثر في مواقع أخرى على نوع آخر صغير الحجم يدعى (B. Opisthodomus) (993).

(989) Barbara E Barich., 1998 , op.cit, p 42.

(990) Alfred .Muzzolini , C .Agabi , E .Bernus., 1991 , " Boeuf Préhistoire " In : beni Isguen Bouzeis , encyclopedie berbere , n°10, Aix-En-Provence , Edisud , 'Décembre, . 1991 , p1547

(991) محمد النعمة ، البقریات، الموسوعة العربية ، المجلد الخامس ، ص219

http://www.arabency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=1816&m=1

(992) PL CARTER. et J.D CLARK., 1976, op.cit, p.492.

(993) هذا النوع موجود في بشمال إفريقيا فقط ، ينظر: Ronan T Loftus et al ., 1994, op.cit 2759

أما الأبقار الأيبيرية (B. Ibericus) فقد عُثر عليها في هوافتيح ضمن طبقة تعود إلى فترة قريبة من النيوليتي⁽⁹⁹⁴⁾، ويرجح أن تلك الأبقار البرية انتقلت من أوروبا وآسيا إلى إفريقيا في أواسط الهلوسان بشكل متزامن مع بداية عملية الاستئناس⁽⁹⁹⁵⁾.

وعندما بدأ الاستئناس في الشرق الأدنى في الحدود بين سوريا وتركيا في حوالي 7800 ق.م كان نوع الأبقار التي تم استئناسها هو النوع الألهي⁽⁹⁹⁶⁾ (B taur)، وفي مناطق أخرى من آسيا تم استئناس النوع الهندي (B indicus)، مع أن الأنواع البرية منه ضلت منتشرة في أوروبا وفي شمال إفريقيا وجنوب آسيا، وقد ظهرت في الفن الصخري الذي يعود للصيادين القدامى وكان لها دور في العبادة وفي الطقوس الدينية⁽⁹⁹⁷⁾.

وبغض النظر عن الأبقار البرية التي كانت موجودة سابقا، فإن السؤال المهم هو ما نوع الأبقار التي كانت موجودة في مرحلة البقرات ؟

في هذا الإطار يُجمع الباحثون على أن النوع الإفريقي كان موجودا في مرحلة البقرات⁽⁹⁹⁸⁾، وهو تميز بالقرون الطويلة التي تتخذ شكل قيثار⁽⁹⁹⁹⁾، أما النوع الإيبيري فقد وجد أيضا إلى جانب الأبقار الأفريقية⁽¹⁰⁰⁰⁾، مع بداية المرحلة الرعوية القديمة⁽¹⁰⁰¹⁾، وتدعي الباحثة عين سبع نجاة أن معظم الأبقار في الهوفا هي من النوع الإيبيري⁽¹⁰⁰²⁾، مع أن الأبقار الإفريقية واضحة في المشاهد بقرونها الكبيرة، ولإشارة فإن الأبحاث الأثرية أظهرت

⁽⁹⁹⁴⁾ Alfred Muzzolini, C. Agabi, E. Bernus., 1991, op.cit, p1547

⁽⁹⁹⁵⁾ Barbara E Barich., 1998, op.cit. p 42.

⁽⁹⁹⁶⁾ Ronan T. Loftus., et al., 1994, op.cit, 2759

⁽⁹⁹⁷⁾ Anders Gotherstrom Et Al., 2005, Cattle Domestication In The Near East Was Followed By Hybridization With Aurochs Bulls In Europe, Proceedings Of The Royal Society. B (2005) 272, P 2345

⁽⁹⁹⁸⁾ Barbara E Barich., 1998, op.cit, p 42, Gabriel Camps., 1988, op.cit, P218, Henri Lhote., 1976, Gravures ... Tome 1, P146, Jean-Loïc Le Quellec., 1998, Op.Cit. pp47- 48

⁽⁹⁹⁹⁾ Barbara E Barich., 1998, op.cit, P 42.

⁽¹⁰⁰⁰⁾ الأبقار الإسبانية Bos Ibericus هي أبقار صغيرة محلية في شمال إفريقيا موجودة في المواقع التي تعود إلى البالييتي، والإيبيري باليوليتي (العصر الحجري القديم المتأخر)، والنيوليتي، وكانت هي الحيوانات المفضلة للصيد، أنظر :

Gabriel Camps, Henriette Camps-Fabrer., 1972, Perspectives..., P24
ولكن تم استئناس هذا النوع وهو يظهر في المشاهد في شكل أبقار ذات قرون صغيرة وغليلة، ينظر:

Chritian Dubuy., 2007, op.cit, P30

⁽¹⁰⁰¹⁾ Huard Paul, Massip Jean-Marie., 1963, Op.Cit. P 472-474, Chritian Dubuy., 2007, op.cit, P30

⁽¹⁰⁰²⁾ Aïn Seba-Bouchekeal., 2001, Les Gravures Du Djebel Serkout : Contribution A La Prehistoire De L'ahaggar. These De Docteur De L'universite Paris I, Directeur De Thèse : Mme Ginette Aumassip, pp 237-238.

أن النوع الإيبيري ذو القرون القصيرة قد وجد أيضا في الصحراء الجنوبية، فقد عُثر على هيكل عظمي كامل لبقرة في "أدرار بوس" غرب التينيري وأرخ ب 5800 ق.م⁽¹⁰⁰³⁾، ولا يُعرف فيما إذا كانت تلك البقرة مستأنسة أم لا.

ومن الأنواع التي وجدت في مرحلة البقرات نوع يدعى (B brachycères) وفق ما يذكر هنري لوت⁽¹⁰⁰⁴⁾، مع العلم أن جون لوكيلاك يرى أن كل من النوع الإيبيري والنوع المسمى ب (B brachycères) لم يكونا موجودين في مرحلة البقرات، وأن هذا النوع الأخير خاصة لم يظهر في مصر إلا في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد، أما النوع الذي كان موجودا في الصحراء فهي (B primigenius) إلى جانب النوع الإفريقي⁽¹⁰⁰⁵⁾.

ويبدو أن (B Brachycères) بالفعل لم يظهر في مرحلة البقرات القديمة والوسطى لكنه ظهر متأخرا في البقرات الحديثة وفق ما يذكر الباحث برينوس E⁽¹⁰⁰⁶⁾ (bernus)، ويساند موزيليني هذا الرأي إذ يقول أن هذا النوع دُجن بشكل متأخر في الصحراء، وهو يُعرف اليوم على أنه أكثر الأنواع مقاومة للأمراض وأكثر إنتاجا للحليب، لذلك كان المفضل لدى الرعاة في البقرات الحديثة أكثر من الأنواع السابقة، لذلك فإن مشاهد الحلب والضروع الكبيرة للأبقار وجدت بكثرة في هذه المرحلة (اللوحة 24). وبخصوص الأبقار المستأنسة من نوع (B primigenius) فقد عُثر عليها في قرية الفيوم في مصر في النيوليتي⁽¹⁰⁰⁷⁾ ومن الممكن

أن هذا النوع من الأبقار كان موجوداً في الصحراء في النيوليتي، خاصة وأن سلفه البري كان موجوداً في كامل بلاد المغرب⁽¹⁰⁰⁸⁾، كما وجد في الصحراء الوسطى أيضا⁽¹⁰⁰⁹⁾.

⁽¹⁰⁰³⁾ Rudolf kuper ., 1978, op.cit, p116

⁽¹⁰⁰⁴⁾ Henri Lhote ., 1976, Gravures ... Tome 1, P146

⁽¹⁰⁰⁵⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 1998, Op.Cit, P47- 48

⁽¹⁰⁰⁶⁾ E. Bernus ., 1992, « Boeuf Préhistoire » , Encyclopédie Berbère, N° 10 ,Edisud, France ,pp 1548-1552

⁽¹⁰⁰⁷⁾ Alfred Muzzolini., 1983, op.cit, p51

⁽¹⁰⁰⁸⁾ وجد بومال هذا الحيوان ذو القرون المتجهة إلى الأمام في مواقع جزائرية عديدة وهو من نوع opisthomomus Bos ،ينظر :

A. POMEL., 1893, Bubalus antiquus, Alger, Publications du Service Géologique de l'Algérie. PL.IV

⁽¹⁰⁰⁹⁾ Rudolf kuper ., 1978, op.cit, p116

ومن خلال دراستنا للرسوم الصخرية فإنه يمكن التأكيد على أن هناك اختلاف في نوع الأبقار من مرحلة لأخرى ففي مرحلة البقرات القديمة كانت الأبقار الموجودة هي من النوع الإيبيري المستأنس (*B ibericus*)، والنوع الأهلي المستأنس (*B primigenius*)، وهي نفسها الأبقار البرية التي كانت متواجدة في بلاد المغرب ووادي النيل منذ العصر الحجري القديم المتأخر⁽¹⁰¹⁰⁾، وقد ظلت هذه الأبقار موجودة في النيوليتي في بلاد المغرب فقد ظهرت في الفن الصخري في الأطلس الصحراوي في عدة مواقع مثل كهف بوبكر بتيارت، وهي من نوع الأبقار التي لها قرون إلى الأمام⁽¹⁰¹¹⁾.

أما في مرحلة البقرات الوسطى فإن معظم الأبقار هي من النوع الإفريقي، وهي تظهر في المشاهد بلون مغرة حمراء وبقرن تشبه القيثارة، كما أنها حجمها متوسط، وقد وجدت بقاياها العظمية في مواقع الأكاكوس وخاصة في تاكاركوري⁽¹⁰¹²⁾، وقيل بأنها قدمت من الشرق مع الرعاة⁽¹⁰¹³⁾، بينما في مرحلة البقرات الحديثة وجدت الأنواع السابقة وأنواع أخرى قدمت من الشمال خصوصا نوع (*B brachycères*)، حيث عُثر على هذا الأخير في مدافن "الجرامنت" في فزان، مع العلم أن الجرامنت يتزامن وجودهم تقريبا مع مرحلة البقرات النهائية⁽¹⁰¹⁴⁾، كما عُثر في وان موهيجاج وأدرار بوس على أبقار أصغر حجما، حيث تعد بمثابة جنس متوسط بين الأبقار البرية الأوربية (*B ibericus*) والنموذج الحديث من الأبقار، كما اكتشفت أجناس أخرى أصغر حجما في موقع "ظهر تشيت" في موريتانيا وقد أرخت ب 1200 ق.م⁽¹⁰¹⁵⁾.

⁽¹⁰¹⁰⁾ P.L. CARTER. et J.D CLARK., 1976, op.cit, P 492.

⁽¹⁰¹¹⁾ Léone Allard-Huard ., 2000, Nil-Sahara Dialogues Rupestres L 'Homme Innovateur2, p18

⁽¹⁰¹²⁾ Allard-Huard Léone., 1983, op.cit.pp420-423

⁽¹⁰¹³⁾ Huard Paul, Massip Jean-Marie., 1963 , op.cit, pp 472-474

⁽¹⁰¹⁴⁾ Savino Di Lernia, Giorgio Manzi ., 2002, Sand, Stones, And Bones The Archaeology Of Death In The Wadi Tan ezzuft Valley (5000-2000 Bp) , The Archaeology Of Libyan Sahara Volume I , Arid Zone Archaeology, Monographs ,Edizioni All'insegna Del Giglio , p188.

⁽¹⁰¹⁵⁾ P.L CARTER. et J.D CLARK., 1976, op.cit. p.492

ثانيا - مرحلة البقریات في الطاسيلي :

أ- التعريف بمرحلة البقریات :

مرحلة البقریات هي المرحلة الثانية من الفن الصخري من حيث القدم في الرسوم والنقوش وهي تصنف بعد مرحلة الجاموس العتيق بالنسبة للنقوش الصخرية، وبعد مرحلة الرؤوس المستديرة بالنسبة للرسوم، ويمكن تعريفها على أنها كل المشاهد التي تظهر فيها الأبقار والأغنام والماعز في مشاهد الحياة الرعوية.

وقد أُستعمل مصطلح البقریات⁽¹⁰¹⁶⁾ لأول مرة على يد "تيودور منود" و"هنري بروي (H Brueil)" وهذا الأخير هو من أطلق هذه التسمية على الرعاة الذين نفذوا الرسوم الصخرية في منطقة الطاسيلي، ثم أطلقها "هنري لوت" على الثقافة التي سادت في المنطقة في تلك الفترة، والتي تجسدت في الفن الصخري وفي مختلف البقايا الحضارية خاصة الأدوات الحجرية والفخارية، مع العلم أن الباحثين قد اختلفوا حول إطارها الزمني أما صناعتها الحجرية فهي تتضمن أدوات مختلفة كان يستعملها الرعاة .

وتتميز هذه المرحلة بالرسوم والنقوش ذات الأسلوب الطبيعي الذي تظهر فيه صور الأبقار والرعاة بكثرة⁽¹⁰¹⁷⁾، وتظهر فيها الأبقار المستأنسة، أما الأبقار البرية فهي غير موجودة في الرسوم وفق ما يذكر هنري لوت⁽¹⁰¹⁸⁾، وتُمثل مرحلة البقریات النسبة الأكبر من مشاهد الفن الصخري إذ يزيد عدد مشاهدنا في الطاسيلي والهوقار عن 10 آلاف مشهد، وهي تتميز بصورها الصغيرة الحجم، فهي تتراوح عادة ما بين 10 و 30 سم، لكن الرسوم تختلف من منطقة لأخرى ومن أسلوب لآخر⁽¹⁰¹⁹⁾.

وتتميز مشاهد هذه المرحلة بالأسلوب الطبيعي حيث عبر الفنان على الواقع كما يبدو في الطبيعة، حيث رسم أبقاراً تمشي وعجولاً ترضع أمهاتها وأخرى تحك جلدها أو تتبول أو

⁽¹⁰¹⁶⁾ تعرف مرحلة البقریات في أبجديات الباحثين الإيطاليون باسم الرعوية pastoral ، وقد ذكره بولو كرازيوزي graziosi p لأول مرة سنة 1942 ثم ذكره فابريزيو موري سنة 1964 في الأكاكوس لتمييز مرحلة من الفن الصخري تلي مرحلة الرؤوس المستديرة ، ينظر :

Ginette Aumassip Et Al., 1994, Milieux Hommes Et Techniques Du Sahara Préhistorique . Problèmes Actuels. L'Harmattan, Paris, 1994 , P152

⁽¹⁰¹⁷⁾ Ginette. Aumassip., 1993, op.cit.P21

⁽¹⁰¹⁸⁾ Henri. Lhote., 1976, gravures ..., P 769

⁽¹⁰¹⁹⁾ Christian Dupuy., 2007, op.cit, p32

تتناطح...، وإلى جانب الأسلوب الطبيعي يوجد أسلوب شبه طبيعي خاصة في المرحلة القديمة التي شهدت بداية الاستئناس، والتي كانت متأثرة بمرحلة الرؤوس المستديرة المعاصرة لها، ومن المشاهد ذات الأسلوب شبه الطبيعي نذكر مشاهد السحرة والأشخاص الأسطوريين الذين يظهرون برؤوس حيوانات وكذلك بعض المشاهد الجنسية، ومشاهد النساء في وضع الولادة .

وقد تميزت هذه المرحلة أيضا بتعدد بشري فقد وجد فيها الزوج بكثافة في المرحلة القديمة والوسطى ولكن وجدت إلى جانبهم أجناس أخرى منهم الملونين ومنهم البيض، أما في المرحلة الحديثة من البقرات فقد تميزت بالجنس الأبيض حيث تقلص وجود الزوج والسود بشكل كبير .

أما من حيث الزمن فقد استمرت مرحلة البقرات طويلا حيث امتدت من بداية استئناس الأبقار فيما بين الألف السادسة والخامسة قبل الميلاد إلى غاية اشتداد الجفاف في المنطقة وتحولها إلى صحراء في الألف الأولى قبل الميلاد، وفي الفترة الأخيرة من الحياة الرعوية شحت الموارد وازدادت الصراعات بين المجموعات البشرية على الموارد المتبقية، وربما استمر الرعاة في التواجد إلى غاية القرون الأولى قبل الميلاد فقد عاصر هيرودوت بعضهم، ولكن معظم المظاهر الحضارية قد اختفت قبل هذه الفترة، ومن المفترض أن الرعاة قد عاشوا في الطاسيلي والهوقار لفترة تقارب 5000 آلاف سنة (1020).

إلا أن تلك الفترة الطويلة رغم أنها شهدت ازدهارا كبيرا في الحياة، إلا أنها شهدت انقطاعات متفاوتة المدة، من المفترض أن الصحراء حيث تعرضت للجفاف أكثر من مرة ، مما أجبر الناس على الهجرة، وقد نتج عن ذلك تعاقب حضارات وشعوب عديدة، وتركت كل الشعوب التي سكنت فيها بصماتها في الفن الصخري، لذلك جاء الفن الصخري متنوعاً فالأساليب الفنية تمثل المجموعات المختلفة التي تعاقبت على المنطقة.

ونظراً لتنوع الأساليب الفنية وما صاحبها من تنوع ثقافي وعرقي فإن الحياة الرعوية يمكن تقسيمها إلى عدة مراحل، وخاصة يمكن تمييز ثلاثة مراحل هي على التوالي: البقرات

(1020) حول الفترة الزمنية التي شغلها مرحلة البقرات، ينظر :

Henri Lhote., 1979, Au Sahara, il y a 5000 ans, une civilisation de pasteurs de bœufs, Archéologia, n°129 , pp 51-57

القديمة والوسطى والحديثة، وكل منها تختلف عن الأخرى من الناحية المناخية والاقتصادية والثقافية والأنثروبولوجية.

ومن خلال الدراسات التي تمت في مختلف المواقع الأثرية تبين أن الألف الخامسة قد شهدت ازدهار الحياة الرعوية في كل مكان، لكن بداية الحياة الرعوية قد تكون في فترة أقدم من ذلك، وهذا ما شهدناه في العديد من المواقع الأثرية كتين هناكتن و"أمكني" و لاوني، وفي وان موهيجاج و"تين تورها"، ومن المرجح أنها لم تنتشر على نطاق واسع في البداية، والسبب في التحول إلى الاستئناس في رأينا يتلخص في أمرين:

الأمر الأول يتمثل في التطور الذي وصلت إليه جماعات الصيادين بعد اكتشافها للفخار مبكراً، وهو ما أدى إلى نوع من الاستقرار مما سمح بمحاولات تدجين الحيوانات وبالزراعة أيضاً، وهذا ما لاحظناه في مشاهد الفن الصخري التي تعود للصيادين.

أما الأمر الثاني فيتمثل في التحول المناخي نحو الجفاف فبعد الرطوبة الكبيرة التي شهدتها الهلوسان المبكر، حدثت مراحل جافة قصيرة المدى حدث فيها تناقص كبير في حيوانات الصيد، وقد تمكن الإنسان من تدجين الحيوانات في محاولة منه للتأقلم مع الظروف الجديدة وتوفير الغذاء بشكل دائم، وقد لاحظنا أن الإنسان حاول دائماً التأقلم مع الظروف المناخية ليتمكن من البقاء، فعندما اشتد الجفاف في الصحراء في نهاية النيوليتي اكتشف الإنسان طرق للري تمثلت في قنوات تحت الأرض تعرف باسم "الفقارات" (1021).

وإذا أخذنا في الحسبان مختلف المعلومات والتواريخ التي جمعت من طرف الباحثين فيما يخص البقايا الأثرية التي تعود للرعاة، وكذلك التواريخ التي جمعت حول بقايا الأبقار المستأنسة، بالإضافة إلى معطيات علم المناخ القديم حول التغيرات المناخية التي مرت بها الصحراء، ومختلف المعطيات الحضارية التي تخص هذه المرحلة، فإن بداية الحياة الرعوية في الطاسيلي كانت في 6000 ق.م ونهايتها كانت في حوالي 1000 ق.م، وهذا التاريخ الذي نقترحه قد لا يكون ثابتاً في جميع الأماكن، فمن المفترض أن حياة الصيد ضلت ممارسة في الكثير من المناطق، خاصة المناطق الجبلية من الطاسيلي والهوقار.

(1021) للمزيد من المعلومات حول الفقارات، ينظر :

Boualem Remini ,Bachir Achour et Rabah Kechad., 2010, La foggara en Algérie: un patrimoine hydraulique mondial », Revue des sciences de l'eau / Journal of Water Science , vol 23 , 2 .n°2 , pp105-117

وهذه المرحلة الزمنية الطويلة تُترجم في المواقع الأثرية بطبقات من المستودعات الأثرية التي تفصل بينها طبقة من الحصباء أو الرمال الخشنة أو طبقات رملية وهي تمثل ترسبات لفترات الجافة التي تخللت هذه المرحلة، وفي الزمن الذي يتوافق مع هذه الترسبات تراجعت الحياة الرعوية وهُجرت العديد من المواقع .

ومن المواقع الهامة التي نعتمد عليها في دراستنا للحياة الرعوية موقع تين هناكتن بالطاسيلي وأمكاني بالهوقار، ومواقع الأكاكوس كوان موهيجاج وتين تورها ، أما بالنسبة لتين هناكتن فتعود بداية الحياة الرعوية فيه إلى حوالي 5300 ق.م مع أنها قد شهدت انقطاعات، فمن الممكن أن الموقع قد هُجر في الفترات الجافة، بينما في أمكاني لوحظ حدوث انقطاعات في الطبقات الأثرية إذ توجد ثلاث مستويات تفصل بينها ترسبات من الرمال أو الحصباء، حيث المستوى القديم يعود إلى منتصف الألف السادسة قبل الميلاد، وقد استمر استيطان الموقع لثلاثة آلاف من السنين، كما أظهرت الأبحاث في موقع "أبوليج" (Abouleg) بالهوقار وجود ثلاث مستويات تعود كلها للنيوليتي (1022).

أما في وان موهيجاج فقد أظهرت الدراسات الإيطالية وجود ثلاثة مستويات في هذا الموقع تعود كلها للحياة الرعوية، بينما في "وان تلوكت" و"تين تورها" أظهرت الأبحاث وجود أربعة مراحل كل منها عرفت ثقافة مختلفة زمنيا لكن تفصل بينها فترات جفاف وقد كانت بالتوازي تنتج الفخار وتربي الأبقار (1023) .

ومما سبق يتضح لنا أن الحياة الرعوية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مراحل (1024) وكل من هذه المراحل لها خصائص معينة، وقد كان فابريزيو موري هو أول من وضع هذا التقسيم، وسانده في ذلك الكثير من الباحثين ومن أشهرهم سافينو دي لارينيا (1025)، بينما يقسم بعض

(1022.) Ginette Aumassip ., 2001, pp138-143

(1023) Barbara E. Barich., 1987, op.cit,pp331-340

(1024) Ginette Aumassip., 2001, Op.Cit.P143, Savino Di Lernia , Isabella Massamba N'siala , Anna Maria Mercuri., 2012, op.cit ,P 1841, M. Cremaschi , S. Di Lernia., 1999, Holocene Climatic Changes And Cultural Dynamics In The Libyan Sahara, African Archaeological Review, Vol. 16, N° 4, 1999, P214

(1025) يعد هذا الباحث من أشهر الباحثين الإيطاليين وله أبحاث كثيرة حول الفن الصخري والمناخ القديم في الصحراء، ينظر:

Savino Di Lernia ., 2002, Dry Climatic Events And Cultural Trajectories: Adjusting Middle Holocene Pastoral Economy Of The Libyan Sahara. In: Hassan, F. (Ed.), Droughts, Food And Culture. Kluwer Academic/Plenum Publishers, New York, Pp. 225-250.
Savino Di Lernia, D Zampetti., 2008, La Memoria Dell'Arte. Le Pitture Rupestri Dell'Acacus Tra Passato E Futuro. All'Insegna Del Giglio, Firenze.

الباحثين الإيطاليين الحياة الرعوية في المنطقة إلى أربعة مراحل: قديمة، وسطى، حديثة، ومتأخرة⁽¹⁰²⁶⁾، ومن المفترض كل تلك المراحل تواجدت فيها مجموعات وأجناس مختلفة، وأن كل مرحلة وأخرى تفصل بينهما فترة جافة، فالإنسان كان يستجيب للتغيرات المناخية فقد حدثت عمليات تعمير وهجرة في عدة مناسبات .

وللإشارة فإن من الباحثين من يقسم الحياة الرعوية إلى مرحلتين يفصل بينهما فاصل زمني سببه الجفاف⁽¹⁰²⁷⁾، ويشير ألفرد موزيليني هنا إلى أربعة أساليب فنية وجدت في المشاهد وهي على التوالي، أسلوب " صفار - أوزنياري"، وأسلوب "أبانيورا"، وأسلوب إهرن- تاهيلاهي و" تين أنويين"⁽¹⁰²⁸⁾، ومن جهته ركز هنري لوت على الأساليب الفنية في تعريفه لمرحلة البقریات، فقد ذكر أسلوبين أحدهما متطور والآخر متدهور، وتعود بداية مرحلة البقریات حسب هذا الباحث إلى ما بين 5500 و5000 ق.م⁽¹⁰²⁹⁾.

ولعل طول المدة الزمنية التي عاشها الرعاة في الطاسيلي والتي قاربت 5000 سنة وتعدد المشاهد وإنتمائها إلى فترات زمنية مختلفة وإلى شعوب وقبائل مختلفة هو الذي جعل الباحثين يختلفون في تحديد الأساليب الفنية والمشاهد التي تنتمي إلى مرحلة البقریات، لا تزال الكثير من المسائل العالقة فيما يخص تصنيف الفن الصخري، إذ أن هناك العشرات من المشاهد التي لم تصنف بعد، كما أن بعضها اختلف الباحثون في وضعها ضمن هذه المرحلة أو تلك أو اعتبارها قديمة أو حديثة، وهناك مسائل أخرى تتعلق بمرحلة ذوي الرؤوس المستديرة وعلاقتها مع مرحلة البقریات⁽¹⁰³⁰⁾.

⁽¹⁰²⁶⁾ Mary Anne Tafuri Et Al., 2006 , Op.Cit.P 392, Barbara E Barich., 1987, pp331-340

⁽¹⁰²⁷⁾ Alfred Muzzolini., 1991, Masque ..., P27

⁽¹⁰²⁸⁾ Alfred Muzzolini., 1995, Op.Cit, P125

⁽¹⁰²⁹⁾ Ginette Aumassip., 2006, Stratigraphie Et Art Rupestre, Mém. Serv. Géol. Nation. N°13 , p243

⁽¹⁰³⁰⁾ وفقا للأبحاث التي قام بها بونتي R PONTI في الأكاكوس والتي قام فيها بتزمين مواقع "تين تورها" و"قوزيجارن"، أظهرت النتائج تعاقب للرؤوس المستديرة والبقریات في نفس الفترة، كما أن أقدم الرسوم في ملجأ تين تورها تعود للبقریات القديمة وليس إلى الرؤوس المستديرة وهي ما بين 5300 و 4860 قبل الميلاد، ثم تلتها مرحلة الرؤوس المستديرة، تليها مرحلة رعوية ثم مرحلة ثانية للرؤوس المستديرة ، مما سبب غموضا كبير وطرح الكثير من التساؤلات حول تصنيف الفن الصخري ، ينظر :

R .PONTI, M. Sinibaldi., 2005, Direct dating of painted rock art in the Libyan Sahara, Sahara 16, pp162-164

وهنا يذكر الباحث هنري هوجو أن مرحلة الرؤوس المستديرة متزامنة مع البقریات⁽¹⁰³¹⁾، ويبدو أن رسوم ذوي الرؤوس المستديرة تمثل مجموعات عرقية من الصيادين كانت تعيش في زمن واحد مع الرعاة، لكن من المرجح أن هؤلاء كانت لهم معتقدات وثقافات مختلفة عن الرعاة حيث سادت بينهم خصوصاً معتقدات روحانية.

والمعلوم أن الأبقار المستأنسة وجدت لدى مجموعات الرؤوس المستديرة، كما أن الأقنعة والشخصيات النصف إنسانية والمشاهد السحرية التي كانت معروفة في الرؤوس المستديرة وجدت أيضاً لدى الرعاة، لذلك فإن المجموعتين كانتا متقاربتين من الناحية الفنية ما عدا في بعض الأساليب التي تعتبر خاصة بمرحلة الرؤوس المستديرة مثل "الآلهة العظمى" في صفار و"المريخين" في جبارين، ومشاهد الصيد والرأس المستدير الخاصة بالرؤوس المستديرة، بينما يتميز الرعاة بالقطعان الكبيرة والأبقار المبهرجة بالزينة .

والجدير بالذكر أن بعض الأساليب نجدها مشتركة بين مرحلة الرؤوس المستديرة ومرحلة البقریات مثل أسلوب "وان أميل" الذي صنّفه فابريزيو موري ضمن المرحلة الأخيرة من الرؤوس المستديرة في الأكاكوس ولكنه ينتمي أيضاً إلى البقریات، كما أضاف فابريزيو موري أسلوباً جديداً للبقریات هو أسلوب رعاة "وان تابو"⁽¹⁰³²⁾، أما موزيليني فيضع أسلوب "إهرن" ضمن البقریات الحديثة وفي نفس الوقت في مرحلة الرؤوس المستديرة النهائية المتزامنة معها⁽¹⁰³³⁾.

ومن المشاكل الأخرى التي نصادفها في دراسة الفن الصخري هو عدم وجود معيار محدد للفصل بين المراحل الفنية خاصة بين البقریات والجاموس العتيق والرؤوس المستديرة، فرغم أن هنري لوت اعتمد على ظهور واختفاء الحيوانات في المشاهد وكذلك نوع الأسلوب من أجل التصنيف إلا أنه أقر أن صور الجاموس العتيق ظلت موجودة في فن البقریات والرؤوس المستديرة، بينما اعتمد فابريزيو موري على درجة القدم من خلال الزنجرة، أما جون لاجو (jean Dominique lajoux) فقد اعتمد على نوع الحيوان الممثل، وهناك من اعتمد على نشاطات الإنسان مثل "إيمانويل أناتي" و"سانسوني" اللذان قاما بتصنيف الفن إلى صيادين ورعاة وركبوا الحصان والعربة ثم الجمل .

⁽¹⁰³¹⁾ H . J . Hugot., 1974, Op.Cit.pp 40-41

⁽¹⁰³²⁾ Yves Gauthier ., 2007, Sous Zone 4 , Libye –Egypt- Nord De Sudan , ICOMOS , P108

⁽¹⁰³³⁾ Alfred Muzzolini., 1991, op.cit, pp30-31.

ومن جهة ثانية لاحظنا أن الكثير من الباحثين ومن بينهم جينات أوماسب (G. Aumassip)، وإيمانويل أناتي (E. Anati)، أومبرتو سانسون (U. Sansoni)، وفابريو موري (F. Mori)، و ج لوتز (G. Lutz) و كارل سترايد ونجيب فرحات يضعون الأبقار المزينة والتي تدلى منها زوائد أو نوط وقلائد، والتي عليها سرج ضمن مرحلة الجاموس العتيق، مع أن مثل هذه الصور تدل على محاولات استئناس مبكرة⁽¹⁰³⁴⁾، وكان هنري لوت نفسه قد صنفها ضمن الفترة المتأخرة من مرحلة الجاموس العتيق⁽¹⁰³⁵⁾، بينما يصنفها لوكلاك ضمن البقریات، علما بأن عدد الأبقار في المشاهد يزيد عن 180 بقرة⁽¹⁰³⁶⁾.

ومن جهة ثانية يعتقد كثيرون أن الرسوم الصخرية لا علاقة لها بالنقوش وأن كل منهما تمثل عالماً مختلفاً عن الأخرى، لكن الأمر بالنسبة لنا يتعلق فقط بتعدد ثقافي وعرقي حيث أن مجموعات احترفت الرسوم بينما عرفت مجموعات أخرى النقوش، كما أن الأمر يتعلق أيضاً بالطبيعة التضاريسية للمنطقة، فبعض المناطق لا تسمح بتنفيذ الرسوم نظراً لطبيعة الصخور فيها أو عدم توفر الملاجئ التي يمكن أن تحفظ الرسوم من عوامل الطبيعة، فقد اندثرت نسبة كبيرة من الرسوم في الهوقار بسبب عدم وجود ملاجئ صخرية تحميها كما في الطاسيلي.

وبالنسبة لنا فإن مرحلة البقریات تشمل مشاهد الرسوم والنقوش في الطاسيلي ووادي جرات والهوقار والأكاكوس وهضبة المساك، ووفق لما توصلنا إليه فإنه من الواضح بالنسبة لنا أن الحياة الرعوية تنقسم إلى ثلاثة فترات زمنية تتميز كل واحدة منها بخصائص وأساليب فنية معينة، ووفق لذلك فإن أسلوب صفار الذي ذكره ألفرد موزيليني يمثل أفقا فنيا لجزء من البقریات القديمة، وكذلك الأمر بالنسبة للبقریات الوسطى مع أسلوب أبانيورا، والأمر نفسه بالنسبة لأسلوب إهرن تاهيلاهي في البقریات الحديثة، وذلك نظرا لوجود أساليب فنية أخرى لم يتطرق لها موزيليني.

⁽¹⁰³⁴⁾ Jean-Loïc Le Quellec ., 2008, « chasseurs » et « pasteurs » au sahara central : les « chasseurs archaïques » chassés du paradigme, **palethnologie** 2008. 1, p405

⁽¹⁰³⁵⁾ Henri Lhote ., 1976, gravure ..., p790

⁽¹⁰³⁶⁾ Jean-Loïc Le Quellec ., 1997, Commentaire A La Note De Nadjib Ferhat, Karl Heintz Striedter et Michel Tauveron , Une limite ante quem pour Part bubalin du Sahara central, Conte Rendu Acaditmie des sciences , Paris, Sciences de la terre et des planetes / Earth & Planetary Sciences, 1997, 325, pp1011-1012

ب- الاطار الزمني لمرحلة البقريات :

اعتمد الباحثون على تواريخ الراديوكربون التي جمعت في مختلف المواقع لتحديد الزمن الذي أنجز فيه الفن الصخري، ولكن معظم التواريخ التي قُدمت تحتاج إلى إعادة تدقيق ، لأن الكثير منها عبارة عن تخمينات وبعضها يفتقر إلى الأساليب العلمية، كما أن معظم التواريخ التي جمعت في المنطقة تعود إلى فترة الستينات، ونتيجة لذلك فقد اختلفت الآراء حول الاطار الزمني للمرحلة الرعوية .

- إطار زمني قصير: يعد ألفرد موزيليني من القلائل الذين وضعوا إطار زمني قصير للفن الصخري، فبالنسبة له تعود أقدم الرسوم إلى 4000 ق.م وهي رسوم مرحلة الرؤوس المستديرة⁽¹⁰³⁷⁾، مما يعني أن مرحلة البقريات تعود حسب الباحث إلى زمن متأخر، وهو يعتمد بصفة خاصة على معيار مناخي، فالفن بالنسبة له بدأ مع نهاية الجفاف الذي حدث في أواسط الهلوسان في حوالي 5000 ق.م وهي الفترة التي بدأ بها النيوليتي في الصحراء وفق هذا الباحث، أما تدجين الأبقار فقد حدث لاحقاً، ولم يكن موزيليني هو الوحيد الذي اقترح زمناً قصيراً للفن في الصحراء، إذ أن ريموند فوفري كان قد ذكر أن الفن الصخري لا يزيد عمره عن 4000 سنة⁽¹⁰³⁸⁾ .

- إطار زمني متوسط: يضع أصحاب هذا الرأي بداية مرحلة البقريات فيما بين 5000 ق.م و 4000 ق.م ويعد هنري لوت من أهم الباحثين الذين تبناوا هذا الاطار الزمني، وذلك اعتماداً على تواريخ استخراجها من مواقع حجرية عثر عليها في موقعين مهمين هما صفار وجبارين⁽¹⁰³⁹⁾، فبقايا الأبقار في موقع جبارين أعطت تاريخاً يقدر ب 300 ± 3470 قبل الميلاد، أما في صفار فقد أعطت تاريخ يقدر ب 300 ± 3020 قبل الميلاد⁽¹⁰⁴⁰⁾، وقد أثارت هذه التواريخ شكوك الكثير من الباحثين من حيث صحتها⁽¹⁰⁴¹⁾ .

وفي هذا الاطار قامت الباحثة "دولابريس" بدراسة بقايا موقد كان قد استخرجه هنري لوت في ملجأ تيغاس نيلياس (Titeghastn- Elias) الذي يعود لمرحلة الرؤوس المستديرة،

⁽¹⁰³⁷⁾ Jean-Loïc Le Quellec ., 2010, op.cit. p49.

⁽¹⁰³⁸⁾ Ginette Aumassip., 2006, op.cit.p247

⁽¹⁰³⁹⁾ Nagette Ain-Seba-Bouchekal ., 2001 , op.cit, P195

⁽¹⁰⁴⁰⁾ Ibid, P187

⁽¹⁰⁴¹⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 2013, Périodisation ..., p14

وحصلت على تاريخ قديم جداً يقدر ب7030 ق.م مما يعني على أن مرحلة البقريات أقدم مما كان يتوقع هنري لوت ⁽¹⁰⁴²⁾، أما بالنسبة للباحث جون لوكلاك (Le Quellec) فيرى أن مرحلة البقريات كانت بين 5000 و1000 ق.م ⁽¹⁰⁴³⁾، ويعتقد هذا الباحث ⁽¹⁰⁴⁴⁾ أن ما أُعطي من تواريخ قديمة للفن الصخري مجرد تقديرات لا تستند على أدلة أثرية أو تواريخ مطلقة ⁽¹⁰⁴⁵⁾، ومن جهته يرى جون جيلينيك " أن البقريات تعود إلى النيوليتي الأوسط والحديث أي أن بدايتها كانت في حدود 5000 ق.م ⁽¹⁰⁴⁶⁾ .

أما كريستيان دوبي فيضع بداية مرحلة البقريات في الألف الخامسة قبل الميلاد بالنسبة للرسوم في الطاسيلي، وأقدم من ذلك بالنسبة للنقوش أي في حدود 6000 ق.م، وتستمر إلى بداية الألف الثالثة قبل الميلاد ⁽¹⁰⁴⁷⁾، وأما "إيف فوتي" فيحدد بداية الأفق الزمني للطور الرعوي بين 5000 و4000 قبل الميلاد ويشير إلى أنها قد تكون أقدم من ذلك ⁽¹⁰⁴⁸⁾ .

بينما يضع كل من "دافيد كولسون" و"ألاك كلومبال " الحياة الرعوية في الطاسيلي بين 5200 و1000 قبل الميلاد ⁽¹⁰⁴⁹⁾، ونحو ذلك ما ذهب إليه مليكة حشيد ⁽¹⁰⁵⁰⁾، أما أندرو سميث فيضع الرسوم الأولى لمرحلة الرؤوس المستديرة في 5000 قبل الميلاد، أما مرحلة العربة فقد وضعها مع نهاية فترة الهكسوس في مصر أي حوالي 1350 قبل الميلاد، بينما تقع مرحلة البقريات بينهما ⁽¹⁰⁵¹⁾ .

⁽¹⁰⁴²⁾ G .Delibrias , . M T Guillier, J Labeyrie., 1966, Gif Natural Radiocarbon Measurements II, Radiocarbon, New Haven, 8, 1, 1966, p87

⁽¹⁰⁴³⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 2013, Périodisation ..., p14

⁽¹⁰⁴⁴⁾ ينتقد جون لوكلاك تقديرات الكثير من الباحثين حول الفن الصخري خاصة فابريزيو موري وسترايدر ونجيب فرحات ، وهو يرى أنها لم تقم على أساس علمي، حول أراء لوكلاك ، ينظر :

Jean-Loïc Le Quellec ., 1997, Commentaire A la note de Nadjib Ferhat, Karl Heintz Striedter et Michel Tauveron ,Une limite ante quem pour Part bubalin du Sahara central , C. R. Acad. Sci. Paris., Tome 324, serie 2a, 1997 ,pp .57-77, compte rendu d'Académie des Sciences de la terre et des planetes / Earth & Planetary Sciences , n° 325, 1997,pp1010-1011

⁽¹⁰⁴⁵⁾ Jean-Loïc Le Quellec ., 2007, Alors ,quoi de neuf depuis l'an 2000 Notes de lecture , Les Cahiers de l'AARS.,2007 ,11,p 169

⁽¹⁰⁴⁶⁾ Jan, jeliensk., 2004, op.cit. p50

⁽¹⁰⁴⁷⁾ Christian Dupuy ., 2007, op.cit, p31

⁽¹⁰⁴⁸⁾ Yves & Christine Gauthier ., 2006, op.cit. p80

⁽¹⁰⁴⁹⁾ David Coulson and Alec Campbell ., 2010, Rock Art of the Tassili n Ajjer, Algeria, Scandinavian Society for Prehistoric Art , Adoranten 2010, p29

⁽¹⁰⁵⁰⁾ Ginette Aumassip., 2006, op.cit, p243

⁽¹⁰⁵¹⁾ Androw Smith., 2004, op.cit, P 45.

أما بالنسبة لبول هاورد فإن مرحلة الجاموس العتيق والتي يسميها " الفن الطبيعي الصروحي" في وادي جرات كانت بين 6000 و 5000 ق.م، مما يعني أن البقريات تكون أحدث من هذا الزمن⁽¹⁰⁵²⁾، ومن جهتها ترى الباحثة" ماري آن تافوري" أن المرحلة الرعوية الأولى وتقصدها البقريات القديمة كانت بين 5000-4300 ق.م ⁽¹⁰⁵³⁾.

ومن جهة أخرى أظهرت دراسات حديثة قام بها العديد من الباحثين ضمن ما عرف ب المشروع الجزائري -الفرنسي لتزمين الفن الصخري، أن لبداية استيطان الطاسيلي كان في 6000 ق.م، وذلك اعتمادا على دراسة مجموعة قليلة من المشاهد الواقعة في المناطق الجبلية، وخلص الباحثون أيضا إلى أن المجموعات الأولى قد استقرت في حوالي 5000 ق.م في كل من "صفار" و "تان زوميتاك" ⁽¹⁰⁵⁴⁾.

وهذا يعني أن مرحلة البقريات قد تكون بعد هذا الزمن، ولكن في رأينا أنه لا يمكن التعميم على كل مناطق الطاسيلي، فالمناطق المفتوحة مثل سهل أدمر ومنطقة تين هناكتن قد تكون الحياة الرعوية فيها قد انتظمت منذ زمن بعيد، وكان الباحثون في هذا المشروع قد أقرروا باستحالة تزمين الفن الصخري، لذلك لجئوا إلى دراسة المستودعات الأثرية في تلك المواقع المذكورة ⁽¹⁰⁵⁵⁾.

- إطار زمني طويل: تبني بعض الباحثين إطاراً زمنياً طويلاً يعود ببداية الفن الصخري في الصحراء إلى البلايستوسين النهائي أو على الأقل إلى الهلوسان المبكر، ومن هؤلاء الباحثين: فابريزيو موري (F Mori) الذي أكد أن أقدم الرسوم تعود إلى البلايستوسين النهائي⁽¹⁰⁵⁶⁾، وبالتالي ووفقا لذلك فإن مرحلة البقريات قد تعود بدايتها إلى أكثر من 6000 ق.م ⁽¹⁰⁵⁷⁾.

⁽¹⁰⁵²⁾ Paul Huard, Jean-Marie Massip ., 1963, Gravures rupestres du Tibesti méridional et du Borkou, Bulletin de la Société préhistorique française, Année 1963, Volume 60 ,N° 7 ,p 468.

⁽¹⁰⁵³⁾ Mary Anne Tafuri et al ., 2006, op.cit, p 392.

⁽¹⁰⁵⁴⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 2013, Périodisation ..., p18

⁽¹⁰⁵⁵⁾ للمزيد من التفاصيل حول عملية التزمين في الطاسيلي، ينظر: - Malika Hachid et al ., 2012, op.cit, p71-

⁽¹⁰⁵⁶⁾ حول آراء فابريزيو موري ومقترحاته بخصوص الاطار الزمني للفن الصخري ، ينظر:

Fabrizio MORI., 1971, Proposta per un'attribuzione alla fine del Pleistocene delle incisioni della fase più antica dell'arte rupestre sahariana, Origini V, pp7-20.

⁽¹⁰⁵⁷⁾ Nagette Ain-Seba-Bouchekeal ., 2001, op.cit. P195

وقد تبنى هذا التصنيف أيضا كل من ميشال توفّر (M Tauveron) وجينات أوماسب (Ginette Aumassip) وستاريدر (Striedter) ⁽¹⁰⁵⁸⁾، بينما الباحثة "إلينا فارسيا" تقول أن البقريات القديمة بدأت في 5800-6800 قبل الميلاد في الأكاكوس عامة، وفيما بين 6000 و 5350 ق.م في ملجأ "وان تالوكت" و"وان موهيجاج" ⁽¹⁰⁵⁹⁾، أما كل من ريدجي وقابريل لوتز (rudiger et gabrial lutz) فيضعان بداية الفن الصخري ب 10000 ق.م وأعطوا له اسم فن الصيادين الأوائل أو مرحلة الحيوانات البرية في هضبة المساك ⁽¹⁰⁶⁰⁾.

وهناك من الباحثين من يرى أن الفن الصخري الصحراوي يصل إلى البلايستوسين الأعلى، ومن أصحاب هذا الرأي الباحثة الإيطالية "مارينا لاباسيولو" (M Lapacciolu) حيث اعتبرت أن أقدم النقوش والرسوم في الأكاكوس تعود إلى البلايستوسين الأعلى بين 38 ألف و 18 ألف سنة قبل الميلاد ⁽¹⁰⁶¹⁾، أما "نجاة عين سبع" فتعتبر أن مرحلة الجاموس العتيق تعود إلى أكثر من 20.000 سنة، مما يعني أن البقريات تعود حسب هذه الباحثة إلى بداية الهلوسان على الأقل، ومن جهته يرى ميشال توفّر أن النقوش والرسوم تعود إلى أكثر من عشرة آلاف سنة وأن أقدمها تعود إلى 14 ألف سنة ⁽¹⁰⁶²⁾.

أما الباحثة جينات أوماسب فتري أن أقدم النقوش تعود إلى أواخر البلايستوسان، وقد ذكرت موقع "تيدوناجي" المتواجد في تادرارت الجنوبية على أنه يمثل النقوش الأقدم في المنطقة، بينما تعود نقوش مرحلة البقريات حسب هذه الباحثة إلى 5500 قبل الميلاد ⁽¹⁰⁶³⁾.

⁽¹⁰⁵⁸⁾ Ginette Aumassip ., 1993, Op.Cit.P4, Jean Loic Le Quellec ., 1998, Op.Cit. Pp166-167.

⁽¹⁰⁵⁹⁾ Elena Garcea, A.A. & R. Sebastiani., 1998, Middle and Late Pastoral Neolithic from the Uan Telokat rockshelter, Tadrart Acacus (Libyan Sahara). » In: Mauro Cremaschi & Savino Di Lernia [eds.], Wadi Teshuinat : palaeoenvironment and prehistory in south-western Fezzan (Libyan Sahara). Milano : C.I.R.S.A. / CNR, p. 201-216 (Quaderni di Geodinamica alpina e Quaternaria ; 7), p213

⁽¹⁰⁶⁰⁾ Rudiger And Gabriel Lutz., 1994, Rock Engravings From The Messak Settafet, Libya. Exploration Of The Western Tributary Of Wadi Tilizzaghen .Sahara6 , pp48-5

⁽¹⁰⁶¹⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 1998, op.cit. p167.

⁽¹⁰⁶²⁾ Michel Tauveron, & Ginette Aumassip., 2001, Y A-T-il Un Art Paléolithique Au Sahara? L'art Paléolithique A L'air Libre - Le Paysage Modifié Par L'image. Actes Du Colloque International, Tautavel- Campôme, 7-9 Octobre 1999, Umr 5590 Cnrs, Laboratoire De Préhistoire, Université De Perpignan, Groupe Audois D'études Préhistoriques Et Geopre, Dominique Sacchi Ed., Perpignan, 2002, p 243

⁽¹⁰⁶³⁾ Ginette Aumassip et al ., 2001, Promenade au tassili Azjer. ANEP / Association Les Amis du Tassili.p81, fig58

ولعل إعادة الفن الصخري القديم إلى البلايستوسان قد يصطدم بالمعطيات المناخية التي تؤكد وجود مرحلة مناخية جافة قبل الهوسان⁽¹⁰⁶⁴⁾، أما بالنسبة للهولوسان المبكر فإن وجود الحضارة "الاونانية" التي تعود إلى العصر الحجري القديم المتأخر ، وما قيل حول صمود العاتريين في بعض المناطق الرطبة في الصحراء الوسطى والجنوبية إلى الهولوسان قد تدعم هذه الآراء،⁽¹⁰⁶⁵⁾.

ومن خلال استعراضنا للآراء السابقة وبالاكتفاء على تواريخ الراديو كربون التي جمعت حول بقايا الأبقار والتي تتراوح تقريبا بين حوالي 6000 و 4000 ق.م، فإننا نرى أن بداية مرحلة البقرات في الصحراء الوسطى كان في حوالي 6000 ق.م، وهو تاريخ مبكر لبداية استئناس الأبقار في المنطقة من طرف مجموعات الرؤوس المستديرة، ثم قدوم مجموعات من الرعاة من الشرق ومن مناطق أخرى تباعاً، وتستمر مرحلة البقرات إلى حوالي 1000 ق.م حيث يمثل هذا التاريخ قدوم مجموعات الحصان وانتشارها في المنطقة. (الشكل 13)

وهذا الإطار الزمني يتزامن تقريبا مع الإطار الزمني لظهور الرعاة في منطقة الأكاكوس القريبة من الطاسيلي حيث قامت البعثات الإيطالية باستخراج تواريخ مطلقة من الملاجئ الصخرية وهي متوافقة مع التاريخ الذي اقترحناه، كما يتناسب هذا التاريخ مع مستويات النيوليتي البقري في تين هناكتن أيضا .

⁽¹⁰⁶⁴⁾ للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يرجى العودة إلى مبحث المناخ القديم ، ص57

⁽¹⁰⁶⁵⁾ Whilst Tillet, y callot ., 1997, op.cit.p 39

ثالثاً: الرسوم القديمة في الطاسيلي:

من خلال المعطيات المختلفة التي جمعت من مشاهد الرسوم والنقوش، والتواريخ التي استخرجت من بقايا الأبقار، فإنه يمكننا وضع إطار زمني لمرحلة البقرات القديمة التي شهدت بداية تدجين الأبقار وانتشار الرعاة في المنطقة، ومن المفترض أن هذه المرحلة شهدت تغيرات مناخية إذا أن المناخ تحول إلى الجفاف، وهو أحد الأسباب الرئيسية لتحول الصيادين إلى تربية الأبقار، فقد سعى الناس للتأقلم مع المناخ الذي لم يعد رطب كما كان في الهلوسان المبكر، كما استمرت في هذه المرحلة مظاهر الحياة السابقة حيث استمر تواجد الصيادين الذين نفذوا رسوم مرحلة الرؤوس المستديرة.

والمجال الزمني لهذه المرحلة يتراوح تقريباً بين 6000 و 5000 ق.م وهو يتوافق مع مختلف التواريخ التي جمعت في الأكاكوس وفي الطاسيلي حول بداية استئناس الأبقار في المنطقة (1066)، وهي تتزامن أيضاً مع نهاية الهلوسان المبكر وبداية الهلوسان الأوسط (1067).

أ- الصيادون والرعاة الأوائل في مرحلة البقرات القديمة:

لقد أظهرت الدراسات أن النيوليتي قديم جداً في الصحراء فقد بدأ مع بداية الهلوسان فأولى المظاهر النيوليتية ظهرت في الألف الثامنة قبل الميلاد، أي بعد تحسن المناخ وانتهاء الجفاف الذي ضرب المنطقة في نهاية البلايستوسين، حيث عادت الإقامة البشرية إلى معظم المواقع مع بداية الهلوسان، فقد بدأ الاستقرار البشري في موقع "تين هناكتن" في حوالي 7470 ± 200 ق.م، وفي موقع "لاوني" بالهوقار سجل الاستيطان البشري تاريخاً يصل إلى 7260 ± 115 ق.م أما في "أمكني" فقد أرخ الوجود البشري ب 6720 ± 150 ق.م، بينما أرخ المستوى السفلي في "تين تورها" بالأكاكوس الليبية والذي بدأ فيه الوجود البشري ب 7120 ± 70 ق.م، وهذه التواريخ متوافقة مع تواريخ أخرى جمعت في منطقة "الآير" بالنيجر والتي يتراوح الوجود البشري فيها بين 7050 ± 120 ق.م في تاقلقال (tagalagal)، و 7600 ± 100 ق.م في تامي (temet) (1068).

(1066) Ginette Aumassip ., 1993, Op.Cit.P4, Jean Loic Le Quellec ., 1998, Op.Cit. Pp166-167,

Elena Garcea, A.A. & R. Sebastiani., 1998, op.cit, P213

(1067) Augustin Holl ., 1989, op.cit, 347

(1068) Ginette Aumassip Et Michel Rauvron ., 1993, Op.Cit, pp66-67

ومن المفترض أن الصيادين الأوائل قد عرفوا استخدام الفخار وقاموا بتدجين الحيوانات على نطاق ضيق، حيث تُظهر الصور عملية أسر واستئناس مبكرة لبعض الحيوانات البرية، ففي مشهد في منطقة "وادي جديس" (Geddis) في منطقة المساك الليبية توجد أبقارٌ وزرافات وحيوانات وحيد القرن مربوطة في حجارة أسطوانية الشكل (1069)

وفي مشاهد أخرى نجد رموز بيضاوية الشكل قرب الأبقار، وأحيانا نجد تلك الرموز تحيط بأرجلها أو بكامل جسمها كما في وادي جرات، كما نجد أبقارا تدخل بوابات بيضاوية الشكل، وكل تلك المشاهد تدل على محاولة السيطرة على هذه الحيوانات أو حمايتها من الأمراض وهي تعتبر من الممارسات السحرية التي تدخل في إطار ثقافة الصيادين القدامى وتهدف لزيادة أعداد الحيوانات (اللوحة 09)

ومن الحيوانات التي حاول الإنسان تدجينها في البداية: النعامة، الفيل، وحيد القرن، الضباء، الغزلان، الزرافات، الأبقار البرية، ويمكن بسهولة ملاحظة الحيوانات التي تبدو هادئة في المشهد ويبدو عليها عدم الاكتراث، مما يدل على أن الأمر يتعلق بحيوانات مدجنة ولم يكن الهدف من أسر الحيوان هو الصيد، لأنه في تصورنا إذا ما كان الأمر يتعلق بالصيد، فإن الفنان في هذه الحالة يحرص على إظهار الحيوان في مظهر الاضطراب ليبرهن على قوته، ويمكن بسهولة تمييز مشاهد الصيد التي تتضمن رموز سحرية مختلفة عن تلك التي تدل على محاولات التدجين الأولى، كما أن مشاهد الصيد غالبا ما يكون فيها الأسلحة.

ومن جهة ثانية توجد هناك عشرات الصور التي يظهر فيها أشخاص يلمسون حيوانات برية خطيرة أو يقودونها، مع العلم أن بعض تلك المشاهد قد تدخل في إطار مشاهد الصيادين، لكن بعضها قد تكون مشاهد تعبدية للصيادين أو الرعاية على حد سواء، ويمكن أن نقرأها على أنها محاولة لتدجين تلك الحيوانات، فقد حاول الإنسان تدجين حيوانات برية في فترات مختلفة (اللوحة 01).

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن الصيادين في الطاسيلي قد تحولوا إلى الرعي تدريجيا وهذا ما يظهر جليا في الأعمال الفنية التي تركوها سواء منها النقوش التي تعود لمرحلة

(1069) Axel Et Anne-Michelle Van Albada ., 1990, Documents Rupestres Du Messak Settafat (Fazzan -Libye) Actes Du Colloque " Arte E Ambiente Del Sahara Pristorico " , Memorie Della Societa Itliana Di Scienze Naturali Et Il Museo Civico Di Storia Naturale Di Milano ,1990, P553

الجاموس العتيق أو رسوم مرحلة الرؤوس المستديرة⁽¹⁰⁷⁰⁾، والملاحظ أن المشاهد المعبرة مباشرة على الصيد قليلة في الطاسيلي في حين أن المشاهد الدينية كثيرة جدا خاصة تلك التي تمثل الخصوبة، كما أن وجود عدد كبير من الحيوانات في المشهد يوحي لنا بوجود محاولات للاستئناس، فالرعاة يحبون نماء القطعان وزيادة عددها، ومن جهة ثانية نلاحظ أن للمرأة مكانة كبيرة في مشاهد الرسوم الصخرية، مما يعني أنها تحضي بدور رئيسي في حياة هذه الأقوام وفي معتقداتهم، وذلك يدل أن الذين نفذوا الرسوم هم إما من الرعاة أو المزارعين ، فالمزارعون وربما الرعاة أيضا يميلون إلى عبادة آلهة أنثوية.

ومن المرجح أن التحول من الصيد إلى الاستئناس قد عرف عدة خطوات، فقد تم في البداية أسر الحيوان وترويضه في مكان قريب منه ثم قام بتدجينه والسيطرة عليه سواء على الحقيقة أو بشكل رمزي أو سحري مثلما توضحه المشاهد، ثم في مرحلة لاحقة عرف الإنسان إنتاج الحليب واستعمال الأبقار للنقل بالإضافة إلى تزيين الأبقار وتقديسها ليصل به المطاف إلى التدجين الكامل، وهي المرحلة التي ظهرت فيها القطعان الكبيرة في مشاهد الفن الصخري وبجانبتها الرعاة في صور تعبر عن الحياة اليومية للرعاة، فالانتقال إلى الرعي تم بشكل تدريجي كما أن إنتاج الفخار من طرف الصيادين قد ساهم في تحولهم إلى حياة شبه مستقرة مما شكل بيئة ملائمة لتدجين الأبقار.

وفي اعتقادنا أن الصيادين وصيادي الأسماك من مرحلة الجاموس العتيق ومرحلة الرؤوس المستديرة قد تحولوا إلى الرعي في مرحلة ما من الهلوسان المبكر، فقد عثر الباحثون الإيطاليون على بقايا روث في مواقع تعود للهلوسان المبكر بالأكاكوس مما يدل على محاولات الإنسان الأولى لاستئناس الحيوانات⁽¹⁰⁷¹⁾، ومن المرجح أن عملية التدجين في الصحراء التي كانت تلقائية كانت متزامنة أيضا مع مصر، فحضارة البقريات القديمة قد تكون متزامنة مع حضارة "البداري" في مصر التي عرفت هي الأخرى تدجين الأبقار وهي تعود إلى 5500 ق.م⁽¹⁰⁷²⁾.

⁽¹⁰⁷⁰⁾ عرفت مرحلة الرؤوس المستديرة أيضا النقوش ولكن نسبة قليلة من النقوش في الصحراء تعود إلى المجموعات التي تسمى باسم الرؤوس المستديرة ، حيث عثر على نقوش تعود لهم في وادي اسانديلان Esendīlen بالأكاكوس ، ينظر : Patrick Dumoulin ., 2014, Une possible gravure en style des Têtes Rondes ? (Akukas, Libye), Cahiers de l'AARS , N° 17 ,Décembre 2014, pp93-94

⁽¹⁰⁷¹⁾ M .Cremaschi, L Trombino., 2001, op.cit, pp 15–23.

⁽¹⁰⁷²⁾ Léone Aillard-Huard ., 2000, op.cit, p225

ولعل الأمر الذي يحتاج إلى البحث هو هوية تلك المجموعات الأولى من الرعاة وهل لها علاقة بالحضارات السابقة التي شهدتها الصحراء؟ خاصة وأن عملية التدجين كانت محلية بالأساس، مع أن بعض الرعاة قد قدموا فيما بعد إلى المنطقة من جهات مختلفة .

والمعلوم أن الصيادين القدامى الذين عاشوا في العصر الحجري القديم المتأخر، هم من بقايا العاترين ومن مجموعات الحضارة الايبرومغربية و القفصية ⁽¹⁰⁷³⁾الذين لجأوا إلى الصحراء الشمالية والغربية بما فيها حوض الساوره والمناطق الواقعة جنوب الصحراء، ويكون هؤلاء قد تدفقوا إلى الصحراء الوسطى عندما تحسن المناخ، وقد أكدت الدراسات الحديثة أن الإنسان لم يهجر المنطقة بشكل كامل بل إن هناك دلائل على وجود طور ما قبل فخاري في الصحراء يتزامن مع العصر الحجري القديم المتأخر في مناطق شمال مالي والنيجر ، وفي أجزاء من الطاسيلي والاكاكوس فيما بين 7550 إلى 7000 قبل الميلاد وربما أقدم من ذلك ⁽¹⁰⁷⁴⁾ .

وقد لاحظنا في دراستنا السابقة وجود مراكز للعصر الحجري القديم المتأخر في أنحاء الصحراء الشمالية والغربية ومنطقة الساحل الإفريقي خلال الهلوسان المبكر، ومن أهم تلك المراكز "أمكني" و"لاوني" بالهوقار وتين هناكنن بالطاسيلي، وهذه المراكز الحضارية كانت بمثابة القاعدة الحضارية التي قام عليها النيوليتي القديم في هذه المنطقة ⁽¹⁰⁷⁵⁾ .

وبشكل عام يمكن القول أن كل تلك المعطيات تدل على وجود مجموعات ذات أصول مختلفة في الصحراء الوسطى، فإلى جانب المجموعات المحلية هناك مجموعات قدمت إلى الهوقار والطاسيلي من مناطق مختلفة كوادي النيل والصحراء الشمالية والجنوبية ⁽¹⁰⁷⁶⁾ .

⁽¹⁰⁷³⁾ الايبرومغربيون اتجهوا إلى السواحل الأطلسية ثم انحدروا جنوبا ليظهروا بشكل متأخر في موقع "حاسي الأبيض" في شمال مالي في النيوليتي وربما وصلوا إلى الصحراء الوسطى، أما القفصيين فقد تواجدوا في المناطق المنحصرة بين ورقلة وتقرت ووادي سوف ضمن الصحراء الشمالية، للمزيد من التفاصيل، ينظر :

F.Marmier, G.Trecolle., 1987, Le gisement de Hassi-Mouillah révèle un aspect nouveau de la préhistoire au Sahara, Archeologia, 1987, n°115 pp 64-65 , Olivier Dutour., 1988, op.cit . p154

⁽¹⁰⁷⁴⁾ Víctor M. Fernández., 2003, op.cit, p 410

⁽¹⁰⁷⁵⁾ للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يرجى العودة إلى مبحث ثقافات العصر الحجري القديم المتأخر في الصحراء الوسطى، ص 135

⁽¹⁰⁷⁶⁾ هـ ج هوجو ، 1983، الصحراء في ما قبل التاريخ، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الاول، باريس : جون أفريك واليونسكو ، ص 608

ب- المجموعات العرقية في البقريات القديمة :

تقدم لنا مشاهد الفن الصخري في الطاسيلي معلومات هامة عن المجموعات البشرية التي عاشت في المنطقة، فمن خلال المشاهد يمكن القول أن مرحلة البقريات القديمة شهدت تواجد كبير للزئوج والملونين أما المجموعات البيضاء فهي قليلة، والكثير من أولئك الزئوج تعود أصولهم إلى وادي النيل فزخارف الفخار تدل على القرابة مع المجموعات الزنجية النيلية⁽¹⁰⁷⁷⁾.

مع العلم أن الرسوم التي تنتمي إلى الرؤوس المستديرة معظمها للزئوج، وكذلك الأمر بالنسبة للنقوش القديمة سواء في الهوقار أو في وادي جرات⁽¹⁰⁷⁸⁾، وحتى على صعيد البقايا البشرية التي تنتمي إلى النيوليتي الأوسط فإن أكثرية البقايا العظمية هي للسود الملونين والزئوج في المرحلة القديمة والوسطى من البقريات، أما المرحلة الحديثة فقد شهدت وجود شعوب من الجنس الأبيض في الطاسيلي⁽¹⁰⁷⁹⁾.

1- الزئوج : إن الطابع الفني للزئوج⁽¹⁰⁸⁰⁾ يبدو مميزاً في رسوم الطاسيلي خاصة في صفار وجبارين⁽¹⁰⁸¹⁾ و تامريت، كما أن صور الزئوج يمكن ملاحظتها في معظم المشاهد، وهو ما يدل على تواجد كبير لهم سواء كانوا من الجنس الغليظ أو من الجنس الرقيق، وبعضهم قد يكونوا من بقايا جماعات الرؤوس المستديرة⁽¹⁰⁸²⁾ الذين تحولوا إلى الحياة

⁽¹⁰⁷⁷⁾ للمزيد من التفاصيل عن الزئوج يرجى العودة إلى مبحث المجموعات البشرية للبقرات الوسطى، ص 374

⁽¹⁰⁷⁸⁾ يمكن الحصول على معلومات قليلة حول الأجناس البشرية من نقوش وادي جرات أو من الهوقار، وذلك لأن المشاهد

الإنسانية قليلة في هذه المنطقة مقارنة بالحيوانات والكثير منها نجدها مقنعة ، فمن المستحيل التعرف على ملامح

الأشخاص ماعدا في مشاهد معدودة ، ومع ذلك فإن عدد من الباحثين أكدوا أن الجنس الأبيض كان متواجد بكثافة في

وادي جرات خاصة في مرحلة الجاموس العتيق، أنظر في هذا الاطار : , 1976, Gravures... P94, Henri Lhote .

Fig 1-2.

⁽¹⁰⁷⁹⁾ Gabriel Camps., 1980, Barbarie Aux Marge De L'histoire, paris : Edition Des Hespéridés, P58

⁽¹⁰⁸⁰⁾ لعل كلمة الزئوج مصدرها من منطقة زنجبار فقد كان العرب يجلبون العبيد من هناك ، وهذه المنطقة تقع في الساحل الشرقي لتنانيا ، للمزيد من المعلومات حول الزئوج وانتشارهم في إفريقيا ، ينظر :

Maurice Delafosse., 1922, Les Noirs de l'Afrique, Collection Payot Payot & Cie, Paris, 139p

⁽¹⁰⁸¹⁾ كلمة جبارين مستمدة من كلمة إجابارن ijabbaren وتعني العمالة في لغة التمهاق ، حيث يعتقد الطوارق أن أجدادهم هم العمالة الذين وجدوا في الزمن الذي كانت فيه الحجارة لينة ، وتضم المنطقة مشاهد المريخييين الجبابرة الذين هم اقرب إلى الآلهة منهم إلى الإنسان نظرا للحجم الهائل الذي يتميزون به ، ينظر :

Jean Loic Le Quellec., 1998, Op.Cit. pp 245 -246. Henri, Ihote ., 1958, Op.Cit. P79.

⁽¹⁰⁸²⁾ أظهرت أبحاث حديثة قام بها الريش هاليي في جبال " إفدانويين " وفي " تين باتولت " غرب الطاسيلي الاوسط أن مرحلة الرؤوس المستديرة تتكون من الزئوج ومن البيض ، أنظر :

الرعوية أو من بقايا مرحلة الجاموس العتيق الذين غيروا نمط حياتهم مع مرور الزمن، وغالباً ما تكون أبقارهم من النوع الإفريقي.

ورغم أن الكثير من الباحثين يرون أن الزوج تواجدا بكثافة بالطاسيلي في مرحلة البقرات إلا أن أصولهم غير معروفة بدقة، فوفقاً لما يذكر "فابريزيو موري" فإن الزوج قد قدموا إلى المنطقة من غرب إفريقيا، وقد تواجدت معهم مجموعات من ذوي البشرة الداكنة (1083)، بينما يرى "جيان دوسانج" أن معظم مجموعات النيو ليتي الصحراوي هم من الزوج النيليون، وأن لهم علاقات حضارية مع منطقة الخرطوم (1084).

ومن خلال دراستنا للكثير من المشاهد التي تعود للمرحلة القديمة من البقرات لاحظنا وجود أساليب فنية مختلفة، وهو ما يعكس تعدداً عرقياً، فيمكن القول بوجود قبائل ذات أصول مختلفة.

ومن خلال ملامح الأشخاص يمكن تمييز جنسين من الزوج: الجنس الأول وهو جنس غليظ أفراد من ذوي البنية الغليظة، يشبهون إلى حد كبير "جماعات تين لالان" (1085) في الأكاكوس الذين عرفوا بكثرة مشاهدهم الجنسية، ويمكن التعرف عليهم في النقوش كما في الرسوم، أما الجنس الرقيق فهو يشبه مجموعات الفولاني في غرب إفريقيا ويمكن اعتبارهم من الملونين وهو جنس مختلط يحمل بعض الصفات الزنجية.

بالنسبة للجنس الغليظ فإن أفرادهم يظهرون خاصة في مشاهد الرماة في كل من جبارين وصفار وتامريت، ويتميزون بغلاظة الأبدان وبالعصلات المفتولة، ومظهرهم العام يبدو غير طبيعي فالأيادي والسيقان تبدو طويلة وغليظة أكثر من اللازم، وهؤلاء تظهر فيهم الصفات

Ulrich W. Hallier & Brigitte C. Hallier ., 2009, « Nouvelles découvertes de Têtes Rondes dans les montagnes d'Ifedaniouène et dans la région Tin Batoulete », Tassili centrale occidentale, Algérie du Sud , Stone Watch work , part 36 , pp1-28

(1083) فابريزيو، موري، 1988، تادرات أكاكوس: الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني وفؤاد الكعازي، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، سلسلة الدراسات المترجمة -13، الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ص247

(1084) جيان دوسانج، 1985، البربر الأصليون، تاريخ إفريقيا العام، ج2، باريس: جون أفريك واليونسكو، ص433
(1085) تقع منطقة تين لالان وسط الأكاكوس وتضم عدة مشاهد منها المشاهد التي تمثل مضاجعة، ومن خلال الصور يتضح لنا أن مجموعات تين لالان هي أيضاً من البيض وليسوا من الزوج

الزنجية الحقّة⁽¹⁰⁸⁶⁾، ويتميز بعضهم ببروز الفك إلى الأمام، أما أسلحتهم فتتضمن السهام والعصى والخناجر الطويلة، وهم يبدون في وضعية الوثب أو المشي بخطى مسرعة، كما يتميزون بتسريحة شعر في شكل قبعة، والنساء يظهرون في المشاهد جالسين ونادرا ما يظهرون في وضعية السير المسرعة كما في هذا المشهد في صفار. (اللوحة 11، 13)

أما الجنس الآخر من الزوج فهو أقل غلظة، يتميز أفرادهم بمشاهدتهم المليئة بالحركة فهم يظهرون دائما في حالة نشاط، والرماة منهم غالبا ما يكونوا في وضعية الاستعداد للرمي، وهم يحملون القوس في يد وفي اليد الأخرى يحملون عدة سهام، ومظهرهم العام يبدو غير طبيعي أيضا، سواء من حيث حركة الرمي التي تتطلب التوقف واستخدام كلتا اليدين، أو من حيث ملامحهم العامة فهناك عدم تناسق في الجسم، إذ أن الأفخاذ والسيقان غليظة وذات حجم كبير مقابل الجسم، كما أن البطن ممتد أكثر من الطبيعي، والذراع واليدين أيضا ممتدين كثيرا، والوجه بارز، وهؤلاء يمكن تقسيمهم إلى قسمين جنس نحيف وطويل وجنس قصير ومن هؤلاء المجموعات الذين سمتهم مليكة حشيد باسم مجموعات تاشيكلاوت⁽¹⁰⁸⁷⁾. (اللوحة 03)

وتظهر نساؤهم غالبا قرب خيام أفقية وبيضاوية الشكل وهن يتبادلن أطراف الحديث كما في مشاهد صفار وبعضهن يصحبن الرجال في الصيد، والجدير بالذكر أنه توجد بينهن نساءً مسترجلات يظهرن في المشاهد وهن يحملن السهام ويضربن بالأقواس وتبدو ملامحهن قريبة من الرجال⁽¹⁰⁸⁸⁾، وغالبا ما يظهر الأشخاص من منظور جانبي، والنساء يظهرن بثدي واحدة وغالبا ما يكن عراة إلا من غطاء العورة والأمر ينطبق على الرجال أيضا، أما الزينة فتتمثل في عدد من العقود حول الرقبة والكتفين وأساور حول المعصم (اللوحة 03).

⁽¹⁰⁸⁶⁾ الصفات الزنجية الحقّة هي أن تكون الشفاه غليظة والأنف غليظ ومفلطح والقم بارز ، والقامة طويلة والشعر مجعد والوجه بارز إلى الأمام قليلا ، ولون البشرة أسود، ينظر :

Louis Lapique., 1906, Les Nègres d'Asie et la race nègre en général .In :Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris ,V °Série ,tome7 , 1906 ,P.235

⁽¹⁰⁸⁷⁾ Malika Hachid .,1998, op.cit, P240

⁽¹⁰⁸⁸⁾ يذكر ديودور الصقلي "الامازونيات" اللواتي كن محاربات وذلك يتلاقى مع صورهن في مشاهد الفن الصخري بالاطاسيلي التي يظهر فيها هؤلاء وهن يحملن الأقواس (اللوحة 17)، ينظر: Diodorus Siculus ,3.52.2

2- الجنس الأبيض:

إذ كان الزوج قد تواجدوا في مرحلة البقریات فإن المجموعات البيضاء كانت موجودة قبل ذلك، حيث يمكن مشاهدة صورهم في النقوش التي تعود لمرحلة الجاموس العتيق القديمة في وادي جرات وهضبة المساك، وهم في الغالب يشبهون إلى حد كبير المجموعات البيضاء الموجودة في نقوش الأطلس الصحراوي من حيث ملامح الوجه ومن حيث اللباس أو الهيئة (1089).

أما في مرحلة البقریات القديمة وحتى الوسطى فإن وجودهم غير مؤكد ، فغالبية السكان كانوا من الزوج، ومع ذلك فإن مجموعات قليلة منهم نجدها في رسوم الطاسيلي وفي نقوش وادي جرات وتادارارت الجنوبية، وهم ينقسمون إلى مجموعتين: المجموعة الأولى هي لأشخاص ذوو قامة طويلة وجسم رشيق ولحي مدببة، وهم يشبهون المجموعات الليبية المرسومة في المعابد المصرية، أما المجموعة الثانية فهي لأشخاص قصار القامة (اللوحة 04، 24) .

والجدير بالذكر أن المجموعات البيضاء تختلف عن الزوج في مظاهرها الثقافية والاجتماعية، فهم يلبسون لباسا طويلا من جلد الحيوان يعقدونه من طرف واحد في الكتف وهم يظهرون في مجموعات من عدة أفراد ولا نجد أجسادهم عارية على عكس الزوج ، ويبدو انهم كانوا يعيشون حياة منظمة فالحياة القبلية واضحة لديهم مما يعني أنهم أكثر تنظيما من الزوج، والمعلوم أن الزوج يظهرون فرادى أو في مجموعات صغيرة من فردين أو ثلاثة، وهم عراة إلا من غطاء العورة .

ومن جهة ثانية نلاحظ أن أسلحة المجموعات البيضاء تختلف عن أسلحة الزوج، فالأقواس التي يحملها البيض ذات شكل متعرج، أما أقواس الزوج فهي تشبه نصف دائرة، ولا يقتصر الأمر على الأقواس فالأدوات الأخرى أيضا تختلف بين المجموعتين.

(1089) Axel Et Anne-Michelle Van Albada .,1995, Messsak Libyen Jardine Secret De L'art Rupestre Au Sahara Central , Archéo-Nil, 8, 1995, Septembre , P 20

وبشكل عام فإن تلك المجموعات التي عاشت في مرحلة البقريات القديمة، كانت متعددة الأصول، فالزنج الذين ظهروا في النقوش أو في الرسوم قد يكونوا من أصول نيلية، أما المجموعات البيضاء فأصولها من الشمال أو من الشرق .

ج- مناطق تواجد مشاهد البقريات القديمة:

لقد ترك الرعاة الأوائل نقوشاً صخرية في بعض المناطق ورسوماً في مناطق أخرى، والنقوش تتواجد خاصة في منطقة "تادارات الجنوبية"، ومن المواقع المهمة هناك وادي تيدوناجي (Tidunadji) الذي تعود النقوش فيه إلى الألف السادسة قبل الميلاد⁽¹⁰⁹⁰⁾، ويتضمن هذا الموقع نقوشاً لأبقار وحيوانات برية⁽¹⁰⁹¹⁾، ومن المواقع التي تتضمن نقوشاً قديمة في هذه المنطقة أيضاً موقع "وان زواتان"⁽¹⁰⁹²⁾، (اللوحات 04، 06)، وكذلك "إن أزان" التي تقع على بعد 120 كلم جنوب شرق جانت وتحتوى على رسوم ونقوش⁽¹⁰⁹³⁾. (الخريطة 10)

وما يميز منطقة تادارات عن المناطق الأخرى في الطاسيلي، هو توفرها على مواقع حضارية هامة كموقع تين هناكتن" الذي يعتبر من أهم المواقع الأثرية في الصحراء وهو إلى جانب ذلك يحتوى على رسوم صخرية للبقرات القديمة⁽¹⁰⁹⁴⁾، وفي نفس المنطقة تقع مقبرة "منخور" التي عُثر فيها على بقايا عضوية للمجموعات التي عمرت المنطقة إلى جانب بقايا أبقار برية ومستأنسة⁽¹⁰⁹⁵⁾، كما توجد نقوش قديمة للأبقار في "وادي جرات"⁽¹⁰⁹⁶⁾، وفي

⁽¹⁰⁹⁰⁾ تضم هذه المنطقة أقدم الفن الصخري في كامل أنحاء الصحراء فهو قد يعود إلى نهاية البلايستوسين، وهو ما أكدّه الباحث سترايدير Karl Heinz Striedter، ينظر: Jean-Loïc Le Quellec., 1998, op.cit.p 178

⁽¹⁰⁹¹⁾ Ginette , Aumassip., 2001 , Op.Cit. P 99

⁽¹⁰⁹²⁾ Ginette Aumassip., 2006, op.cit, P 249

⁽¹⁰⁹³⁾ Marc Cote ., 2006 , Guide D'algerie Paysages Et Patrimoine , Edition Medea Plus , Constantine , Algerie , P377

⁽¹⁰⁹⁴⁾ من بين المشاهد الموجودة في هذا الموقع صورة تعكس عبادة الأبقار المنتشرة في ذلك الوقت، حيث تمثل عدة

أشخاص يقفزون فوق ثور ويلمسونه في أنحاء جسده، ينظر: Henri Brueil ., 1954, op.cit,P 72

⁽¹⁰⁹⁵⁾ حول البقايا في هذه المقبرة، ينظر:

N. Ferhat, H Striedter, M Tauveron., 1996, Un cimetière de bœufs dans le Sahara central : la nécropole de Mankhor, Préhistoire de l'Afrique de l'Ouest ., Nouvelles données sur la période récente, Sépia édit. France, p102-107

⁽¹⁰⁹⁶⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 1998, op.cit.p180-182

منطقة "ديدر" إلى جانب أماكن أخرى من الطاسيلي⁽¹⁰⁹⁷⁾، وتوجد نقوش أخرى تعود لنفس المرحلة في وادي ماثندوش (mathenduche)⁽¹⁰⁹⁸⁾ بهضبة المساك الليبية⁽¹⁰⁹⁹⁾.

أما في الهوٲار فتتواجد النقوش القديمة في جهة الجنوب الشرقي في وادي "تين ترابين" (21,42° شمالا و 08,12° شرقا)، وهو يعتبر من بين أكبر الأودية في الهوٲار بعد كل من تقاساسات وأغرغار، ولعله كان نهراً كبيراً في الفترات الرطبة التي مرت بها الصحراء، وهو إلى جانب ذلك يتميز بتضاريسه السهلة ومناطقه المستوية الواسعة التي جعلت منه موقع مثاليا وبيئة ملائمة لتطور ثقافة البقریات، فقد كانت المراعي الواسعة المنتشرة على ضفتي الوادي موردا هاما للرعي بالنسبة للرعاة الأوائل . (اللوحة 36)

ومن المفترض أن الصيادين ثم الرعاة قد استقروا بكثافة في هذه المنطقة، حيث وجدت هناك آثارهم المتمثلة في عشرات الأعمال الفنية المسجلة على الصخور على طول الوادي ، وتتميز النقوش هناك بأسلوبها الفريد من نوعه الذي انتشر في مناطق مختلفة خارج الهوٲار⁽¹¹⁰⁰⁾. (اللوحة 36 ، الخريطة 10)

ومن المواقع الهامة في المنطقة الجنوبية من الهوٲار موقع "أوفكي" (Oufêké) والتي يسمى أيضا "يوف أهيكات"، و تقع هذه المنطقة في الجنوب الشرقي للهوٲار قرب وادي "تين ترابين" ، وهذا الموقع المهم قد استوطنته جماعات الصيادين الأوائل ثم الرعاة ، ويتواجد به كهف مزين بالنقوش القديمة للفيلة وهو قد يكون الأقدم على الإطلاق في كامل المنطقة، فالزنجار كاملا في هذا الموقع ، وبعض مشاهد شبيهة بمشاهد وادي جرات، وخاصة مشاهد الرموز المختلفة⁽¹¹⁰¹⁾ .

⁽¹⁰⁹⁷⁾ Dida badi ., 2004, op.cit, p47

⁽¹⁰⁹⁸⁾ يعتبر "وادي ماثندوش" من أكبر المراكز الثقافية في فزان بلبيبا وهي تحتوي بقايا أثرية وقبور إلى جانب محطات هامة للنقوش الصخرية ، أنظر :

Axel & Anne-Michelle, Van Albada., 1994, De nombreux centres culturels. L'inspiration du "Mathendous" étendue à l'ensemble du plateau libyen., Les Dossiers d'Archéologie , n°197, pp 22-33

⁽¹⁰⁹⁹⁾ M. Cremaschi S. Di Lernia., 1999, op.cit, p225

⁽¹¹⁰⁰⁾ أنظر ما سيأتي حول الأساليب الفنية للبقریات القديمة

⁽¹¹⁰¹⁾ Paul Huard., 1970, Contribution A L'Etude Des Spirales Au Sahara Central Et Nigéro-Tchadien Société Préhistorique Française , 1970 , P439-440

ويتكون هذا الموقع من 28 محطة للرسوم الصخرية معظمها تعود لمرحلة البقريات، كما تحتوي على نقوش صخرية قديمة أيضا تنتمي إلى مرحلة الجاموس العتيق، ومن بينها نقش لوحيد قرن عملاق يبلغ طوله إلى مترين، كما يوجد بعض الفيلة يصل طولها إلى أربعة أمتار، أما تقنية تنفيذ النقوش فهي تارة منفذة بتقنية الحز الخفيف وتارة أخرى بتقنية الحز الغليظ (1102).

كما توجد مواقع أخرى في الهوقار تضم محطات للفن الصخري القديم كموقع "أسابي" الذي يضم نقوشاً قديمة تمثل نفس الأسلوب الموجود في تين ترابين، إلى جانب موقع "أمسارا" (amessara) الذي يضم محطات عديدة بها نقوش قديمة (1103)، ويقع وادي أميسار جنوب تمنراست في الطريق بينها وبين عين قزام، وتضم المنطقة نقوشاً قديمة لحيوانات برية وأبقار والكثير من الرموز الحلزونية ذات الطابع السحري (1104)، وقد قام الباحث "ج. باليز" (J Biais) بأبحاث عن الفن الصخري في المنطقة وأكد بأنها تحتوي على نقوش قديمة (1105).

ومن المواقع الهامة في الهوقار وادي إن دلاج (i-n- dalaj) وهو من الأودية الكبيرة، ولقد كانت له أهمية كبرى في ما قبل التاريخ فقد ترك الرعاة إنجازاتهم الفنية في الملاجئ والصخور المتناثرة على ضفتيه، مع العلم أن مجرى هذا الوادي يمتد شرق جبال اسكرام ليلتحق بتين ترابين وإن أزوا في أقصى الجنوب (1106)، ولا شك أن هذا الوادي كان من المواقع المفضلة للصيادين والرعاة وهذا ما يفسر كثرة النقوش فيه، وعن هذه النقوش يذكر هنري لوت أنها تنتمي للبقرات (1107). ومن المحطات الهامة في الهوقار محطات وادي إحييس الذي تنتشر فيه نقوش قديمة لفيلة عملاقة، تدل على انتشار عبادة الفيلة في تلك المنطقة (اللوحة 20)

ولا يمكننا الجزم أن النقوش الموجودة في الهوقار تعود للبقرات القديمة، لكنها على الأقل تتميز بخصائص لا نجدها في أماكن أخرى فالأبقار الموجودة هناك تحمل أشياء طقوسية

(1102) Ginette Aumassip., 2004, op.cit. p286

(1103) Jean Jelinek ., 2004, op.cit. p 91

(1104) Paul Huard ., 1970 , op.cit.P443

(1105) Jean Pierre Maitre ., 1968, op.cit.p39

(1106) Henri Lhote .,1953, Nouvelles Stations Des Gravures Rupestres, La Station Du Haut I-N- Dalag , p143

(1107) Ibid, p149

فوق رأسها، مما يدل على وجود ممارسات سحرية ودينية متعلقة بالأبقار كما أن نسبتها كبيرة بين الحيوانات الممثلة في المشاهد، أما من حيث الأسلوب الفني فقد لاحظ هنري لوت أن أسلوب "إن دلاج" شبيهاً بنقوش عين قزام ووادي "إجريو" ومنطقة "أفونير" (1108).

وإذا كانت النقوش موجودة في أماكن عديدة فإن الرسوم الصخرية أكثر انتشاراً منها، وهي تعبر بوضوح عن الحياة الرعوية في المرحلة القديمة، أما تركيزها الرئيسي فهو في وسط الطاسيلي، فالرسوم القديمة نجدها قرب جانت في كل من صفار وجبارين (1109)، وتامريت، كما نجد بعضها في "وادي تسات" والمواقع القريبة منه، مثل وادي تين اجاجال (tin edjedjele) الذي توجد فيه محطة تتضمن الصور الأقدم في المنطقة، والملاحظ في هذه المنطقة أن معظم المشاهد القديمة تتواجد في مناطق عالية (1110). (الخريطة 10)

وبشكل عام تتواجد المشاهد الرعوية القديمة بكثافة في هضبة تامريت (1111)، ومن مواقع الفن الصخري الموجودة في هذه الهضبة مواقع: تان زوميتاك، وتمنزوزين، إلى جانب صفار وجبارين (1112)، وتحتوي ملاجئ تامريت على مشاهد كثيرة منها ما يتضمن صور كثيرة للنساء كالمشهد الذي سماه هنري لوت باسم "الفينوسيات" وهي لوحة تمثل راقصتين عاريتين، كما تحتوي هذه المنطقة على العشرات من مشاهد الحيوانات البرية التي تعود للبقرات القديمة كالقيلة (1113).

(1108) Ibid. pp147-149

(1109) موقع جبارين لوحده يحتوى على ما يقارب 5000 من الرسوم قام بدراستها هنري لوت وكان قد قام بزيارتها الملازم برينان، ينظر: Henri lhote, 1958, op.cit, p75

(1110) Ulrich W Hallier. & Brigitte C. Hallier., 2002, op.cit, p34

(1111) هضبة تامريت تضم العديد الملاجئ الصخرية التي تحتوى على عشرات المشاهد التي تعود إلى المراحل المختلفة، وتقع هذه المنطقة على بعد 35 كلم من جانت في جهة الشمال الشرقي، والطريق إليها صعبة نظراً لوعورتها، إذ لا تتمكن السيارة من العبور إليها ويتطلب الأمر العبور سيراً على الأقدام، وقد وصفها جون دومينيك لاجو بأنها تبدو كخرائب وذلك من شدة الحت والتعرية وهي من العوامل الطبيعية المختلفة التي كونت أشكال تضاريسية غريبة على صخور الحجر الرملي فيها، ينظر:

Marc Cote ., 2006, op.cit , P375, Henri lhote ., 1958, op.cit.p38, jean douminique lajoux ., 1977, op.cit p38.

(1112) Marc Cote ., 2006, op.cit , P375

(1113) Henri lhote., 1958, op.cit.p54-55

ومما يميز هضبة تامريت وما حولها من المناطق أن الرسوم فيها تبدوا متشابهة من حيث الأسلوب فهي تشكل أسلوباً فنياً موحداً، وقد أطلق "ألفرد موزيليني" تسمية "أسلوب صفار - أوزيناري" على جملة الرسوم الموجودة هناك، وهو يرى أن هذا الأسلوب ينتشر بشكل عام في وسط الطاسيلي، وتمتد المناطق التي ينتشر فيها من منطقة أجفو⁽¹¹¹⁴⁾ جنوباً إلى "تيكودوماتين" (Takédédoumatine) و"أساجان وان ملان" شمالاً، وتضم المواقع التالية: تامريت، صفار، جبارين، إن إتينان⁽¹¹¹⁵⁾، تان زوميتاك، وتين تازايفت، وتين أبوتاكا،⁽¹¹¹⁶⁾ إلى جانب كل من : أوزيناري⁽¹¹¹⁷⁾، تيسوكاي، أونغهايت⁽¹¹¹⁸⁾. (اللوحات 07، 33، 41)

يتركز هذا الأسلوب خصوصاً في المناطق الممتدة بين صفار وجبارين إلى غاية "تيسوكاي"، ويضم أيضاً مشاهد في "إهرن" و"تين أبناهر"، بينما لا يوجد هذا الأسلوب في الشمال ولا في الأكاكوس⁽¹¹¹⁹⁾، وهو يتميز عموماً بالطابع الزنجي، مع العلم أن هؤلاء الزوج لا يمثلون عرقاً واحداً فهناك العرق الغليظ والعرق الرقيق وهم يختلفون في ملامحهم الفيزيولوجية عن الزوج في الهوقار، ونشير هنا إلى أن المواقع التي تتواجد فيها هذا الأسلوب هي نفسها المواقع التي توجد فيها مشاهد ذوي الرؤوس المستديرة، ولعل ذلك يوحي لنا أنهم قد يكونوا من أصول واحدة مع أناس مرحلة الرؤوس المستديرة الذين تحولوا في مرحلة ما إلى تدجين الحيوانات.

والى جانب هضبة تامريت تواجد رسوم للبقرات القديمة في "رارداس" (rhardes) ونميز من بين المشاهد هنا صوراً لمجموعة من المحاربين، كما توجد في هذه المنطقة الكثير

⁽¹¹¹⁴⁾ تقع هذه المنطقة على الضفة اليمنى لوادي أمازر، حيث يتجه رافد لهذا الوادي نحو منطقة أجفو Adjefou، وتبعد عن تلة أحيافان Idjifan ب 7 كلم، ولها طبيعة مماثلة لجبارين فنوع الصخور والملاجئ الصخرية مشابهة لها، الرسوم الصخرية فيها، تتمثل في مشاهد رائعة لشخصيات ذات حلاقة مختلفة ذات أسلوب فريد من نوعه في المنطقة، كما يوجد بها أشخاص ذوو حجم صغير وأجسامهم ممدودة طولياً ولهم رؤوس الطيور، وشخصيات الرؤوس المستديرة السابقين في جبارين، وحيوانات مختلفة، أنظر: Henri Breuil, 1954, op.cit, P 70

⁽¹¹¹⁵⁾ إن إتينان هي منطقة جبلية تشرف على الوادي الذي يحمل نفس الاسم، توجد بها مشاهد أسلوب الآلهة الكبرى ومشاهد أسلوب قضاة السلام، أنظر: Henri Lhote., 1976, Vers D'Autre... pp 102-103

⁽¹¹¹⁶⁾ هذه المنطقة غير بعيدة عن تين تازايفت يذكر لوت أن بينهما مسيرة أربع ساعات سيراً على الأقدام، مما يعني أقل من 10 كلمتر، ينظر: Henri Lhote, 1958, Op.Cit.P52.

⁽¹¹¹⁷⁾ أوزيناري Ozanéaré تقع شمال جبارين وتكثر بها خاصة مشاهد مرحلة البقرات

⁽¹¹¹⁸⁾ Alfred Muzzolini, 1995, Op.Cit.P 126

⁽¹¹¹⁹⁾ Loc. Cit.

من الرموز السحرية والشخصيات نصف الإنسانية والأشكال الأفعوانية⁽¹¹²⁰⁾، ومن المواقع الأخرى "وادي إيدو"، خاصة في الموقع الذي يسمى "تيسوكاي" الذي يتضمن مشاهد جميلة للأبقار وهذا الوادي هو عبارة عن نهر أحفوري قديم يسير باتجاه الشمال الشرقي وتتهي مياهه في عرق تترسين، وتتميز تيسوكاي التي تقع على مقربة من هذا الوادي بتضاريسها الغريبة فهي تشبه غابات من الصخور الضخمة تفصل بينها ممرات طويلة، وقد شبها هنري بروي عندما رآها لأول مرة أنها كانت تشكل قرية "للتروجلوديت" وهم أقوام جبلية ذكرتهم النصوص الكلاسيكية⁽¹¹²¹⁾، وذلك لكونها مليئة بالملاجئ الصخرية العميقة التي تشبه الكهوف .

ومن الذين زاروا المنطقة الملازم "برينان" الذي اكتشف رؤوس سهام وفؤوس يدوية فيها، كما زارها الاثنولوجي الألماني "ليو فروبينوس"⁽¹¹²²⁾، وكما في جبارين يمكن أن نشاهد هنا صور للرماة وهم يحملون الأقواس وعصى الرمي، ونجد بها أيضا مشاهد الرؤوس المستديرة ورسوماً لنساء لهم زينات جسدية مختلفة في شكل وشم.

والجدير بالذكر أن كل من تان "زوميتاك"⁽¹¹²³⁾ و "تامريت" و "أونغهات" و "تين تزاريفت"⁽¹¹²⁴⁾ تتميز بملاجئها الصخرية العميقة والمليئة بالمشاهد، فمن الممكن أنها كانت معابد للرعاة القدامى وجماعات الرؤوس المستديرة⁽¹¹²⁵⁾، ولا شك أن الناس كانوا يؤدون الطقوس في هذه المناطق الجبلية لاعتقادهم بأنها مساكن الآلهة أو أرواح الأجداد، وقد كانت تلك المناطق آنذاك أكثر وعورة مما هي عليه اليوم، ومن المناطق التي كانت أماكن عبادة للإنسان : صفار وجبارين ووان درباوان (ouan derbaouan) وهذه الأخيرة تعتبر أيضا منطقة جبلية وبالقرب منها توجد منطقة "تين ترتيت" و "تيتغاس نلياس" التي تتضمن أيضا مشاهد فنية عديدة⁽¹¹²⁶⁾ .

⁽¹¹²⁰⁾ Henri Lhote ., 1966, op.cit, P 279

⁽¹¹²¹⁾ ذكر بلين الأكبر أن هؤلاء يعيشون في الجبال على حدود موريتانيا، ينظر:

Pline l'ancien ، Histoire naturelle ، livre 5, VIII, 3

⁽¹¹²²⁾ Henri breuil ., 1954, op.cit. p 71-72

⁽¹¹²³⁾ تان زوميتاك هو أول ملجأ قام هنري لوت باكتشافه في حملته سنة 1957 وفي وصفه لإحدى المشاهد في هذا الملجأ قال بأنه يمكن تمييز ستة مراحل فنية متطابقة مع بعضها في هذا المشهد مما يدل على أن الإقامة البشرية تواترت في المكان

لآلاف من السنين ، ينظر : Henri lhote., 1958, op.cit.p50

⁽¹¹²⁴⁾ تين تزاريفت : هذه المنطقة تضم مجموعة ملاجئ مزينة برسوم تعود إلى مراحل فنية مختلفة وخاصة الرؤوس

المستديرة والبقرات ، تضاريسها شبيهة بصفار وجبارين ينظر: Hg Hugot ., 1974, Op.Cit.pp14,23

⁽¹¹²⁵⁾ Henri Lhote., 1958, Op.Cit, P67

⁽¹¹²⁶⁾ Henri Lhote., 1976 ,Vers D'autres ..., P87

أما فيما يخص صفار وجبارين فهما من أشهر المناطق في الطاسيلي، ويعود ذلك إلى المشاهد المميزة الموجودة فيهما مثل مشهد " الإله الكبير " في صفار ومشهد " المريخين " في جبارين، وكان هنري لوت قد اكتشف هذه المشاهد في الخمسينات من القرن الماضي، مع العلم أن معظم تلك المشاهد نجدها في الجبال والكتل الصخرية حيث تتوفر الملاجئ الصخرية، والعجيب في الأمر أن معظم تلك المناطق لا تصلح للرعي بل وإن بعضها يتم المرور بصعوبة إليها، ومع ذلك نجد فيها صور القطعان الكبيرة من الأبقار، وهو ما يثير التساؤلات حول السر وراء هذه المشاهد. (الشكل 04)

ونحن نرى أن الرعاة لم يكن بإمكانهم التواجد بأبقارهم هناك، ففي ذلك الوقت كانت المنطقة مغطاة بالغابات، وإلى جانب طبيعتها الجبلية ووعورتها، مما يجعل منها مناطق مخيفة وتبعث الرهبة في النفس، وهي بذلك قد تكون أماكن مثالية لأداء الطقوس السحرية والطقوس التعبدية للآلهة ، فقد كان الناس يعتقدون أن الجبال هي منازل الآلهة، ومن أجل ذلك فقد دأب السكان على إنجاز أعمالهم الفنية في تلك الأماكن بعد أدائهم للطقوس في تلك الأماكن التي تعد مراكز عبادة بالنسبة لهم، وقد وجد في جبارين مشهد يظهر فيه مجموعة من الناس يتجهون لأداء الطقوس في الجبال، وتختلف منطقة جبارين عن صفار فهي أقل وعورة منها لذلك تتواجد فيها نسبة أكبر من المشاهد التي تعود إلى مرحلة البقرات، أما منطقة صفار فتتواجد بها نسبة كبيرة مع مشاهد مرحلة الرؤوس المستديرة القديمة . (1127)

ومن بين المواقع التي تتوفر فيها مشاهد البقرات القديمة منطقة "أروم" وهي ذات تضاريس صعبة يجتازها كل من أودية أروم وأمازار، وتقع على بعد 17 كلم إلى الشرق من مدينة جانث ويمكن عن طريقها الوصول إلى "تين الكوم" ومنطقة "أريكين" الواقعة قرب الحدود الليبية، وتتضمن مشاهدها صوراً لأشخاص لهم تسريحات شعر في شكل قبة (1128).

وتتواجد مشاهد البقرات القديمة في منطقة وان أبو (wan abou) أيضا وهي تشكل مع "أجيفو" وجبارين كل المحطات التي تنتمي إلى مجموعة "وادي أمازار"، وتتواجد فيها الأبقار بكثرة كما توجد بها مشاهد للحمير الوحشية والفيلة والزرافات، وصور لرماة ورجال مسلحين بعصى الرمي (البوميرانغ)، والملاحظ أن النساء في هذه المشاهد يرتدين تنورات ذات أهداب

(1127) Henri Lhote., 1958, Op.Cit .pp 82,135

(1128) Henri Brueil ., 1954,op.cit.P72

متدلية، وكان الملازم "برينان" هو أول من اكتشف منطقة "وادي أمازار" فقد وجد فيها أدوات حجرية ورؤوس سهام، كما وجد تمثال حجريا من الغرانيت الأبيض يمثل حيوان نائما شبيها بذلك التي وجد في "سيلي" بالهوفار.

ومن المواقع الأخرى التي تتوفر على مشاهد للبقریات القديمة منطقة تافلات، وهي عبارة عن تلة كبيرة تتوسط المسافة بين جانت وغات الليبية، بها العديد من الرسوم الصخرية التي تعود لمرحلة الرؤوس المستديرة والبقریات القديمة، وهي في حالة سيئة نظرا لكونها قديمة جدا مع العلم أنه في الكثير من الأحيان يصعب إيجاد الفرق بين مشاهد الرؤوس المستديرة والبقریات القديمة، وذلك نظرا لأن لون الزنجره متشابهة كما أن بعض المواضيع الفنية متشابهة أيضا.

وقد لاحظنا أيضا أن معظم المشاهد تتواجد على ضفاف الأودية أو قرب آثار البحيرات القديمة والقلات المتناثرة هنا وهناك في أنحاء الطاسيلي والهوفار، وذلك يدل على أن الإنسان كان يعيش دوما قرب مصادر المياه، فالرعاة يحتاجون للذهاب باستمرار إلى المورد. كما توجد بعض المشاهد في المناطق الوعرة سواء في الهوفار أو في الطاسيلي، وهذه المناطق لا يمكن للأبقار أن تصل إليها، مثل منطقة "إن إتينان" التي تقع على بعد 20 كلم شرق موقع تافلات، ويعبرها وادي إن إتينان، وهي المنطقة الوحيدة تقريبا التي تتوفر على ملاجئ صخرية شبيهة بالكهوف الطويلة، وقد اكتشف فيها كل من هنري لوت وهنري بروي على أكثر من 31 مشهدا تضم موضوعات مختلفة، معظمها يمثل مرحلة الرؤوس المستديرة والبقریات⁽¹¹²⁹⁾، ومن المواقع المشابهة لها موقع "تين لالان" في الأكاكوس، كما أن مواقع صفار وجبارين لا تختلف عنها كثيرا من حيث الطبيعة الجبلية أو من حيث نوع المشاهد الموجودة فيها . (الشكل 04)

⁽¹¹²⁹⁾ Henri breuil ., 1954,op.cit.p72

د - الأساليب الفنية لرسم مرحلة البقریات القديمة:

لقد شغلت هذه المرحلة ما يقارب الألف سنة وشملت مناطق واسعة من الطاسيلي كما امتدت إلى بعض المناطق من الهوقار لكنها انتشرت أكثر في الجنوب، وربما تكون بدايتها في منطقة ما من تادرارت الجنوبية حيث وجدت مشاهد قديمة جدا في وادي "تيدوناجي" وفي تين هناكتن، كما تعد مشاهد وادي تين ترايين جنوب الهوقار هي الأخرى قديمة جدا ، وهذه المرحلة متداخلة إلى حد ما مع مرحلة الرؤوس المستديرة ، فقد تكون معاصرة لها في الزمن كما أن بعض الأساليب قد تكون مشتركة بينهما.

أما فيما يخص الأساليب الفنية التي شهدتها هذه المرحلة فهي كثيرة مما يعكس تنوعا عرقيا في المنطقة.

1 - أسلوب صفار - أوزيناري (Sefar-Ozanéaré) :

نظرا لوجود العديد من المشاهد المتشابهة في منطقة صفار والمناطق القريبة قام موزيليني بتصنيف هذه المشاهد في أسلوب فني موحد يشمل الرسوم القديمة في الطاسيلي ، وتبعا للوصف الذي قدمه موزيليني فإن مجموعات صفار أوزيناري (Sefar-Ozanéaré) يتميزون بمشاهدهم الكبيرة والجميلة التي تمثل الجنس الزنجي ذو الهيئة الموحدة وهؤلاء الزوج هم من أصول نيلية فهم يشبهون الزوج في جنوب وادي النيل (اللوحة 03).

وقد مثل هذا الأسلوب مواضيع فنية مختلفة، فالرجال لهم مظهر قوي حيث يتميزون بأجسامهم القوية وعضلاتهم المفتولة، أما النساء فهن من حجم متوسط ويتم تمثيلهن عادة بثدي واحدة كبيرة أو بثديين طويلين مثلما كان الأمر في مرحلة الرؤوس المستديرة، وفي هذا الأسلوب نجد مجموعات صغيرة من الأفراد في مشاهد الحياة اليومية، أو ضمن طقوس رقص احتفالية، والملاحظ أن المظاهر الجنسية غائبة تماما هنا، وغالبا ما يكون الرجال في حالة حركة فهم يمشون أو في وضعية الاستعداد للرمية، أما النساء فهن يشاركن الرجال في جميع أعمالهم بما في ذلك القتال .(اللوحة 03،08)

وبخصوص اللباس فهو يقتصر على ساتر العورة، ولم نلاحظ وجود فرق بين لباس الرجال أو النساء ، إذ أن النساء لا يرتدين إلا قطعة من الجلد تغطي العورة بينما تبقى صدورهن عارية، وغالبا ما نجد النساء جالسات يتحدثن أما الرجال فهم رماة ماهرون نشاهدهم في مشاهد الصيد وقليل ما يظهرون في مشاهد الرعي، وبخصوص مشاهد القتال

والحروب فهي قليلة ومن بينها مشهد في صفار يمثل معركة بين الرماة، أما الأدوات التي يستعملونها في حياتهم فهي غير موضحة في معظم المشاهد، ولا نجد منها إلا الأقواس التي تتخذ شكلا نصف دائري وهي تعتبر سلاحهم المفضل . (اللوحة 03).

وقد لاحظنا وجود مجموعتين تمثلان هذا الأسلوب، فالمجموعة الأولى تضم المشاهد التي يظهر فيها أشخاص ذو جسم ضخم وعضلات مفتولة بشكل غير طبيعي وهم غالبا من رماة السهام، وهذه المجموعات متواجدة في كامل المشاهد التي تظهر فيها الخيام الدائرية، أما المجموعات الأخرى فهي ذات مظهر نحيف أكثر وهم اقل حجما مع أن جسمهم غير متجانس فالذراعان والساقان رقيقان إلا أن الفخذين يبقيان دائما بحجم كبير، والهيئة أقل عدوانية مما كان في السابق، وهم أكثر رشاقة من المجموعة الأولى، ومشاهدهم في الغالب هي مشاهد الرماة وهم يظهرون دائما في وضعية الوثب، وكثيرا ما يظهرون في مشاهد القتال والصيد. (اللوحة 03)

والملاحظ هنا أن المجموعات ذات الجسم النحيف يظهر عليهم النشاط المفرط وهم مولعون بالقتال، يظهرون دائما في هيئة العدو والرمي في نفس الوقت، وكأنهم يخوضون صراعا، والملاحظ أن نساءهم يشاركن في القتال أيضا، على العكس من المجموعات الأخرى التي يتميز أفرادها بالهدوء، وغالبا ما نجدهم في وضعية المشي وذلك يتماشى مع حجمهم الكبير وهيأتهم القوية. (اللوحة 03، 08)

أما تقنية تنفيذ المشاهد في هذا الأسلوب فتتمثل في لون المغرة الموحدة، ولا توجد تفاصيل داخلية إلا في مشاهد قليلة مثل لون ثوب الأبقار أو البقع لونية داخل جسم الأبقار، أما اللباس فيتمثل في قراب العورة المتكون من جلود الحيوانات حيث تتدلى منه بعض الجلود التي قد تكون ذيول الحيوانات، والأشخاص لهم تسريحة شعر في شكل قبعة مخروطية أو قبعة مدببة، أما خيامهم فهي بيضاوية أو في شكل مستطيل، مع العلم أن الزنجرة في المشاهد هي من النوع الأحمر الداكن وهي أقل بنية من زنجار مرحلة الرؤوس المستديرة.

ومن المواضيع الممثلة في هذا الأسلوب السمر أو الحديث قرب الخيام، حيث نجد الأشخاص قرب الخيام جالسين أو نائمين أو يتحدثون أو يحملون أشياء، (اللوحة 47)، والحيوانات التي تظهر هنا هي الأبقار فلا توجد صور الأغنام والماعز، أما صور الحيوانات البرية فهي قليلة ومنها الفيلة والزرافات.

وقد لاحظنا أن غالبية مشاهد هذا الأسلوب تمثل الرماة لكن يوجد أيضا مشاهد للسحرة ، كما توجد مشاهد لمعارك بين مجموعات مختلفة ربما نتيجة للغارات التي تحدث بين القبائل، مع العلم أنه لا توجد صور للقتلى أو الجرحى، مما يدل ربما على أنها مشاهد رمزية فقط للتعبير على قدرة القبيلة على صد الغزاة، وبخصوص مشاهد الصيد فهي قليلة في هذا الأسلوب فلا توجد إلا صور قليلة للحيوانات البرية، أما فصائل الأبقار الممثلة في المشاهد فتتضمن خاصة الأبقار الإفريقية (B. Africanus) ، كما توجد أبقار ذات قرون متجهة إلى الأمام من نوع (B primigenius) .

2- أسلوب الشخصيات الصغيرة :

يمثل هذا الأسلوب حسب هنري لوت المرحلة الأقدم في الفن الصخري، ويتميز بوجود شخصيات صغيرة ذات جسم بسيط ورأس مستدير وأطراف شبه خطية، وقد يكون الرأس عاريا وأحيانا نجد الأشخاص لهم قرون أو ريش فوق رؤوسهم، أما اللباس فيقتصر على قطعة قماش تستر العورة، وعادة ما نجد هؤلاء مجتمعين في اثنين أو ثلاثة، لكن أحيانا نجد عدداً كبيراً من الأفراد كما هو الأمر في موقع " تامنوزين " وغالبا ما تكون مثل تلك المشاهد تعبدية ولكن توجد أيضا مشاهد ذات طابع سحري وأخرى تعبر عن الأساطير المتداولة بين الناس . (اللوحة 30)

والكثير من هؤلاء الأشخاص يظهرون في وضعية تشبه وضعية المصلي، فالذراعان مرفوعان والساقان منفرجان، وكثيرا ما نجدهم يحملون أشياء طقوسية غير معروفة، ومن بين الحيوانات التي تظهر في هذا الأسلوب الفيلة، حيث توجد الكثير من المشاهد التعبدية لفيلة عملاقة في موقع " تمنوزين "، وفي " وان زواتان " بتادرات الجنوبية (اللوحة 20)

أما الأسلحة التي يستخدمونها فهي مقتصرة على العصا والقوس، وتتراوح الألوان في المشاهد ما بين الأصفر والأحمر والبنفسجي، ويتغير الأسلوب ليصبح الأشخاص أكثر حركية، وهم يظهرون في مناظر طقوسية يقوم الأفراد فيها برقصات طقوسية ذات طابع سحري⁽¹¹³⁰⁾.

ويعتبر هذا الأسلوب أقرب ما يكون إلى مرحلة الرؤوس المستديرة وذلك نظرا لتشابه الطقوس التي يؤديها هؤلاء مع الطقوس السحرية التي تتميز بها مرحلة الرؤوس المستديرة، وربما هذا ما جعل مليكة حشيد تضع هذا الأسلوب ضمن تلك المرحلة، وقد سمى هنري

⁽¹¹³⁰⁾ Henri Lhote ., 1958, op. cit.p225.

لوت قسم من هذه الشخصيات باسم " الشياطين"، نظرا لوجود القرون أو الريش فوق رؤوسهم، ولم يحدد إلى أي مرحلة فنية تنتمي هذه الشخصيات الصغيرة (اللوحة 30).
ومن المرجح أنها تنتمي إلى البقرات القديمة نظراً لأن المشاهد التي تظهر فيها تلك المجموعات تدخل ضمن طقوس الخصوبة، وهي طقوس يهتم بها الرعاة أكثر من الصيادين.
3- أسلوب الآلهة الأنثوية:

تتواجد الكثير من المشاهد التي تظهر فيها آلهة عظمى في وضع مركزي بالنسبة للشخصيات الأخرى في المشهد، حيث يتجه كل الأشخاص الموجودين في المشهد بأنظارهم إليها، ويحتوي المشهد عادة على مصليات يصلين لها، وتتميز تلك الآلهة بمظهر هائل وبالبهجة الكبيرة والزينة العالية، بما فيها زينات بدنية في شكل نقاط متقطعة مع قرون طويلة على الرأس في بعض الأحيان، وفي تلك المشاهد نجد فيها نسبة كبيرة من النساء.
ومعظم النساء في تلك المشاهد لهن زينات في شكل نقاط على أجسادهن، بالإضافة إلى زوائد متدلية على الذراع وأساور كثيرة على اليدين، ومعظم تلك الشخصيات الأنثوية متشابهة من حيث الزينات الجسدية واللباس، لكن بعضها بحجم كبير جداً فهي تمثل آلهة والأخريات هن من المصليات ، وأبرز مثال على ذلك مشهد "السيدة البيضاء" في "أونغهات" ومشهد "السيدة السوداء" في صفار (اللوحة 18).

ويضاف إلى هذا الأسلوب المشاهد التي سماها هنري لوت باسم "الفينوسيات" وهي تتضمن نساء جميلات، والملاحظ أن الفنان قد بالغ في إظهار جمالهن فأصبح مظهرهن أقرب ما يكون إلى صور آلهة الخصب والحب الرومانية " فينوس"⁽¹¹³¹⁾، وتلك المشاهد نجدها في هضبة تامريت خصوصاً في موقع جبارين، ومن مشاهدهم: المشهد الذي سماها هنري لوت باسم السيدة " أنتينا" (اللوحة رقم 07)، ومشهد "الفتاتان من الفولاني" وكلاهما في جبارين، ومشهد "الفينوسيات" في تامريت⁽¹¹³²⁾. (اللوحة 17)

⁽¹¹³¹⁾ هي آلهة الجمال والحب والحرب لدى الرومان تعرف لدى الإغريق اسم "افروديت" وفي فينيقيا تعرف Vénus فينوس مثيلتها "بعشتار"، ينظر: محمد الصغير غانم ، 2005، الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، الجزائر ، دار الهدى ، ص 117.

⁽¹¹³²⁾ أطلق هنري لوت تسميات مختلفة على بعض المشاهد فقد أطلق تسمية " السيدة البيضاء" على مشهد في منطقة أونغهات بالطاسيلي (اللوحة 18) وهي تمثل امرأة ذات بهجة عالية غالباً ما تكون من الآلهة التي كان يعبدها الناس في ذلك الوقت ، كما أطلق تسمية "أنتينا" على مشهد في ملجأ جبارين ويمثل امرأة ذات جمال كبير ، وأنتينا هي شخصية من شخصيات الميثولوجيا الإغريقية ، كما أطلق تسمية محاربي الإغريق على عدد كبير من مشاهد في منطقة إن إيتان

وقد لاحظنا أن كل المشاهد الأنثوية في مرحلة البقريات القديمة مرتبطة بالطقوس الدينية والسحر، فكثير ما نجد صوراً لنسوة يتجهن لأداء الطقوس، كما نجد صوراً لساحرات أو كاهنات، مما يدل على الدور الكبير الذي كانت تحظى به النساء في ذلك الوقت، فنادر ما نجد آلهة ذكرية ماعدا في وادي جرات، كما لا يفوتنا أن نذكر أن الزينات الجسدية لدى تلك النسوة شبيهة بزخارف الفخار القديم، وهو ما يدل على وجود صلة بين الأشخاص الذين نفذوا تلك الرسوم على الصخور مع الذين صنعوا الفخار .

كما أن هناك ارتباطاً بينهم وبين مجموعات مرحلة الرؤوس المستديرة وذلك نظراً لتشابه الزينات الجسدية والطقوس الدينية، وهو ما يرجح ما ذهبنا إليه سابقاً من أن مجموعات الرؤوس المستديرة من الصيادين هم الذين تحولوا إلى حياة الاستئناس في المنطقة، وإليهم تعود جزء من رسوم مرحلة البقريات القديمة .

4 - أسلوب القضاة :

لقد أطلق هنري لوت تسمية "قضاة السلام" على الأشخاص الذين يتواجد في مشاهد تدل على نوع من المحاكمة وهم ينتمون إلى مرحلة الرؤوس المستديرة⁽¹¹³³⁾، ويصنفهم العديد من الباحثين على غرار هنري هوجو ضمن الأساليب المتطورة لمرحلة الرؤوس المستديرة مع مشهد " السيدة البيضاء " ومشهد "أنيتينا" ، ولكن هنري لوت أكد أنهم يشبهون أسلوب "محاربي الإغريق" الذي ينتمي إلى البقريات المبكرة⁽¹¹³⁴⁾. (اللوحة 41)

وهذا الأسلوب ينتمي إلى البقريات القديمة وذلك لوجود ملامح الوجه للأفراد على عكس مجموعات الرؤوس المستديرة الذين لا يمثلون الوجه باعتباره يشكل نوع من المحرمات عندهم، كما أن هذه المشاهد تدل على حياة قبلية منظمة تحكمها العادات والتقاليد، فشيوخ القبائل كانوا مكلفين بالحفاظ على التقاليد ومحاكمة المخالفين وإليهم يلجأ الناس عند وقوع

بالطاسيلي تتضمن المحاربين الذين يرتدون خوذات أو لهم تسريحة شعر في شكل خوذة ، أما تسمية قضاة السلام فقد أطلقها على مشاهد في "إن إيتان" تتمثل في أشخاص يرتدون ما يشبه العمامة وهم متواجدين في مشاهد تمثل المحاكمة، وهذه الأسماء لا تعبر عن الموضوع الذي يظهر في المشاهد ، فقد لاحظ أن صور بعض النساء تشبه الفولاني الذين يعيشون في غرب إفريقيا، بينما صور أخرى تشبه صور المحاربين الإغريق أو صور النساء والتماثيل الإغريقية أو الرومانية ، ولعل هنري لوت متأثر بأستاذه "هنري بروي" الذي أطلق تسمية السيدة البيضاء على مشهد لامرأة في "برندبورغ" في جنوب إفريقيا، للمزيد من المعلومات يمكن العودة إلى: Henri Lhote., 1958, Op.Cit.P80, Fig33:

⁽¹¹³³⁾ Henri Lhote., 1973, Op.Cit.P77, Fig 27. ,Fig 22

⁽¹¹³⁴⁾ Henri Lhote ., 1966 , Données Récentes ... P 276

مخالفات، كما تعكس تلك المشاهد مراتب اجتماعية بين الأفراد وهي من خصائص المزارعين والرعاة، والكثير من المشاهد يمكن قراءتها على أنها تمثل مجلس القبيلة.

ومن المناطق التي يتواجد فيها هذا الأسلوب منطقة "إن إتينان" (i-n-iten) و "جبارين" كما نجده في "تيسوكاي" ونجد مشاهدهم أيضا في "وان موهيجاج" بالاكاكوس الليبية⁽¹¹³⁵⁾، ويتميز هذا الأسلوب بوجود أشخاص ذوي تسريحة شعر غريبة تتمثل في دائرة فوق الرأس وهي تشبه العمامة التي يرتديها الناس في أيامنا (اللوحة 37، 41).

المشهد يعبر عن العقاب المفروض على شخص من طرف مجموعة من الناس، وهو يدل على الصراعات التي كانت تحدث في تلك المجتمعات نتيجة النزاعات على الأرض أو الماء أو القطعان.

وتدخل ضمن هذا الأسلوب كل مشاهد المحاكمات، ومنها المشهد الذي سماه هنري بروي ب "الاتهام"⁽¹¹³⁶⁾، أو المشهد الذي أعطاه اسم "جوزيفين تباع من طرف إختوتها" وهو موجود في جبارين⁽¹¹³⁷⁾، والملاحظ أن الأشخاص الذين يظهرون في هذا الأسلوب في مناطق غالبا ما نجدهم ذوي بهرجة و زينات عالية تدل على أن تلك اللوحات الفنية تعبر عن موضوع سحري، كما تدل على وجود مراتب اجتماعية بين الناس في ذلك الوقت.

5- الأسلوب الرفيع (الخيطي):

وهو يختلف عن أسلوب الشخصيات الصغيرة، حيث يظهر الأشخاص بحجم كبير وبأعضاء رفيعة وممدودة أكثر من الطبيعي، ومعظم هذه المشاهد تمثل طقوس دينية معبرة عن الخصوبة، ولم يقم الباحثون بتصنيف هذه المشاهد إلى أي من المراحل الفنية، ونظرا لكون هذا الأسلوب يحتوي على مناظر الرقص التي تدل على طقوس مرتبطة بالخصوبة كطقوس استدرار المطر التي تعتبر من المظاهر المتعلقة بالحياة الرعوية فإننا نرى أن هذه المشاهد تدخل أيضا ضمن مرحلة البقریات (اللوحة 30).

⁽¹¹³⁵⁾ Alfred Mussolini ., 1995, Op.cit , 283

⁽¹¹³⁶⁾ يظهر في هذا المشهد مجموعة من الأشخاص يتهمون شخص بارتكاب جريمة، حيث يتم عقد محاكمة تتزعمها امرأة وهذا الشخص يظهر مطأطأ الرأس وهو يتعرض للاتهام أما امرأة فقد تكون سيدة القبيلة، وقد قام هنري بروي بنشره لأول مرة وأطلق عليه اسم الاتهام، والمشهد متواجد في منطقة إيدو- تيسوكاي في الطاسيلي، وهو يدل على سلطة المرأة التي تمثل سيدة القوم، ينظر: Henri Breuil ., 1954, Op.cit. P 131

⁽¹¹³⁷⁾ كان هنري بروي عندما أطلق هذا الاسم متأثرا بقصة يوسف عليه السلام الذي باعه إخوته فقد كان راهبا واسمه الحقيقي هنري إدوارد بروسبار بروي Henri Édouard Prosper Breuil لكنه يلقب بالأب بروي Breuil l'abbé

وما يميز الأشخاص في هذا الأسلوب أن لهم قرون أو ريشات فوق رؤوسهم، حيث يحتوي مشهد في جبارين علي عدد كبير من الأشخاص تبدوا أجسامهم غير متماثلة فالسيقان طويلة جدا تفوق الحجم الطبيعي، أما الأيدي والأقدام فهي غير متماثلة غالبا ما تكون متوسطة أو صغيرة الحجم، والرأس دائري مع عدم وجود ملامح الوجه، كما أنه من غير الممكن تحديد نوع الجنس، ويدل المشهد العام عن رقص طقوسي من أجل الخصوبة (1) (الوحة 03).

ومعظم تلك المشاهد تعبر عن طقوس لاستدراار المطر حيث يجتمع الناس بأعداد كبيرة لطلب المطر ويقومون بتنفيذ الرسوم بعد نهاية الطقوس، والملاحظ أن المظاهر السحرية واضحة هنا من خلال وجود القرون والمظاهر غير الطبيعية للأشخاص.

6- أسلوب السحرة والمُسارين: نقصد بالمُسارين الأشخاص الذين يملكون الأسرار الدينية والاجتماعية ويدخل في مفهومهم السحرة أيضا، وهؤلاء يتمتعون بمكانة كبيرة لدى القبيلة فإليهم يرجع الناس عندما تلم بهم الحوادث والأمراض، ويعتقد الناس أن لهؤلاء الأشخاص مقدرة على الشفاء من الأمراض وحل مشاكل القبيلة، وأنه يمكنهم وحدهم الاتصال بالقوى فوق طبيعية وخاصة بأرواح الأجداد، وغالبا ما تكون لتلك الأقوام معتقدات روحانية وأصحاب هذه المعتقدات يرون أن لأرواح الأجداد أدوار مهمة في حياتهم وهي في رأيهم تعتبر أرواح حارسة للقبيلة ويمكنها أن تحل مشاكلهم لذلك فهم يسعون لإرضائها ويؤدون لها الطقوس المختلفة ويقدمون لها القرابين. (الوحة 32، 23، 51)

وقد لاحظنا أن بعض المشاهد في الطاسيلي يمكن أن تفسر على أنها طقوساً روحانية، وفي بعضها يمكن أن نرى أولئك السحرة وهم يقومون بطقوسهم من أجل الاتصال بالأجداد، وهم يظهرون في المشاهد في هيئة أشخاص مقنعين يحملون أشياء طقوسية في أيديهم، ونجد اليوم الكثير من الشعوب التي تعتقد بأن لأجدادهم القدامى مكانة كبيرة في حياتهم اليومية، لذلك فهم يقومون بالطقوس من أجل الاتصال بهم ويقدمون الهدايا والقرابين للحصول على رضاهم، ويتطلب الأمر بالسحرة الوصول إلى درجة النشوة للاتصال بالأرواح، وهي حالة من الذهول يصل إليها الساحر بعد أدائه لرقصات طقوسية واستهلاكه للأعشاب مخدرة وفي هذه الحالة يكون في اتصال مع الأرواح. (الوحة 32، 23)

وتلك الحالة الغريبة التي يصل إليها الساحر يكون في حالة هذيان فيمكن أن يدخل في نوع من الحلم فيرى حيوانات أو كائنات خيالية أو ما شابه ذلك، وهو يفسر ذلك بوصوله إلى الأرواح واتصاله بهم، وبالطبع كل أفراد القبيلة يعتقدون بالفعل أن الطقوس التي قاموا بها قد أدت إلى الاتصال بالأجداد من أجل تحقيق الانسجام في حياتهم.

ونحن نرى أن الكثير من المشاهد تم إنجازها بعد الانتهاء من الطقوس لتخليدها، بل ومن الممكن أن المناطق التي وجدت بها الرسوم، كانت هي نفسها الأماكن التي يعيش فيها هؤلاء السحرة أو يمارسون فيها طقوسهم، وربما هي في حد ذاتها تحمل نوع من التقديس لديهم فتصبح بمثابة المعابد .

وبخصوص تقنية الرسم في هذه المشاهد فهي مرسومة بمساحة لونية سوداء محاطة بجوانب بيضاء أو حمراء، وتظهر ألواناً أخرى كالأزرق والأخضر التي توجد في الأشكال المتطورة، ومن الأماكن التي نجد فيها هذه المشاهد: "وان درباون" و "أونغهات" و "تيسوكاي"، ونجدها أيضاً في الأكاكوس وفي مناطق أخرى. (اللوحة رقم 32، 23)

7- أسلوب تين ترايين في الهوقار :

يظهر هذا الأسلوب أساساً في النقوش ويقل في الرسوم وهو ينتمي إلى البقريات القديمة ويتميز بتمثيله لحيوانات برية أو أبقار وغالبا ما تكون تلك الحيوانات ممدودة ولها أشياء تتدلى منها، وأطراف هذه الحيوانات هي الأخرى طويلة أكثر من اللازم فمعظم تلك الحيوانات تعد من الكائنات الأسطورية أو الآلهة أكثر من كونها حيوانات طبيعية، والجدير بالذكر أن هذا الأسلوب لا نجد فيه صور إنسانية. (اللوحة 36)

أما بالنسبة للمناطق التي ينتشر فيها فهو يشمل منطقة واسعة من جنوب الهوقار حول وادي ترايين، ومن مواقعه يوف أهيكات وأميسارا، كما يوجد في بعض المناطق من الطاسيلي كوايدي جرات، ويوجد أيضاً في رسوم جبارين وتان زوميتاك، ويصل تأثيره إلى منطقة "إن أزاوا" في أقصى الجنوب، وفي الأكاكوس يتواجد في موقع "انسفال"، ويعد هذا الأسلوب من أقدم الأساليب الفنية وهو يمثل النقوش والرسوم⁽¹¹³⁸⁾. (اللوحة 36)

⁽¹¹³⁸⁾ Jean-Loïc Le Quellec ., 2002, gravures rupestres AIN -AZAWA(algerie)l'ecole de tin – tarabin , INORA ,32(2)2002, p12

رابعاً : النقوش القديمة في تادرارت ووادي جرات:

أ- نقوش تادرارت الجنوبية :

تعتبر منطقة تادرارت الجنوبية امتداداً لمنطقة تادرارت أكاكوس الليبية وكلاهما جزء من الطاسيلي، وتقع هذه المنطقة في أقصى الجنوب تبعد عن جانت بحوالي 200 كلمتر في جهة الجنوب الشرقي، وهي عبارة عن هضبة حتية مرتفعة نسبياً تنتمي إلى الطاسيلي الخارجي، وتمتد طولياً من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، تتصل في جهة الجنوب الشرقي بهضبة "جادو" بالنيجر وجبال "التيستي" بتشاد، وفي الشرق بهضبة المساك الليبية وفي الغرب تمتد في الطاسيلي .

وتتقسم هذه المنطقة إلى قسمين: القسم الشمالي يتميز بارتفاعه وتكثر به الجبال وهو يقع ضمن الحدود الليبية ويسمى تادرارت أكاكوس، والقسم الجنوبي يعرف بـ "تادرارت الجنوبية" وهي منخفضة مقارنة بالأكاكوس وهي تدخل ضمن الطاسيلي.

وبشكل عام تعتبر منطقة تادرارت الجنوبية غنية بالنقوش وبالرسوم أيضاً، وبها الكثير من المواقع الحضارية، وتخترق هذه المنطقة ثلاث أودية رئيسية هي من الشمال وادي "تاكركوري" (Takarkouri) الذي يقع في الجهة الجنوبية للأكاكوس ووادي إريكين (Arrikine) في الوسط وفي الجنوب وادي إن جران .

ومن بين أهم المراكز الحضارية في هذه المنطقة:

- وادي تيدوناجي (Tidunaj): وهو موقع مهم يحتوى على نقوش قديمة جداً مغطاة بطبقتين من الرواسب تعود لبداية الهلوسان، فالترسبات القديمة لها على علاقة مباشرة بالنقوش القديمة، وهي ترتبط بالجفاف الأول الذي وقع في أواسط الهلوسان أي قبل 5500 ق.م، مع العلم أن النقوش أقدم بكثير من هذه الترسبات، مما يعني أنها تعود إلى نهاية البلايستوسين، أما المستوى الثاني من الترسبات فهي حديثة نسبياً، ومن المرجح أنها تكونت

نتيجة للسيول التي شهدتها المنطقة وذلك قبل بداية المرحلة الجافة الحالية التي بدأت في ما بين 1500-2000 قبل الميلاد⁽¹¹³⁹⁾.

- منطقة "وان زواتان" (wa-n-Zawaten): تتواجد في هذه المنطقة مخلفات أثرية وقبور إلى جانب محطات عديدة للفن الصخري منها نقوش تعود للبقریات ولمرحلة الحصان، ومن المشاهد اللافتة للانتباه مشاهد لصيد الأسود، كما وجدت مشاهد لأواني فخارية وهي مشابهة لتلك الموجودة في وادي بريج (Bireg) المجاور لها، وكذلك تلك التي اكتشفها هنري لوت في "تيسوكاي" وفي "وادي جرات" ⁽¹¹⁴⁰⁾.

- منطقة "إن جران": تعتبر هذه المنطقة من المواقع المهمة في تادرارت وهي تقع جنوب شرق جانب وجنوب وان زواتان، وغير بعيد عنها تقع منطقة منخور التي تحتوى على مقابر تعود للنيوليتي، أما "إن جران" فتحتوى على مخلفات أثرية وقبور وعلى نقوش ورسوم متناثرة على ضفتي الوادي، وتتواجد النقوش أيضا في المسار المؤدي إلى "تين مرزوقة"، وتتضمن نقوش "إن جران" بالدرجة الأولى أعمال فنية تعود للصيادين القدامى وتكثر بها خصوصا صور الفيلة، حيث يزيد عددها في بعض المشاهد عن 50 فيلا، إضافة إلى أكثر من 30 زرافة، و05 من وحيد القرن، أما الرسوم الموجودة هناك فهي حديثة نسبيا مقارنة بالنقوش وهي تضم فيلة وزرافات ونعامات. وغير بعيد عن إن جران توجد نقوش في منطقة "مول الناقة" (Moul N'Aga) وهي تتضمن نقوشاً قديمة جدا لفيلة وزرافات، وبالامتداد شمالا تقع منطقة تين تهاف (Tin Tehak) الغنية بالنقوش أيضا ⁽¹¹⁴¹⁾.

والملاحظ أن منطقة "وان زواتان" و"إن جران" تحتويان على نقوش بالغة الجمال، وهذه المشاهد تعتبر فريدة من نوعها فهي ذات أسلوب متطور كما أنها مختلفة عن نقوش وادي جرات ذات الأسلوب الرديء، وقد أظهرت الاكتشافات الحديثة التي قام بها "إيف فوتي" صورا لأبقار ورموزاً بيضاوية الشكل ذات طابع سحري، ويمكن القول أن الأسلوب والتقنية

⁽¹¹³⁹⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 2013, L'art Rupestre Du Sahara Historique Et Répartition Des Découvertes, Art Préhistorique, Afrique, Encyclopaedia Universalis, pp6-7

⁽¹¹⁴⁰⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 2007, À Propos D'un Site A Gravures De La Tadrart Algérienne : Récurrence D'une Association Image-Inscription Cahiers De L'AARS, N° 11, 2007, pp125-136

⁽¹¹⁴¹⁾ Léone ALLARD-HUARD., 1993, Nil-Sahara Dialogues Rupestres, Les Chasseurs, Chez l'auteur, pp219-223

هنا تشبه تلك الموجودة في نقوش هضبة المساك من حيث نوع النقوش المزدوجة الخطوط لكنها مختلفة عنها من حيث المواضيع التي تمثلها المشاهد (1142).

- وادي "إن أزان" (Wadi I-n-Ezzan): تتوفر هذه المنطقة على رسوم لأفراس النهر والأبقار والأغنام وأشخاص مقنعين برؤوس حيوانات، وبعض هذه الرسوم اكتشفت حديثاً من طرف جون لوكلاك وكارل ستريدر (Striedter) و ميشال توفّر (Tauveron) (1143). وإلى جانب تلك المناطق وجدت محطات للفن الصخري في "وان إكلي" (Wan- Ekli)، و"وان أهار" (Wa-n-Ahar)، مع العلم أن أقدم الرسوم في تادرارت وربما في كامل الصحراء متواجدة في موقع "أمان سماندين"، وهي تصنف ضمن أسلوب أطلق عليه تسمية "كل إسوف" نسبة إلى قبيلة من الطوارق ويعد هذا الأسلوب أقدم الأساليب الفنية في الطاسيلي (1144).

وبشكل عام يمكن القول أن منطقة تادرارت الجنوبية منطقة غنية بالنقوش والرسوم، ومن الممكن أنها تحتوى على محطات أخرى غير مكتشفة، فنحن نعرف أن معظم أعمال البحث والاكتشافات في تادرارت لا تزال لم تأخذ الطابع العلمي المنظم، فالكثير من الرسوم والنقوش اكتشفت من طرف السواح والمغامرين، ولم يتم إنجاز حملات بحث كبيرة في هذه المنطقة على حد علمنا.

(1142) Yves GAUTHIER.,2009, Nouvelles reflexions sur les aires de distribution au Sahara central, Cahiers de l'AARS , N° 13 , 2009, pp123-125

(1143) Jean-Loïc Le Quellec .2007, What's new in the Sahara, 2000–2004?, Les Cahiers de l'AARS, 2007, p156

(1144)Nour-Eddine Saoudi .,2002, op.cit. P88, Dida Badi ., 2004, Op.Cit. P 56

ب- نقوش وادي جرات :

1- التعريف بوادي جرات :

يقع هذا الوادي في الشمال الغربي للطاسيلي بين إليزي وبرج الحواس، وهو يبعد ب 30 كلم عن بلدة برج الحواس في جهة الجنوب الشرقي، ومن الناحية الفلكية يقع بين 26° و 28° شمالا بالنسبة لدوائر العرض وبين 8,28° شرقا بالنسبة لخطوط الطول، وهو عبارة عن مجرى مائي واسع يعود تكوينه إلى حقبة السيلوري - الدوفيني (siluro- dévoniens) للطاسيلي الخارجي .

ويبلغ طول مجراه 70 كلم وهو يتميز باتساعه حيث يبلغ متوسط عرضه 200 م، ويصل علو صخوره ما بين 25 و 30م في بعض الأماكن، وينفتح هذا الوادي على حوض إليزي، كما يتصل به وادي آفار عند وصوله إلى واحة نافث (nafag) ⁽¹¹⁴⁵⁾، ويبدأ هذا الوادي جريانه من هضبة فضنون (Fadnoun) ليتجه شمالا إلى عرق إساون (Issaouane) ⁽¹¹⁴⁶⁾ ، كما يحصل على مياه وفيرة من وادي آفار الذي يتصل به في الضفة اليمنى، ويحصل على مياه أخرى من منطقة الاسيهار (Assihar) التي تقع في ضفته اليسرى ⁽¹¹⁴⁷⁾.

وعندما يصل الوادي إلى واحة" نافث" يحصل على مياه وفيرة من العديد من الروافد والأودية التي تنشأ في المرتفعات القريبة من هذه الواحة، مع العلم أن هذه المنطقة يبلغ ارتفاعها حوالي 1300 م، وتسمح المياه التي تتجمع هناك بري الواحة التي تتوفر على أشجار النخيل ، كما أن تلك المياه تغذي القلّات المتواجدة بكثرة في تلك المنطقة، ويتواصل جريان هذا الوادي إلى أن يصب في منطقة قريبة من إليزي، ويعد وادي جرات من المناطق الرطبة في الطاسيلي حيث تتواجد به قلّنة "تين سماد" القريبة من موقع "تين تالولت" وهي مصنفة ضمن المناطق الرطبة وفق "اتفاقية رامسار" للمناطق الرطبة في العالم" ⁽¹¹⁴⁸⁾ .

⁽¹¹⁴⁵⁾ Henri Lhote ., 1976 , Gravures... T1. P 11

⁽¹¹⁴⁶⁾ Alfred Muzzolini., 1995, P265

⁽¹¹⁴⁷⁾ Henri Lhote ., 1976 , Gravures... T1. P 11-12

⁽¹¹⁴⁸⁾ Christian Dupuy., 2003, Les Motifs Curvilignes Représentés Dans Les Gravures Rupestres Du Sahara Algérien : Questions De Chronologie, Cahiers De L'AARS, N°8 , Août 2003, .P60

ولا شك أن وادي جرات كان نهرا كبيرا في فترة ما قبل التاريخ ، قد كانت المناطق الواقعة على ضفتيه مكاناً ملائماً لقطعان الفيلة والزرافات والأبقار البرية التي كانت تجوب كامل المنطقة طولا وعرضا، كما أن هذا الوادي كان يعج بالحيوانات المائية والبرمائية كالتماسيح وأفراس النهر، وترتاده الحيوانات البرية التي كانت مصدر زرق لمجموعات الصيادين القدامى الذين تركوا آثارهم المتمثلة في مشاهد صيد للحيوانات البرية، ولا تزال صور هذه الحيوانات ماثلة اليوم تحكي قصص الماضي البعيد.

وعلى ما يبدو فإن مجرى هذا النهر كان مختلفا عن ما هو عليه اليوم، فمجراه كان أوسع وأكثر امتداداً، لكنه تعرض إلى الكثير من التعرية، وانسد مجراه في العديد من المناطق على غرار معظم الأودية الصحراوية التي كانت أنهاراً كبيرة في ما قبل التاريخ، لكن ما يميزه أنه لا يزال إلى اليوم يتمتع بظروف مناخية جيدة، لذلك فإننا نعتقد أن الحياة البرية ظلت مزدهرة على جوانب الوادي لفترة طويلة وربما للقرون الأولى للميلاد .

ومن المرجح أن الحيوانات البرية كالفيلة وأفراس النهر ظلت متواجدة هناك إلى غاية الألف الأولى قبل الميلاد خلال مرحلة الحصان والعربات وهو ما يظهر لنا في المشاهد الفنية التي تعود لهذه المرحلة، أما في الفترة الرعوية فقد كانت المنطقة مثالية للحياة بما توفر فيها من مروج واسعة، ولا شك أن الحيوانات البرية كالفيلة وفرس النهر ضلت موجودة خلال الفترة الرعوية، واليوم لا يزال هذا الوادي يوفر مراعي جيدة لقطعان الأغنام والماعز المحلية.

أما للمنطقة التي تتواجد فيه النقوش فهي المنطقة الوسطى بين شعبة "تين تهاد" (tin tahad) وواحة نافق (nafag) ⁽¹¹⁴⁹⁾، ولكن على العموم النقوش تتوزع بشكل غير منتظم على مسافة تقدر ب 30 كلم وتتضمن ما يقارب 4000 موضوعا فنيا من مراحل مختلفة، مع العلم أن نقوش وادي جرات ليست هي الوحيدة بين النقوش الصخرية في الطاسيلي، بل توجد نقوش أيضا في "وادي إجريو" (Edjériou) القريب من جانت، ونقوش في "وادي إيدو" وفي منطقة " تين الكوم" ضمن الحدود الليبية، كما توجد نقوش في كل من تارارارت (Tar'arart) وعين دابيرن (In-Debiren) ونقوش أخرى متناثرة في العديد من المواقع منها ما هو قريب من مواقع الرسوم الصخرية ⁽¹¹⁵⁰⁾ .

⁽¹¹⁴⁹⁾ Henri Lhote ., 1976 , Gravures... T1. P 11

⁽¹¹⁵⁰⁾ Henri Lhote ., 1967, Gravures Du Tassili-N-Ajjer Rupestres (Sahara Central), Objets et Mondes , (3)7 , P217

وقد اكتشفت نقوش وادي جرات لأول مرة على يد الملازم "برينان"، وقام بدراستها بعد ذلك كل من "قوتي" و"ريفاث" سنة 1933، و"روبار بيرري" سنة 1934، ثم الباحثين "هاورد" و"الارد" سنة 1973، أما "هنري لوت" فيعود له الفضل في التعريف بالنقوش الموجودة في هذه المنطقة، فقد تجول فيها سنة 1959 ونشر بعض الصور، ثم قام بتنفيذ أبحاث كبيرة سنة 1976 نشر فيها حوالي 2600 من النقوش، ثم قام "الارد هاورد" سنة 1980 باكتشاف نقوش أخرى، كما قام موزيليني هو الآخر بدراسة نقوش أخرى.⁽¹¹⁵¹⁾

وبالحديث عن النقوش الموجودة في هذه المنطقة فالكثير منها توجد في الملاحي المتناثرة على ضفي الوادي، أما الرسوم فلا توجد إلا في مشهد فريد من نوعه في هذا الوادي قرب واحة نافق، والملاحظ أن بعض تلك النقوش نجدها على صخور قريبة من الأرض، وهو الأمر الذي جعل "إميل فيليكس قوتي" (Gautier .E.F) يعتقد أن هذا الوادي كان جافاً في الوقت الذي نُفذت فيه النقوش، فالنقوش الجميلة والمتقنة ذات الزنجرة القائمة والقديمة لا تتواجد في المناطق المرتفعة في الجدار بل في المناطق المنخفضة والقريبة من الأرضية، مما يدل على أن النهر لم يكن جارياً بالمياه في ذلك الوقت فقد كان جافاً قبل 3000 سنة.

وقد تساءل موريس ريفاس على السبب في وجود النقوش القديمة في المناطق المنخفضة حيث أن المياه كان تصل إليها، لكن الأبحاث التي قام الجغرافي روبرت بيرري (R. Perret) في المنطقة أكدت أن هذا النهر قد تعرض للردم مرتين على الأقل، بفعل عوامل المناخ وتعاقب فترات الجفاف والأمطار، وأن الردم العلوي يتراوح سمكه بين 4 أمتار و 8 أمتار ، وخلص هذا الباحث إلى أن هذه النقوش المتواجدة اليوم قريباً من الأرض كانت ترتفع بما بين 8 و 12 متر عن الأرض.⁽¹¹⁵²⁾ (اللوحة 12)

2- الاطار الفني لنقوش وادي جرات :

تعود النقوش القديمة في وادي جرات إلى مرحلة الجاموس العتيق بينما تنتمي النسبة الأكبر من النقوش إلى مرحلة البقریات، بينما تنتمي نسبة قليلة منها إلى مرحلتي الحصان

⁽¹¹⁵¹⁾ Alfred Muzzolini ., 1995 ,Op.Cit. P265

⁽¹¹⁵²⁾ Henri Lhote ., 1976, Gravures... T1. P 17 , Emile Felix Gautier., 1935 , L'Afrique Noire Occidentale, Paris Larrose, 1935, P 40.

والجمل، كما أن الأسلوب الفني للنقوش يبدو مختلفاً بشكل كامل عن أسلوب الرسوم الصخرية سواء بالنسبة لمرحلة الرؤوس المستديرة أو البقريات القديمة من أسلوب "صفار - أوزيناري"، وهو ما يجعلنا نعتقد أن الأشخاص الذين نفذوا هذه النقوش ينتمون إلى مجموعات عرقية مختلفة عن المجموعات التي نفذت الرسوم في صفار وجبارين.

والجدير بالذكر أن الرسوم الوحيدة الموجودة في هذه المنطقة توجد في الجزء الأعلى من الوادي عند إلتقائه بوادي أفار (l'Oued Affer)، وهي تعود لمرحلة الحصان وتمثل صور لأشجار النخيل، ولا توجد رسوم صخرية تنتمي إلى مرحلة البقريات في هذا الوادي وفق ما نعلم، ماعدا ما ذكره الباحث موزيليني عن صورة لزرافة بيضاء، ومشهد لخيمة قرب واحة نفاف (Nafeg) أو مشهد منفرد لرعاة تين أنويين (Ti-n-Anneuin) في نفس الواحة (1153).

والجدير بالذكر أنه من الممكن أن تكون المشاهد في وادي جرات متزامنة مع مشاهد مرحلة الرؤوس المستديرة في الطاسيلي غير أنها تنتمي إلى مجموعات مختلفة، أما من حيث التقنية والأسلوب الفني فهي تبدو أقرب ما تكون إلى نقوش الأطلس الصحراوي القديمة من حيث تقنية التنقيط المستخدمة⁽¹¹⁵⁴⁾، وهي مختلفة عن نقوش "وادي ماثندوش" في هضبة المساك المجاورة، فهذه الأخيرة تمتاز بكونها متقنة وبها تفاصيلها دقيقة على عكس نقوش وادي جرات ذات الأسلوب الرديء .

وحسب ما يذكر ألفرد موزيليني فإن نسبة كبيرة من مشاهد وادي جرات تنتمي إلى للأسلوب الطبيعي الذي تمثله مرحلة الجاموس العتيق، كما أن تقنية النقش العميق المصقول جيد وبإتقان تنتمي إلى هذا الأسلوب، وحسب هذا الباحث فإنه لا وجود للبقرات في وادي جرات، وهو يستدل بمشاهد النساء اللواتي يرتدين قبعات مخروطية الشكل ولبسن لباسا طويل فهن ينتمين إلى مرحلة الجاموس العتيق حسب هذا الباحث، وهو يستدل على ذلك بتشابه صور الأشخاص مع صور وادي ماثندوش بهضبة المساك⁽¹¹⁵⁵⁾، مع العلم أن كل

(1153) Alfred Muzzolini ., 1995, Op.Cit. P268 .

(1154) Ibid. P265

(1155) Alfred Muzzolini ., 1995, Op.Cit. P266

من وادي "جرات" ووادي "مانتدوش بفران الليبية" والأطلس الصحراوي يقتصر الفن فيهم على النقوش إذ يبدو أن الشعوب التي سكنت هناك لم تعرف ثقافة الرسوم الصخرية (اللوحة 04). وفي رأينا أنه لا يمكن القول بخلوا منطقة وادي جرات من مشاهد البقرات، فمن المعروف أن مرحلة الجاموس العتيق لا توجد فيها الأبقار المستأنسة، ما عدا في حالات نادرة لكونها تمثل ثقافة الصيادين القدامى، بينما نجد عدداً كبيراً من مشاهد الأبقار هنا بل إنها تمثل النسبة الأكبر من الحيوانات في هذا الوادي، ونجد هناك صوراً لأبقار تحمل أغراض الرعاة وأدواتهم، كما توجد مشاهد أخرى تدل على انتشار الحياة الرعوية في هذه المنطقة ومنها على الخصوص مشاهد الخصوبة.

ومع أن الفن الصخري في وادي جرات يتميز بكثرة المشاهد الطبيعية التي تبرز فيها الحيوانات البرية، إلا أن المشاهد الرعوية موجودة بكثافة أيضاً، كما توجد صور لأشخاص مقنعين، لكن الطابع المميز هنا هو كثرة المشاهد الجنسية التي تمثل الخصوبة، وفي الكثير منها يمكن أن نلمس وجود آلهة أو كائنات أسطورية لها علاقة بموضوع الخصوبة ومن أبرز الأمثلة على ذلك مشهد صخرة أهناث التي تمثل إله الخصوبة والقوة الجنسية (اللوحة 25).

ج- الأساليب الفنية للنقوش الصخرية :

من الصعب تحديد الأساليب الفنية للنقوش الصخرية فالمعروف أن النقوش صعبة التنفيذ كما أن الواجهة الصخرية لا تسمح للفنانين بإبراز براعتهم وميولهم الفنية أثناء الإنجاز، على عكس الرسوم، ومن هذا المنطلق فإن الأساليب الفنية التي يمكن ملاحظتها من خلال دراسة المشاهد، تبدو لنا غير واضحة تماماً ، وبشكل عام قام الباحثون بتقسيم مشاهد النقوش الصخرية إلى أربعة أساليب هي :

- الأسلوب الطبيعي: وهو الأسلوب الذي ينقل المظاهر الطبيعية بأمانة ويظهر جميع التفاصيل كما هي في الطبيعة، وتكثر في هذا الأسلوب صور الحيوانات، أما الصور الإنسانية فهي تظهر في حركة ونشاط على نحو طبيعي كما هي في الحياة.

- الأسلوب الشبه طبيعي: تظهر في هذا الأسلوب بعض التفاصيل الطبيعية كما توجد صور غير طبيعية كالصور الشبه إنسانية وصور الأشخاص برؤوس حيوانات ، كما توجد فيه الأقنعة والرموز، ويغلب على المشاهد السكون و الجمود.

- الأسلوب الشبه تخطيطي: وهو أسلوب لا تظهر فيه التفاصيل فلا نجد فيها ملامح الأشخاص أو أية تفاصيل أخرى، والحيوانات أيضا ليست مرسومة بشكل جيد ويتميز هذا الأسلوب بزنجرة فاتحة.

- الأسلوب التخطيطي: وهو أسلوب يتميز بصورة الرديئة وغير المتقنة، وبأشكاله البسيطة في شكل خطوط مع انعدام التفاصيل والحركة في المشاهد.⁽¹¹⁵⁶⁾

وإذا كانت مرحلتا الحصان والجمال تنتمي إلى الأسلوب الشبه التخطيطي والتخطيطي فإن مرحلة البقرات تنتمي نقوشها إلى الأسلوب الطبيعي، وهي تتكون من حيث الأسلوب والتقنية من أربعة أساليب، هي :

- الأسلوب ذو الأبعاد الكبيرة : ويمثل هذا الأسلوب المرحلة القديمة من الجاموس العتيق، وهو متواجد في وادي جرات، وتظهر فيه الحيوانات بمنظور مواجه، ويمثل خصوصا الحيوانات البرية الكبيرة كالفيلة و الجاموس العتيق، والأسود...، أما الإنسان فنادر ما يظهر بجوار حيوانات، ويتميز هذا الأسلوب بزنجار غامق لكونه قديم جدا⁽¹¹⁵⁷⁾.

- أسلوب تازينة : ينتمي هذا الأسلوب بالأساس إلى مرحلة الجاموس العتيق وهو أسلوب طبيعي ذو حجم صغير أطلق عليه هذا الاسم نسبة للموقع الذي عثر عليه في الأطلس الصحراوي، وكان هنري لوت هو أول من أطلق هذه التسمية لوصف مجموعة مشاهد ذات أسلوب شبه طبيعي⁽¹¹⁵⁸⁾، والجدير بالذكر أن موزيليني يعتقد أن أسلوب تازينة كان أسلوبا شبه طبيعيا ، لكنه تطور عبر الزمن ليصبح أسلوباً تخطيطياً في مرحلة الحصان⁽¹¹⁵⁹⁾.

ويتميز هذا الأسلوب بمظاهر جميلة للحيوانات خاصة الغزلان، وأحيانا نلاحظ أعضاء الحيوانات رقيقة وطويلة بشكل غير طبيعي خاصة للأرجل والذيل والقرون وخطوط الأنف ، والصقل في هذا الأسلوب يكون على شكل حرف U ونادرا ما كان على شكل الحرف V ، أما الواجهة الداخلية للنقوش فيمكن أن تكون مصقولة أو مخططة مع عدم وجود تنقيط

⁽¹¹⁵⁶⁾ Malika .Hachid ., 1983, op.cit, pp 143- 162

⁽¹¹⁵⁷⁾ Ginette. Aumassip., 1993, op.cit, pp10-11

⁽¹¹⁵⁸⁾ loc.cit.

⁽¹¹⁵⁹⁾ Alfred Muzzolini., 1995, Op.Cit., pp 86-89

داخلي، أما الزنجرة فهي غامقة مما يدل على أنها قديمة، ومن الحيوانات الممثلة في هذا الأسلوب الغزلان والزرافات والضباء (1160).

وهذا الأسلوب متواجد في مناطق الأطلس الصحراوي لكنه موجود أيضا في وادي جرات وفي الهوقار وفي هضبة "جادو" بالنيجر، ومن بين مشاهد في الهوقار صورة لضبي ذو شكل طولي في منطقة يوف أهيكات، وكذلك بعض الضباء والزرافات ذات الأسلوب الخيطي التي استعملت فيها تقنية الصقل الهامشي وهي موجودة في موقعين قرب تمنراست (1161)، كما توجد مشاهد نادرة لحيوانات برية في "تين أقالان" تعود للبقرات القديمة وإلى جانبها توجد مجموعات الصيادين من مرحلة الجاموس العتيق .

- أسلوب أريكين (Arrikine): وهو أسلوب طبيعي مبسط ذو نمط رقيق موجود في محطات مختلفة بالصحراء الوسطى، ومن بين الحيوانات الممثلة فيه الزرافات والضباء، وهذا الأسلوب متواجد في "وادي جرات" وفي تادرارت الجنوبية ومنطقة فزان بليبيا و"جادو" بالنيجر وفي الأطلس الصحراوي أيضا (1162).

- أسلوب حصباية : ينتشر هذا الأسلوب في نقوش الأطلس الصحراوي قرب الجلفة وهو يعود إلى مرحلة الجاموس العتيق، لكنه تطور وظهر بالطاسيلي والهوقار في مرحلة متأخرة، ويتميز هذا الأسلوب بحجمه المتوسط، وقد ظهرت فيه حيوانات برية منها الفيلة ووحيد القرن والأسود ... علما بأن بعض هذه الحيوانات تظهر بمنظور جانبي (1163)، ومن بين المشاهد التي تنتمي لهذا الأسلوب مشاهد الأبقار ذات القرون المتدلية ومشاهد النعامات والحر البرية، و النقوش التي تمثلها هي من النقوش العميقة حيث تتميز بتقنية الحز العميق وبوجود صقل على الواجهة الصخرية قبل تنفيذ النقوش (1164).

(1160) Ginette Aumassip., 1993, Op.Cit, pp9-11

(1161) Alfred Muzzolini ., 1995, Op.Cit, P 299

(1162) Ginette Aumassip ., 1993, Op.Cit. P12

(1163) Ibid, pp10-11

(1164) Ginette Aumassip., 2004, Op.Cit .P 289

خامسا : مواضيع نقوش وادي جرات :

أ- الحيوانات بين التقديس والسحر:

تحتل صور الحيوانات النسبة الأكبر من مشاهد وادي جرات فمن بين الحيوانات الموجودة هناك تحتل الأبقار النسبة الأكبر بينها إذ تبلغ نسبتها حوالي 48.50 % ، وهي تظهر في قطعان صغيرة غالبا ما تكون منفردة وأحيانا نجد بجانبها حيوانات برية وقليلًا ما نجدها مع الرعاة، وفي بعض الحالات تبدو أئداء الأبقار كبيرة مما يدل على نشاط الحلب والأبقار تظهر أحيانا بأقراط وقلائد وأشياء متدلّية من جسمها، أو تظهر وهي تحمل أوتادا وأشياء مختلفة مربوطة بقرونها أو على ظهرها وأحيانا تكون بسرج، وفي بعض الأحيان نجد نساء يركبن الأبقار. (اللوحة 10، 23)

والملاحظ أن الأبقار ذات قرون متعددة، فبعضها بقرن واحد أو قرون متدلّية وأحيانا قرونها متجهة إلى الأمام، وبعضها ذات قرون متجهة إلى الأسفل أو بشكل متعارض (1165) ، علما أن بعض تلك الأبقار قد لا تكون طبيعية فقد كان الرعاة يمارسون لوي القرون وهي نوع من الممارسات السحرية المتعلقة بالأبقار.

ومن الحيوانات الممثلة في وادي جرات الأغنام والماعز لكن صورها قليلة جدا، وفي المقابل توجد نسبة كبيرة من الحيوانات البرية، وهي في معظمها تنتمي إلى مرحلة الجاموس العتيق والبقریات، حيث تأتي في المرتبة الأولى النعامة التي تبلغ نسبتها 14.28% من بين الحيوانات في هذا الوادي، تليها الزرافات بنسبة تقدر ب 8.75 % ، ثم حيوانات وحيد القرن بنسبة 8.62 %، والفيلة بحوالي 6.82 %، تليها أفراس النهر ب 1.99 %، ثم الجاموس العتيق ب 0.70 % ، والسنوريات بنسبة تقدر ب 1.26 %، أما الكلاب فتبلغ نسبتها 1.48 % ، بنما تبلغ نسبة الضباء والغزلان 3.28 % ، كما توجد حيوانات أخرى كالتماسيح والحمير ولكن بنسبة قليلة .

والجدير بالذكر أنه في الكثير من المشاهد نجد حيوانات ذات حجم كبير، وبعضها لها مظهراً أسطورياً، وذلك يدل على أن الناس كانوا يعبدون بعض الحيوانات خاصة التي كانت تمثل لهم مصدر للقوة أو الحماية، ومن هذه الحيوانات الفيلة والزرافات ووحيد القرن والسنوريات والثيران والأفاعي، ونلاحظ أن الفيلة ربما تحظى باهتمام كبير من طرف السكان فهي تظهر دائما بحجم كبير في المشاهد، حيث يوجد في وادي جرات فيل عملاق يبلغ

(1165) Andrea dué ., 1994, op.cit, P35.

طوله 6 أمتار، مما يدل على أنه من الحيوانات المؤلمة، ونجد ما يدل على ذلك أيضا في الرسوم الصخرية بالطاسيلي، حيث أن هناك فيلة عملاقة في منطقة "تيسالاتين" (tissalatine) وفي وان زواتان⁽¹¹⁶⁶⁾. (اللوحة 20).

ورغم وجود الحيوانات البرية والأشخاص المقنعين إلا أن موضوع الصيد قليلا جدا في وادي جرات، فلم نجد مظاهر الصيد التقليدية كالأسلحة أو الحيوانات المقتولة أو المطاردة وهي مظاهر نجدها في رسوم الطاسيلي الأخرى، وعلى العكس من ذلك غالبا ما نجد أشخاص بجوار حيوانات برية في مشاهد تدل على العبادة (اللوحة 01، 11)، كما نجد الأشخاص مقنعين برؤوس حيوانات برية وهم من الكائنات الأسطورية. (الشكل 11، خريطة 11)

والجدير بالذكر أن منطقة وادي جرات قد عرفت ظاهرة تقديس الحيوانات كالأبقار والفيلة والأفاعي وحيوانات ابن آوى، كما عرفت عبادة آلهة الخصوبة والقوة الجنسية التي ارتبطت بآلهة وأبطال أسطوريين يحملون ملامح شبه حيوانية، وقد كرس الناس بعض الحيوانات خاصة حيوانات ابن آوى والفيلة والثور لآلهة القوة الخصوبة والقوة الجنسية (الشكل 11، اللوحة 20، 11).

ومن جانب آخر قام الإنسان بتمثيل عدة حيوانات مفترسة حتى يأمن لنفسه حماية سحرية منها، فهذه الحيوانات التي كانت تمثل مصدر خطر عليه، كانت في الوقت نفسه تمثل مصدر إعجاب يصل إلى التقديس نظرا للقوة الهائلة التي تميزت بها، ومن بين تلك الحيوانات: السنوريات والأفاعي وحيوانات ابن آوى والفيلة ووحيد القرن، وهو يرسمها أحيانا ليكسب نوعا من السيطرة السحرية عليها تمكنه من تقادي أخطارها أو الحصول على منافع معينة، فنجد مثلا يرسم أو ينقش بصمات أرجل هذه الحيوانات من أجل الحصول على حمايتها. (اللوحة 12، 40)

وقد لاحظنا أن الإنسان كان يعتقد أيضا بوجود أرواح وكائنات أسطورية ذات مظاهر شبه إنسانية، ويجسد اعتقاده بها بواسطة الرموز وببصمات الأيدي والأقدام التي يرسمها في المشاهد وهي تدل على الحماية السحرية ويرسم تلك الرموز والبصمات بجوار الأبقار والنساء

⁽¹¹⁶⁶⁾ Alain sèbe ., 1991, Tikatoutine: 6000 ans d'art rupestre saharien (Collection Tagoulmoust), Vidauban , paris.P182

من أجل حمايتها من الأمراض والعقم ومن اللصوص، والمعلوم أن الإنسان كان يتعرض لأخطار كثيرة في حياته، كما أن المعتقدات في ذلك الوقت كانت معقدة ومتنوعة تبعا للقبائل والأماكن المختلفة، فهناك من يؤمنون بالآلهة أو بالكائنات الأسطورية التي تتحكم في الطبيعة، وهناك من يؤمن بالأرواح التي تتحكم في عالمه خاصة أرواح الأجداد، فهو يتقرب إليها بطقوس مختلفة يقوم بها من أجل الحصول على حمايتها ورضاها مما يعود عليه بالمنافع. (اللوحة رقم 15، 16).

ولقد كانت الحماية من الأخطار هي شغله الشاغل في ذلك الوقت المضطرب إذ لم يكن الرعاة في أمان من الغارات أو من الأمراض الخطيرة التي تصيبهم أو تصيب ماشيتهم، كما أن نسبة الخصوبة لم تكن كبيرة ولكثير من الأولاد كان يموتون بعد الولادة، كما كانت القطعان تتعرض لأخطار مختلفة، ولعل مشاهد القطعان الكبيرة التي نجدها في المشاهد لا تعكس ازدهار الحياة الرعوية بقدر ما تعكس رغبة الرعاة في الحصول على عدد كبير من الحيوانات لذلك كانوا يرسمون تلك القطعان في نوع من الرغبة السحرية في امتلاكها، وكانوا غابا ما يرسمون رموزاً سحرية إلى جانبها. (اللوحة 12)

ونجد عادة رسوماً للأبقار وإلى جانبها رموزاً دائرية أو بصمات أيادي وأرجل بهدف الحماية، واليوم يفعل الناس نفس الشيء لكن بطريقة أخرى إذ نجد بعض الأشخاص يضعون تماث في شكل يد لحماية أنفسهم، أو يضعون قرون أبقار على أبوابهم من أجل الحماية من الحسد، وإن كان الخطر اليوم بالنسبة للإنسان معنويا وغير ملموس، فإن الإنسان فيما قبل التاريخ كان يعاني من أخطار متعددة كالأمراض والحروب واللصوص وكان يتخوف من عدة أشياء بعضها ملموس والبعض الآخر قد يكون أرواحاً شريرة أو كائنات أسطورية ووحوش خيالية، وكان يفسر كل ما يحدث له من ضرر على أنه نتيجة لغضب الآلهة أو أرواح الأجداد، لذلك كان يقوم بعدة طقوس قبل أن ينفذ تلك المشاهد بهدف استرضائها، وذلك من أجل نماء القطعان وتوفير الماء والعشب وسلامة الأسرة والقبيلة ونماء عدد أفرادهما .

وبشكل عام يمكن القول أن مواضيع المشاهد الفنية مرتبطة بصفة خاصة بالحيوانات، وبعض المشاهد تبدو غير طبيعية فهي خيالية أو سحرية والكثير منها تمثل مواضيع جنسية

تهدف لتحقيق الخصوبة، كما أن بعض الأشخاص نجدهم برؤوس ققط أو كلاب برية أو ضباع أو حيوانات ابن آوى، ومن الأمثلة على ذلك " مشهد صخرة أهناث بوادي جرات⁽¹¹⁶⁷⁾ (اللوحة 25)، كما نجد أشخاص يلمسون حيوانات برية كالزرافات أو وحيد القرن⁽¹¹⁶⁸⁾، (اللوحة 01، 11) أو يمارسون علاقات شاذة معها، مع العلم أن هذه المشاهد الشاذة قليلة مقارنة مع نقوش وادي ماثندوش التي تنتشر فيها هذه المشاهد بكثرة .

لقد عرف الإنسان حيوانات معينة على أنها تتمتع بقدرة جنسية كبيرة لذلك كان يجسد هذه الحيوانات في الفن الصخري وفي المنحوتات الحجرية والطينية ليكتسب قدرتها الجنسية، وكان يضيف تلك القوة والمظهر الحيواني على الأجداد القدامى والأبطال الأسطوريين ليظهرهم بمظهر قوي، كما يضيف على الحيوانات التي يعبدها مظهرا إنسانيا بأن يضع لها جسد إنسان. (اللوحة 25 ، الشكل 11، خريطة 11).

والإنسان كان يعبد الكثير من الحيوانات كالثيران والفيلة والأسود والكلاب والأفاعي والقردة وأحيانا الكلاب أو الزرافات، وهذا الأمر لم يقتصر على الصحراء الوسطى بل نجده في الكثير من الحضارات القديمة ولا يزال الناس إلى يومنا هذا يجسدون آلهتهم في تماثيل تتخذ شكل حيوانات، ومن الأمثلة على ذلك الآلهة الهندية التي تتخذ شكل أبقار وفيلة، وفي مملكة تايلاند وبوتان لا يزال ينظر إلى الفيلة البيضاء على أنها مقدسة جميع أنحاء العالم كان الناس يعبدون تلك الحيوانات ويجسدونها في تماثيل .

لكن الشيء المميز في الصحراء الوسطى أن هناك حيوانات معينة كانت مقدسة لديهم بشكل لا نجده في مكان آخر، فحيوانات ابن آوى والكلاب البرية كانت مقدسة ومرتبطة بالقوة الجنسية والخصوبة، وذلك لأننا نجدها ممثلة في المشاهد الجنسية في نقوش وادي جرات ونقوش هضبة المساك الليبية، فالعديد من الأشخاص نجدهم مقنعين برؤوس ابن آوى أو برؤوس كلاب برية وهم موجودون في مشاهد مضاجعة مع نساء مقنعات أيضا برؤوس نفس الحيوانات، وغالبا ما تكون النساء أكبر حجما من الرجال(اللوحة 25) .

وهذا يدعو إلى الاستغراب والتساؤل لماذا اختار الإنسان هذه الحيوانات بالذات ؟

⁽¹¹⁶⁷⁾ A Muzzolini ., 1995, Op.Cit. P265

⁽¹¹⁶⁸⁾ مشاهد لمس الحيوانات كثيرة في وادي جرات خاصة الفيلة ووحيد القرن والزرافات ، وهو ما نجده أيضا في مناطق من الطاسيلي والهوفار أيضا ، كما نجده في رسوم الأكاكوس في تين لالان Tin Lalan حيث يوجد شخص يلمس ذيل وحيد القرن، ينظر : Jean Loic Le Quellec ., 1993, Symbolisme..., p415.fig134-9.418:

بشكل عام تعتبر هذه الحيوانات ضئيلة الحجم مقارنة بحيوانات كبيرة كالفيلة، كما أنها لا يتمتع بقوة جنسية كتلك التي تتمتع بها الثيران أو الكباش، وربما قوة هذا الحيوان ترتبط بمكره فقط فرغم أنه ليس صيادا ماهر على غرار الفهد، إلا أنه يشتهر بين الناس بدهائه وهو لا يهاجم الإنسان، واليوم لا يزال هذا الحيوان يعرف بدهائه ومكره، كما أن هذا الحيوان مرتبط بالمطر بشكل أسطوري في شمال إفريقيا، فعندما تسقط الأمطار ويكون الجو مشمساً يقال "عرس الذيب"⁽¹¹⁶⁹⁾، وهذه الكلمة المتوارثة في شمال إفريقيا يبدو أن لها جذوراً في ما قبل التاريخ، فهذا الحيوان مرتبط بالخصوبة والأمطار وبالفعل الجنسي أيضا .

كما أن بعض المشاهد تعتبر ذات طابع رمزي وكثيرا ما يظهر فيها الأشخاص مقنعين برؤوس تلك الحيوانات ضمن مشاهد مضاجعة تعتبر مشاهد شاذة وغير طبيعية، تماما مثل التناقض الذي يراه الناس عند سقوط الأمطار مع أن الجو مشمس.

ونحن لا نستبعد أن الإنسان كان ينظر إلى هذا الحيوان على أنه رمز لخصوبة الطبيعة المرتبطة بالفعل الجنسي عند الإنسان، لذلك يظهر في المشاهد أشخاص برؤوس حيوانات ابن آوى وهم يمثلون أشخاصاً أسطوريين أو آلهة للخصوبة، ووفقاً لهذا الأمر أصبحت هذه الحيوانات مرتبطة بشخصيات أسطورية أو آلهة القوة الذكرية .

وهؤلاء الأشخاص والكائنات الخيالية كانت تملك قوى هائلة، وربما هم أجداد أسطوريين أو أنصاف آلهة على غرار أبطال الأساطير المصرية والإغريقية، فعلى ما يبدو أن الرصيد الأسطوري للشعوب الصحراوية التي سكنت الطاسيلي والهوفار وهضبة المساك في ذلك الوقت كان ملئاً بالكائنات الخرافية التي لها أجساد بشرية ورؤوس حيوانات وتملك قوى فوق طبيعية. (الشكل 11)

ومما يمكن ملاحظته حول هذه الكائنات الأسطورية التي لها رؤوس حيوانات أن المشاهد التي تظهر في هضبة المساك الليبية مختلفة قليلا عن تلك الموجودة في وادي جرات من حيث الحيوانات وطبيعة المشهد وموضوعه، ففي هضبة المساك نجد الكائنات

⁽¹¹⁶⁹⁾ تطلق هذه الجملة في حالة هطول المطر مع وجود الشمس في كامل منطقة شمال إفريقيا، ويبدو أن لها علاقة بالتراث البربري أيضا فعندما تسقط الأمطار يردد الناس عبارات تربط بين الشمس والأمطار والذئب، ولا شك أن هناك أساطير كانت وربما لا تزال متداولة بين الناس حول هذه المسألة، للمزيد من المعلومات وحول أصل هذه الأسطورة في التراث البربري، ينظر: محمد أوسوس، 2007، دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المغرب .

الأسطورية لها رؤوس حيوان الكلب البري والمشاهد مرتبطة خاصة بموضوع جنسي يتضمن الكثير من الصور الشاذة⁽¹¹⁷⁰⁾ لأشخاص مع حيوانات، أما في وادي جرات فالحيوان الممثل هو ابن آوى chacal والمظاهر الجنسية طبيعية وليست شاذة⁽¹¹⁷¹⁾

ومن الواضح بالنسبة لنا أن هذه الحيوانات لها دور ديني هام لدى الشعوب التي عاشت في المنطقة، فبالنسبة لوادي جرات كان حيوان ابن آوى مقدسا وهو مرتبط بالقوة الجنسية، أما في هضبة المساك فقد كان حيوان الكلب البري، وليس من المستغرب أن يعتقد الناس في ذلك الوقت بوجود كائنات لها رؤوس حيوانية ، فهي موجودة إلى اليوم في مخيلة السكان في شمال إفريقيا، فمثلا يعتبر "الغول" شخصية أسطورية منتشرة لدى الكثير من الشعوب ومنها في شمال إفريقيا، وهو في الغالب يتخذ مظهرا شبه إنساني برأس حيوان، فهو بذلك لا يختلف كثيرا عن شخصيات الأساطير في الطاسيلي.

والمعلوم أن الرصيد الأسطوري للكثير من الشعوب القديمة والحديثة توجد فيها كائنات وآلهة لها جسم إنسان ورأس حيوان، ولنا أمثلة عن ذلك في أساطير بلاد الرافدين ومصر والأساطير الإغريقية والآلهة الهندية، والمعلوم أن صور الأشخاص الذين لهم رؤوس حيوانات تعج بهم جدران المعابد المصرية، لذلك فإن تلك المشاهد في الطاسيلي والهوفار إنما تمثل آلهة كان يعبدها الإنسان، أو أبطال أسطوريون يتمتعون بقدرات كبيرة. (الشكل 11)

ومن جهة ثانية تكرر بعض الشعوب حيوان معين على أنه الحيوان الأول أو سيد الحيوانات البرية أو سيد الغابة، على نحو مشابه لتسمية ملك الغابة التي تطلق على الأسد عند الكثير من الشعوب، وقد دأب الإنسان على ربط الشخصيات العظيمة بحيوانات معينة ، فالمصريون القدامى يعتبرون ملوكهم أسودا، أما الآلهة التي كان يعبدها الإنسان فقد جعل

⁽¹¹⁷⁰⁾ الملاحظ أن المنطقتين تتميزان بكثرة المشاهد الجنسية ومنها الشاذة ففي منطقة "مساك ستافت" ، تتواجد العديد من المشاهد الشاذة منها ما يتضمن مشهد جنسي لإنسان مع الفيل في تبلي زاغان Telisaghen ، أنظر :

Léone Allard- Huard., 1993, dialogues rupestres, tome 1 , les chasseurs , published L. Allard-Huard, 1993, p197

⁽¹¹⁷¹⁾ Jean-Loic, Le Quellaec ., 2007, Ni hommes, Ni Animaux: Les Théranthropes .Un Aliment Pour L'esprit ؟ , In : Jean-Pierre Poulain (Ed), L'homme, Le Mangeur, L'animal. Qui Nourrit L'autre? Actes Du Colloque Organisé Par l'OCHA avec la participation du CETSHA du CR 17 de l'AILF et de l'ERITA (EA 3683) de l'Université de Toulouse 2 – Le Mirail, les 12 et 13 mai 2006 à l'Institut Pasteur à Paris, p62

لها مظاهر حيوانية ليضفي عليها هيبة وقوة كبيرة، وأصبحت بعض تلك الآلهة بالنسبة له سيدة الحيوانات البرية أو سيدة الغابة. (اللوحة 13)

وقد اعتقدت مجموعات الصيادين والرعاة في مناطق مختلفة من العالم بهذه الآلهة ، ففي منطقة "كتال هيويك" بالأناضول وجد تمثال لامرأة مقنعة تضع يديها على اثنين من الأسود وهي تعتبر بمثابة سيدة الحيوانات البرية، وفي الأساطير الكنعانية تعتبر "عشتار" سيدة الوحوش البرية، ولدى الرومان تعتبر "أرتميس" سيدة الحيوانات، أما في الطاسيلي والهوقار وهضبة المساك فيمكن أن نجد صور تعبر على نفس المعنى، مثلما هو الأمر بالنسبة للمشاهد الذي يمثل سيدة الحيوانات البرية في منطقة "تيلي زغان" (Telisaghen) بهضبة المساك، أو مشهد وادي تسات بالطاسيلي الذي يمثل نفس الموضوع (اللوحة 13)

ب - مظاهر الخصوبة في وادي جرات:

ومن بين المواضيع المنتشرة بشكل كبير في وادي جرات موضوع الخصوبة حيث توجد مشاهد تعبر عن عبادة آلهة الخصوبة والقوة الجنسية⁽¹¹⁷²⁾، وهذه المشاهد هي بالأساس مشاهد جنسية ومعظمها يبدو غير طبيعي لكونها تتضمن رجالاً ونساءً مقنعين برؤوس حيوانات، وهو ما يدل على طابعها الأسطوري، ومن أهم تلك المشاهد مشهد "صخرة أهناث" فهو يمثل نموذجاً لتلك المشاهد، نظرا لوجود إله ذو حجم هائل يشرف على مجموعة من المشاهد الجنسية مما يدل على أنه إله القوة الجنسية أو إله الخصوبة⁽¹¹⁷³⁾ (اللوحة 25).

وقد اختلف الباحثون في تفسير هذه المشاهد فهنري بروي يقول أن مثل هذه المشاهد تعبر عن جنون جنسي لدى هؤلاء الناس⁽¹¹⁷⁴⁾، أو أنها تمثل "ليلة الخطيئة" أو قد تكون لها علاقة بالحفاظ على أعداد الأفراد⁽¹¹⁷⁵⁾، أما مليكة حشيد فتري أن روحاً شيطانية قد سيطرت عليهم وشوشت أفكارهم فأنجبوا هذه المناظر الجنسية⁽¹¹⁷⁶⁾، بينما يعتبرها جون لاجو (j d lajoux) تعبيراً عن الحياة وتزايد الجنس البشري⁽¹¹⁷⁷⁾.

⁽¹¹⁷²⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 1993, symbolisme..., p344,348,fig 108-1, 110-1

⁽¹¹⁷³⁾ Jan Jelinek., 2004, op.cit, p54

⁽¹¹⁷⁴⁾ Jean loïc le quellec ., 1993, symbolisme..., P373 .

⁽¹¹⁷⁵⁾ Ibid..p344, 348,fig 108-1, 110-1

⁽¹¹⁷⁶⁾ Malika Hachid., 1998, Op.Cit , P 261 .

⁽¹¹⁷⁷⁾ Jean Dominique Lajoux. , 1976, Op.Cit, P103.

أما فابريزيو موري فقد فسر وجود مشهد جنسي في " تين لالان" بالأكاكوس على أن هذه المنطقة كرسيت لعبادة الخصوبة المقترنة بالروح التعويذية الدينية المسيطرة على عقول هؤلاء الناس⁽¹¹⁷⁸⁾، والمعلوم أن هذه المنطقة فيها مشاهد مماثلة لما في وادي جرات⁽¹¹⁷⁹⁾ (اللوحة 26).

وبالنسبة لجون لوكلاك فإن هذه المشاهد خاصة الشاذة منها تعتبر صورا رمزية لها علاقة بالصيد والسحر والخصوبة، لوجود دوائر حلزونية ثنائية أو ثلاثية ذات طابع سحري في المشاهد، وهو يعتقد أن هذه المشاهد تنتمي لمرحلة الجاموس العتيق القديمة وليس إلى مرحلة البقرات نظرا لوجود حيوانات برية في هذه المشاهد وغياب الأبقار⁽¹¹⁸⁰⁾.

وفي تلك المشاهد تظهر المرأة في وضعيات جنسية مختلفة مع هؤلاء الرجال المقنعين برؤوس الحيوانات، فالرجال ذو منظور أمامي أما النساء فيظهرن في وضعية موحدة للأيدي والساقين، والصدر غير موضح بينما الأعضاء الجنسية واضحة، وتتميز النسوة بأنهن ذوات حجم كبير ولهن شعر طويل، على عكس الرجال الذين لهم شعر قصير وتسريحة شعر في شكل قبعة⁽¹¹⁸¹⁾.

ولا تقتصر تلك المشاهد على وادي جرات بل توجد مشاهد جنسية وأسطورية في " وادي مئاندوش" بهضبة المساك وهي في معظمها مشاهد تمثل علاقات جنسية شاذة مع حيوانات، كما توجد مشاهد مماثلة في رسوم الطاسيلي كما في منطقة "تيمولاسي" الذي نجد فيها يمثل شخص برأس كلب لكنه لا يوجد ضمن مشهد جنسي⁽¹¹⁸²⁾، بينما نجد مشاهد جنسية طبيعية في مناطق مختلفة من الطاسيلي منها "أونغهات" و" تمنزوزين" وأوان زواتان بتادرات الجنوبية⁽¹¹⁸³⁾.

⁽¹¹⁷⁸⁾ ابراهيم العيد بشي، 2007، المرجع السابق، ج 4، ص 18.

⁽¹¹⁷⁹⁾ Jan Jelinek., 2004, op.cit, p54

⁽¹¹⁸⁰⁾ Paul Huard . L Allard ., 1976 , Les Figurations Rupestres De La Région De Djelfa Revue Libyca, tome24, , 1976, p115

⁽¹¹⁸¹⁾ Christian Dupuy ., 2007, op.cit, p31

⁽¹¹⁸²⁾ Alain Sèbe .,1991, Op.Cit.P182

⁽¹¹⁸³⁾ Jean-Loïc Le Quellec, 1993, op.cit, pp344,348,fig 108-1, 110-1

وتوجد مشاهد جنسية في نقوش الجنوب القسنطيني في "كاف سيدي صالح" في قسنطينة و"كاف تارفانا" و"شعبة الهلسا" في نفس المنطقة⁽¹¹⁸⁴⁾، أما في الأطلس الصحراوي فتوجد مشاهد مماثلة في موقع "الرصفة الحمراء من تحت" وفي "موقع الكريمة"⁽¹¹⁸⁵⁾، ويبدو أن تفسير تلك المشاهد لا تخرج عن أحد أمرين:

أولهما أن هذه المشاهد تمثل آلهة الخصوبة الأنثوية وآلهة القوة الجنسية الذكرية، فالديانات القديمة في مصر وفي بلاد الرافدين وبلاد الإغريق كانت تزخر بالقصص الأسطورية عن العلاقات الجنسية بين الآلهة، وفي أكثر تلك القصص كانت الآلهة الأنثوية تتمتع بمكانة أكبر من الآلهة الذكرية مثل القصة الأسطورية المصرية عن "إيزيس" و"أوزوريس" وقصة "إينانا" أو "عشتار" مع "دموزي" في بلاد الرافدين، وفي وادي جرات حرص الفنان دائما على تمثيل المرأة بحجم أكبر من الرجل .

أما الأمر الثاني فهو أن هذه المشاهد تمثل كائنات أسطورية خيالية أو أبطال أسطوريون أو أنصاف آلهة لهم قوة جنسية كبيرة ، والمشاهد تعد تعبيراً رمزياً عنهم ، وهي لا توجد دوماً في مشاهد جنسية فقد تظهر في شكل أشخاص لهم مظهر حيواني وحجم كبير كما تظهر في شكل حيوانات هائلة الحجم، أما وجود تلك الكائنات في مشاهد جنسية ربما هو تجسيدا للخصوبة فهو لا يقتصر على فترة ما قبل التاريخ بل هي موجودة عند الكثير من الحضارات القديمة كما هو الأمر في الميثولوجيا المصرية والإغريقية.

فيجب أن لا نحكم على هذه الصور وهي منفردة بل يجب أن ننظر إليها في إطارها العام الذي توجد فيه، فلا يمكن أن نقول أن تلك المشاهد تعبر عن رغبات جنسية، ذلك أن هؤلاء لا يملكون رغبات مكبوتة فلا توجد محرمات لديهم وفق ما يبدو، كما أننا يمكن أن نطرح تساؤلاً عن سبب وجود الحيوانات والرموز في تلك المشاهد إذا كان المشاهد جنسياً ، لذلك فإن التفسير الوحيد هو أنها تمثل آلهة أو كائنات أسطورية كأن يكونوا أجدادا أسطوريون يتمتعون بقدرات فوق طبيعية، أما بالنسبة لوجود الحيوانات الأخرى في المشهد

⁽¹¹⁸⁴⁾ Gillette Et Louis Le Febevre ., 1967, Corpus Des Gravures Et Des Peintures Rupestre Dans La Région De Constantine , Mémoire De CRAPE, N°7, Paris: Editions Art et Metiere Graphique , pp124-129,188, 192, 235, fig 85, 124, 133, 137, 138, 165.

⁽¹¹⁸⁵⁾ Henri .Lhote .,1970, Les Gravures Rupestre Du Sud –Oranais ,Mémoire De C.R.A.P.E, n°16 , Paris: Edition AM G , N° 16, p76, fig 19 ,p141, fig 42.

فهي غالبا من أجل التضحية بها للحصول على الخصوبة والأولاد. (اللوحة 25، الخريطة 11)

وقد علمنا أن الطوارق الذين يعانون من العقم كانوا يذهبون إلى الأماكن التي توجد فيها تلك الرسوم، ومن المفترض أن الناس كانوا يأتون إلى هذا المكان لأداء الصلوات لهذه الآلهة ولطلب الخصوبة والأولاد، وربما كانوا يقدمون القرابين هناك تكريما لها.

- مشاهد الآلهة الكبرى والأشخاص ذوي القضيب البارز: يتمثل هذا الأسلوب في مشاهد يظهر فيها أشخاص ذوو حجم كبير وهم مقنعين سواء بقناع طقوسي أو قناع برأس حيوان، ويظهر هؤلاء الأشخاص غالبا بقضيب بارز وبمظهر خيالي، ومن بين أهم المشاهد التي تمثل الآلهة الذكرية، إله "صخرة أهانت" في وادي جرات ⁽¹¹⁸⁶⁾. (اللوحة 25)

كما نجد مشاهد أخرى يبدو فيه أشخاص ذو هيئة عظيمة يشرفون على المشهد فهم بمثابة آلهة تشرف على مخلوقاتهما، وفي الكثير من تلك المشاهد نجد النساء فالأمر يتعلق بآلهة أنثوية، مشهد "السيدة البيضاء" في أونغها (اللوحة 18)، وهو لا يختلف كثيرا عن مشهد صخرة أهانت في وادي جرات فكلاهما يعبر عن موضوع الخصوبة لكن مشهد السيدة البيضاء خالي من المظاهر الجنسية وهو يعبر عن خصوبة الطبيعة، أما مشاهد وادي جرات فهي مكرسة للخصوبة والقوة الذكرية .

تكثر المشاهد التي يظهر فيها أشخاص بقضيب بارز وبعضهم مقنعين بقناع من رؤوس فصيلة الكلاب، كما تُظهر بعض المشاهد القضيب في وضعية القذف، والكثير من هذه المشاهد تعد في الواقع جزءاً من مشهد جنسي مع نساء مقنعات أو غير مقنعات، والجدير بالذكر أن الكثير من تلك المشاهد تبدو غير طبيعية، مما يدل على أن هؤلاء أشخاص أسطوريون أو آلهة، وهذه المشاهد تعد تمثيلاً للمعتقدات والأساطير التي كانت موجودة لديهم عن آلهة تتمتع بقدرة جنسية هائلة .

⁽¹¹⁸⁶⁾ يظهر في المشهد شخص يبلغ حجمه 02 متر وهو مقنع وله قرون أيضا وأرجله عبارة عن حوافر، وهو من ذو

قضيب بارز، وهذا الشخص الذي يعتبر إله الخصوبة والقوة الجنسية يشرف على مشهد جنسي متعدد يظهر فيه عدة أشخاص نساء ورجال كلهم مقنعين وهم في وضعية مضاجعة، ويعد هذا المشهد فريد من نوعه في وادي جرات ورغم وجود مشاهد مضاجعة في هذه المنطقة ، إلا أن الأمر المختلف هنا هو وجود صورة الآلهة الكبير .

فالمعروف أن معظم الشعوب لديها آلهة وأساطير وأبطال الذين هم أشخاص ذوو قدرة جنسية كبيرة، ومن الأمثلة على ذلك الآلهة المصرية الكثيرة التي تمثل في الغالب بشخصيات ذات رؤوس حيوانات مثل الاله " أنوبيس " في مصر، والكثير من الشعوب في الوقت الحاضر لا تزال تعتقد بوجود هذه الكائنات الأسطورية، ففي الصحراء الوسطى نجد الطوارق يعتقدون أن بطلاً أسطوري يدعى أميرولكيس⁽¹¹⁸⁷⁾ يتمتع بقدرة جنسية كبيرة ولديه رغبات شاذة أيضاً.⁽¹¹⁸⁸⁾

وبخصوص هذا البطل الأسطوري يقال بأنه هو الذي علم الناس الكتابة والشعر، وفي الأسطورة فإن هذا الأخير ضاجع فيلا، وحسب الباحث لوكلانك فإن هذه الأسطورة تبدو قديمة جداً، وربما لها ارتباطاً بالمشاهد التي وجدت في هضبة المساك الليبية المجاورة للطاسيلي التي وجد فيها أشخاص يضاجعون فيلة⁽¹¹⁸⁹⁾، والجدير بالذكر أن هناك مشاهد في الهوفاًر أيضاً تمثل ممارسات شاذة لأشخاص يضاجعون فيلة ، ومشاهد مماثلة موجودة في وادي جرات مما يدل على صحة تلك الأسطورة .

والملاحظ أن مشاهد الفيلة كثيرة في وادي جرات كما في الهوفاًر، وبعض هذه الفيلة يركبها أشخاص مقنعين برؤوس حيوانات من فصيلة الكلاب يضاجعون فيلة وهو قد يبدو لنا من الوهلة الأولى نوعاً من الشذوذ الجنسي، غير أن كثرة هذه الحيوانات وطريقة تنفيذها ، وما نجده لدى الشعوب الأخرى والأساطير المنتشرة لدى الطوارق، كلها تجعلنا نعتقد أن الأمر لا يتعلق بممارسة شذوذ جنسي، بل إن هذه المشاهد هي تعبير عن أسطورة قديمة كانت متوارثة بين تلك الشعوب .

وفي تلك الأسطورة هناك حيوانات معينة كانت ترتبط عند الإنسان بالقوة الجنسية، لذلك فإن الإنسان كان يكرسها للخصوبة ، ويتجسد المشهد في أشخاص أسطوريين يملكون قدرات جنسية خارقة، والهدف من تمثيل هذه المشاهد إنما هو طلب الخصوبة، و نحن لا نستبعد أن الإنسان في ما قبل التاريخ كان يتعبد في تلك المواقع .

⁽¹¹⁸⁷⁾ يعتقد الطوارق أن " أميرولكيس " هو أول من اخترع الغناء والشعر والكتابة وأنه عندما كان يغني كانت جميع الحيوانات تأتي إليه ، كما أنه كان محبوباً من طرف النساء ، وكان بالنسبة لهم يتمتع بقوة جسدية هائلة ، كما يمكنه أن يشفي من العقم أيضاً ...، أنظر : jean loic Le Quellec., 1998, op.cit.p 243-244

⁽¹¹⁸⁸⁾ Jean Loic Le Quellec, ., 1998, Op.Cit.pp243-24

⁽¹¹⁸⁹⁾ Ibid.P 377

وتعتقد بعض الشعوب أن الرسوم الصخرية التي تعود لما قبل التاريخ إنما تم إنجازها من طرف الأجداد وهذا ما نجده لدى قبيلة "الوسامو" (wasamo) التي تسكن حول بحيرة فكتوريا بكينيا، حيث أنهم يعتقدون أن الرسوم الصخرية تحمل قوى خاصة، وفي أمريكا الشمالية في حوض "كلاماتش" جنوب "أوريغن" هناك أسطورة منتشرة بين السكان الأصليين مفادها أن بطلاً أسطوريا يسمى "جيموكاماك" (gimokamac) هو الذي أنجز الرسوم (1190).

وكما هو معروف فإن الطوارق يسمون الأشخاص المقنعين باسم "الجنون" أي أنهم من الجن، ويطلقون عليهم اسم "إجبارن" (1191) وتعني العمالقة، وهم يشيرون بذلك إلى صور "المريخيون" المنتشرين في منطقة جبارين بالطاسيلي، وهم يعتقدون أن الجن هي من تحرك الريح (1192).

وقد حرص الفنان على إظهار الأشخاص بمظهر حيواني إذ أننا نلاحظ أنه لدى المقنعين برؤوس كلاب نرى مظهر حيوانياً شبه كامل، حيث نجد لديهم الذيول الصغيرة معكوفة إلى الوراء (1193)، وذيول طويلة أخرى بالنسبة للذين لهم رؤوس ضباء (1194)، ولم يغفل الفنان التفاصيل الدقيقة إذ أننا نجد في بعض المشاهد الأسنان واضحة، كما هو الأمر في مشهد صخرة أهانت بوادي جرات، كما أن الإنسان يحاول أن يقلد حركات الحيوان الذي يمثله في الصورة، وهو ما يعني أن هذه الحيوانات كانت مقدسة، ولا شك أنها كانت مكرسة للخصوبة . (اللوحة 25، 26، الشكل 11)

(1190) Alec Compbell . Jean Clottes .David Coulson ., 2007, Utilisation Moderne D'abrés Ornés Au Kenya Et en Ouganda , Inora ,n°49 , 2007 , P24.

(1191) إن الرصيد الأسطوري للطوارق غني جداً بالقصص الخرافية فأسماء العديد من المناطق في الهوفار أو الطاسيلي مرتبطة بأساطير ، فمنطقة "ان تاهات" تعود لاسم امرأة ، كما أن "الإمان" الذي هو اسم لجبل في الهوفار كان القديم شخص ييحب تاهاراغت وهي امرأة (جبل تاهاراغت) ، وكان الرجل والمرأة متحابين ، لكن أمجر كان يريد لها (جبل أمجر في الهوفار) ، وتقول الأسطورة أن صراعا قد اندلع بينهما فقد ضرت "أمجر" "الإمان" بسيفه ، مما جعله يغادر المنطقة ، ويترك "تاهاراغت" "لأمجر" وهما اليوم جبلين قريبين من بعضهما ، ولكن "الإمان" ما لبث أن تعلق "بتاهات" وخاص صراعا مع جبل آخر هو "تي هيان" Ti Hiyéne ، حول هذه الأسطورة وأساطير أخرى، ينظر :

Claude Blonguernin ., 1955, op.cit, pp18-19

(1192) Claude Blonguernin ., 1955, opcit ,pp18-19

(1193) Henri lhote .,1976, les gravures ... tome 1 ,p 376,fig 1313.station ,n°28

(1194) Ibid. Tome2 , p 421, fig 1459. Station, n°28.

وقد لاحظنا في الكثير من مشاهد الفن الصخري سواء في الطاسيلي أو في الهوفاًر أو الأطلس الصحراوي أن الإنسان كان يحرص على توضيح الأعضاء التناسلية للأشخاص، والعضو الذكري يبدو في حالة انتصاب في الكثير من المشاهد .

وقد ذكرنا في دراستنا السابقة أن الخصوبة كانت من أهم المواضيع التي جسدها الإنسان في الفن الصخري في كل الفترات وفي معظم أساليبه، ماعداً في مرحلة الرؤوس المستديرة حيث كانت المشاهد الجنسية من بين المحرمات⁽¹¹⁹⁵⁾، مع العلم أن المشاهد الجنسية في معظمها هي مشاهد رمزية تهدف إلى الخصوبة، رغم كونها متعددة ومختلفة وبعضها قد يكون شاذاً⁽¹¹⁹⁶⁾.

وفيمشاهد الخصوبة غالباً ما نجد صور لأشخاص يشبهون الإله المصري بيس (Bès) حيث الساقان منفرجان والأيادي موضوعة على الجانبين⁽¹¹⁹⁷⁾، وفي العديد من المشاهد يحرص الفنان على إظهار الأشخاص بقضيب بارز على نحو مشابه للإله المصري "سيت" (sèth) أيضاً الذي يعتبر إله الأرض أو الصحراء أي الأرض الواقعة في الغرب ويعرف أيضاً بارتباطه بقوة التناسل⁽¹¹⁹⁸⁾، كما أنه مرتبط عند المصريين بالشر، فهو عدو "ازوريس" في قصة الخلق⁽¹¹⁹⁹⁾، وهو يرتبط عادة بالليبيين الذين كانوا يعيشون غرب مصر، مما يعني أنه من أصول صحراوية فقد يكون نسخة عن إله الخصوبة في وادي جرات⁽¹²⁰⁰⁾.

- عبادة قوة الخصوبة والتناسل:

تعكس المشاهد الكثيرة التي يظهر فيها أشخاص بقضيب بارز طقوساً وعقائد دينية تدور حول الإخصاب والفحولة، وهي موجودة في وادي جرات وفي تادارارت الجنوبية وفي الهوفاًر، ومن بين تلك المشاهد مشهد في "تيهوبار أن اتارام" بالطاسيلي يمثل صوراً منقوشة

⁽¹¹⁹⁵⁾ Paul Huard . Leon Allard ., 1976 , op.cit.p115

⁽¹¹⁹⁶⁾ Malika. Hachid., 1985, P02

⁽¹¹⁹⁷⁾ Jean-Loïc Le Quellec .,2001, op.cit, p 159

⁽¹¹⁹⁸⁾ Gerard Jacque , 1999, L'arche Du Déluge . Art Du Messak : Messenger Du Désert . Grenoble, France: Edition Vivrance, P31.

⁽¹¹⁹⁹⁾ صمويل نوح كريم ، 1974، أساطير العالم القديم ، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، القاهرة . الهيئة المصرية

للكتاب ص54-55.

⁽¹²⁰⁰⁾ الإله "ست" sèth له هيئة إنسان برأس كلب، ويعد أقدم آلهة مصر، مركز عبادته في أمبوس (محافظة قنا) ، وهو يرمز عند المصريين للشر، ينظر: ياروسلاف تشرنى، 1996، الديانة المصرية، ترجمة أحمد قدرى، القاهرة : دار الشروق ، ص ص226، 232.

لأشخاص وحيوانات من بينها أبقار⁽¹²⁰¹⁾، كما توجد رسوم في ملجأ إيدانويين غرب الطاسيلي تعبر عن الموضوع نفسه⁽¹²⁰²⁾.

وهناك أدلة كثيرة على وجود عبادة لها علاقة بقوة التناسل في الطاسيلي والهوفار فوجود تلك المشاهد بهذا الشكل الكبير إنما يدل على حاجة الرعاة لنماء الأفراد والقطعان ، لذلك فقد عبدوا الحيوانات ذات القدرة الجنسية الكبيرة كال كبش والثور⁽¹²⁰³⁾، ولا يزال الطوارق إلى اليوم يقومون بزيارة الأماكن التي توجد بها رسوم جنسية خاصة من أجل الحصول على الأولاد والحماية من العقم مثلما كان يفعل أجدادهم قبل آلاف السنين .

ومن جهة ثانية هناك دلائل واضحة على وجود عبادة للعضو الذكري في الطاسيلي فقد وجدت تماثيل حجرية تشبه القضيب الذكري في أماكن مختلفة من الطاسيلي، فإحدى هذه التماثيل وجدت في منطقة بين عرق إساون وعرق تفرنين، ويبلغ طوله 50 سم (الشكل 12) ، وهناك تمثال آخر اكتشف في تابلالة⁽¹²⁰⁴⁾ من طرف الباحثة كامبس فابر، كما أكتشف تماثيل أخرى في "عرق تيهوداين" وعرق آدمر، وهو ما يجعلنا نعتقد بوجود عبادة للقضيب الذكري الذي يرمز للخصوبة، تماما مثلما هو معروف اليوم لدى بعض الشعوب الإفريقية والآسيوية⁽¹²⁰⁵⁾، وكانت بعض هذه الشعوب ولا تزال تقدر القضيب الذكرى كما هو الأمر في اليابان والهند وتتخذ له المعابد والاحتفالات الطقوسية⁽¹²⁰⁶⁾ .

والجدير بالذكر أن عبادة القضيب الذكري كانت موجودة في السابق في العصر الحجري القديم المتأخر بشمال إفريقيا فقد وجدت تماثيل لعضو التناسل الذكري ضمن بقايا

⁽¹²⁰¹⁾ Henri LHOTÉ., 1952 , Gravures rupestres de Tihoubar'n'Ataram (Tassili n'Ajjer). Act de 2ème Sess. Congr Panaf. de Préhist., Algerie , pp737-738

⁽¹²⁰²⁾ Ulrich W Hallier & Brigitte C. Hallier .,2005,op.cit, p8

⁽¹²⁰³⁾ كان المصريون القدماء يستخدمون كلمة " ثور " للتعبير عن القوة والخصوبة ، ينظر : كتاب الموتى الفرعوني، 1988، برت إمهور الترجمة من الهيروغليفية السير والس بيدج، الترجمة العربية والتعليق فيليب عطية مكتبة مدبولي القاهرة ، ص196.

⁽¹²⁰⁴⁾ حول تماثيل تابلالة أنظر :

H Camps-Faber ,1966 ,Matière et Art Mobilier dans la Préhistoire Nord-Africaine et Saharienne) Mémoires du CRAPE ,n° 5 ,Paris. P283

⁽¹²⁰⁵⁾ Alfred Muzzolini., 1988 , L'évolution technologique du bige au quadrige en Méditerranée orientale ,au Maghreb et au Sahara: quand et pourquoi ؟IIInd Deià Conference of Prehistory, September 23rd to September 30th 1988 ,Deià Mallorca, Balears, Spain): Deià Archaeological Museum & Research Centre, res. 30 , pp1-5.

⁽¹²⁰⁶⁾ Morau Henry.,1893 , Du culte phallique dans l'Inde .In :Bulletins de la Société d'anthropologie de Paris ,IV °Série ,tome4 ,1893, pp 245-251.

الايبيرومغربية في ملجأ عين أغبال (Aïin Aghbal) شرق المغرب الأقصى⁽¹²⁰⁷⁾، كما عُثِر على تماثيل مماثلة في الكثير من المناطق في العالم ومنها ما يعود إلى أزيد من 28 ألف سنة في منطقة "هوهل فالس" جنوب ألمانيا، وفي جنوب فرنسا تعود إحدى تلك التماثيل إلى 36 ألف سنة⁽¹²⁰⁸⁾.

ولا شك أن الحاجة إلى الأولاد قد دفعت الناس إلى تقديس العضو الذكري وتجسيده في تماثيل أو في صور أشخاص بقضيب مضخم أكثر من الطبيعي كما في وادي جرات (الشكل 11، 12) أو تجسيد الفعل الجنسي بين الرجل والمرأة في شكل مشاهد مضاجعة لشخصيات أسطورية ذات حجم هائل ومظهر غير طبيعي (اللوحة 25، 26).

- مشاهد النساء في وضع الولادة :

هذه المشاهد نجدها بصفة خاصة في النقوش سواء في وادي جرات أو في الهوقار وهي قليلة جدا في الرسوم ما عدى تلك التي تنتمي لمرحلة الرؤوس المستديرة كمشهد الاله الكبير في صفار الذي نجد فيه نساء في وضعية الولادة، وغالبا ما تكون الصور مرتبطة دوما بشخصيات نصف إنسانية مقنعة برؤوس حيوانات من فصيلة الكلاب في مشاهد جنسية، ويبدو واضحا رمزية المشاهد فهي لشخصيات أسطورية أو تمثيلا للآلهة الأنثوية خاصة آلهة الخصوبة لكونها تتميز بضخامة الحجم مقارنة مع الشخصيات الذكرية .

وفي بعض الأحيان نجد صور لنساء ذات سيقان منفرجة ونجد في الصورة قضيب ذكري كبير، مما يدل على أن المشهد يمثل نوع من عبادة الخصوبة، وربما يعبر عن أسطورة تفاصيلها غير معروفة لدينا، لكنها بلا شك تدل على الرغبة الكبيرة في إنجاب الأطفال، مع العلم أن الرعاة يرغبون بشكل كبير بزيادة الأفراد من أجل المساعدة والحماية من الأخطار، وهذا ما يظهر في الهوقار حيث أنه توجد مشاهد كثيرة لنساء في وضعية الولادة .

وفي الطاسيلي يعتبر مشهد الاله الكبير في صفار أبرز مثال على عبادة الخصوبة، حيث يوجد في المشهد عدد من النساء في وضعية الولادة وهن ينظرن إلى الاله الكبير، فلا

⁽¹²⁰⁷⁾ Collina-Girard Jacques ،Crémadès Michèle ،Lavaure Nelly ., 1997, Analyse microscopique d'une pendeloque ibéromaurusienne gravée , (abri de l'Aïin Aghbal ،Maroc oriental) .In :Antiquités africaines, t 33,1997 ، P10.

⁽¹²⁰⁸⁾ Paul Mellars., 2009, Origins of the female Image, Nature 459, pp 176-177

شك أن هؤلاء النسوة يردن سلامتهن وسلامة أولادهن عند الولادة، وهذا الأمر يمثل أولوية لدى الإنسان في ذلك الوقت، فقد كان يرغب بشدة في كثرة الأولاد لذلك رسم تلك المشاهد ، كما توجد مشاهد أخرى تعبر عن نفس المعنى مثل مشهد "أنتينا" (Antenia) في جبارين الذي يمثل امرأة بالغة الجمال تعبر عن الخصوبة ولكن من منظور مختلف (اللوحة 18).

ج- الأساطير المجسدة في النقوش:

يمكن اعتبار مشاهد الشخصيات النصف إنسانية أسلوباً فنياً فهي تمثل مجموعات بشرية عبرت عن معتقداتها وأساطيرها بواسطة هذه الصور، وهذا الأسلوب واسع الانتشار في الصحراء الوسطى ويتركز خصوصاً في وادي جرات وفي هضبة المساك، وهو منتشر في النقوش أكثر من الرسوم وتنتمي نسبة من مشاهد إلى مرحلة الجاموس العتيق، والملاحظ هنا أن نسبة كبيرة من الحيوانات الممثلة في تلك الشخصيات الأسطورية هي من حيوانات "ابن آوى" في وادي جرات و"الكلاب البرية" في هضبة المساك .

والموضوع الغالب على هذه المشاهد هو الموضوع الجنسي حيث نجد أشخاصاً ذوي حجم متوسط أو صغير مقنعين براس ابن آوى يضاجعون نساء ذوات حجم كبير ، وغالبية هؤلاء النسوة هن مقنعات أيضاً بنفس الكيفية ، ونجد في بعض الأحيان صور شاذة لأشخاص مقنعين يضاجعون حيوانات برية كالفيلة ووحيد القرن .

ومن أهم مميزات هذه المشاهد: وضوح الجنس، الأجساد العارية وأحياناً يضعون قطعة قماش في الوسط تغطي العورة ، الأذان صغيرة ، الذيول طويلة وسميكة أو قصيرة ومعكوفة إلى الوراء، أما الأسلحة فهي غير موجودة أو تقتصر على القوس، كما أن النساء أكبر حجماً من الرجال (1209) . (اللوحة 25، 26).

والمظهر العام للكثير من الشخصيات في وادي جرات وفي الطاسيلي هو مظهر غير عادي، مما يدل على أن هؤلاء ليسوا أناساً عاديين فقد حرص الفنان على إظهارهم بمظهر خيالي، فالكثير منهم كان مقنعاً بقناع طقوسي أو برأس حيوان، ومن الممكن أن هؤلاء هم أبطال أسطوريون أو آلهة فالعروف أن الكثير من الآلهة حول العالم كانت تمثل بأشخاص

(1209) Alain sèbe ., 1991, op.cit, p25-26

لهم رؤوس حيوانات، واقرب مثال لدينا هو الآلهة المصرية، كما أن الكثير من الشعوب تعتقد بأن أجدادها كانوا أبطال أسطوريون يملكون قوى خارقة. (الشكل 11)

ومن المفترض أن الأشخاص الذين لهم رؤوس حيوانات هم في الواقع أجداد أسطوريون أو آلهة سواء تعلق وجودهم مع مشاهد الرقص الطقوسي أو ضمن مشاهد جنسية كما فهو الحال في وادي جرات، فهذه الأقنعة التي يضعونها لم تكن من أجل مخادعة الحيوان لاصطياده مثلما كان يعتقد بعض الباحثين، فقد أظهرت دراسات حديثة في جنوب إفريقيا، أن شعب البوشمن الذي لا يزال أفراده يرتدون أقنعة مماثلة، يرون أنهم عندما يرتدون الأقنعة فإنهم إما يجسدون "خالقا أسطوريا"، أو يجسدون السحرة أو أرواح الموتى، والمعلوم أن شعب البوشمن لا يزال أفرادهم ينفذون رسوما صخرية تماما مثلما كان يفعل الناس فيما قبل التاريخ (1210).

وفي الواقع فإن الأقنعة هي في الأساس أدوات مادية تحمل معاني رمزية، بحيث يعطي الشخص لنفسه مظهراً يشبه الحيوان أو كائن أسطوري⁽¹²¹¹⁾، ويمكن أن يعطي القناع للشخص الذي يرتديه مظهراً مختلفاً، فيتكرر في هيئة جديدة وغالبا ما تكون كائنا أسطوريا أو حيواناً طوطمياً⁽¹²¹²⁾ ، وعندما يضع الشخص قناعاً لحيوان ما فإنه يحرص على أن يبدو بمظهره فيضع أيضاً ذيلاً مستعاراً ، بل ويكتسب عادات الحيوان فيتحرك مثل حركته كما في مشاهد تين تزاريفت بالطاسيلي⁽¹²¹³⁾. (اللوحة 25، 26، الشكل 11)

وتختلف الأقنعة الطقوسية التي تؤدي في الطقوس المختلفة عن الأقنعة التي هي في شكل حيوان، لأن هذه الأخيرة يكون الهدف منها هو الحصول بشكل مؤقت على صفات الكائن الذي يمثله القناع ، وهو كائن أسطوري بالطبع، أما الأقنعة الطقوسية فهي في حد ذاتها عبارة عن فتيشات⁽¹²¹⁴⁾، تعكس الموضوع السحري، وبهذه الصفة كانت تقدم لها القرابين من حين لآخر حتى تستطيع الاحتفاظ بقدرتها على المساعدة⁽¹²¹⁵⁾، فهي تعد أشياء

⁽¹²¹⁰⁾ Jean L oic Le Quéllec ., 1993, symbolisme....pp265,286.

⁽¹²¹¹⁾ Alfred Mussolini ., 1991, Op.Cit.P18.

⁽¹²¹²⁾ Jean Loic Le Quéllec., 1993, symbolisme....p293.

⁽¹²¹³⁾ Ibid. p269,fig 77-3.

⁽¹²¹⁴⁾الفتيشية: هي تقديس الأشياء المسحورة والتمايم والخرز، والتصور أن قوى الكون تجتمع فيها لذلك اتخذت الآلهة صفة هذه الأشياء المقدسة ومن الأمثلة عن الفتيشات نذكر الأقنعة والتيجان والرموز المختلفة والزينات لدى الشخصيات ، ينظر: خزعل الماجدي ، 1999 ، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ، صص 174-175.

⁽¹²¹⁵⁾ رالف لينتون، 1990، شجرة الحضارة، ترجمة محمد سويدي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ج1، ص99

مقدسة في حد ذاتها⁽¹²¹⁶⁾، وعند بعض الشعوب ذات الديانات الروحانية يجسد القناع أرواح الأجداد⁽¹²¹⁷⁾، فمثلا شعب الدوغون في مالي يحتفظ أفراده بأقنعة طقوسية تمثل أرواح أجدادهم، وعندما يموت أحد أفرادهم يطوفون به حول القرية ويحرصون على صنع قناع له بعد أن يؤدوا طقوسا معقدة .

والجدير بالذكر أن بعض الأقنعة قد تمثل أرواح الموتى أو تمثل كائنات خرافية، فالذي يرتدي قناعاً إنها يهدف إلى تجسيد الكائنات فوق الطبيعية والتحول إلى صورتها⁽¹²¹⁸⁾، ونلاحظ أنه في الطاسيلي أن غالبية الأقنعة التي تظهر في المشاهد لها علاقة بالموضوع السحري والديني أو بالمظاهر الأسطورية⁽¹²¹⁹⁾. (اللوحة 15، 16)

والمعلوم أن الأقنعة لها وظائف عديدة فهي تستخدم في الممارسات الدينية، وتجسد خاصة الطقوس التي تحيي الأساطير القديمة كأساطير نشأة الكون، فلدى قبائل الفولاني في غرب إفريقيا طقوساً يؤدونها في موسم الحصاد، يقومون فيها بأداء رقصات وهم مقنعين بأقنعة طقوسية من أجل تجسيد الظواهر الأسطورية وتخليدها، وتكون تلك الطقوس مناسبة أيضاً للخصوبة، حيث يختار الشباب زوجات له أثناء الطقوس. (اللوحة 18)

والجدير بالذكر أن بعض الاحتفالات التي يؤديها الطوارق في مدينة جانت اليوم، شبيهة بتلك الطقوس التي تؤديها الشعوب الإفريقية، ففي المهرجان المسمى "السببية" يرتدى الرجال أقنعة خاصة تدعى عندهم بـ "تاكيمبوت" (takimbut) ويؤدون رقصات مختلفة بالأسلحة، وغالبا ما تكون تلك مناسبة بالنسبة لبعض الفتيات من أجل اختيار الأزواج، وهذه الطقوس ربما لها علاقة بموسم الأمطار أو بأساطير تعود إلى الديانات الوثنية القديمة. (الشكل 14).

د - المظاهر السحرية في وادي جرات :

بشكل عام يمكن القول أن بعض المجتمعات قد تكون لها معتقدات روحانية أي أنها تؤمن بأن لأرواح الأجداد دورا في حياتهم، وربما يعتقدون أن كل من حولهم تسكنه الأرواح، وهؤلاء غالبا ما نجد لديهم سحرة يقومون بالطقوس المختلفة لاستحضار الأرواح، على نحو

⁽¹²¹⁶⁾ René Gardi, Juliantha Neukom Tschudi ., 1969, peintures rupestres du sahara , orbist pictus , Bayot loussan , P15.

⁽¹²¹⁷⁾ Malika Hachid ., 1998, Op. Cit.p207.

⁽¹²¹⁸⁾ Jean Loic Le Quellec.,1993, symbolisme..., pp293 -296

⁽¹²¹⁹⁾ Ibid, p279,fig71-4.

مشابه لما هو موجود اليوم لدى بعض الشعوب في سيبيريا بروسيا الذين يسمون الساحر باسم "الشامان"، ولدى سكان أستراليا الأصليين أو سكان الأمازون بأمريكا الجنوبية، ومن جهة ثانية نجد مجتمعات أخرى تؤمن بالسحر والحماية من الأخطار وليس بالضرورة أن تكون لها معتقدات روحانية.

وفي رسوم الطاسيلي كما في نقوش وادي جرات والهوڤار يمكن أن نلاحظ موضوعات سحرية مختلفة، فيمكن أن نرى السحرة بوضوح لكونهم يتميزون عن بقية الأفراد بالوضعية الموحدة التي يتخذونها وبالأقنعة الطقوسية التي يرتدونها، إلى جانب الكثير من البهجة التي تبدو عليهم ونجد في المشاهد رموزاً مختلفة، مما يدل على أن السحر كان غالباً على تفكير هؤلاء الناس. (اللوحة 32، 23)

كما نجد في الرسوم وبصفة خاصة في النقوش الكثير من الرموز ذات الأشكال المختلفة وأكثرها انتشاراً هي الدوائر الحلزونية التي لها علاقة بالسحر، ونجد أيضاً أشخاصاً يلمسون حيوانات برية أو يلمسون أبقاراً وثيراناً أو كباشاً، وهو ما يدل على الطابع السحري، مع بعض الرموز قد تمثل الماء (اللوحة 12)، لكن لأغلبها هدف سحري من أجل حماية القطعان أو النساء، لذلك نجدها قرب الأبقار والنساء الحوامل والأطفال، وتوجد مظاهر سحرية أخرى تعود إلى البقرات القديمة والوسطى في رسوم الطاسيلي تتمثل في بوابات سحرية في شكل حرف (U)، حيث يحاول الرعاة إدخال الأبقار عبر تلك البوابات وهي طقوس تمثل شكلاً من أشكال الحماية السحرية، كما نجد طقوس الحماية السحرية أيضاً النساء حيث نجد صوراً لنساء يعبرن مثل تلك البوابات (اللوحة 31)

وتمثل تلك الرموز حاجة ملحة لدى الرعاة لحماية قطعانهم ونساءهم من الأخطار المختلفة لذلك فهم يحرصون على تمثيلها، وفي الواقع فإن مثل هذا المعتقدات لا تزال موجودة إلى يومنا هذا، إذ يرتدى بعض الأشخاص تائم، أو يضعون بصمة يد أو حذوة حصان على بيوتهم، وربما وضع بعضهم عجلة سيارة فوق بيته من أجل الحماية من الحسد، وهو نوع من الرواسب التي تعود إلى لديانات الوثنية القديمة .

وتتخذ الرموز في المشاهد أشكالاً عديدة منها ما هو دائري أو بيضاوي كما يمكن أن تمثل الرموز السحرية هوية للقبيلة في حد ذاتها بحيث تصبح شعاراً لها تضعه في كل

المشاهد، أو تضعه في الأماكن التي تسيطر عليها كحماية سحرية من الأعداء لذلك توجد بعض الرموز قريبة من الأرض في وادي جرات وفي الهوفار والطاسيلي، ويمكن أن تكون الرموز نوعاً من الكتابة التي كان يستخدمها الناس (اللوحة 12).

أما الأماكن التي توجد فيها تلك الرموز فهي تعد من الأماكن المقدسة، وهذا ما نجده اليوم في بعض المناطق، فقرب "بحيرة فيكتوريا" بكينيا لا يزال الناس يقدسون الأماكن التي توجد فيها رموز حلزونية الشكل وهم يقومون بطقوس سحرية فيها من أجل الحصول على الأمطار، ومن الأمثلة على ذلك أيضاً موقع "كاكورو" (kakoro) بأوغندا حيث تذهب القبائل التي تعيش في الجوار إلى هذا المكان من أجل أداء طقوس الإطمار، ومع أن هذا الموقع لا يتضمن مشاهد للحيوانات مثلما هو الأمر في الطاسيلي، لكنه يتضمن رموز وشبكات وأشكال بيضاوية وخطوط منحنية ودوائر لولبية بلون أحمر، وقد أصبح المكان بمثابة المعبد بالنسبة للسكان المحليين من أجل جلب المطر، ويتواجد قرب تماثيل وكهنة و أشخاص مطلعين على الأسرار الدينية⁽¹²²⁰⁾.

ونشير هنا إلى أن الناس كانوا يقومون برسم رموز جديدة بعدما يؤدون الطقوس، حيث يعتبر ذلك نوعاً من طقوس إعادة التلوين التي نجدها عند الكثير من الشعوب الإفريقية، فقد ذكر ليو فروبينوس (leo Frobenius) أن الشباب السنغاليون كانوا يمارسون إعادة التلوين⁽¹²²¹⁾. كما أن الأستراليون الأصليون كانوا ينجزون رسوماً جديدة أو يقومون بإعادة تلوين الرسوم السابقة كي تزداد وضوحاً، وأثناء إعداد عجينة الألوان يقومون بمزج دمائهم مع الألوان لا اعتقادهم بقداصة تلك المشاهد وذلك وفق طقوس معينة⁽¹²²²⁾، وهم يفعلون ذلك في إطار طقوس استدرا الأمطار⁽¹²²³⁾.

وفي مالي لا يزال "الدوغون" (dogon) يمارسون إعادة التلوين حيث أن هناك رسوم قد نفذت حديثاً في منطقة "سونغو" (songo) قرب هضبة "باندياكارا" وهي موطن الدوغون في مالي وذلك بعد حفلات ختان، وفي منطقة مامانت (mammanet) في شمال النيجر

⁽¹²²⁰⁾ Alec Campbell, J Clottes, David Coulson.,2010, Op.Cit, pp23-24.

⁽¹²²¹⁾ جون كي زربو، 1983، المرجع السابق، ص 667

⁽¹²²²⁾ Michel Lorblanchet ., 1980 , Art Rupestre Australien ,Archeologia Sa, N°147, Octobre1980 France :Imprimé Par Darantiere Dijon, pp38-39

⁽¹²²³⁾ جون كي زربو، المرجع السابق، ص 667

توجد نقوش صخرية لشخصية أسطورية عند الطوارق يسمونه "الياس" (Elias) يقوم المسافرون بتلوينه باستمرار على أمل الحصول على الملابس الجديدة (1224).

ونحن نرى أن الناس في الطاسيلي والهوفار كانوا يؤدون طقوسهم في الأماكن التي توجد الرسوم ويقومون بإعادة التلوين أيضاً، وهذا ما يفسر تطابق الصور في المشاهد، فقد لاحظ "جون لاجو" أن الأشخاص الذين نراهم مرسومين بلون أحمر فوق المرأة المقنعة في ملجأ "أونغهات بالطاسيلي ليسوا كذلك تماماً، فالزينة البيضاء للمرأة قد أضيفت في مرحلة لاحقة فوق الأشخاص الأحمر (1225). وكثيراً ما نجد في المشهد الواحد صوراً تعود إلى أساليب مختلفة، وقد تفصل بين الصورة والأخرى مئات السنين فقد وجد فابريزيو موري أربعة زرافات في منطقة "تين أسينغ" بالأكاكوس تعود كل منها لمرحلة فنية مختلفة عن الأخرى (1226).

وتعتبر طقوس إعادة التلوين نوع من الممارسات السحرية، أما بخصوص الرموز السحرية فهي كثيرة جداً ومتنوعة، وأكثرها انتشاراً هي الدوائر الملتفة التي تتخذ شكل حلزون وهي تعد بالمئات وغالبيتها بسيطة الشكل منفردة أو ثنائية أو ثلاثية.

ويمكن القول أن الموضوع السحري كان غالباً على نقوش وادي جرات، فالرموز والدوائر الحلزونية الملتفة وهي من أهم مظاهر السحر منتشرة في كل مكان، فقد أحصى الباحثان جون لوكلو و هاورد 135 رمزا منها 50 رمز ذو شكل دائري في منطقة "تين تولولت" بوادي جرات (1227). (اللوحات 17، 42)

أما هنري لوت فقد نشر 125 من تلك الدوائر في وادي جرات منها الثنائية والثلاثية و الرباعية وحتى الخماسية وذات الشكل الأفعواني، وقد وجدت معظم تلك الدوائر إلى جانب حيوانات برية أو قرب النساء، أُحصي منها 10 دوائر حلزونية بجوار وحيد قرن، كما وجدت

(1224) Jean clottes ., 2007, l'art rupestre du Sahara et du nord de l'Afrique: conclusion, ICOMOS , p142.

(1225) جون كي زربو، المرجع السابق ، ص 667

(1226) Henri Lhote ., 1984, Op.Cit.P258.

(1227) Paul huard ., 1970, Contribution à l'étude des spirales au Sahara central et nigéro-tschadien B.S.P.F ., Etudes et Travaux , Volume 63 , Numéro H-S, 1966, p436. fig 2.n°1-2-3.

دوائر إلى جانب فيلة وأفراس النهر، وقرب جاموس عتيق، وإلى جانب الأشكال الحلزونية والدوائر هناك الأقواس أيضا . (1228)

كما توجد رموز سحرية من نوع آخر تتمثل في رسوم وبصمات الأيدي والأرجل كما هو الأمر في منطقة وادي أفار الذي له نفس الخصائص الثقافية مع وادي جرات فقد سكنته المجموعة نفسها، وغابا ما نجد بصمات الأيدي والأرجل قرب الأبقار من أجل حمايتها من الأخطار، وفي بعض الأحيان نجد بصمات أرجل لبعض الحيوانات المفترسة كالأسود والهدف من ذلك هو الحماية السحرية منها. (اللوحة 12، 40)

سادسا : البقرات القديمة في الهوفا :

يتميز النيوليتي القديم في الهوفا خاصة في أمكني بندرة رؤوس السهام وكثرة النصال ذات الظهر المطروق، وتتواجد فيه الحجارة ذات الوجهين، وهو غني بالأدوات العظمية والفخار، ومن المفترض أن هذا النيوليتي يمثل الصيادين بالدرجة الأولى، وهؤلاء الصيادين ربما تمكنوا من تدجين الزراعة في فترة ما فقد توافرت في هذا الموقع حبوب اللقاح لنوع من الذرة، ويحتمل أنهم قد عرفوا استئناس الحيوانات في مرحلة مبكرة، وقد بدأ هذا النيوليتي في الألف السابعة قبل الميلاد واستمر إلى الألف الخامسة قبل الميلاد، وذلك لأن التواريخ التي جمعت في مواقع الهوفا تتراوح بين 6150 ق.م في "تمدوين"، و 6100 ق.م في "أمكني"، و 4550 ق.م في "تين أمنصار" (1229).

وبما أن وجود الزراعة والحياة الرعوية في النيوليتي القديم بالهوفا غير مؤكدة ، لذلك فمن الأرجح أن مرحلة البقرات القديمة قد تكون غير موجودة في المناطق الجبلية من الهوفا، لكنها قد تكون موجودة في المناطق المنبسطة من إقليم الهوفا الواسع، أما المجموعات البشرية في الهوفا في هذه الفترة فتتضمن مجموعات الصيادين وصيادي الأسماك من الجنس الأبيض، وهؤلاء لا نعتقد أنهم قد تركوا مشاهد فنية في الهوفا وذلك لأن معظم النقوش الموجودة هناك حديثة ماعدا نقوش تين ترايين، وبالنسبة للرعاة الزوج فقد

(1228) David Didier ,Paul Huard., 1979 , Les spirales de l'oued Timissit, BSPF , 1979, Vol 76, N° 10-12 , p 460

(1229) Gabriel camps ., 1974, op.cit. 238

تواجدوا في الجنوب حيث ينتشر أسلوب "تين ترابين، وتواجدوا أيضا في المناطق الشمالية المحاذية للطاسيلي.

ومن الناحية الأنثروبولوجية لا توجد لدينا إلا معلومات قليلة حول الإنسان في النيوليتي المبكر، إذ أن البقايا البشرية التي عثر عليها في المواقع الصحراوية لا يزيد عمرها عن 3500 ق.م، كما أن البقايا التي تعود للعصر الحجري القديم المتأخر نادرة في الهوقار، باستثناء الهيكل العظمي الذي اكتشف حديثا في منطقة "تاهيتان" (Tihitane) جنوب غرب الهوقار، والذي أرخ بحوالي 11 ألف قبل الحاضر وهو ما يجعل منه أقدم البقايا البشرية في الصحراء الوسطى، إذا ما تم التأكد من صحة هذا التاريخ⁽¹²³⁰⁾.

ويمكن أن نتصور أن المناطق الجبلية كانت تعيش فيها جماعات الصيادين الذين تمكنوا من الصمود في تلك البيئة الباردة والجافة، وربما يكون هؤلاء من جنس أبيض، حيث أن دلائل الفن الصخري في مناطق الأطلس الصحراوي ووادي جرات، تؤكد وجود جماعات من البيض في مرحلة الجاموس العتيق⁽¹²³¹⁾، وهي المرحلة التي تغطي جانب كبيرا من النيوليتي القديم في الصحراء، ومن المفترض أن الرعاة قد تواجدوا في مرحلة متأخرة من النيوليتي القديم ضمن المرحلة التي أطلقنا عليها اسم "البقرات القديمة".

وقد بدأ الطور الرعوي مبكرا في الجهات الجنوبية من الهوقار أما المناطق الجبلية فقد تأخر فيها تواجد الرعاة إلا بعد أن عمت الحياة الرعوية كامل الطاسيلي، وبعد تناقص موارد الحياة بفعل الجفاف اتجه الرعاة إلى المناطق الجبلية من التفادست، لذلك فإن النقوش والرسوم في هذه المنطقة لا تعتبر قديمة جدا مقارنة برسوم أو نقوش الطاسيلي.

مع العلم أن الباحثين قد أعطوا تقديرات قديمة للطور الرعوي في الصحراء الوسطى فحسب "فابريزيو موري" فإن الطور الرعوي المبكر يعود إلى ما بين 8000 و 7000 قبل الميلاد في الاكاكوس، أما بالنسبة لكل من ميشال توفّر وجينات أوماسب فالطور الرعوي المبكر كان بين 6000 و 5000 ق.م بينما باحثان آخران مثل هنري لوت اقترحوا زمنا يتراوح بين 5000 و 4000 ق.م، أما لوكلارك فقد اقترح زمنا يتراوح بين 5500 و 5000 ق.م

⁽¹²³⁰⁾ Malika Hachid., 2007, Les squelettes de Tihitane et des sites rupestres de l'Immidir (Ahaggar), El watan, le 24/7/2007, 15:17:27 .

⁽¹²³¹⁾ حول هذا الموضوع ينظر مبحث المجموعات العرقية في البقرات القديمة ، ص 261

لبداية الحياة الرعوية، ويعتبر موزيليني هو الوحيد الذي وضع بداية الطور الرعوي في حوالي 4000 ق.م (1232).

وإذ كانت هذه التواريخ تخص الطاسيلي والأكاكوس فالأمر يختلف بالنسبة للهوآار ، لأن هذه المنطقة قد تكون ملائمة للصيادين أكثر منها للرعاة نظرا للطبيعة الجبلية، وربما هذا ما يفسر تأخر الحياة الرعوية رغم وجود الفخار القديم جدا فيها، وحسب موزيليني فإن المواقع النيوليتية القديمة في الهوآار كموقع أمكني يمثل بالدرجة الأولى الفخار ولا يمثل تدجين الحيوانات، لكونه تم في مرحلة لاحقة لإنتاج الفخار⁽¹²³³⁾، أما جون لوكلاك فيرى أن أولى الإشارات على تدجين الأبقار في الهوآار كانت ما بين 5000 و 3500 ق.م في "منيت"، وما بين 4550 و 3950 في "عين غليجم" وبين 4350 و 3650 في أدرار تيويين⁽¹²³⁴⁾.

مع العلم أن هذه التواريخ تتزامن مع البقرات الوسطى في الطاسيلي، وللإشارة فإن الأبحاث التي قام بها كامبس بين سنوات 1969 و 1971، والتي قام بها ج ب ماتر (J.P. Maitre) سنة 1971 قد دلت على أن معظم البقايا الحيوانية في مواقع الهوآار تعود للحيوانات البرية⁽¹²³⁵⁾، وهو ما يعني أن بداية الطور الرعوي في الهوآار كان متأخرا عن الطاسيلي، والبقرات القديمة قد لا تكون موجودة فيه إلا في المناطق البعيدة عن الجبال أو تلك القريبة من الطاسيلي.

⁽¹²³²⁾ Jean Loic Le Quellec., 2013, A New Chronology For Saharan Rock Art, The World Of Rock Art :An Overview Of The Five Continents ,2013, P 45

⁽¹²³³⁾ Alfred Muzzolini ., 1990, Les Nilo-Sahariens Et L'Archeologie , Datation et chronologie dans le bassin du lac Tchad : séminaire du réseau Mega-Tchad, ORSTOM Bondy, 11 et 12 septembre 1989 = Dating and chronology in the Lake Chad Basin / edited by Daniel Barreteau and Charlotte von Graffenried. p89

⁽¹²³⁴⁾ Annabelle Gallin , Jean-Loïc Le Quellec., 2008, Les ensembles céramiques..., P73

⁽¹²³⁵⁾ Alain Durand - François Parls - Jean-François Saliège ., 1990, op.cit, p30

الفصل الرابع

البقریات الوسطی فی الطاسیلی والهوفار

أولاً : الاطار العام لمرحلة البقریات الوسطی

ثانياً : المظاهر الحضاریة والفنیة للبقریات الوسطی

ثالثاً : المجموعات البشریة للبقریات الوسطی :

رابعاً: البقریات الوسطی فی الهوفار:

أولاً : الاطار العام لمرحلة البقريات الوسطى :

ترتبط بداية مرحلة "البقريات الوسطى" بالتغيرات المناخية التي حلت بالمنطقة وبقدوم مجموعات بشرية جديدة إليها، وقد تُرجم ذلك في مشاهد الفن الصخري من خلال ظهور أساليب فنية جديدة وكذلك صور مختلفة عن المجموعات السابقة، وحتى مواضيع الفن الصخري هي الأخرى حدثت عليها تغيرات هامة.

أما في المواقع الأثرية فقد لوحظت فجوة في الاستيطان البشري فيما بين 6410 و6082 قبل الحاضر في عدد من مواقع منطقة الأكاكوس⁽¹²³⁶⁾، وربما هُجرت بعض المناطق أيضاً مما يعني أن الجفاف الذي حدث قد أدى إلى انقطاع مرحلة البقريات القديمة، فالتغيرات المناخية كانت دائماً سبباً في حدوث هجرات من المنطقة، لكن المنطقة ما لبثت أن ازدهرت بعد مدة قصيرة ، فمن المفترض أن فترة انتقالية قد حدثت بين مرحلة البقريات القديمة والوسطى وهي لا تزيد ربما عن 200 سنة شهدت جفافاً وتناقصاً في الموارد .

أ - التغيرات المناخية والهجرات البشرية في الهلوسان الأوسط :

خلال النصف الثاني من الألف الخامسة قبل الميلاد شهدت الصحراء الوسطى أمطاراً متزامنة في كل مكان، وهي المرحلة التي يطلق عليها علماء المناخ اسم "المرحلة الرطبة النيوليتية"⁽¹²³⁷⁾، وقد صاحب هذه الرطوبة قدوم سكان من الشمال والشرق وهؤلاء قد عاشوا إلى جانب شعوب البقريات القديمة التي تحدثنا عنهم آنفاً والذين صمدوا في المنطقة، مع العلم أن الحياة الرعوية لم تنتشر على نطاق واسع في مرحلة البقريات القديمة فقد ظل الصيادون موجودين في مناطق واسعة من الطاسيلي والهوقار، ففي الوقت الذي تمكنت فيه مجموعات من التحول إلى الحياة الرعوية مبكراً ظلت مجموعات أخرى تمارس الصيد، كما أن الجفاف الذي حدث في نهاية هذه المرحلة أدى إلى حدوث هجرات محدودة، وهو ما ظهر جلياً في المواقع الأثرية من خلال وجود انقطاع حضاري في بعض المناطق، ولكن

⁽¹²³⁶⁾ M. Cremaschi and S. Di Lernia., 1999, op.cit, p 225-229

⁽¹²³⁷⁾ يختلف الباحثون في تحديد إطارها الزمني فالباحثان ستريت و غوف street et gove يحددها بين 4000 و 2800 ق.م ، بينما موزيليني يضعها بين 4500 و 2300 ق.م ، بينما يحددها الباحث "شارون نكلسون" بين 4500 و 2500 ق.م شهدت المنطقة خلالها مناخ شبه إستوائي مطير ، ينظر :

Alfred Muzzolini ., 1985,op.cit .pp19-20 ,Sharon E Nicholson And Hermann Flohn., 1980, op.cit, P 313

بعض المجموعات تمكنت من التأقلم مع الظروف الجديدة طيلة فترة الجفاف التي لم تستمر طويلاً (1238) (المخطط 03، الخريطة 12).

وبعد انتهاء الجفاف عادت الأمطار إلى الصحراء الوسطى وعادا معها السكان، وهو ما أدى إلى ازدهار الحياة الرعوية ضمن المرحلة التي نطلق عليها اسم " البقريات الوسطى" التي تتزامن من الناحية المناخية مع الرطوبة النيلوتية.

وقد أظهرت الدراسات المناخية أن مسطحات مائية هامة قد انتشرت في تلك الفترة على طول الصحراء وعرضها، كما أن نسبة التساقط كانت عالية فقد قدرت بما بين 300 و 600 ملم سنوياً، علماً بأن المناطق الصحراوية تتلقى اليوم نسبة ضئيلة من الأمطار تتراوح بين 5 و 50 ملم في السنة فقط في المناطق الجبلية من الطاسيلي والهوقار ذات الأفضلية المناخية، بينما تقل نسبة الأمطار عن 5 مم في السنة في معظم أرجاء الصحراء (1239)، ولا شك أن تلك الرطوبة قد ساهمت في جذب السكان من مختلف المناطق مما أدى إلى ازدهار كبير في الصحراء (الخريطة 08).

وهذا الازدهار يمكن أن نلمسه في مشاهد الفن الصخري، فقد ظهرت الصور الجميلة للأبقار التي تشهد على الاعتناء الكبير بها والذي وصل إلى للتقديس، والكثير من المشاهد تظهر فيها مجموعات تعيش على قدر كبير من الرفاهية والراحة، ويتجلى ذلك التنوع الكبير في الزينات والملابس وتسريحات الشعر وهو ما يظهر في الكثير من المشاهد مثل المشهد الذي سماه هنري لوت باسم "الفتاتان من الفولاني" في موقع جبارين. (اللوحة 17)

ومن مميزات هذه المرحلة أيضاً: كثرة صور الرقص والطقوس الكثيرة التي تؤديها النساء، وهي تعكس طقوساً ومعتقدات دينية مختلفة، كما أن معظم المشاهد تدل على التواجد السلمي بحيث تندر مشاهد القتال والحروب ومظاهر الأسلحة، ويمكن أن نلاحظ تنوع كبير في الأدوات التي يستخدمها الرعاة ومنها الأواني الفخارية المتعددة الأشكال وذات الزخارف المختلفة بالإضافة إلى السلال. (الشكل 07، 09، 13)

(1238) يحدد كل من مورو غراماشي وسافينو دي لارينيا هذه الفترة الجافة بما بين 6410 و 6082 قبل الحاضر، بينما يحددها موزيليني بما بين 4500-5500 ق.م (±500 سنة)، ينظر :

Alfred Muzzolini., 1995, op.cit.p25, M. Cremaschi1 and S. Di Lernia., 1999, op.cit, p 225-229

(1239) N. Petite –Maire ., 1991, op.cit, p128

ومن جهة ثانية ظهرت لأول مرة صور الأغنام والماعز التي انتشر تدجينها في ذلك الوقت، وكانت الكثافة السكانية كبيرة فالمدافن التي تعود إلى هذه الفترة كثيرة جداً ومتنوعة أيضاً، وهو ما يدل على تنوع عرقي كبير ويتجلى ذلك أيضاً في صور الأشخاص والأساليب الفنية المتعددة، ومهما يكن من أمر فإن هناك شواهد كثيرة تدل على أن رعاة الأبقار قد عاشوا حياة طويلة في المناطق الصحراوية التي كانت مختلفة عما هي عليه اليوم فقد كانت مليئة بالأنهار والبحيرات والمروج الواسعة.

وقد ساهمت عوامل مختلفة في التطور الذي شهدته الصحراء خلال مرحلة البقريات الوسطى والحديثة، ومن أهم هذه العوامل المناخ الجيد الذي أدى إلى انتشار المروج والمراعي الواسعة في الصحراء فقد كان مناخ معتدلاً من حيث الرطوبة⁽¹²⁴⁰⁾، وهو ما انعكس بشكل إيجابي على انتشار الحياة على نطاق واسع، حيث شملت كل المناطق الممتدة من وادي النيل إلى المحيط الأطلسي وذلك بين الألف الخامسة والرابعة قبل الميلاد، كما أن توفر السهول المعشوشبة والمجاري المائية الواسعة ساهم في جذب الرعاة إلى المنطقة، وهو ما جعل الصحراء الوسطى أكثر مناطق العالم كثافة بالسكان في ذلك الوقت (1241).

ولا شك أن للموقع الجغرافي وانفتاح المنطقة قد ساهم في تطورها، فقد كانت على اتصال وثيق بالمراكز النيوليتية الأخرى كالأطلس الصحراوي، والصحراء الشمالية بما في ذلك السامرة وحوض ورقلة ووادي سوف، والمراكز الموجودة في الصحراء الجنوبية مثل الآير و الإنيدي بتشاد ومنطقة التلمسي والتينيري بالنيجر وحوض "تاوديني" و"الازواد" بمالي، بالإضافة إلى مناطق أخرى كقران بليبيا، و"الجلف الكبير" و"العوينات" (أقصى جنوب غرب مصر)، بالإضافة إلى وادي "هوار" ومنطقة "الخرطوم" و"الشهانب" في السودان (الخريطة 01، 08)

بالإضافة إلى ذلك فإن التحولات المناخية التي شهدتها مناطق واسعة من الصحراء أدت إلى هجرة المجموعات المختلفة نحو الصحراء الوسطى، فالصحراء الجنوبية كانت تعاني من كثرة المستنقعات والرطوبة الكبيرة التي لا تسمح بالرعي وتلائم أكثر حياة الصيادين، لذلك

⁽¹²⁴⁰⁾ Andrew B. Smith .,1986, op.cit, P 201

⁽¹²⁴¹⁾ Barbara E Barich .,1998 , op.cit, p 100

فالصحراء الوسطى كانت من أفضل المناطق من الناحية المناخية، فهي تميل إلى الجفاف أكثر من المناطق الجنوبية مما سمح بوجود المروج الواسعة فيها، والمعروف أنه رغم الجفاف القاسي الذي يضرب الصحراء منذ ما يقرب من 3000 سنة، إلا أن منطقة الطاسيلي والهوقار لا تزال تحتفظ بمناطق رطبة يتوفر فيها الماء وتعيش فيها كائنات حية نادرة ، كما أن بعض المواقع منها تعتبر ذات بيئة مدارية كإهرير وتيهوبار، بينما تعتبر مناطق أخرى ذات بيئة معتدلة كمنطقة "الأتاكور" في الهوقار⁽¹²⁴²⁾.

ب- الإطار الزمني والمكاني للبقریات الوسطی :

من الصعب تحديد إطار زمني للبقریات الوسطی وذلك لأن المرحلة الرطبة النيوليتية غير محددة بشكل دقيق، كما أنه لا يمكن تحديدها بالاعتماد على المناخ فقط، لأن المنطقة ظلت عامرة بالحياة حتى في بعض الأوقات الجافة، لذلك فإننا نحددها بالتغيرات التي تحدث في الفن الصخري من حيث الأسلوب الفني والذي يترجم عادة بالتنوع العرقي وبظهور مجموعات سكانية جديدة .

فدرجة الاختلاف بين البقریات القديمة والوسطی تكمن في تغير الأسلوب الفني فالبقریات القديمة كانت تتميز بالأسلوب الزنجي الذي سمي باسم "صفار - أوزيناري"، إلى جانب بعض الأساليب المتطورة من مرحلة الرؤوس المستديرة كالمشاهد التي سماها هنري لوت باسم "السيدة البيضاء"، أو "قضاة السلام"، ومشاهد النقوش التي تظهر فيها الأبقار المركوبة والأشخاص ذوي السحنة البيضاء من نفس نمط مجموعات الصيادين الأوائل من مرحلة الجاموس العتيق .

أما في مرحلة البقریات الوسطی فقد ظهرت أساليب جديدة، كما أن المواضيع الفنية هي الأخرى تغيرت، وهي تعكس معتقدات وأفكار مختلفة عن معتقدات المجموعات السابقة ، كما يمكن التعرف على البقریات الوسطی في المواقع الأثرية، ففي وان موهيجاج بالأكاكوس تواجدت بقايا الأبقار في المستوى الأدنى، أما المستوى الأوسط فقد لوحظت فيه بقايا الأغنام والماعز إلى جانب الأبقار، ولوحظ ذلك أيضا في "وان تالوكت" بنفس المنطقة⁽¹²⁴³⁾.

⁽¹²⁴²⁾ تفاصيل أوفى عن البيئة القديمة والمناخ نجدها في الفصل الأول

⁽¹²⁴³⁾ Andrew B Smith., 1989, The Near Eastern Connection : Early To Mid-Holocene Relations Between North Africa And The Levant ,In : 1, Krzyzaniak And Mkobusiewicz

ومن المفترض أن المستوى الأوسط للنطاق الرعوى في العديد من المواقع في الطاسيلي يقابل مرحلة البقريات الوسطى، أما الحياة الرعوية في الصحراء بشكل عام فهي تقابل النيوليتي الأوسط من الناحية الحضارية، ومن المعروف أن النيوليتي الأوسط في أوروبا وفي مناطق أخرى من العالم كان بين الألف الخامسة والألف الثالثة قبل الميلاد⁽¹²⁴⁴⁾، وهو ما يتزامن مع تواجد الرعاة في الطاسيلي .

ومن المرجح أن هذه المرحلة تزامنت أيضا مع انتشار الحياة الرعوية على نطاق واسع بوادي النيل في منتصف الألف الخامسة، فقد أرخت عينة من بقايا الأبقار في ثقافة "مرمدة بني سلامة" ب 4430 ق.م، وفي ثقافة "الفيوم" قدرت بقايا الأبقار ب 4134 ق.م⁽¹²⁴⁵⁾، وتزامن ذلك مع ازدهار الحياة الرعوية بموقع "الشهانب" في السودان في 4000 ق.م⁽¹²⁴⁶⁾.

واعتماداً على المعطيات المناخية والبقايا الأثرية قدرت بداية البقريات الوسطى في حدود 5000 ق.م بالنسبة للأكاكوس⁽¹²⁴⁷⁾، بينما حددها آخرون ضمن نطاق الهلوسان الأوسط بين 4100 و 3000 ق م⁽¹²⁴⁸⁾، وقيل بأنها كانت بين الألف الرابعة والثالثة قبل الميلاد⁽¹²⁴⁹⁾، وكانت دراسات سابقة للباحث أوغسطين هول قد حددتها بين 3300 و 1800 ق.م⁽¹²⁵⁰⁾، وهو ما توصل إليه ألفرد موزيليني أيضا⁽¹²⁵¹⁾، أما الباحثة ليون ألارد Léone Aillard فقد وضعت بداية البقريات الوسطى في حوالي 3000 ق.م⁽¹²⁵²⁾.

(Eds), Lat Prehistory Of The Nile Basin And The Sahara , Archaeological Museum , Poznan:, P71 ,Jean-Loïc Le Quellec ., 2004,Rock Art and Cultural Response: to Climatic Changes in the Central Sahara during the Holocene exploring the mind of the anciant man , 2004 ,p180
⁽¹²⁴⁴⁾ Marylene Patou-Mathis .,2013, Prehistoire De La Violence Et De La Guerre , Edition Odile Jacob,paris, 2013, P169-170

⁽¹²⁴⁵⁾ Léone Aillard-Huard., 2000, op.cit, p225

⁽¹²⁴⁶⁾ Alfred Muzzolini., 1995, op.cit. p50

⁽¹²⁴⁷⁾ Fabrizio Mori ., 1998, op.cit, p63

⁽¹²⁴⁸⁾ Mary Anne Tafuri et al ., 2006 , op.cit, p 392, M .Cremaschi., And S ,Di Lernia., 2001, op.cit.p824

⁽¹²⁴⁹⁾ U. W. Hallier , B. C. Hallier .,2005, Felsbild-Neufunde In Den Bergen Des Aharhar Tasset, Teil Ii Tassili N`Ajjer / Süd-Algerien , StoneWatch 2005, The World of Petroglyphs, p3

⁽¹²⁵⁰⁾ Augustin Holl.,1989, op.cit, p345

⁽¹²⁵¹⁾ Alfred Muzzolini., 1995, Op.Cit.P17

⁽¹²⁵²⁾ Léone Aillard-Huard ., 2000, op.cit, p133

وتبدو الأبحاث التي قام بها كل من مورو غراماشي وسافينو دي لارينا ذات مصداقية
فوقاً لما توصلوا إليه فإن البقريات الوسطى كانت موجودة على طول الألف الخامسة قبل
الميلاد في الأكاكوس، فقد سجلت تواريخ تعود إلى ما بين 5220 - 4710 ق.م و 4650 -
3750 ق.م⁽¹²⁵³⁾، وما بين 5200 و 3400 ق.م⁽¹²⁵⁴⁾، ومعظم تلك التواريخ هي لبقايا
أبقار وجدت في السويات الأثرية المتزامنة مع النيوليتي الأوسط في مختلف المواقع، وقد
تمكن سافينو دي لارينا أخيراً من تحديد بداية البقريات الوسطى بين 5100 ق.م أما نهايتها
فقد حددها بين 4000 و 3000 ق.م⁽¹²⁵⁵⁾.

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن الباحثين لم يتفقوا على تحديد إطار زمني معين لمرحلة
البقريات الوسطى، بين من وضع إطار زمني متوسط بدايته بين 5000 و 4000 ق.م
ونهايته بين 4000 و 3000 ق.م، وإطار زمني قصير يبدأ ب 3000 ق.م. ومن المرجح
أن البقريات الوسطى كانت بين 5000 و 3000 ق.م في الطاسيلي والهوقار لأن المناخ قد
تحسن في هذه الفترة، والكثافة السكانية الكبيرة تتزامن مع البقريات الوسطى، فوفقاً للبقايا
البشرية فإنها كانت بين حوالي 4964 ± 138 و 4174 ± 205 ق.م في معظم المواقع
الأثرية، وقد لوحظ خلالها اهتمام كبير بالأبقار في هذه الفترة حيث وجدت مدافن مكرسة لها
في العديد من المناطق.⁽¹²⁵⁶⁾

وفي هذه الفترة عاد الاستقرار البشري إلى أغلب المواقع التي هجرت من قبل كموقع
"تين تورها" في الأكاكوس و"أدرار بوس" بمنطقة "التينيري"، وحدث ازدهار في كافة المواقع
الصحراوية في هذه الفترة، فقد ظهرت ثقافات رعوية في مصر في "الفيوم" و "مرمدة بني
سلامة" في "الدلتا" التي كانت بين 4500-4000 ق.م⁽¹²⁵⁷⁾.

⁽¹²⁵³⁾ Garcea ,Elena A.A. & R .Sebastiani., 1998, op.cit, p213

⁽¹²⁵⁴⁾ Savino di Lernia et al ., 2012 , op.cit, p 1841

⁽¹²⁵⁵⁾ Savino di Lernia., 2013, A Cover Story for a Nature cover: milking in the prehistoric
Green Sahara Journal of Anthropological Sciences, Istituto Italiano di Antropologia, Vol. 91,
p 7

⁽¹²⁵⁶⁾ Barbara . E Barich., 1998 , op.cit. p 100

⁽¹²⁵⁷⁾ Alfred Muzzolini., 1995 ,Op.cit. P50

وقد أظهرت المعطيات المناخية أن رياحاً موسمية مطيرة قد اتجهت إلى الصحراء الوسطى والشمالية في ذلك الوقت، ولكن الرطوبة في هذه الفترة كانت أقل بكثير من الرطوبة التي سجلت في بداية الهلوسان، فالمناخ كان شبه مداري رطب وهو يمثل بيئة مثالية لنمو الحشائش واتساع نطاق المراعي، فلم توجد المستنقعات التي يمكن أن تعيق نشاط الرعاة مثلما كان الأمر في الصحراء الجنوبية ومنطقة الساحل، ومن المرجح أن هذه الفترة قد شهدت انتقال الرعاة إلى الهوقار، وربما تكون حياة الصيد والالتقاط قد انتهت في ذلك الوقت في معظم أنحاء الصحراء من وادي النيل إلى المحيط الأطلسي، كما انتشرت الحياة الرعوية وتوسعت في الصحراء الشمالية وفي بلاد المغرب أيضا .

ومن حيث الامتداد المكاني من المرجح أن الرعاة قد انتشروا في كل أنحاء الطاسيلي والهوقار وهضبة المساك، وقد تركوا تراثهم الفني المتمثل في الرسوم والنقوش على جدران الملاجئ الصخرية في كامل المنطقة، أما أهم مواقعهم في الطاسيلي فهي: هضبة "تامريت" ومواقعها الرئيسية كصفار وجبارين وتيكادوين و تيسوكاي...، بالإضافة إلى شرق الطاسيلي الأوسط بما في ذلك كل المواقع بين "تين أبناهار" وإهرن، أما في جنوب الطاسيلي وجنوبه الغربي فوجدت مشاهدهم في وادي "تين إيججل" (Tin Edjedjele) ووادي "أهرهار" و"تسات" (1258)، وفي شمال الطاسيلي تواجدوا في سهل "آدمر" وفي وادي جرات أيضا .

وفي الهوقار فقد ترك الرعاة أعمالهم الفنية في "هيرافوك" (Hirafok)، و"أفونار" (Aguennar)، و"تيت" (tit)، وفي التفادست والإيميدر وكذلك في "أدرار أهناث" في جهة الشمال الغربي، ووصل الرعاة أيضا إلى تادارات الجنوبية وإلى التينيري وهضبة جادو بالنيجر، أما في الأكاكوس فقد تواجدت أعمالهم الفنية في مواقعهم الرئيسية: وان موهيجاج، تين تورها، وان تالوكت، "فوزيجارن"، كما وجدت نقوشهم في منطقة المساك ومن مواقعها : "إن هابتر" و "تين إينيسينس" ووادي "تاشوينت".

(1258) U. W. Hallier ,B. C.Hallier., 2005, Felsbild-Neufunde..., P8

ثانيا : المظاهر الحضارية والفنية للبقریات الوسطی:

أ- تدجين الأغنام والماعز :

تعتبر مناطق "الشرق الأدنى" هي أولى الأراضي التي تم فيها تدجين الأغنام، حيث أن أقدم الأمثلة على مراقبة والسيطرة على الأغنام كانت في موقع "زاوي شيمي شانيدار" (Zawi Chemi Shanidar) في شمال شرق "العراق" الذي أُرُخ ب 8900 ق.م، وفي موقع "الأسود" شمال فلسطين يعود تدجين الأغنام إلى نهاية الألف السابعة قبل الميلاد، أما في المناطق القريبة من البحر المتوسط فقد دجنت الأغنام في اليونان في حوالي 6300 ق.م وفي جنوب فرنسا في حوالي 6000 ق.م (1259).

وبخصوص الصحراء الوسطى فإن تدجين الأغنام يعود إلى زمن متأخر مقارنة مع الشرق الأدنى، ولعله كان في فترة لاحقة لتدجين الأبقار وصناعة الفخار التي كانت من العوامل المهمة في الاستقرار البشري، والمعروف أن منطقة الصحراء الوسطى قد شهدت تدجين مبكرا للأبقار، فقد وصلت بعض التقديرات إلى ما يقرب 8000 ق.م (1260).

وربما يكون تدجين الأغنام قد تم في الألف الرابعة قبل الميلاد وفق ما يذكر بعض الباحثين على رأسهم موزيليني و"أشيل قوتي" (Achilles Gautier) (1261)، بينما يرى "فابريزيو موري" أن تدجين الأغنام كان في الألف السابعة قبل الميلاد (1262)، ويرى آخرون أن التدجين كان في الألف الخامسة قبل الميلاد (1263).

(1259) Jean-loic le Quellec ., 1999, Premières exaltations du mouton, In: Le Mouton, sa vie, ses oeuvres. Exposition du 20 juin au 28 novembre 1999 au Musée départemental de l'Abbaye de St-Riquier (catalogue d'exposition) , p8

(1260) O. Cortes and al ., 2008, op.cit, pp. 649-654.

(1261) Alfred Muzzolini., 1990, The Sheep In Saharan Rock Art., Rock Art Research.(2)7 : P96-98, Achilles Gautier., 2001, The Early To Late Neolithic Archeafaunas From Nabta And Bir Kiseiba .In : F Wendorf , R Schild, (Eds), Holocene Sttlemment Of The Egyption Sahara Volume 1: The Archaeology Of Nabta Playa , Now York , Kluwer Academic, Plenum Publishers, P634

(1262) Fabrizzio Mori., 1998, op.cit,P63

(1263) Gabrial Camps .,1998, Le Néolithique Méditerranéen, Paris , Edisud P15-16 , Achille Gautier., 2002, The Evidence For The Earliest Lievestock In North Africa: Or Adventures With Large Bovids, Ovicaprids, Dogs And Pigs .«In Fekri A. Hassan (Ed) ،Droughts, Food

ولا نعلم فيما إذا كان التدجين محليا أم من خارج المنطقة فكل من موزيليني وقوتي يرون أن تدجين الأغنام كان محليا لكنه متأخر عن الشرق الأدنى⁽¹²⁶⁴⁾، ويساند الباحث الألماني "رودولف كوبر" هذه الفرضية إذ يعتقد أن التطورات الحضارية في الطاسيلي قد قادت السكان إلى استئناس الأغنام مع بداية الألف الخامسة قبل الميلاد أي خلال المرحلة المناخية الرطبة لأواسط "الهولوسان"⁽¹²⁶⁵⁾، أما "أندرو سميث" فيرى أن تحسن المناخ وانتشار المروج الواسعة في الصحراء قد أدى إلى انتشار تدجين الأغنام والماعر والأبقار في حوالي 5000 ق.م⁽¹²⁶⁶⁾.

أما بخصوص أصول الأغنام المستأنسة فيرجح بعض الباحثين أن الأغنام قدمت من الشرق مع الرعاة⁽¹²⁶⁷⁾، وذلك على اعتبار أن مراكز تدجين الأغنام في الشرق أقدم منها في الصحراء⁽¹²⁶⁸⁾، لكن فكرة التدجين المحلي تحظى بدعم الباحثة باربارا باريش التي ترى أن التدجين رغم أنه محلي إلا أنه كان متأخر⁽¹²⁶⁹⁾، وربما تم بشكل أولي عن طريق وضع

And Culture. Ecological Change And Food Security In Africa's Later Prehistory) .New York: Kluwer Academic / Plenum, P201

⁽¹²⁶⁴⁾ Alfred Muzzolini., 2000 , Livestock in Saharan Rock Art, In : Blench Roger & MacDonald Kevin C. [eds], The Origins and Development of African Livestock : Archaeology, Genetics, Linguistics and Ethnography ,pp96-98 , Achilles Gautier., 2001, op.cit, P634

⁽¹²⁶⁵⁾ Rudolph Kuper And Stefan Kropelin ., 2006, Climate-Controlled Holocene Occupation In The Sahara: Motor Of Africa's Evolution , SCIENCE , Vol 313 , 11, August 2006, p805

⁽¹²⁶⁶⁾ Andrew B. Smith .,1986, op.cit, P 201

⁽¹²⁶⁷⁾ Douglas J. Brewer ,Donald B. Redford, Susan Redford ., 1994 , Domestic Plants and Animals: The Ancient Egyptian Origins , Natural History of Egypt, Hardcover , Aris & Phillips,p 90 , Angela Close., 2002, Sinai, Sahara, Sahel: The Introduction Of Domestic Caprines To Africa .«In Jennerstrasse 8 (Ed .(Tides Of The Desert / Dezeiten Der Wüste. Contributions To The Archaeology And Environmental History Of Africa In Honour Of Rudolph Kuper / Beiträge Zu Archäologie, p 469 , F.A , Hassan., 2000 ,Holocene environmental change and the origins and spread of food production in the Middle East. Adumatu, 1, p15

⁽¹²⁶⁸⁾ تبعا للخريطة التي وضعتها أنجيلا كلوز فإن هناك طريقتين سلكتهما الأغنام للوصول إلى الصحراء الوسطى : الطريق الأول : من الشرق الأدنى عبر ساحل البحر الأحمر حيث وجدت في "كهف السودمين" في 5050-5150 ق.م ، ثم إلى جنوب سيناء 5000 ق.م، لتصل واحة الداخلة ونباتا بلايا في 4950-5050 ق.م ثم إلى هوايتج و"كهف الكابيلوتي" في الأوراس في 4550 ق.م، والطريق الثاني كان عبر النيل إلى موقع "القداة" حوالي 4000-3000 ق.م ، ثم الصحراء الغربية المصرية ثم عبرت الصحراء من الشرق إلى الغرب، لتظهر في الصحراء الوسطى في الألف الرابعة ق.م، ينظر : Angela Close., 2002, op.cit. p 469

⁽¹²⁶⁹⁾ Jean-Loïc Le Quellec ., 2004 ,Rock Art..., 2004 ,P182

الحيوانات في القيد من طرف الصيادين القدامى في الصحراء في فترة تتراوح بين 5200 و4000 ق.م⁽¹²⁷⁰⁾ .

والملفت للانتباه أن الأغنام وُجدت في الموقع القفصي النهائي بهوافتيح في الجبل الأخضر الليبي في زمن يقدر ب 5850 ق.م⁽¹²⁷¹⁾ ، أما في كهف كابيلوتي (capéletti) في الأوراس فقد أرخت الباحثة كوليت روبي (Colette Roubet) بقايا الأغنام فيه بحوالي 4830 ق.م⁽¹²⁷²⁾، ونظرا لوجود تواريخ قديمة للأغنام في بلاد المغرب فإن هناك احتمال أن رعاية الأغنام قد انحدرت إلى الجنوب من بلاد المغرب.

والملاحظ أن هناك تضارب في التواريخ التي استخرجت في المواقع المختلفة في شمال إفريقيا وفي الصحراء، ويبدو التاريخ الذي قدمه فابريزيو موري في موقع "وان موهيجاج" بالأكاكوس قديماً جداً، فقد قدرت بقايا الأغنام هناك ب 5490 ± 220 ق.م، وأكد هذا الباحث أن مصدر تلك الأغنام هو بلاد المغرب، فربما كان تدجين الأغنام هناك متزامناً مع الشرق الأدنى، أو على الأقل أقدم من مواقع "الفيوم" و"مرمدة بني سلامة" المصرية الذي كان في حوالي 4050 ق.م⁽¹²⁷³⁾ .

لكن "فابريزيو موري" عدل التواريخ التي جمعها سابقاً ففي دراسته الأخيرة قدر تدجين الأغنام في الصحراء بالآلاف السابعة قبل الميلاد في "وان تالوكت" و "وان موهيجاج"⁽¹²⁷⁴⁾ ، ومع ذلك تبقى هذه التواريخ قديمة جداً مقارنة بالتواريخ التي استخرجت في نفس المنطقة

⁽¹²⁷⁰⁾ Barbara E. Barich et al., 2012, Sheikh., Bir El Obeiyid: Evidence of Sedentism in the Northern Farafra Depression (Western Desert, Egypt) , Prehistory of Northeastern Africa New Ideas and Discoveries Studies in African Archaeology 11, in : , International Symposium organized by the Poznań Archaeological Museum and Institute of Archaeology and Ethnology, Polish Academy of Sciences for the International Commission of the Later Prehistory of Northeastern Africa, Poznań, 2-5 July 2007, p256

⁽¹²⁷¹⁾ Angela Close., 2002, op.cit. 469

⁽¹²⁷²⁾ Colette Roubet ., 2003, des communautés atlasiques, Néolithisées du Maghreb oriental, dès 7000 BP, L'anthropologie 107, p395

⁽¹²⁷³⁾ Jean-Loïc Le Quellec ., 2004, Rock Art ... ,p181

⁽¹²⁷⁴⁾ Fabrizio Mori ., 1998, op.cit. p63

من طرف "أندرو سميث" الذي حدد قدر عمر الأغنام في "وان تلوكلت" ب 4550 ق.م (1275).

ورغم أن الرسوم والنقوش التي ظهرت فيها الأغنام تبدو أقدم مما كان يفترضه الباحثون، فإنه لا تزال هناك حاجة ماسة إلى الحصول على التواريخ الدقيقة لتدجين الأبقار والأغنام والماعز، وهو ما سيعطينا معلومات صحيحة عن العمر الحقيقي للرسوم التي تظهر فيها هذه الحيوانات.

كما أن فرضية التدجين المحلي للأبقار والأغنام تبدو ذات حجة قوية ، فالأغنام كانت موجودة في حالتها البرية منذ العصر الحجري القديم المتأخر على الأقل، فقد أظهرت الأبحاث الأثرية في المواقع "الايبيرومغربية" أن الخراف والأبقار البرية كانت من بين الحيوانات التي كانوا يصطادها الناس إلى جانب أنواع أخرى كالأيائل، والخنازير البرية ، والضباء، والخيول البرية، والغزلان... (1276).

وفي السويات الأثرية المتزامنة مع الهلوسان المبكر لوحظت بقايا كثيرة للخراف البرية في "تين تورها" الشرقية في الأكاكوس⁽¹²⁷⁷⁾، وحسب "مورو غراماشي" (M Cramaschi) فإن الخراف البرية كانت معروفة على نطاق واسع لدى الصيادين الأوائل، فقد حاول الإنسان التعامل معها وتدجينها في الأكاكوس في فترة مبكرة تتراوح بين 7800 و 6800 ق.م وهذا ما تشير إليه الترسبات الأثرية الغنية بالمواد العضوية ومنها بقايا روث لنوع غير معروف من الماعز (1278).

أما فيما يخص صور الأغنام في الفن الصخري بالطاسيلي فقد ذكر "هنري لوت" أن الأغنام كانت موجودة في الرسوم القديمة في كل من صفار (Sefar) ورارداس (Rharden)

(1275) Andrew B. Smith ., 1989, op.cit, p71

(1276) David, Lubell. , 2011, op.cit, P131

(1277) Savino Di Lernia., 1999, Why Uan Afuda ? The Pre- Pastoral Archaeology Of The Acacus Ans Surrounding, In: Savino Di Lernia (Ed) , The Uan Afouda Cave : Hunter- Gather Of Sahra , Fienze, P4

(1278) M .Cramaschi And L Trombino ., 2001,op.cit, pp 15-23

وهو يرى أن الصور في البداية كانت تقتصر على الأغنام والماعز أما الأبقار فقد ظهرت لاحقاً (1279)، ووفقاً لما يذكر " كريستيان دوبي " فإن الصور القديمة للأغنام ظهرت خلال مرحلة الرؤوس المستديرة، وهو ما أشار إليه "فابريزيو موري" أيضاً عندما قال أن هناك طور رعوي مبكر في مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة (1280) .

أما موزيليني فيرى أن الأغنام ظهرت فقط في المرحلة الحديثة من البقرات، لكنه أقر في دراسة حديثة له أنها ربما كانت موجودة أيضاً في "أسلوب أبانيورا" الذي يعود للبقرات الوسطى (1281) ، ويعتقد هنري هوجو أيضاً أن الأغنام ظهرت في المرحلة الرعوية النهائية في أسلوب إهرن - تاهيلاهي وذلك في مواقع إهرن و صفار وجبارين (1282) .

ومهما يكن من أمر فإن مشاهد الأغنام في الصحراء الوسطى تعتبر قليلة مقارنة بالأبقار فهي موجودة في بعض المناطق مثل " تيسالاتين " الواقعة غرب إيزي (1283)، كما وجدت في "وادي تابراكت" قرب الحدود الجزائرية الليبية (1284)، وكذلك في "إهرن" التي وجدت فيها مشاهد القطعان الكبيرة من الأغنام والأبقار (1285)، كما وجدت مشاهد الأغنام في الأكاكوس في العديد من المناطق منها موقع "وان أميل"، أما في الهوقار فمشاهد هذه الحيوانات نادرة جداً.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن الأغنام كانت موجودة في المنطقة منذ آلاف السنين وربما لم تظهر في الفن الصخري إلا بشكل متأخر، ونحن نميل إلى تأييد فكرة التدجين المحلي نظراً لوجود تواريخ قديمة لهذه الحيوانات، كما أن البيئة كانت ملائمة والمنطقة كانت قد عرفت ازدهاراً كبيراً، كما أن الناس حاولوا تدجين العديد من الحيوانات البرية (1286)،

(1279) Ginette Aumassip., 1993 , op.cit,p15 , Ginette Aumassip Et Michel tauvron., 1993, op.cit. p72

(1280) chritian dubuy ., 2007 , op.cit, p30

(1281) Alfred Muzzolini., 1995, Op.cit. P127 -128

(1282) Henri-Jean Hugot, & Bruggmann, Maximilien., 1999, Sahara. Art rupestre ; Préface de Théodore Monod .Les éditions de l'Amateur, p 370, Fig. 422

(1283) Alain Sèbe., 1991 , op.cit.p81

(1284) François Soleilhavoup et Philippe Masy., 2001. Op.Cit. P35, Fig 13

(1285) Ibid.p 144, fig53,54,55.

(1286) حول محاولات تدجين حيوانات برية كالغيلة والزرافات ووحيد القرن، ينظر:

Jean-loic le Quellec., 1999, Premières exaltations ..., p8-10

ومن المرجح أن قدوم رعاة من الشمال قد ساهم في انتشار تدجين الأغنام على نطاق واسع في مرحلة البقریات الحديثة .

أما بخصوص الماعز فالأنواع الماعزية التي كانت موجودة في الصحراء الوسطى غير معروفة، لكن اليوم توجد خمسة أنواع من الماعز في شمال إفريقيا، وهي "الماعز القبائلي" الذي يدعى علمياً بـ (*Capra hircus*) ، والماعز العربي بالإضافة إلى ثلاثة أنواع أخرى هي: (*Hircus reversus*) ، (*Hircus manbrinus*) ، (*Hircus Thebaïcus*) ، ورغم أن الماعز متواجد بكثرة في هذه الأيام إلا أن الباحثين لم يعثروا على بقايا هذه الحيوانات في العصر الحجري القديم⁽¹²⁸⁷⁾، بينما وجدت بقاياها في عدة مواقع نيوليتية في شمال إفريقيا ويحتمل أنها دخلت في نفس الوقت الذي تم فيه إدخال الأغنام وهي من أصول شرقية، علماً بأن هناك نوع من الأروية يدعى (*Ammotragus lervia*) كان موجوداً في الهلوسان وقد اعتبره البعض سلف الماعز الحالي⁽¹²⁸⁸⁾، وقد ظهر هذا الحيوان في رسوم مرحلة الرؤوس المستديرة في مشهد "الاله الكبير" في صفار وكان من الحيوانات المفضلة في القرابين.

مع العلم أن تدجين هذا الحيوان قد تم في فترة مبكرة في الشرق الأدنى ويتراوح التاريخ بين 7000 و 7500 ق.م، وقد وصلت التقديرات في موقع غانج دارا (*Ganj Dareh*) بجبال زاغروس بإيران إلى 8000 ق.م، وتعود البقايا التي وجدت في لبنان إلى نفس الفترة تقريباً، أما في قبرص فقدرت بقايا الماعز بحوالي 8400 ق.م⁽¹²⁸⁹⁾، ويبدو أن انتشار تدجين الماعز كان بالموازاة مع الأغنام والأبقار في كامل المواقع الصحراوية .⁽¹²⁹⁰⁾

⁽¹²⁸⁷⁾ من المرجح أن هذه الحيوانات كانت موجودة في العصر الحجري القديم حيث أن أسلافها في مصر هي من النوع

الأسوي، ينظر : Savino Di Lernia Et Al ., 2012 , Op.Cit, P 1841

⁽¹²⁸⁸⁾ G. Espérandieu et S. Chaker., 1994, « Chèvre », Encyclopédie berbère, 13, Chèvre – Columnatien, Aix-en-Provence, Edisud, 1994, p 1914

⁽¹²⁸⁹⁾ Dorian Q. Fuller., 2006, Agricultural Origins and Frontiers in South Asia: A Working Synthesis , J .World Prehist (2006) 20,p25

⁽¹²⁹⁰⁾ J.-D. Vigne Et Al ., 2000, Predomestic Cattle ,Sheep, Goat And Pig During The Late 9th And The 8th Millennium Cal.Bc On Cyprus: Preliminary Results Of Shillourokambos (Parekklisha, Limassol). In M. Mashkour, A .Choyke, H. Buitenhuis, & F. Poplin(Eds) Archaeozoology Of The Near East Iva,. Groningen: Arc Publicatie, p83-106

ولا يعرف بالضبط الفترة الذي ظهر فيها الماعز في الفن الصخري فوفق ما يذكر " دي لارينيا" فإن مشاهدته الأولى تعود إلى المرحلة الرعوية الوسطى التي كانت بين 5200-3750 ق.م، ويعتقد أنه فيما بين 3700 و 3400 ق.م أي مع نهاية المرحلة الرعوية الوسطى بدأ إدخال الماعز على نطاق واسع في الصحراء ، ويزامن ذلك مع تحول المناخ إلى الجفاف (1291).

وفي الأخير يمكن القول أن المنطقة الصحراوية عرفت تدجين الأبقار مبكرا مقارنة بالأغنام والماعز، لكن بما أن هذه الحيوانات لا تحتاج إلى الكثير من العشب والماء مقارنة بالأبقار فقد كانت تتأقلم أكثر في الفترات الجافة، ولا توجد لحد الآن معلومات دقيقة حول الفترة التي بدأ الإنسان فيها في تدجين الأغنام والماعز، وإن كنا نرجح التدجين المحلي لها لأن هذه الحيوانات كانت موجودة منذ زمن طويل في المنطقة فهي على الأقل متواجدة في العصر الحجري القديم المتأخر .

(1291) savino di Lernia et al ., 2012 , op.cit, p 1841

ب- الأساليب الفنية في البقريات الوسطى :

انتشرت في هذه المرحلة أساليب مختلفة أكثر من مرحلة البقريات القديمة ، وذلك نظرا لتعدد الإثني في هذه الفترة، كما أن هذه الفترة أطول زمنا والمناخ كان فيها ملائما للحياة الرعوية أكثر مما كان سابقا، ومن الأساليب الفنية التي يمكن ملاحظتها في هذه الفترة :

- أسلوب تين أبهار (أبانيورا):

لقد كان ألفرد موزيليني هو أول من اطلق تسمية "أبانيورا" على هذا الأسلوب الفني⁽¹²⁹²⁾، ويرى هذا الباحث أن هذا الأسلوب أقدم من أسلوب " إهرن - تاهيلاهي" لكنهما مع ذلك متقاربان في الزمن⁽¹²⁹³⁾، أما سبب التسمية فتعود إلى المشاهد الكثيرة الموجودة في ملجأ "تين أبهار" والتي تمثل أسلوباً فنياً موحداً لمجموعة بشرية واحدة⁽¹²⁹⁴⁾، ويتميز هذا الأسلوب بأنه يمثل الرعاة السود وهم مختلفون عن الزوج السابقين، حيث يبدو من خلال ملامح ثلاثة أشخاص في ملجأ "تين أبهار" أنهم من ذوي الملامح السوداء⁽¹²⁹⁵⁾. (اللوحة 05، 19، 22)

وتوصف المجموعات التي تمثل هذا الأسلوب أنها مجموعات سوداء أو ذات بشرة نحاسية وهم ليسوا من الزوج السابقين الذين وجدوا في مرحلة البقريات القديمة، ويختلفون عن الزوج المعاصرين لهم أيضا، وقد اعتقد هنري لوت أنهم يشبهون قبائل الفولاني المتواجدين في غرب إفريقيا اليوم، وأطلق على مشهد يمثلهم في موقع جبارين تسمية " الفتاتان من الفولاني"⁽¹²⁹⁶⁾ (اللوحة 17)

⁽¹²⁹²⁾ Alfred Muzzolini., 1981 , Le Groupe Europeoide d'Iheren-Tahilahi, Etage "Bovidien Final" Des Peintures Du Tassili , Revue De l'Occident Musulman Et De La Mediterranee32 , (2), p121-138

⁽¹²⁹³⁾ Jean-Loïc Le Quellec ., 2009, À propos du nom donné à quatre styles de peinture rupestre au Sahara central , Cahiers de l'AARS , N° 13 , Mai 2009, p186-187

⁽¹²⁹⁴⁾ يقع ملجأ تين أبهار في هضبة "تاجيلامين" غير بعيد عن إهرن ، وتوجد فيه بعض مشاهد الرؤوس المستديرة المماثلة لمشاهد صفار كما تتواجد فيها مشاهد لأسلوب "إهرن تاهيلاهي" خاصة في المناطق المحيطة بها ، بالإضافة إلى مشاهد مرحلة الحصان ، و تتميز المنطقة بتآكل تضاريسها مثل صفار .

⁽¹²⁹⁵⁾ Philippe Masy Et F Soleilhavoup ., 2001, Op.cit. p36

⁽¹²⁹⁶⁾ الفولاني هم البدو الرعاة في غرب إفريقيا يعرفون بعدة أسماء تبعا للبلاد التي يتواجدون فيها، إذ يعرفون بالفولانيون fullani ، الفلاتة Fallata ، الفولا Fula ، البول Peul ، وهذه القبائل تسكن منطقة شاسعة من غرب إفريقيا وصولا إلى

أما تقنية تنفيذ المشاهد في هذا الأسلوب فهي الرسم بمساحة موحدة من لون المغرة السوداء القاتمة⁽¹²⁹⁷⁾، وقليلًا ما نجد ملامح أو تفاصيل داخلية، وفي بعض الأحيان يتم رسم الشكل الخارجي بلون بينما يتم تلوين الأجزاء الداخلية بلون آخر، كاللون الأصفر أو الأزرق أو الرمادي، أما صور الأبقار فهي عادة ما تكون بلطخات وبقع كبيرة، والزنجرة في هذا الأسلوب فاتحة أكثر من الزنجرة التي في أسلوب "صفار - أوزيناري" القديم⁽¹²⁹⁸⁾.

وتكثر في هذا الأسلوب المشاهد الرعوية إذ نجد أبقاراً منعزلة أو قطعان، أما الأشخاص فهم عادة في وضعية المشي، لكن الرعاة عادة ما يظهرون وهم يسيرون بسرعة أو في وضعية الوثب (اللوحة 49)، أما أبقارهم فهي بيضاء اللون من نوع الإفريقي (B. Africanus)، كما توجد أبقار من نوع "(B primigenius)"، وأخرى ذات قرون متجهة إلى الأمام، أما الحيوانات البرية التي تظهر في الرسوم فهي خاصة الزرافات والفيلة والنعامة⁽¹²⁹⁹⁾.

وبخصوص المناطق التي انتشر فيها أسلوب أبانيورا فهي تتركز في المناطق الشرقية والوسطى من الطاسيلي، حول ملجأ إهرن وتين أبناهار بما في ذلك هضبة تامريت ومواقعها الرئيسية كصفار وجبارين وتامريت و"تيكادوين" و"تيسوكاي" ...⁽¹³⁰⁰⁾. (الخريطة 10)

كما وجد هذا الأسلوب في هضبة "فضنون"، ومن أهم محطات الفن الصخري فيها "إن سالف" (I-n-Selouf)⁽¹³⁰¹⁾، كما وجد أسلوب أبانيورا أيضا في جنوب الطاسيلي في "تين رارداس" (Ti-n-Rhardès) و"تين ريسو" (Ti-n-Ressou)، أما في الجزء الغربي من

تشاد والسودان، وينقسمون إلى قسمين: البدو وهم رعاة الأبقار، والمستقرين، وتتميز مجموعات البدو بالسحنة النحاسية والشعر الطويل الناعم، وتقاطيع الوجه الرقيقة، أما المستقرين فيتميز بعضهم بالشعر المجعد والسحنة الداكنة والأنف الأفطس، ينظر: الأمين أبومنقة، سليمان يحيى، 2014، الصلة بين الفولانيين وبين قدماء المصريين وقدماء بلاد النوبة، مجلة دراسات أفريقية، العدد 44، 7 رجب 1435 - 6 مايو 2014، ص 2، ويعرف الزُحل منهم باسم "البورورو" bororo والمستقرين يسمون "قويدا" guidda، ينظر :

Henri Lhote., 1976, Vers D'autre...Op.Cit.pp144-145

⁽¹²⁹⁷⁾ Philippe Masy Et F Soleilhavoup ., 2001, Op.cit. p36

⁽¹²⁹⁸⁾ Alfred Muzzolini., 1995, Op.cit, pp126-127

⁽¹²⁹⁹⁾ Alfred Muzzolini., 1995, Op.cit. pp127 -128

⁽¹³⁰⁰⁾ Alfred Muzzolini., 1995, Op.cit, P130

⁽¹³⁰¹⁾ jean Loic Le Quellec ., 2008, What's...,P58

الطاسيلي فقد وجدت مشاهدته في وادي "إن سكان"⁽¹³⁰²⁾ (In Sakan) ، وفي العديد من الملاجئ في هضبة تاجيلامين⁽¹³⁰³⁾. أما في الاميدير فتوجد بعض المشاهد في "إن إغليم" (I-n-Aglim) و"إفتاسن" (Ifetessen)⁽¹³⁰⁴⁾، وكذلك في "تادراست" (Tadghast)⁽¹³⁰⁵⁾، و"إن جران" (Djerane In) جنوب الطاسيلي⁽¹³⁰⁶⁾، وفي "أرمات" قرب الحدود الليبية خاصة في وادي "تابراكت"⁽¹³⁰⁷⁾. (الخريطة 10)

ومن المرجح أن رسوم هذا الأسلوب تمثل وجهاً ثقافياً يعود لمجموعات كبيرة ذات أصول واحدة انتشرت في كامل المنطقة، ومن الممكن أنهم قد تركوا بعض النقوش في وادي جرات وفي الهوقار مثلما تدل على ذلك بعض المشاهد⁽¹³⁰⁸⁾، وربما امتد تواجدهم إلى هضبة المساك فقد وجد مشهد لهم في المنطقة، كما أن الرسوم الموجودة في ملجأ "وان تابو" بالأكاكوس تعود إليهم أيضاً⁽¹³⁰⁹⁾.

أما خارج الصحراء الوسطى فيعتقد الباحث "إريش هالي" أن هذا الأسلوب موجود في "الاندي" بتشاد ، في كل من "كوكو" Koko و"سورو كانزانقا" (Soro Kezenanga) و"باردارقولو" (Baradergolo) و"تامادا" (Tamada)⁽¹³¹⁰⁾، وكذلك في هضبة "جادو" بالنيجر أيضاً⁽¹³¹¹⁾، كما وجدت مشاهد لهم في "تيفريتي" بالصحراء الغربية، ويرجح أيضاً أن بعض الرسوم في "العوينات" جنوب غرب مصر تعود إليهم أيضاً⁽¹³¹²⁾، وقيل بأن هناك نقوشاً في وادي "أسليج" بالمغرب الأقصى تشبه هذا الأسلوب⁽¹³¹³⁾.

⁽¹³⁰²⁾ U. W. Hallier , B. C .Hallier ., 2002, op.cit , P12

⁽¹³⁰³⁾ Jean-Loïc Le Quellec ., 2009, À propos ..., pp186-187

⁽¹³⁰⁴⁾ Yves Gauthier ., 1996 , Peintures De L'immidir Et Des Tassilis Du Nord-Ouest (Algérie), Sahara , 8, p82

⁽¹³⁰⁵⁾ Yves Gauthier, and D. Lionnet., 2005. Abris peints du plateau de Tadjelahin et leur relation avec des peintures de l'Immidir Sahara 16: 128–137, fig. 2, 7, 8pl. Q-T

⁽¹³⁰⁶⁾ Alfred Muzzolini ., 1995, Op.cit, pp127 -128

⁽¹³⁰⁷⁾ F. Soleilhavoup Et Al., 2000, Art Rupestre Dans Les Confins Nord-Orientaux Du Tassili-N-Ajjer (Région De L'aramat, Libye) », Sahara N° 12, pp. 45-82, Fig 4,3

⁽¹³⁰⁸⁾ François Soleilhavoup et Philippe Masy ., 2001, Op.cit. P36

⁽¹³⁰⁹⁾ Jan Jelienk ., 2004, Op.Cit, P52

⁽¹³¹⁰⁾ U. W. Hallier , B. C .Hallier ., 2002, op.cit, P12

⁽¹³¹¹⁾ Jan Jelienk ., 2004, Op.cit, P51

⁽¹³¹²⁾ Philippe Masy Et F Soleilhavoup ., 2001, Op.cit. P36

⁽¹³¹³⁾ Jean -Loic Le Quellec., 2008, What's New ..., P65

والجدير بالذكر أن المشاهد الموجودة خارج الطاسيلي لهذا الأسلوب قد تكون عبارة عن تأثيرات حضارية من الطاسيلي أكثر من كون المجموعات التي نفذت الرسوم هي نفسها في كامل المناطق المذكورة .

- أسلوب "وان أميل" :

ينتشر هذا الأسلوب في منطقة الأكاكوس وقد كان فابريزيو موري " هو أول من أطلق عليه هذه التسمية على مجموعة من المشاهد لمجموعات بيضاء في ملاجئ بالأكاكوس وخاصة منها ملجأ "وان أميل"⁽¹³¹⁴⁾، ووفق ما يذكر هذا الباحث فإن هذا الأسلوب ينتمي إلى البقريات القديمة⁽¹³¹⁵⁾.

بينما يرى كل من موزيليني و لوكيلاك وفتي أن الأسلوب ينتمي للبقريات الحديثة وهو معاصر لأسلوب إهرن، وكلاهما يمثلان قبائل وشعوب ذات أصول ليبية -بربرية عاشت في نفس الفترة⁽¹³¹⁶⁾ ، وقد أشار لوكيلاك إلى أن مشاهد له قد أرخت في "تين تابوراك" -n-Ti Taborak بالأكاكوس في 2460 ± 70 قبل الحاضر وهي فترة تتزامن مع البقريات النهائية⁽¹³¹⁷⁾، أما جون جيلينيك فيرى أن هذا الأسلوب ينتمي البقريات الوسطى وهو يختلف عن أسلوب "إهرن - تاهيلاهي"⁽¹³¹⁸⁾.

ومن الواضح بالنسبة لنا أن مجموعات "وان أميل" هي من الليبيين مثل سكان بلاد المغرب فهم يشبهونهم في اللباس وفي لحاهم المدببة وبشرتهم البيضاء، ولا شك أنهم يختلفون عن بعض القبائل الليبية من الناحية الثقافية، فلا نجد على رؤوسهم ريش النعام ، وفي المقابل نجد لديهم خصلة شعر يحرسون على إظهارها بارزة إلى الأمام ولعلها تمثل هوية ثقافية لهم (اللوحة 48) .

⁽¹³¹⁴⁾ يقع هذا الملجأ في وادي "تاشوينت" بالأكاكوس وهو يحتوى على رسوم كثيرة تعود للبقريات واسمه الحقيقي هو "وان"

" ملول Wan Melloul ، ينظر: P12... Jean- Loïc Le Quellec., 2013, Périodisation ...

⁽¹³¹⁵⁾ Fabrizio Mori., 1970 ،op.cit. p356

⁽¹³¹⁶⁾ Yves & Christine Gauthier., 2006, op.cit., P96, Jean-Loïc Le Quellec ., 2013, Périodisation ..., P3

⁽¹³¹⁷⁾ Jean-Loïc Le Quellec ., 2013, Périodisation..., P12.

⁽¹³¹⁸⁾ Jan Jelienc ., 2004,Op.Cit, P51

والجدير بالذكر أن القبائل الليبية كانت تختلف من حيث عاداتها وخصائصها الأنثروبولوجية والثقافية، وهذا ما ذكره المؤرخ هيرودوت، الذي عاصر هؤلاء الليبيين وترك لنا وصفا لعدد من قبائلهم فبعضهم كانوا يخلقون شعورهم كاملا ويتركون خصلة شعر لتنمو، في حين يترك بعضهم الجزء الأيمن من رؤوسهم ويخلقون الأيسر⁽¹³¹⁹⁾، ومن المرجح أن هذا الأسلوب ينتمي إلى البقریات الوسطى لكنه متأخر قليلا على أسلوب "أبانيورا"، ونرى أنه يمثل مجموعتين من الرعاة، المجموعة الأولى وهي الأقدم تمثل رعاة الأبقار، أما المجموعة الثانية فهم من رعاة الأغنام وهؤلاء قد يكونون معاصرين لمجموعات أسلوب "إهرن-تاهيلاهي" ضمن البقریات الحديثة. (اللوحة 06، 07)

ومما يتميز به أن رسومه ملونة وهي ذات حجم صغير، كما أنها تنتمي إلى الأسلوب الطبيعي وهي تشبه معظم رسوم البقریات في الطاسيلي، لكونها مشاهد لطقوس مقدسة أو للحياة اليومية المتصلة بالأبقار والأغنام، كما توجد مشاهد لصيد الحيوانات البرية كالأروية والأسود، أما الأسلحة التي يستخدمها الأفراد فتقتصر على القوس، وهم يختلفون عن بقية المجموعات الليبية والمجموعات السوداء بتسريحة الشعر التي يتميزون بها⁽¹³²⁰⁾.

أما فيما يخص المناطق التي انتشر فيها هذا الأسلوب "فهي منطقة الأكاكوس بالدرجة الأولى فقد وجدت مشاهدهم في وادي "تاشوينت" في كل من "إن أران" (i -n- Araïen) وتين لالان، و "انسفال" ووأن موهيجاج⁽¹³²¹⁾، وتواجدوا أيضا في وادي "كسان" (Kessan) شمالا⁽¹³²²⁾.

وفي الطاسيلي وجدت مشاهدهم في صفار، ووادي "تسات" ووادي "أهلون"، وفي "تيسلاتين"⁽¹³²³⁾، كما وجدوا في جبارين، وتين تافريست، وتان زوميتاك، و تين تزاريفت، أما خارج الطاسيلي فقد وجد الباحث الريش هالي (Hallier) هذا الأسلوب في هضبة "جادو" بالنيجر⁽¹³²⁴⁾، كما عثر فرانز تروست على العديد من مشاهدهم في الهوقار بكل

⁽¹³¹⁹⁾ Hérodote , IV, 175,191

⁽¹³²⁰⁾ Jan Jelenk, 2004 ,op.cit. p51

⁽¹³²¹⁾ fabrizio Mori., 2000, op.cit.p255

⁽¹³²²⁾ Jean loic Quéllec ., 2004, op.cit.p60

⁽¹³²³⁾ Ulrich Hallier ., 1999, op.cit. 298.

⁽¹³²⁴⁾ Jan Jelenk., 2004, op.cit. p51

من "إيجيج" Egig، و"إن أران" (Araïen-n-l) و"تين تبوراك" (tin Taborak) و"إموتال" (Imûtal) و تمنراست (1325).

ج- مواضيع الرسوم في البقريات الوسطى :

يعتبر الأسلوب الطبيعي وشبه الطبيعي هو الأسلوب المميز لمرحلة البقريات لكونه يعبر عن الواقع، والرعاة يظهرون في وضعيات مختلفة مع حيواناتهم، وهناك الكثير من الصور التي تمثل نشاطات الحياة اليومية وتعامل الرعاة مع القطعان، لكن ذلك لم يمنع وجود بعض من المشاهد الرمزية خاصة تلك التي تمثل مظاهر أسطورية وسحرية، كما أن توظيف الحيوان في بعض المشاهد لم يكن الهدف منه إظهار الحيوان كما هو في الطبيعة بل للتعبير عن غرض سحريا أو دينيا كأن يكون جزء من أسطورة قديمة.

كما توجد الكثير من المشاهد الغير مكتملة أو تلك التي تعبر عن مواضيع غير معروفة إلى جانب الكثير من الصور المتطابقة، لكن توجد أيضا بعض المشاهد الكاملة التي تُعبر عن مواضيع مختلفة في آن واحد، إلى جانب الكثير من اللوحات الفنية التي تعتبر أعمال ذات قيمة كبيرة والتي تعطينا صورة واقعية عن الحياة القبلية .

ومن بين اللوحات الفنية الكبيرة لوحة في "وان أميل" بالأكاكوس تعود لمرحلة البقريات الوسطى تمثل عدة مواضيع وجميعها تمثل القبيلة نفسها، حيث نجد على اليمين مجموعة من الرماة في وضعية القتال، وهي على ما يبدو معركة وفي اسفل اللوحة نجد مجموعة كبيرة من المحاربين، وفي اللوحة نفسها نجد عدد من الأبقار ترعى، كما نجد أسرة متكونة من امرأة طاعنة في السن يساعدها أولادها، وتتضمن اللوحة أيضا أشخاصاً يمشون، كما يوجد رجال ونساء يتسامرون حول الخيمة، لكن الملفت للانتباه هو وجود مجموعة من 08 أفراد أحدهم يبدو بمثابة الساحر أو الكاهن وهم يقومون بطقوس ذات طابع ديني واجتماعي، تهدف لإدماج الأشخاص ضمن مجموعاتهم ويمكن أن نعتبرها من طقوس المسارة ، حيث ينجز بعضهم خصلة شعر بارزة إلى الأمام تمثل شعار القبيلة وعلامتها المميزة (اللوحة 48).

(1325) Franz Trost., 1998, op.cit. Fig. 1413-1, fig76-2, fig 77-582- 3, fig 537-4, fig 636

كما يوجد مشهد مماثل في وادي " تاشوينت " بالأكاكوس يعود للبقریات الوسطی ویمثل القبيلة بكامل عدتها وخيامها، ويظهر في المشهد عدد كبير من الأواني المعلقة في الأوتاد مما يدل على الأنشطة المختلفة التي يقوم بها الرعاة .

والجدير بالذكر أن معظم المواضيع في هذه المرحلة تدور حول الجانب الديني والسحري كما توجد موضوعات تمثل الحياة اليومية تظهر فيها حيوانات مستأنسة كالأبقار والأغنام ، وهي تعكس صور حياة الرعاة ونشاطاتهم اليومية كالحلب ونصب الخيام والسمر حول الموقد، إلى جانب مشاهد عائلية للأولاد وهم يلعبون حول أفراد العائلة ومشاهد اجتماعية أخرى ، ووجدت أيضا مشاهد قليلة للحيوانات البرية التي لها دور ديني مثل الزرافات والفيلة وبعضها يظهر في مشاهد الصيد أيضا (اللوحة 08، 11، 17، 20، 22، 23، 43، 48).

وفي معظم المشاهد المعبرة عن نشاطات الحياة اليومية نجد الأبقار، فهي تظهر دائما مع رجالٍ أو نساءٍ يطعمونها، حيث نجد أشخاصاً يقومون بربط الأبقار أو يضعون حبالا على قرونها من أجل نقل معدات التخيم، وغالبا ما تركبها النساء عند الارتحال⁽¹³²⁶⁾ .

وتتنوع مواضيع المشاهد تبعا للأساليب الفنية حيث تظهر الأبقار متنوعة الأثواب ومزينة في وضعيات مختلفة، بينما الأشخاص منشغلين بأعمال مختلفة كالحلب أو الإطعام أو الصيد. والملاحظ أن ملامح الأشخاص تختلف أيضا فهناك أناس من ذوي البشرة السوداء أو النحاسية وهم يشبهون شعب الفولاني الذي يعيش في غرب إفريقيا، كما توجد مجموعات زنجية، أما المجموعات البيضاء فتبدأ في الظهور ابتداء من هذه الفترة، وبالطبع تختلف المظاهر الثقافية تبعا لذلك، ومن الأمثلة على ذلك تسريحات الشعر المختلفة وكذلك اللباس والزينات المختلفة.

كما أن المواضيع الفنية فهي تختلف باختلاف الشعوب التي عاشت في المنطقة في تلك الفترة الطويلة، فمواضيع الزواج في معظمها مواضيع رعوية تختلف عن مواضيع المجموعات ذات البشرة النحاسية والتي نجد فيها الكثير من الطقوس والاحتفالات التي تعبر عن الأساطير التي كانت موجودة، وفي الوقت الذي نجد فيه الكثير من الحيوانات البرية في

⁽¹³²⁶⁾ Yves Et Christine Gauthier ., 1995,op.cit.p31

مشاهد الزوج، فإن نسبة قليلة منها نجدها في مشاهد مجموعات أبانيورا، أما مشاهد مجموعات وان أميل فنادر ما نجد فيها حيوانات برية .

1- مشاهد الحياة اليومية للرعاة:

تتعدد المشاهد التي تعبر عن نشاطات الحياة اليومية للرعاة، كالحلب والاعتناء بالأبقار، والملاحظ هنا أن الرعاة كان يحرصون على إظهار الأبقار في وضعياتها الطبيعية، كما توجد مشاهد أخرى للرعاة في حياتهم الأسرية، فكثيرا ما نجد صور منفردة لرجال مع نساء أو أطفال، ورجال يلعبون مع أطفالهم، أو مجموعة من النسوة تستمع إلى عجوز، ورجال أو نساء يعتنين بشيوخ أو عجائز طاعنات في السن، أو نساء يتسامرن قرب الموقد أو الخيمة، والنسبة الأكبر من هذه المشاهد هي للنساء⁽¹³²⁷⁾.

ويهتم الرجال عادة بنصب الخيام أو الحلب أو يقومون بربط الأبقار والعجول بالحبال بينما يعتني النساء بالأولاد (اللوحة 42)، علما بأن الحبال قد تكون لها معاني رمزية، فلدى الفولاني مثلا يعتبر الحبل ذو قيمة رمزية عند الرعاة حيث يعرف بـ " حبل الراعي " وهو من الأدوات التي يستخدمها الرعاة في طقوس العبور أو المسارة و التلقين⁽¹³²⁸⁾. مع العلم أن الحبل له قيمة رمزية لدى الرعاة في شمال إفريقيا اليوم، فعندما يبيع الرعاة بعضاً من خرافهم أو أبقارهم فإنهم يحرصون على استرجاع الحبال الذي كانوا يربطون بها هذه الحيوانات، وهو يمثل نوعاً من الممارسات ذات الطابع السحري، والسبب في ذلك وفق ما أخبرني به أحد الرعاة أنه إذا فقد الراعي حبله فإن ذلك يعني أن حظه أصبح سيئاً وأن النحس سوف يصيبه فيفقد ثروته المتكونة من الحيوانات .

ومن بين مشاهد الحياة اليومية الصور التي تمثل أفراد الأسرة مجتمعين حول الموقد ، ومن الأمثلة على ذلك المشهد الذي أطلق عليه هنري لوت اسم " ملجأ الاطفال " في صفار، وهو مشهد يتضمن رجل يحلب بقرة بينما تقوم اثنتان من النساء بالاعتناء بأطفالهما، ونجد في المشهد نفسه خيمة بها طاولة ومجموعة من الأواني والأثاث، إضافة إلى طفل صغير

⁽¹³²⁷⁾ Allard- Huard Léone. , 1983, op.cit.p423

⁽¹³²⁸⁾ Girrome Dieterlen, & A Hampaté Bâ.,1966, Les fresques d'époque bovidienne du Tassili n Ajjer : hypothèses d'interpretation ،J.S.A.36 ، p149

يلعب مع رجل طاعن في السن، فهذا المشهد يمثل العلاقات الأسرية كما يدل على وجود تعدد الزوجات في ذلك الوقت (1329) .

ونلاحظ في المشهد عدة أواني موضوعة على الأرض مع قصعة كبيرة على الطاولة داخل الخيمة، وأواني صغيرة للشرب وجرار كبيرة، وإلى جانب تلك الأواني يوجد شيء مخروطي الشكل قد يكون من الجلد يستخدم لمخض الحليب، وهو يعرف لدى الرعاة اليوم "بالشكوة"، يستعملونها لمخض الحليب واستخراج الجبن (اللوحة 42)، وتدل الكثير من المشاهد على اتجاه الرعاة لممارسة نشاط الحلب ولا نعرف بالضبط الفترة التي قام فيها الإنسان بالتحول إلى هذا النشاط وهو على الأرجح تم في فترة متأخرة فصور الأبقار ذات الضروع الكبيرة انتشرت في هذه الفترة. (اللوحة 24، 43)

والجدير بالذكر أن مسألة انتشار نشاط الحلب بين الرعاة قد ثار حولها نقاش كبير بين الباحثين ، إذ يرى الباحث فرنسوا فان نوتن (F Noten) أن إنتاج الحليب كان في المرحلة القديمة للاستئناس واستدل على ذلك بمشاهد قديمة لعملية الحلب في جبل العوينات على الحدود المصرية الليبية في أقصى الجنوب⁽¹³³⁰⁾. لكن هذا الرأي يعارضه الكثيرون فقد ذكرت الباحثة "يولندا تشودي" أن إنتاج واستهلاك الحليب كان في مرحلة البقرات الوسطى ففي المرحلة القديمة من البقرات لم يكن الاهتمام ينصب على الحليب بل على اللحم⁽¹³³¹⁾، ويساند هذا الرأي كل من "كارل بوتزر" (karl butzer) وبول هاورد وهما يستدلان على ذلك بكون الرسوم القديمة للأبقار لا يظهر فيها الضرع نظرا لأن الرعاة لا يهتمون بالحليب. (1332)

⁽¹³²⁹⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 2011, Provoking Lactation By The Insufflation Technique As Documented By The Rock Images Of The Sahara , Anthropozoologica , 2011 , 46.(1).
Muséum National D'histoire Naturelle, Paris, pp 67-68

⁽¹³³⁰⁾ Noten Francis L. van, Hans Rhotert & Xavier Misonne ., 1978. Rock art of the Jebel Uweinat : Libyan Sahara .[Graz: Akademische Druck- u. Verlagsanstalt, p32

⁽¹³³¹⁾ Jolantha Tschudi ., 1956, Op.cit ,p19

⁽¹³³²⁾ W , Karl Butzer ., 1964 , Environment and archeology؛ an introduction to Pleistocene geography .Chicago: Aldine Pub. Co., XVIII, 524., p453-454 , Huard, Paul & Allard-Huard Leone ., 1978, Les peintures rupestres du Sahara et du Nil ,le Caire, Editions et publications des Peres jesuites en Egypte, p33

ومن المرجح بالنسبة لنا أن انتاج الحليب كان موجودا في البقرات الوسطى بعد انتشار الحياة الرعوية في كامل المنطقة وانتهاء حياة الصيد، لكنه اتسع أكثر في مرحلة البقرات الحديثة أما المرحلة القديمة فقد كانت خالية من هذا النشاط، ونستدل على ذلك بوجود بعض الشعوب الإفريقية التي لم تهتم إلى يومنا هذا بإنتاج الحليب بل كانت تربي الأبقار من أجل اللحم فقط، في حين توجد قبائل إفريقية تعتمد على الحليب مثل قبيلة "الدنكا" في جنوب السودان فرغم أنها تمتلك قطعان كبيرة إلا أن أفرادها لا يستهلكون لحوم الأبقار إلا نادرا ويعتمدون في حياتهم على منتجات الحليب⁽¹³³³⁾.

بالإضافة إلى ذلك فإننا نجد عدداً من مشاهد الحلب تظهر فيها الضروع الكبيرة للأبقار في "تين ترينيت"⁽¹³³⁴⁾، في "إيدو" - "تيسوكاي"⁽¹³³⁵⁾، بالإضافة إلى مشاهد وادي "تاشوينت" (Teshwinât) بالأكاكوس⁽¹³³⁶⁾، ووادي "تيكساتين" (Tiksatin)، وفي جبارين كما في "تيكادوين" تُصطف الأبقار من أجل الحلب (اللوحة 49)، وفي مشهد آخر يتم إبعاد العجول الصغيرة على أمهاتها أثناء الحلب مما يدل على وجود ثقافة رعوية متأصلة في هذه المنطقة، وفي وادي "أهيتس" (Ahétès) بالهوفار يوجد شخص جالس في وضعية القرفصاء يقوم بحلب بقرة ويوجد بجواره عمود كبير يعلق فيه إناء للحليب .

ولا شك أن اهتمام الرعاة كان ينصب على كيفية حفظ الحليب واستخدامه، وقد لاحظنا أن الحليب كان يستخدم أيضا في الرسوم الصخرية من خلال مزجه مع الألوان للحصول على صبغة متماسكة، كما أن بعض المشاهد في الطاسيلي لأشخاص يذهبون إلى ضروع الأبقار للشرب، كما أن بعض المشاهد تبدو غير طبيعية لكنها توحى لنا بأهمية كبيرة للحليب لديهم،

⁽¹³³³⁾ محمد أنور، قبيلة "الدنكا" امتداد العرق الزنجي الحامي في الدولة السودانية، العدد السابع سبتمبر 2013 مجلة إفريقيا قارتنا، ص 4.

⁽¹³³⁴⁾ Henri Lhote., 1970, Gravures Rupestres ..., N° 8.

⁽¹³³⁵⁾ Leo, Frobenius ,1937, Ekade Ektab Die Felsbilder Fezzans. Ergebnisse der Diafe X (X. Deutsch-Innerafrikanische Forschungsexpedition) Nach Tripolitanien und Ost-Algier mit Ergänzungen der Diafe XII aus Zentral-Algier, Published by Otto Harrassowitz, Leipzig, XXIX, pl. 84, N°1482

⁽¹³³⁶⁾ fabrizio Mori ., 1965, Tadrart Acacus : Arte rupestre e culture del Sahara preistorico, Torino, G. Einaudi, p190

فإلى جانب الأبقار ذات الضروع المنتفخة، توجد أبقار ذات ضروع غريبة الشكل فإحداها لها 11 حلمة في موقع " تيت تاريرت " (Ti-n-Terirt) بالطاسيلي (1337).

كما أن هناك عادات مختلفة لدى الرعاة فيما يخص عملية الحلب ففي بعض المشاهد يقوم الرعاة بالنفخ في مؤخرة البقرة من أجل إدرار الحليب، وهو ما نجده في "وادي إمرابين" ووادي "تين شورما" في هضبة المساك (1338)، مع العلم أن هذه العادات كانت ممارسة في مصر الفرعونية، ولا تزال موجودة عند العديد من القبائل الإفريقية كقبائل "النوير" و "الدنكا" في جنوب السودان (1339).

وإلى جانب ذلك نلاحظ أن الرعاة يعمدون إلى ربط الأبقار من الأمام أو من الخلف ، أو يربطون العجول أمامها لتشجيعها على إدرار الحليب، حيث نجد في تيسوكاي بالطاسيلي عجول مربوطة من ساقها الخلفيتين، وفي "إن أونغها" تم عزل العجل عن أمه، أما في "صفار" فيقوم أشخاص بتحريك العجل لإبعاده عن أمه (1340)، وهذا ما نجده أيضا في تاكيدودوماتين (اللوحة 20)، وفي مشهد نادر للرسوم الصخري بملجأ تاسيغمت (Tasigmet) في "وادي جرات" نجد أشخاص وضعوا عجلا صغيرا قرب البقرة أو عند رأسها من أجل إدرار الحليب (1341).

وإلى جانب ذلك توجد مشاهد لشرب الحليب كما توجد صور للأواني المتنوعة الأحجام، ففي " تين هناكتن" نرى حيوانات تحمل أواني وجرار وفي مشاهد أخرى نرى قصعات وقدر ومن المفترض أن تلك الجرار كانت تستعمل لتخزين الحليب ومشتقاته ، ولا شك أن الرعاة كانوا يقومون بنشاطات مكملية للحلب لتحويل الحليب إلى لبن واستخراج الزبدة والمشتقات الأخرى التي يستعملونها في حياتهم اليومية، وهم يستعملون في ذلك أواني مصنوعة من

(1337) Jean-Loïc Le Quellec ., 2011, Provoking ...,pp 67-68

(1338) Ibid, Pp83- 84, Fig 21-24

(1339) للتوسع أكثر حول عادات هذه القبائل مع الأبقار، ينظر :

D Parau ., 1975 , Studien zur Kulturgeschichte des Milchentzugs. Volkswirtschaftlicher VerlagGmbH, Kempten ,p 30, H.A Bernatzik (1929) Zwischen Weissem Nil und Belgisch-Kongo .Seidel & Sohn ,Wien,p 93

(1340) jean Dominique Lajoux ., 1977, op.cit, pp 105, 107

(1341) Henri Lhote., 1982, op.cit. , pp 88-89

جلود الأبقار، ويمكن ملاحظة ذلك في بعض المشاهد في الطاسيلي والأكاكوس⁽¹³⁴²⁾ (اللوحة 42، الشكل 07).

ومن مشاهد الحياة اليومية للرعاة صور التخيم والتنقل وهي كثيرة وتظهر فيها على الخصوص أبقار تستخدم لنقل الأغراض فقد كانت الأبقار هي الحيوانات المفضلة في التنقل قبل ظهور الخيول، واليوم لا يزال الطوارق في منطقة الأزواد شمال مالي يستخدمون الأبقار في نقل أمتعتهم، كما لا تزال النسوة تركبن الأبقار في صور تعكس الماضي البعيد (اللوحة 16)، بالإضافة إلى الأبقار التي تحمل متاع الرعاة نجد بعض المشاهد تمثل التخيم، وما يلفت الانتباه في تلك المشاهد أكثر هو الأعمدة ذات التشعبات التي كانت تستخدم كأوتاد للخيام كما تعليق فيها الأواني⁽¹³⁴³⁾.

أما الخيام التي استعملها الرعاة فهي مختلفة الأشكال والألوان فهناك الدائرية والبيضاوية والمستطيلة، وهناك المخططة بالألوان المختلفة وذات اللون الواحد، فخيام مجموعات" وان أميل" تتميز بصغر حجمها وبشكلها الدائري، أما خيام المجموعات الزنجية والسوداء فهي مستطيلة الشكل وتنصب بشكل أفقي. (اللوحة 14، 40، 46، 47)

وبالإضافة إلى مشاهد التخيم نجد الكثير من مشاهد الترحال، ونحن نفترض أن الرعاة في البقريات الوسطى كانوا مستقرين أو شبه مستقرين، أما حياة الترحال فقد ظهرت لديهم في مرحلة متأخرة بسبب التغيرات المناخية التي أجبرتهم على انتهاج هذا الأسلوب في الحياة، ولكنهم مع ذلك كانوا رحالة صغاراً فالتنقلات التي كانوا يقومون بها كانت لمسافات قصيرة، مع العلم أن حياة الترحال ازدادت أكثر في مرحلة البقريات الحديثة. (اللوحة 22)

والمشاهد تعتبر بصورة صادقة عن حياتهم في ذلك الوقت، فنجد في المشاهد قطعان الأبقار والأغنام كما نجد الرماة الذين يحرصون القبيلة أثناء تنقلها، بينما تتركب النساء

⁽¹³⁴²⁾ للمزيد من المعلومات حول عادات الرعاة واستخدامهم للحليب، ينظر:

Espérandieu Georges., 1954, Domestication et élevage dans le nord de l'Afrique au Néolithique et dans la Protohistoire d'après les figurations rupestres.». Actes du Congrès Panafricain de Préhistoire, IIe Session Alger, 1952, Alger / Paris: Arts et Métiers Graphiques, p554.

⁽¹³⁴³⁾ jean loic le quellec., 2011, provoking ..., p 74, fig 5

والأولاد الأبقار التي تحمل أيضا مختلف الأغراض، وحتى يكتمل مشهد التنقل كانت الكلاب ترافقهم في رحلاتهم التي يخلدون ذكراها في بعض المشاهد (اللوحة 22).

2- مظاهر الخصوبة في الرسوم:

كانت الخصوبة بالنسبة للرعاة مهمة جدا فليس أحب على الرعاة من كثرة أعداد قطعانهم ناهيك عن كثرة الأفراد وزيادة المواليد، فقد كانت أعمالهم لا تكاد تنتهي طوال اليوم فهم بحاجة ماسة إلى كثرة الأفراد، وقد جسد الرعاة رغبتهم تلك في المشاهد، من خلال رسم القطعان الكبيرة والأبقار الجميلة وذلك رغبة منهم في امتلاكها وهو نوع من التعبير السحري، لكنه يعبر عن الواقع فالرعاة بالفعل كانوا يمتلكون أعداداً كبيرة من الحيوانات لكنها معرضة للأخطار المختلفة ومنها الأمراض، ومن أجل حمايتها كانوا يمارسون طقوساً مختلفة، وهذه الطقوس مكرسة لآلهة الخصوبة التي قد تكون آلهة أنثوية، وربما قد تكون ثورا مقدساً مرتبطاً بالشمس، أو آلهة مجسدة في أشخاص برؤوس حيوانات .

ومع أنه لا يمكننا التكهّن بنوع الآلهة التي كانوا يعبدونها، إلا أن هناك إشارات معينة يمكن أن نستشف منها بعض معلومات حول المعتقدات في ذلك الوقت، فقد لاحظنا أن مجموعة من الرعاة في منطقة "تيكادوين" بالطاسيلي كانوا ينحتون تماثلاً، كما وجدنا مشاهد مختلفة تدل على عبادة الثيران والكباش المرتبطة بقرص الشمس (اللوحة 11، 45)، وفي معظم المشاهد كانت المرأة هي من تضطلع بأداء طقوس الخصوبة .

كما قام الرعاة برسم رموز وإشارات ذات مكنون سحري في المشاهد بجوار النساء والأطفال والأبقار، والهدف منها هو الخصوبة أو الحماية من الأمراض والأخطار المختلفة التي تحيط بالناس في ذلك الوقت. (اللوحة 12، 12)، كما أن هناك نوعاً آخر من السحر يمارسه الرعاة وهو سحر الملكية، ففي اعتقادهم أن رسم الأعداد الكبيرة من الحيوانات قد يعطيهم القدرة على امتلاكها، ووفقاً لذلك فهم يشبهون الصيادين الذين كانوا يمارسوا نوعاً من الصيد السحري وفق ما يذكر القس "هنري بروي" (1344).

(1344) Sophie de Beaune., 1998, chamanisme et préhistoire un feuilleton a épisode, l'homme, vol 38, n°147.P205.

ومن المشاهد الدالة على الخصوبة مشاهد القطعان الكبيرة، ومشاهد انتقال الرعاة وترحالهم بحثاً عن الكلاً، وكذلك مشاهد الأبقار ذات الضروع الكبيرة في "تين تزاريفت" (1345) (اللوحة 24)، ومشاهد الحيوانات مع صغارها⁽¹³⁴⁶⁾، وهناك مشاهد أخرى تمثل تكاثر الحيوانات كما في منطقة "أنا لدومان" (analedoumen) بالطاسيلي الذي يمثل ذكر الماعز وأنتاه⁽¹³⁴⁷⁾.

ومن الصور المعبرة عن الخصوبة مشاهد الأفاعي التي نجدها في نقوش وادي جرات والهوفار أو في الرسوم الصخرية في كامل المنطقة، بما في ذلك الرموز التي تتخذ شكلاً حلزونياً التي قد تكون عبارة عن أفاعي ترمز إلى الماء (اللوحة 12، 13)، ولا شك أن الأفاعي كانت مقدسة عند الكثير من السكان وكانت ترمز للخصوبة وإلى الحماية أيضاً، وهذا ليس غريباً إذا علمنا أن الإنسان كان يرسم الحيوانات الخطيرة والمفترسة من أجل اتقاء شرها فتصبح بعد ذلك في نظره آلهة حامية للقبيلة.

ولعل أبرز المشاهد هي تلك التي تظهر فيها أفاعي كبيرة الحجم لها عدة رؤوس بجوار الأبقار أو ملتقة حولها (اللوحة 44)، وقد يكون وجود تلك الأفاعي في المشاهد هو تجسيدٌ لخالق أسطوري، فوفق ما يذكر "أمادو حمباتي با" وهو باحث سنغالي من قبيلة "الفولاني" فإن هذه المشاهد إنما تمثل أسطورة لا تزال متداولة عند الرعاة في غرب إفريقيا، وأن تلك الرموز الأفعوانية هي الأفعى "تيانابا" (tayanaba) التي تعتبر حامية القطعان عند الفولاني⁽¹³⁴⁸⁾.

وقد فسر كل من "حامباتي با" (A. Hampaté- Bâ) و"داترلان" (G Dieterlen) الكثير من المشاهد الأسطورية في الطاسيلي على أنها شبيهة بتقاليد الفولاني ومعتقداتهم، كمشهد "تين تزاريفت" (tin tazarift) و"وان درباون" (ouan derbaoun) التي تتضمن أبقار وأفاعي ونساء⁽¹³⁴⁹⁾، ومن بين تلك المشاهد مشهد في "راريس" نشره "هنري لوت"

⁽¹³⁴⁵⁾ Henri Lhote., 1958, Op.Cit.P120.Fig 47

⁽¹³⁴⁶⁾ Jean Dominique, Lajoux.1976, Op.Cit.P75

⁽¹³⁴⁷⁾ H. G. Hugot., 1974, Op.Cit.P 215.

⁽¹³⁴⁸⁾ Girrome Dieterlen & A Hampaté Bâ., 1966, Op.Cit.P146.

⁽¹³⁴⁹⁾ "تيانابا" كائن أسطوري له شكل أفعى، تقول الأسطورة أنها خرجت من المحيط مع 22 بقرة أعطاهما "الإله القينوا guéno" للناس في الأرض وفي الرحلة الطويلة لها تضاعفت أعداد الحيوانات، ينظر :

Girrome Dieterlen & A Hampaté Bâ., 1966, op.cit, p146.

يمثل أفعى ذات رأسين بجوارها أبقار⁽¹³⁵⁰⁾، وفي جبارين توجد بقرة محاطة بأفعى ذات ستة رؤوس وهو ما يدل على أن عبادة الإلهة الأفعى كانت منتشرة في المنطقة مع العلم أن المشهد يتضمن أيضا رقص طقوسي لنساء تحيط بهن الأفعى⁽¹³⁵¹⁾. (اللوحة 44)

علما بأن تلك الأفاعي تظهر في بعض المشاهد في شكل بوابات سحرية تدخل فيها الأبقار والنساء الحوامل، ووفقاً لما يذكر "حامباتي با" فإن هذه المشاهد تعتبر جزءاً من احتفالية طقوسية تسمى "ليتوري" (lotori)، والهدف منها هو حماية القطعان من الأمراض والعقم وهي تقتضي بعبور القطعان عبر بوابة سحرية في شكل حرف 'U'، وأشار هذا الباحث أن هذه المشاهد تمثل النسخة الأصلية للأسطورة المتوارثة لدى الفولاني (اللوحة 43)

ويعتقد الفولاني أن تلك الأفاعي متعددة الرؤوس، وهي التي خلقت الأبقار كما أنها مكلفة بحماية القطعان من طرف الاله الأعلى الذي يسمى الفينو⁽¹³⁵²⁾، وقد تصور هذا الباحث السنغالي أن أجداده قد قدموا من منطقة الطاسيلي فقد شاهد الكثير من الصور التي تتطابق مع الرصيد الحضاري المتوارث لديهم. ونشير هنا إلى أنه قد يكون متأثر بأفكار هنري لوت الذي إلتقاه عدة مرات، وكان هنري لوت هو أول من ذكر الفولاني عند تفسيره لبعض المشاهد في الطاسيلي، فقد سمى مشهد في جبارين باسم "الفتاتان من الفولاني" (اللوحة 17)، وهو على غرار معلمه "هنري بروي" متأثراً بالميثولوجيا والأساطير، فقد أطلق هنري بروي اسم "السيدة البيضاء" على مشهد للفن الصخري في "براندنبورغ" بجنوب إفريقيا، في حين أطلق هنري لوت تسمية "السيدة البيضاء" على مشهد يمثل امرأة ذات بهرجة عالية في موقع "أونغهات" بالطاسيلي (اللوحة 18)

ولكن بغض النظر عما إذا ما كانت تلك المشاهد تعبر فعلا عن أساطير الفولاني أم لا ، فإنه لا يمكن القول أن أصول الفولاني تعود إلى منطقة الصحراء الوسطى، لأن شعوب ما قبل التاريخ كانت تتشابه في معتقداتها وخاصة في تقديسها للحيوانات وإيمانها بالكائنات الأسطورية، فالأفاعي ذات الرؤوس المتعددة مرتبطة بالماء والخصب وهي موجودة أيضا

⁽¹³⁵⁰⁾ Henri Lhote ., 1966, op.cit, p279

⁽¹³⁵¹⁾ Ibid, pp 9, 12, Fig1.

⁽¹³⁵²⁾ Malika Hachid ., 1998, P233 Fig349.

لدى "الدوغون" في مالي ويسمونها "النومو" (Nommo) وقد خرجت من البحر⁽¹³⁵³⁾، أما شعب "الباميليكي" (bamiléké) في الكامبيرون فيرى أن الأفاعي هي حامية الأطفال، وهي أفاعي ذات رأسين ترمز إلى القوة، كما يوجد لها دور في أساطير الخلق لديهم ولدى شعب "البومون" (boumon) المجاور لهم⁽¹³⁵⁴⁾.

والجدير بالذكر أن الكثير من الشعوب تعطي للأفاعي مكانة كبيرة في أساطير الخلق، فلدى سكان أستراليا الأصليين، هناك أفعى كبيرة تعتبر بمثابة خالقة أسطورية خرجت من الماء، وأنها بفعل تموجات الماء قامت بخلق الأرض والإنسان⁽¹³⁵⁵⁾، وفي الأساطير الهندية يوجد الثعبان "أنانتا" (Ananta) الذي يقف عند قاعدة الكون على المياه الأولى⁽¹³⁵⁶⁾، كما أن قبائل "الكرامبي" (Karambés) وهم من "الدوغون" يعتقدون أنهم ينحدرون من أفعى أسطورية⁽¹³⁵⁷⁾.

كما أن للأفاعي دور كبير في مصر إذ أن هناك عدة آلهة تتخذ شكلها⁽¹³⁵⁸⁾، منها : "آسيناجي" (Âa-Senedj) حارس معبد حورس، و"أحانيفار" (Âhâ-nefer) الأفعى حارسة محصول القمح في مصر، و"أمونات" (Amaunet) وهي أفعى برأس امرأة، كما يوجد "كاميتاف" (Amaunet) وهو أحد آلهة الخلق في مصر، و"نحيب كوا" (Néheb-kaou) وهو إله الحصاد الذي يتخذ شكل ثعبان برأسين وهو حارس الإله رع في رحلته

⁽¹³⁵³⁾ Daniel Elanord ., 1989 , Les Dogon Culte Des Ancêtre Et Danes Masque»Les Clette De Clio 1989 ,<http://www.clio.fr>.

⁽¹³⁵⁴⁾ Louis Perrois, Jean-Paul Notué., 1997, Rois Et Sculpteurs De L'ouest Cameroun: La Panthère Et La Mygale , Karthala Editions , Paris , P117

⁽¹³⁵⁵⁾ Marcel Mauss ., 1905, Les tribus de l'Australie centrale et septentrionale. » Extrait de la revue Année sociologique, 8, 1905, pp247-250

⁽¹³⁵⁶⁾ Gaston Courtillier., 1930, Anciennes Civilisations De l'Inde, Paris : Librairie Armand Colin, p168

⁽¹³⁵⁷⁾ Jacky Bouiu., 1995 , Qu'est-ce que l'« ethnologie » dogon , Cahiers des SCIENCES HUMAINES , 31 (2), p336

⁽¹³⁵⁸⁾ Boudin ., 1864, Du culte du serpent chez divers peuples anciens et modernes. In: Bulletins de la Société d'anthropologie de Paris, I^o Série, tome 5 fascicule 1 , pp 490-492

اليومية، ومن الآلهة التي تتخذ شكل أفعى الإلهة "رننوتت" (renenutet) وهي إلهة الحصاد في الفيوم ، والآلهة "واجات" (wdjet) وهي آلهة حامية لها شكل الأفعى (1359) .

أما في حضارة بلاد الرافدين فإن الآلهة الكبرى كانت لها علاقة كبيرة بالأفاعي، فعشتار تظهر دائما بجوار أفعى كبيرة ، وهي نفسها كان يرمز لها بالأفعى، وفي جزيرة كريت كانت الأفاعي توجد مع الآلهة الأم دائما، كما كانت تعتبر آلهة حارسة في معبد دلفي الشهير الذي كان مكرسا للآلهة الأم في بلاد اليونان، كما كانت ترتبط بالمياه والخصوبة أيضا، فقد ذكرت " أبوليوس" (Apuleius) أن الأفعى تطلع من البحر، وفي رسم إغريقي أهدي "لعشتار" كانت فيه الأفعى روحاً للشجرة وحارسة للمياه، وقد كان الناس يعتقدون أن الأفعى خالدة لا تموت فهي تبدل جلدها كلما شعرت بالهرم (1360).

وفي شمال إفريقيا أشار المؤرخون القدامى إلى أن هناك أفاعي عملاقة كانت موجودة في بلاد المغرب (1361)، كما أن قبيلة "البسيل" (psyiles) في منطقة السرت لها علاقة عجيبة مع الأفاعي فعلى عكس جميع الليبيين فهؤلاء "البسيل" (psyiles) يعرضون الأولاد الجدد على الأفاعي، ويذكر " غزال" (gsell) في هذا الإطار أن كلمة "البسيل" تعني الأفعى (1362)، كما أن عبادة الأفاعي كانت ممارسة في شمال إفريقيا في العهد الروماني (1363).

وفي الطاسيلي من المرجح أن مشاهد الأفاعي تعبر عن الخصوبة بالفعل ومن الممكن أن لها علاقة وثيقة بالماء، كما أن الأفاعي مرتبطة مع الأبقار والنساء الحوامل، وفي المشاهد السابقة الذكر في جبارين ووان درباون وتين تزاريفت نلاحظ أن هناك أربعة عناصر هي: الأبقار والأفاعي والنساء الحوامل الذين يؤديون رقصاً طقوسياً.

أما العنصر الخامس الخفي في هذه اللوحات فهو الماء، وهو موجود في المكان، فغالبا تلك الطقوس كانت تؤدي قرب الأنهار أو البحيرات فتكتمل لنا الصورة بالشكل التالي :

(1359) ياروسلاف تشرنى، 1996، المرجع السابق ، ص221، 232

(1360) فراس السواح، 2000، لغز عشتار: الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دمشق: منشورات دار علاء الدين،

ص 138-139

(1361) Stéphan Gsell ., 1912 , Op.Cit, T1, P132-133, Hérodote., IV191 ،

(1362) Ibid, pp245-247

(1363) Gabriel . Gamps ., 1988, Op.Cit. P209 .

الأفاعي متعددة الرؤوس هي الآلهة الحارسة وهي نفسها آلهة الخصب، ويمكننا أن نلاحظ بسهولة أن هذه الطقوس كانت من أجل الأولاد وحماية للنساء أثناء الولادة، أما البقرة الكبيرة فهي قد تكون قربان لتلك الآلهة العظيمة التي تسكن النهر، وقد تم تجسيد هذا الرسم بعد إتمام الطقوس في تلك الواجهة الصخرية .

وقد كان للنساء أهمية كبيرة فلا عجب أن الكثير من الطقوس التي يؤديها الرعاة كانت من أجل حماية النساء أثناء الولادة، فالنساء كن يشاركن في الأعمال المختلفة إلى جانب إشرافهن على تربية الأبناء فهن بذلك يشكلن ثروة حقيقية للقبيلة ⁽¹³⁶⁴⁾، ونتيجة لذلك فإن الرعاة في مناطق مختلفة من الطاسيلي وخاصة وادي جرات والهوقار كانوا يعبدون آلهة الخصوبة ويؤدون طقوساً احتفالية لها من أجل نماء القبيلة وزيادة أفرادها، وكانت تلك الآلهة تتجسد في شكل الأفاعي العملاقة التي تسكن البحيرات.

ومن مظاهر الخصوبة مشاهد القطعان الكبيرة التي تدل على الخصوبة والنماء وازدهار الحياة، وبعضها قد تكون ذات طابع سحري فقد يلجأ الرعاة إلى رسم القطعان الكبيرة بغرض الحماية السحرية من الأمراض والأخطار المختلفة ومن أجل نمائها في نوع من الممارسات السحرية، وغالبا ما يرسم الرعاة رموزاً سحرية في تلك المشاهد، كما يمكن أن يوحي لنا ذلك بوجود معتقدات لها علاقة بالخصوبة، فلم يكن هدف الفنانين في ما قبل التاريخ من إظهار القطعان الكبيرة هو التباهي بها، بل من أجل حمايتها ونمائها في نوع من سحر الخصوبة، ويمكن أن تكون جزءاً من طقوساً عبادة لآلهة محلية غير معروفة بالنسبة لنا.

⁽¹³⁶⁴⁾ لقد كان المزارعون يعبدون الآلهة الأنثوية بشكل أكبر من الرعاة وذلك لارتباطهم بالأرض التي ترمز إلى الآلهة الأم ، لكن الرعاة كانوا بحاجة ماسة للنساء أكثر من المزارعين ، وقد كانت تتدخل الحروب بسبب النساء ، فلقد وجد العلماء في موقع " تولهايم" القريب من مدينة ميونخ جنوب غربي ألمانيا هيكلًا عظيمًا واحدًا لامرأة مقابل 34 هيكلًا عظيمًا لرجال وأطفال ، وقد لوحظ أن معظم تلك الهياكل تلقت ضربات بالفؤوس على الرأس بينما جمجمة المرأة سليمة، على الفور استنتج العلماء أن الأمر يتعلق بحرب من حروب ما قبل التاريخ ، فالمجموعات المتحاربة كانت من الرعاة الذين عاشوا بين 5700 و 5000 ق.م ، وقد شنوا هذه الحرب من أجل النساء لذلك فقد أبقوا على حياتهن في حين تم قتل جميع الرجال، ينظر :

T. Douglas Price، Joachim Wahl, R. Alexander Bentley. , 2006, Isotopic Evidence for Mobility and Group Organization Among Neolithic Farmers At Talheim, Germany, 5000 BC European Journal of Archaeology, Vol. 9(2-3), p 259-284

ومن مشاهد القطعان في الطاسيلي نذكر مشهد في "تيكادوين" الذي عنوانه هنري لوت باسم "مخيم للبقرات"⁽¹³⁶⁵⁾، (اللوحة 49) وفي "إهرن" هناك مشاهد تمثل القطعان الكبيرة من الأغنام والأبقار⁽¹³⁶⁶⁾، (اللوحة 39، 40) ومن مشاهد القطعان أيضا نذكر مشهد في "تاساكورت" (Tassakarot) وهو يضم قطيعاً من خمسة رؤوس من الأبقار لهم تلوين جانبي، كما يوجد مشهد آخر في "تين تاكلت" (Ti-n- Tekelt) يضم قطيعاً من 50 رأساً، بالإضافة ذلك توجد مشاهد القطعان الكبيرة في صفار وجبارين⁽¹³⁶⁷⁾، ومن المشاهد المعبرة عن الخصوبة أيضا صور الأبقار التي لها أثواب جميلة متعددة الألوان، والتي حرص الفنان على إظهارها بمنظر جميل تعبيراً منه عن الخصوبة التي يطمح إليها (اللوحة 21).

3- طقوس الخصوبة واستدراج الأمطار:

توجد الكثير من المشاهد في رسوم الطاسيلي التي تدل على معاناة الرعاة من قلة الأمطار وانتشار الجفاف، ومن بين تلك المشاهد صور الحروب والصراعات حول المراعي وموارد المياه، فبسبب قلة الأمطار وعدم انتظامها في بعض الفترات لجأ الرعاة إلى طقوس الاستسقاء من أجل استدراج المطر، ورغم أن الديانات كانت مختلفة من منطقة لأخرى ومن زمن لآخر، فقد عبد بعض الأقوام آلهة أنثوية أو ذكرية للخصوبة وعبد آخرون حيوانات ترمز للخصوبة كالفيلة والأبقار والأفاعي، بينما شعوب أخرى كانت تقدس أرواح الأجداد، وبسبب ذلك ونظرا لتعدد الديانات فقد اختلفت طقوس استدراج الأمطار تبعا لها. (اللوحة 30)

ونشير هنا إلى أن معظم الشعوب كانت تعتقد أن قلة الأمطار تعود إلى غضب الآلهة وعقابها للناس بالجفاف، لذلك سعى الإنسان في العصور القديمة لكي يُهدئ من غضب الآلهة، فقد كان الناس في بلاد المغرب يخرجون إلى الهواء الطلق ويعبرون عن رغبتهم في المطر وذلك بسكب بعض الماء على التربة، ثم يلعبونها ويعفرون وجوههم بالوحل⁽¹³⁶⁸⁾.

⁽¹³⁶⁵⁾ Henri Lhote ., 1976, vers d'autre..., p 92,fig 41.

⁽¹³⁶⁶⁾ Ibid.p 144.,fig53,54,55.

⁽¹³⁶⁷⁾ Christian Dupuy et Bernard Denis ., 2011, op.cit. pp 39-41 ,fig 47-54

⁽¹³⁶⁸⁾ Stéphan Gsell., 1927, Op.Cit, TVI, P122.

وهذه الطقوس التي تستهدف نزول المطر كانت تقوم بها قبيلة " النسامون " حيث يذكر هيرودوت أنهم عندما كانوا لا يجدون شيئاً من السوائل يأخذون التربة من الأرض ويلعقونها⁽¹³⁶⁹⁾، أما الشعوب التي كانت تسكن حول بحيرة " تريتون " ⁽¹³⁷⁰⁾ فقد كان النسوة فيها يَقمُن بطقوس استحمام⁽¹³⁷¹⁾ في الأودية القريبة في الصباح الباكر ثم يستعطفن الآلهة لاستدرار المطر وطلب الإخصاب⁽¹³⁷²⁾.

مع العلم أن تلك المعلومات التي وردت في المصادر القديمة قد لا تكون صحيحة بشكل كامل، فهيرودوت لم يزر بلاد المغرب ولكنه من الممكن أنه وصل إلى إقليم "قورناية" شرق ليبيا، كما أن الليبيين أنفسهم كانوا ينشرون بعض الشائعات وربما وصلت إلى مسامع المؤرخين القدامى، وهدفهم من ذلك هو إبقاء بلادهم غامضة ومرهوبة الجانب حتى لا يأتي الأجانب إليها ⁽¹³⁷³⁾.

وفي مقابل تلك الكتابات القديمة هناك الفن الصخري الذي يعبر بصدق عن حياة الناس ومعتقداتهم وأفكارهم، فقد سجل الرعاة في الطاسيلي طقوسهم ومعتقداتهم وكل ما يجول في

⁽¹³⁶⁹⁾ Hérodote, IV, 172.

⁽¹³⁷⁰⁾ "تريتون" Tritonis قال عنها قرال أنها منطقة السرت الصغير ،ينظر T , Op.Cit , 1927, Stéphan Gsell .VI, P141، وقد يكون " تريتون " إله نظرا لوجود طقوس يقوم بها "الاوزيس" Auses كل سنة حول هذه البحيرة ينظر : Hérodote, IV, 180

⁽¹³⁷¹⁾ كان الناس في شمال إفريقيا يقومون بأداء طقوس مختلفة من أجل جلب المطر تعود جذورها إلى الوثنية القديمة، تعرف بطقوس " إنزار " تقوم فيها العجائز بصنع دمية في شكل ملعقة تدعى "أغانجة"، ويتم ترينها على هيئة امرأة وتُسلم لفتاة أو طفل لكي يطوف بها في القرى، وأثناء التطواف يتم ترديد أغاني طقوسية "لأنزار" (أنزار قد يكون إله الأمطار أو إله السماء عند القدماء)، وتستقبل الموكب عجوز تخرج قارورة ماء وترش بها الملعقة كما ترش الحاضرين وهي تردد عبارات أمازيغية معناها " تقبل الله "، ثم يتم جمع طعام وفير من أجل الوليمة التي يتم تحضيرها لهذه المناسبة وهي من الكسكسي، ينظر : شهرة بوخنوف، 2012، أساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع في منطقة خراطة – بجاية ، مذكرة ماجستير في الأدب الشعبي ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو، نوقشت يوم 21-07-2012، ص23

⁽¹³⁷²⁾ محمد الصغير غانم، 2005، المرجع السابق، ص16.

⁽¹³⁷³⁾ الحق يقال أن بلاد المغرب كانت مرهوبة الجانب وكانت تنتشر حولها الأساطير الغامضة حتى في بداية العهد الإسلامي فعندما أتم المسلمون فتح مصر وبرقة، أرسل عمرو بن العاص رسالة إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، يطلب منه أن يأذن له بفتح إفريقيا ، وقد جاء نص الرسالة كالتالي "إن الله فتح علينا إطرابلس، وليس بينها وبين إفريقيا إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها، ويفتحها الله على يديه فعل"، فأجابه عمر بن الخطاب بقوله : "لا، إنها ليست بإفريقية، ولكنها المفركة، غادرة، مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت"، ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا والأندلس، ص33، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب "ج1، ص9

ذهنهم على الملاجئ الصخرية الموجودة قرب المناطق التي كانوا يعيشون فيها، وتلك الرسوم تعتبر عن قصص حقيقية لا يتطلب منا الأمر إلا قراءتها بطريقة صحيحة .

أما بخصوص طقوس استدرار الأمطار فهي متعددة ومن بينها طقوس يؤديها السحرة فهم يتصلون بالأجداد القدامى من أجل استعطافهم ونيل رضاهم وهو ما ينعكس في اعتقادهم على عودة الأمطار وتوفر الخصب، ومثل هذه الطقوس موجودة في الطاسيلي في عدة مناطق منها: أونغها، وصفار وجبارين، ويحتمل أن هذه المشاهد تعود إلى البقريات القديمة أو إلى مرحلة الرؤوس المستديرة (اللوحة 23، 30).

وهناك طقوس مختلفة عنها تقوم بها النساء وهي طقوس احتفالية تتضمن رقص طقوسي إلى جانب مظاهر أخرى في المشاهد لا يمكننا تحديدها، ويتضمن المشهد التضحية بالحيوانات أثناء الطقوس التي يشرف عليها الكهنة، وتعتبر منطقة "جبارين" و"صفار" و"تيسوكاي" و"تين تزاريفت" غنية بهذه المشاهد التي تظهر فيها دائما الراقصات، وقد تكون طقوساً من أجل استدرار الأمطار أو استقبال الربيع، أو أنها جزء من الطقوس التعبدية (اللوحة 30).

ومن المرجح أن تلك الطقوس كانت تتم في بعض الأماكن التي تعتبر مراكز عبادة للأقوام التي تعيش هناك (الشكل 13)، والكثير من تلك الأماكن هي مكرسة للخصوبة حيث يقوم الناس هناك بالطقوس المختلفة من أجل الأمطار ومن أجل حماية المرأة أثناء الحمل، وغالبا ما نجد رموز مختلفة في تلك المواقع، منها على الخصوص رموز جنسية كالقضيبي الذكري، والجدير بالذكر أن الرموز الأنثوية والذكورية هي من السمات الرئيسية للفن الصخري بشكل عام، وقد وضع أندري لوروا كورهان قائمة بالرموز التي تمثل الرجال والنساء في الفن الصخري في أوروبا.⁽¹³⁷⁴⁾

ومن جهة أخرى قد تكون المشاهد الجنسية التي نجدها في وادي جرات وفي الطاسيلي جزء من طقوس الإمطار فخصوبة النساء قد تكون مرادفة لخصوبة الطبيعة عند شعوب ما

⁽¹³⁷⁴⁾ François Soleilhavoup., 2013, Erotisme And Sexualité Dans L'art Rupestre Du Sahara Préhistorique, L'harmattan, Paris , P 209-210

قبل التاريخ، فالأرض قد تمثل بالمرأة والسماء بالرجل، والفعل الجنسي يمثل بالأمطار⁽¹³⁷⁵⁾ ، ومن هذا المنطلق قد تكون تلك المشاهد الجنسية إنما تعبر عن الطبيعة، إذا أن هناك العديد من الشعوب في جزر غينيا الجديدة والمحيط الهادي وجزر أستراليا لا يزالون يعتقدون أن إله الشمس يهبط من عليائه ليحتضن إلهة الأرض وذلك قبل بدأ الأمطار، لذلك كانوا يتجمعون لممارسة الجنس الجماعي من أجل الأمطار، كما أن بعض من القبائل الإفريقية كقبيلة "البانجادا" بإفريقيا الوسطى وقبائل أصلية من أمريكا الوسطى، كانوا يمتنعون عن زواجهم إلى أن يأتي فصل البذر ثم يباشرونها⁽¹³⁷⁶⁾ .

4- المظاهر السحرية:

يعتبر السحر من المواضيع الأساسية في الفن الصخري وقد يكون الغرض منه الحماية، فالإنسان كان يخشى على نفسه وعلى أفراد عائلته وقطعانه من الأمراض والحروب والغارات ومن أشياء أخرى كالأرواح الشريرة والكائنات الأسطورية التي قد تجلب الخير أو تسبب الشر، ويكاد لا يخلو أي مجتمع من هذه الأفكار بما في ذلك المجتمعات الحديثة.

ومن هذا المنطلق كان الإنسان يقوم بعدة طقوس سحرية لدرء الأخطار وهناك رموز سحرية معينة كان يرسمها على جسده وجسد أطفاله ونسائه وحتى حيواناته من أجل حمايتهم، ومن أكثرها انتشارا الزينات الجسدية لدى النساء كالوشم والتنقيط والتشريط وإن كانت موجودة بصفة أقل في هذه المرحلة مقارنة بمرحلة البقريات القديمة والحديثة، كما كان الإنسان يعلق تائم على جسده للغرض نفسه، ولعل الرموز نفسها كان يرسمها على الصخور لحماية أماكن معيشتها أيضا، كما كان يرسمها بجانب الأشخاص والحيوانات، وهي تعتبر مظاهر ثقافية تدخل في تشكيل هوية المجموعات المختلفة، إلى جانب كونها لغة رمزية للقبيلة .

وتختلف تلك الرموز في شكلها والغرض منها فبعض الرموز كانت بمثابة بوابات سحرية لحماية الأبقار والنساء، ولا يوجد لدينا شك أن تلك الرموز إنما كانت تتويجا لطقوس معقدة

⁽¹³⁷⁵⁾ تتواجد المشاهد الجنسية في مناطق مختلفة من الطاسيلي منها في " تمنروزين " وفي " إهرن " وفي وادي " تسات " وفي " إن جران " بتادرارت الجنوبية وفي وادي " أفار " عند الحدود الليبية . حول مختلف المشاهد المماثلة، يرجى العودة إلى :

François Soleilhavoup ., 2013 , op.cit, P 166, 168, 175, 180, 214

⁽¹³⁷⁶⁾ فراس السواح، 2000، المرجع السابق، ص 187-189

كان يقوم بها الإنسان ويجسدها في تلك الصور، ومن المفترض أن الكهنة كانوا يضطلعون بهذه المهمة، فقد كان الرعاة يذهبون بالقطعان إلى الأماكن المقدسة التي يتواجد فيها كبار السحرة ، وهناك تبدأ الطقوس التي يتم فيها رسم دائرة سحرية تطوف حولها النساء أو الحيوانات، ولم يكن الغرض من ذلك هو الحماية فحسب بل كذلك للخصوبة والحماية، ففي مشهد في منطقة "تيكادوين" بالطاسيلي نلاحظ أن الرعاة كانوا يجتهدون لجعل الأبقار تصطف في خط (اللوحة 49).

وفي مشهد آخر في "جبارين" يحرص الرعاة على جعل الأبقار تدخل بوابات سحرية في شكل رمز أفعواني، كما توجد صورة في الموقع نفسه لامرأة ذات بطن منتفخ تدخل بوابة مماثلة للبوابة التي تدخل فيها الأبقار وهي تؤدي رقصة طقوسيا، وكنا قد أشرنا إلى أن تلك البوابات قد تكون أفاعي أسطورية لحماية النساء والقطعان وللخصوبة(اللوحة 44)

ومن جهة ثانية كثيراً ما نجد أبقاراً مرسومة بلون اصفر أو أبيض والهدف من ذلك هو حمايتها من الأخطار، فاللونين الأصفر والأبيض لهما علاقة بالسحر لذلك نجدهما في القبور⁽¹³⁷⁷⁾، كما توجد صور لأبقار أو حيوانات برية منقطة، منها صورة لأسد ضخم في مرتوتك بالهوفار منقط في كامل جسده بنقاط بيضاء، وقد أشار "فرانسوا دوشوسالوب" إلى أن هذا الحيوان قد يكون إله⁽¹³⁷⁸⁾، ونحن نرجح أنه يعبر بشكل واضح عن السحر (اللوحة 19)

وإذا كان السحر يهدف لدفع الخطر فإنه يهدف لجلب المنفعة أيضا فكما هو معروف يسعى الرعاة في مختلف مناطق العالم لزيادة ونماء قطعانهم، ولعل الرموز نفسها المتعلقة بالحماية من الأخطار هي التي تجلب النماء وزيادة أعداد الأفراد والقطعان، وقد كانت

⁽¹³⁷⁷⁾ لقد لاحظنا أن اللون الأبيض والأصفر يوجد في القبور ، وقد كان الإنسان يضع تراب صلبالي أصفر قرب رأس الميت ، وقد وجدت هذه الألوان في الكثير من المواقع التي تعود للحضارة الإيبيريومغربية، كما وجدت بقايا ألوان في فترة قديمة جدا في عدد من المواقع الأوربية، ينظر :

Hélène Salomon.,2009, Les Matières Colorantes Au Début Du Paléolithique Supérieur Sources ,Transformations Et Fonctions , Thèse Présentée A L'Université Bordeaux 1 , Pour Obtenir Le Grade De Docteur , Spécialité : Préhistoire , Soutenue Le 22 Décembre 2009 , P32-33

⁽¹³⁷⁸⁾ François de Chasseloup-Laubat., 1938, Art rupestre au Hoggar (haut Mertoutek), Paris: Plon, p12, pl VIII

الحماية السحرية تتركز على النساء والأطفال خاصة، وهي تتجسد في المشاهد الكثيرة التي تظهر فيها النساء ببطن منتفخ، والأبقار أيضا تظهر بطونها منتفخة وأحيانا بضروع كبيرة.

وتدخل في الموضوع السحري الصور التي تتضمن بصمات الأيدي والأرجل ومن بينها مشهد لذراع في "صفار" (اللوحة 12)، ولعل الهدف منها هو حماية القطعان وأفراد القبيلة من الأمراض والعقم واللصوص، ونشير هنا إلى أنها متواجدة بكثرة في نقوش وادي أفار المجاور لوادي جرات. (1379)

5- الأساطير والكائنات الخرافية :

لقد تم التعرف على الأساطير في التاريخ القديم بفضل الكتابات التي تحدثت عنها في مصر القديمة هناك الآلاف من النقوش في المعابد والكتابات على أوراق البردي، تخذ تلك الأساطير والآلهة والديانات التي كانت منتشرة ، والأمر نفسه نجده في بلاد الرافدين واليونان وفي غيرها من المناطق ، لكن بالنسبة لما قبل التاريخ نجد أنفسنا أمام عالم مبهم لا نعرف عنه إلا الشيء القليل، ومن حسن الحظ أن الصحراء تتوفر على مصدر هام للمعلومات حول الأساطير التي كانت سائدة بين الناس، فقد سجل الإنسان بنفسه تلك الأساطير على صخور الطاسيلي والهوقار، ومن هذا المنطلق وجب علينا استقراءها بالاعتماد على نتائج الأبحاث الأثرية ومعطيات النصوص القديمة، بالإضافة إلى عادات الشعوب التي لا تزال تعيش حياة قريبة من حياة ما قبل التاريخ .

وفي هذا الإطار توجد العديد من المشاهد التي تمثل الأساطير المتداولة بين الناس آنذاك وما كان بالإمكان تفسير هذه الأساطير، إلا بعد مقارنتها بأساطير الشعوب التي تعيش في أيامنا ، وأهم هذه الشعوب التي تمت دراستها بإسهاب شعب الفولاني الذي يعيش في غرب إفريقيا ، و"الدوغون" الذين يعيشون في هضبة "باندياغارا" في مالي ، وقد لاحظ

(1379) David Didier ،Huard Paul., 1979, op.cit.p 460

الكثير من الباحثون وجود علاقة واضحة بين الطقوس التي يمارسها هؤلاء الرعاة مع بعض من مشاهد الطاسيلي (1380) .

ومن بين اللوحات التي تعبر عن الأساطير القديمة لوحة في " تين تزاريفت " (tin - tazarift) بالطاسيلي (1381)، التي تتضمن مجموعة كبيرة من الأبقار وحيوانات أخرى صغيرة قد تكون ظباء أو أروية، مع رمز كبير ذو ألوان متعددة ورمز آخر شبيه بأقنعة صفار، والشيء المميز في الأبقار أن أرجلها غير مرسومة (1382)، وقد فسر " أمادو حامباتي با " (Amadou hampaté bà) هذا المشهد على أنه جزء من "طقوس ليتوري" lotori وهي قصة أسطورية عن بداية استئناس الأبقار عند الرعاة "الفولاني" مفادها: أن الحيوانات تطورت في الماء وأن أعضاءها السفلى لم تظهر بعد، وأول بقرة مستأنسة ولدت حسب الأسطورة من بركة ، لذلك فالطقوس التي تمثلها يجب أن تتم في الماء (1383) (اللوحة 43).

وبفضل هذا الباحث حلت بعض طلاس الرسوم الصخرية في الطاسيلي (1384)، فقد ذكر أن هذا المشهد يمثل أسطورة من أساطير الخلق لدى الفولاني، وهي نوع من طقوس التنشئة والعبور تهدف إلى تعريف الأشخاص بالأسرار الدينية المتوارثة، وتعد جزءاً من أسطورة "الكومن" (1385) ، مع العلم أن الطقوس التي تجسد هذه الأسطورة يقوم بها الفولاني في موعد معين كل عام قرب البحيرة وهي اليوم مجسدة في منطقة تين تزاريفت (1386) .

ونشير هنا إلى أن تلك الطقوس التي يسمونها "لوتوري" يشرف عليها كاهن كبير، وتتطلب أن يذهب الرعاة إلى البركة أو البحيرة في يوم محدد عندما يكون القمر بدرًا أي في

(1380) ربما اعتمد بعض الباحثين في ذلك على تشابه مفترض في الملامح الفيزيولوجية بين الفولاني وبين صور مجموعة "أبانيورا" الذين تظهر مشاهدهم في الطاسيلي ، ويعتبر هنري لوت هو أو من اهتدى إلى التشابه بين الفولاني والرعاة في الطاسيلي .

(1381) Henri Ihote., 1958, op. cit. P 120 Fig46

(1382) Pietro Laureano., 1991, Sahara Jardin Méconnu, paris: Edition Larousse, P80.

(1383) Girrome Dieterlen & Amadou Hampaté Bâ., 1966, op.cit.p155.

(1384) Ginette Aumassip., 2006, Preface à Lhote H., À la découverte des fresques du Tassili, Récit, Arthaud, Paris, p13

(1385) الكومن kumen هو شخصية أسطورية كلف من طرف القينو guéno بالأرض وتوفير المراعي والحيوانات البرية والمستأنسة وهو مساعد للأفعى تيانابا tyanaba يمكن له أن يتخذ أي شكل يريده ، أما "القينو" فهو الإله الأعلى عند

الفولاني ينظر : Girrome Dieterlen & A Hampaté Bâ., 1966, op.cit. P 146.

(1386) Ahmed Achraati ,2003, Hand and foot symbolisms: from rock art to the Qur'ân, Arabica, L, 4, p466.

اليوم الخامس عشر وفق التقويم القمري، وهناك يدخلون مع أبقارهم في الماء ويبقون فيه طوال الليل ، والهدف منها هو مباركة الأبقار حتى تزداد أعدادها وتكون سليمة من الأمراض، والأشخاص الذين يرافقون الأبقار يكونون مقنعين عادة ويتطلب الأمر وجود 28 بقرة ، أما في مشهد تين تزاريفت فتوجد 27 بقرة جميعها أرجلها غير مرسومة، وكذلك الأشخاص الذين يرافقونها سيقانهم غير مرسومة لأنهم يبقون في الماء ⁽¹³⁸⁷⁾ (اللوحة 43)

بالإضافة إلى مشهد تين تزارفت السابق الذكر يوجد مشهد آخر يعرف بمشهد الشمس في " تيسوكاي " ⁽¹³⁸⁸⁾ (tissoukai) ، حيث تظهر في المشهد دائرة كبيرة تحيط بدائرة أصغر ذات إشعاعات، وفي الجانب الأيسر للدائرة الكبيرة توجد ثلاثة رؤوس للأبقار، مع رمز يمثل الهلال ، وأنصاف دوائر بيضاوية تشبه التلال أو الجبال عددها ستة، أربعة منها متسلسلة واثنان آخران متقابلان، وفي الجهة الخلفية شخص يلمس طرف الدائرة، كما يوجد شخص آخر مقنع، أما في الخلف فتوجد مجموعة من الأبقار، وعلى يسار المشهد نجد امرأة تؤدي رقصاً طقوسياً (اللوحة رقم 45).

وقد فسر كل من أمادو حامباتي با و جيروم داترلين " هذا المشهد على أنه من طقوس التنشئة والتلقين التي تمثلها أسطورة "الكومن" (kumen) لدى الفولاني، إذ يعتقد شعب الفولاني أن العالم في البداية كان عبارة عن بقرة خنثى، وأن "الفينو" وهو الإله الخالق عندهم قد خلق العالم ابتداء من بقرة خنثى أصلية خلقت من قطرة حليب، ومنها ظهر الزوجين الأوليين للبشر والحيوانات، وظهرت القبائل الأربعة التي تشكل مجتمع الفولاني وتمثل عناصر الطبيعة الأربعة: الأرض، الماء، الهواء، النار، وأن الأبقار تنقسم حسب لون جلدها إلى العناصر الأربعة السابقة. (اللوحة 31، 44، 45)

ويواصل "حامباتي با" شرحه للأسطورة من خلال المشهد، إذ يقول: أن مشهد "تيسوكاي" في الطاسيلي يمثل المرحلة الأخيرة من هذه الأسطورة، أي ذروة طقوس التنشئة والعبور لدى

⁽¹³⁸⁷⁾ N. Aïn Seba. & N Ferhat., 2003, Le Bovidien : le pastoralisme et la mise en place des éléments de la désertification actuelle, in : L'Algérie en héritage. Art et histoire, Exposition présentée à l'institut du monde arabe du 7 octobre 2003 au 25 janvier 2004, Paris : Institut du Monde Arabe / Actes Sud, p29 , Girrome Dieterlen & A Hampaté Bâ, 1966 , « Les Fresques D'époque Bovidienne Du Tasili Et Les Tradition Des Paul », J.S.A, Vol:36, n°1. pp 147-148

⁽¹³⁸⁸⁾ Henri Lhote., 1976, Vers d'autre...P92, Fig49.

الفولاني وهي تسمى عندهم بـ "سيجيلاتي" (sigilati)، حيث نشاهد دائرة تمثل رؤوس الأبقار والهلال وفي الوسط الشمس، أما القمر والشمس فيمثلان التقويم القمري والشمسي والنجوم التي تربط بين الشمس والقمر⁽¹³⁸⁹⁾، وبذلك فإن مشهد "تيسوكاي" هو عبارة عن تعاليم للرعاة حول نشأة الكون وهي نفسها طقوس التنشئة والعبور التي تُعطي للرعاة الفولاني المعرفة الكاملة بجميع الأسرار الكونية . (اللوحة 44، 45)

وقد حظيت التفسيرات التي قدمها "حامباتي با" لتلك المشاهد بقبول العديد من الباحثين لكونه اعتمد فيها على الرصيد الأسطوري لأجداده⁽¹³⁹⁰⁾، ومن المرجح أن التفسير الذي قدمه هذا الباحث قد لا يكون صحيحاً في هذا المشهد، مع أن المشهد يعبر بالفعل عن أسطورة تتعلق بنشأة الكون، لكن ربما له علاقة بعبادة الشمس التي تعتبر رمزاً للخصوبة، أما وجود الأبقار والنساء فهو لغرض الخصوبة .

وعلى الرغم من أن الفولاني يملكون رصيذاً أسطورياً غنياً وهم يشبهون كثيراً الرعاة الذين يظهرون في رسوم الطاسيلي، إلا أنه من المفترض أن وجودهم في غرب إفريقيا إلى جانب القبائل الوثنية الأخرى قد أثر فيهم، كما أن معظمهم مسلمون ولا شك أن ذلك يشكل عامل تأثير كبير لذلك فإن عاداتهم لا شك أنها تغيرت مع الزمن، وبقاء الأسطورة متداولة لديهم لآلاف السنين أمراً يثير الاستغراب، ومن جهة ثانية هناك شعوب إفريقية أخرى تملك رصيذاً أسطورياً لا يقل غنى عن الفولاني، "كالدوغون" الذين بقوا معزولين في جبالهم لآلاف السنين ولا زالوا يحتفظون بأساطيرهم وأسلوب حياتهم .

ومن جهة ثانية من المرجح أن سكان الطاسيلي الذين انجزوا هذه الرسوم خاصة مشهد تيسوكاي قد يكونون مزارعين وليسوا رعاة، وذلك نظراً لوجود الشمس والقمر وهي من المعبودات الرئيسية لدى المزارعين، فقد سماها السومريين "أوتو" والبابليون سموها "شمش" وسميت بـ "اهورامزد" في الديانة الفارسية، بينما عرفت عند المصريين باسم "رع" أو "آتون".

ومن المشاهد المعبرة عن الأساطير في الطاسيلي المشاهد السابقة الذكر في جبارين ووان درباون وتين تزاريفت، والتي توجد فيها أبقار وأفاعي وراقصات، فتلك الأفاعي ذات

⁽¹³⁸⁹⁾ Nagette Aïn Seba-Bouchékal, & Ferhat nagib ., 2003, op.cit.p50-51

⁽¹³⁹⁰⁾ تدعم الباحثة مليكة حشيد آراء حامباتي با وتقول أن الفولاني لهم طقوس مماثلة لما كان موجوداً لدى الرعاة في

البقرات ، ينظر : Malika Hachid ., 1998, op.cit. P237

الرؤوس المتعددة قد تكون من الكائنات الأسطورية عند سكان الطاسيلي، وإلى جانب ذلك اعتقد السكان بوجود آلهة وكائنات خرافية، ويتعلق الأمر بأشخاص لهم مظهر إنساني - حيواني، أو أشخاص ذوو حجم كبير ومظهر غريب، ومن الأمثلة على ذلك صورة لشخص له رأسان وجسد واحد في "تين موسي" بالطاسيلي (الخريطة 11) ، وهذه الكائنات الخرافية متواجدة لدى الكثير من الشعوب فبالإضافة إلى مصر القديمة يزخر الرصيد الإغريقي بالكائنات الخرافية مثل الكلب ذو الرأسين والتنين والأفاعي العملاقة، ويعتقد الإغريق أيضا أن أبطالهم هم آلهة أو أنصاف آلهة، أما في مصر فقد وجدت آلهة متعددة الرؤوس من بينها الاله "آش" وهو إله بثلاثة رؤوس هي رؤوس لبؤة وثعبان ورخمة وهو يعرف بأنه إله الصحراء الغربية وسيد ليبيا (1391) .

وبلا شك أن بعض الصور الموجودة في الطاسيلي إنما تمثل آلهة أو أبطال أسطوريين، كما يمكن أن يكونوا أجدادا قداماء يتمتعون بقوة خارقة ، فالمعروف أن العديد من الشعوب والقبائل تعتبر نفسها أنها تتحدر من الآلهة أو أن أجدادهم كانوا عظماء، فقبيلة "الدنكا" تعتقد أن جدها هو " الرب الكبير" ويسمونه " دينق دين" (1392)، والطوارق اليوم يعتقدون أن أجدادهم كانوا عمالقة وقد عاشوا في الوقت الذي كانت فيه الحجارة لينة، وهم الذين أنجزوا تلك الرسوم (1393)، فطبقا للأساطير التي يتناقلونها هناك عدة أسماء يطلقونها على أجدادهم، ومن هذه الأسماء: إجابران (Ijabbaren)، إجوبارن (Ijobbaren)، إساباتن (Isabaten)، إزازمان (Ixazamen) (1394)، وكلمة "إجبارن" تعني العمالقة في لغة التماق (1395) .

أما المصريون القدامى فيعتقدون أنهم خلقوا من دمع العين وأن الشعوب الأخرى خلقت من سائل مهين ، وفي العصور القديمة اعتقدت شعوب مختلفة أنهم أبناء الله ، فقد جاء في القرآن الكريم أن اليهود كما النصارى كانوا يعتقدون أنهم أبناء الله ، قال الله تعالى « وَقَالَتِ

(1391) ياروسلاف تشرني، 1996 ، المرجع السابق ، ص224

(1392) محمد أنور، 2013، المرجع السابق ، ص 2

(1393) Jean Loic Le Quellec ., 1998, Op.cit. pp 245 -246.

(1394) H. Claudot-Hawad., 2003, "Jabbaren, Ijabbaren, Ijobbaren et Isabaten ", Encyclopédie berbère, 25 , Iseqqemâren – Juba, Aix-en-Provence, Edisud, 2003, p3842

(1395) Henri Ihote ., 1958, Op.Cit. P79.

الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ...»
سورة المائدة، الآية 18

وفي الطاسيلي تنتشر بكثرة مشاهد الشخصيات الخرافية التي تتخذ شكلا آدميا وراس حيوان ومن بينها، رجال برؤوس حمير برية في " تمنزوزين" ⁽¹³⁹⁶⁾، وأشخاص برؤوس طيور في رسوم "مرتوتك" بالهوفار ⁽¹³⁹⁷⁾، كما وجد أشخاص لهم رؤوس: ظباء، فيلة ، طيور، وحيد القرن وحتى قطط ⁽¹³⁹⁸⁾. (الخريطة 11)

وغالبا ما تكون تلك الكائنات الهجينة مرتبطة بموضوع الخصوبة، وتتميز ببروز الموضوع الجنسي فمعظم الأشخاص لهم قضيب بارز مما يدل على انتشار عبادة الخصوبة والقوة الجنسية بشكل كبير، مما حدا بالعديد من الباحثين إلى القول أن منطقة الصحراء كانت مكرسة لعبادة الخصوبة والقوة الجنسية .

والى جانب مشاهد الكائنات الأسطورية التي تتخذ مظهرا هجيناً بين الإنسان والحيوان توجد كائنات خرافية أخرى تتمثل في حيوانات متعددة الرؤوس، منها خاصة الأبقار ثنائية الرؤوس في "جبارين" و "تين تزاريفت"، ونعامة متعددة الرؤوس في "أوان بندي" (ouan bander) وهناك مشاهد أخرى لزرافات برأسين في "تين تزاريفت" (tin tazarfit) ⁽¹³⁹⁹⁾، وفي "تيمنزوزين" توجد زرافات بثلاثة رؤوس ولها قدمان فقط ، وفي مشهد آخر نجد أبقاراً وماعز بأذان وبدون قرون في "إن اتينان" ⁽¹⁴⁰⁰⁾ (in – itinen).

وقد فُسرت تلك المشاهد على أنها صور خيالية تتراءى للسحرة عند وصولهم إلى حالة النشوة حيث يرى نفسه وهو مسافر في عالم غريب مليء بالكائنات الخرافية أثناء قيامه بالاتصال بأرواح الأجداد القدامى ⁽¹⁴⁰¹⁾، (اللوحة 32، 16) ومهما كان تفسيرها سواء كانت آلهة أو كائنات خرافية فإنها تعبر بوضوح على سعة خيال الإنسان الذي كان يعتقد بوجود هذه الحيوانات في الواقع .

⁽¹³⁹⁶⁾ Henri Lhote., 1973, Op.cit. 69

⁽¹³⁹⁷⁾ François De Chasseloup-Laubat ., 1938, op.cit, P 24

⁽¹³⁹⁸⁾ Henry Pernet ., 1988, Mirages Du Masque ,Paris : Editions Labor Et Fides , P3

⁽¹³⁹⁹⁾ Henri Lhote., 1966, op.cit, P 17, Fig1.

⁽¹⁴⁰⁰⁾ Henri Lhote ., 1966 , Les peintures pariétales d'époque bovidienne du Tassili : éléments sur la magie et la religion, Journal de la Société des Africanistes. Volume 36, N° 36-1 ,P18.

⁽¹⁴⁰¹⁾ للمزيد من التفاصيل أنظر مبحث المظاهر السحرية ، ص 311

د- دور الأبقار في حياة الرعاة :

1- تقديس الأبقار :

بلغت الحياة الرعوية في البقرات الوسطى درجة كبيرة من التطور بفضل المناخ الرطب والوجود البشري الكثيف الذي سجل في تلك الفترة والموقع الجغرافي الجيد للصحراء الوسطى ، ففي هذه الفترة كانت سبل العيش متوفرة للرعاة، ولكن بقدر توفر مصادر الحياة وسهولة العيش بالنسبة لهم، بقدر ما أحدثت التغيرات المناخية اضطراباً في حياتهم ، فقد أصبح البحث عن المراعي الجيدة ومصادر المياه محور حياتهم، كما أن اعتناءهم بالأبقار بلغ مداه في تلك الفترة، وسرعان ما ظهرت لديهم معتقدات لها علاقة بشكل أو بآخر بالأبقار ، فتشكلت الأساطير المتعلقة بالأبقار المقدسة، فحاجة الرعاة إلى نماء القطعان وحمايتها من الأمراض والأخطار توازي حاجتهم إلى زيادة أفراد القبيلة وحمايتهم من الغارات والحفاظ على ثروة القبيلة .

وهناك دلائل مختلفة على أن الرعاة كانوا يقدسون الأبقار أو يعتنون بها بشكل مبالغ فيه ، كما أن هذه الحيوانات كانت المفضلة في القرابين عند بعض المجموعات، إلى جانب كونها محور نشاطهم الاقتصادي، وقد أظهرت الإحصائيات أنه بين 6 و 13% من الصور في نقوش الجنوب الوهراني تمثل أبقاراً وترتفع النسبة إلى 20% في وادي جرات⁽¹⁴⁰²⁾، أما في الطاسيلي فإن النسبة الأكبر من الصور هي للأبقار وهذا يدل على دور ديني كبير للأبقار.

ومن هذا المنطلق يتبادر إلى الأذهان التساؤل حول طبيعة الاهتمام بالأبقار فهل الأمر لا يتجاوز كونها حيوانات مفضلة للتضحية، أم أنها كانت محل عبادة من طرف الرعاة ؟

من الواضح أن هناك دلائل على عبادة الأبقار والثيران باعتبارها مقترنة بالخصوبة ، فمشاهد الثيران ذات الحجم الكبير والتي تكون في وضعية مركزية بالنسبة للأشخاص في

⁽¹⁴⁰²⁾ Ginette Aumassip.,1993, op.cit, p15

المشاهد تدل على تقديس هذه الحيوانات، فقد بلغ طول أحد الثيران في منطقة " ديدر " بالطاسيلي حوالي 5 أمتار (1403) .

والى جانب ذلك عثر الباحثون على العشرات من جثث الأبقار في المقابر وذلك في منطقة واسعة من الصحراء وصولاً إلى مصر، أما طبيعة ووضعية الجثث فهي تختلف من منطقة لأخرى، ففي "إن هابتر" في هضبة المساك وجدت عظام محروقة لأبقار ويبدو أن العظام وضعت وفق طقوس معينة كما وجد إلى جانبها قطع فخار، وعُثر على بقايا أبقار وأغنام في مواقع "الأكاكوس" أيضاً أرخت في حوالي 80 ± 6080 قبل الحاضر (1404) وبقايا أخرى أرخت في 80 ± 5213 قبل الحاضر (1405) .

ومن الممكن أن تكون تلك البقايا نتيجة للتضحية بالأبقار وليس بعبادتها، رغم أن وجود هياكل كاملة للأبقار بشكل متكرر قد يدل على وجود طقوس مدفنيه لها، مما تشكل بالنسبة لنا دليل على عبادة الأبقار، ففي مقبرة " منخور " (mankhor) (1406) التي تقع غرب اليزي عُثر على هياكل كاملة لأبقار إلى جانب هياكل بشرية مدفونة في وضعية جنينية (1407) ومطلية بصلصال أبيض، والأمر اللافت للانتباه في هذه المقبرة هو أن هياكل الأبقار مدفونة بطريقة تدل على أنها أحيطت بعناية خاصة ووفق طقوس معينة (1408)، كما عثر على أبقار أخرى مدفونة في "تين إينيسينس" (Tin Einessnis) بفزان (1409) .

وعلى ما يبدو فإن ظاهرة دفن الأبقار قد انتشرت خلال المرحلة الرعوية الوسطى في كامل أنحاء الصحراء، والكثير من تلك المقابر موجودة على مقربة من مواقع الفن الصخري كما أن العظام مرتبة وفق طقوس معينة مما يعني تقديس هذه الحيوانات، أما الفترة الزمنية

(1403) جون كي زربو، 1983، المرجع السابق، ص 670

(1404) Savino di Lernia ., 2006, Building monuments, creating identity: Cattle cult as a social responseto rapid environmental changes in the Holocene Sahara , Quaternary International 151, 2006, pp56-57

(1405) Savino di Lernia and Giorgio Manzi ., 2002, op.cit, p160

(1406) تعبر مقبرة منخور من أبرز المواقع التي تعود للبقريات ، فقد عثر إلى جانب بقايا الأبقار بقايا إنسانية وصناعة

حجرية وبقايا فخار ، وقد أرخت بقايا الأبقار في 2850 و 3450 ق.م أي ضمن مرحلة البقريات، ينظر :

Savino di Lernia and al ., 2013, Inside the African Cattle Complex, Animal Burials in the Holocene Central Sahara, February 2013 , Volume 8 , Issue 2 , p 2

(1407) الوضعية الجنينية تلامس فيها الركبتان واليدين الوجه وتلتصق الأطراف الأمامية بالصدر، وجدت هذه الطريقة في

الدفن لدى القفصيين ينظر : Lionel Balout., 1958, op.cit, P96

(1408) Nour-Eddine Saoudi ., 2002, op.cit, pp80-81, Ginette Aumassip., 2001, op.cit, pp181-188

(1409) Savino di Lernia., 2006 , op.cit, p56

التي تعود لها هذه القبور فهي تتراوح بين 6100 و 5000 قبل الحاضر أي ضمن مرحلة البقريات الوسطى، لكنها استمرت أيضا خلال مرحلة البقريات الحديثة والنهائية⁽¹⁴¹⁰⁾ .

وتعود أقدم هذه القبور إلى الألف السابعة قبل الحاضر، حيث أرخت أقدم القبور المكرسة للأبقار في "نباتا بلايا" في الصحراء الغربية المصرية إلى 6480 ± 270 قبل الحاضر⁽¹⁴¹¹⁾ ، وفي "فزان" أرخت ب 5071 ± 91 قبل الحاضر في إن هابر وب 6000 قبل الحاضر في "تين أنسيس" (Tin Einessnis) ، وفي "أدرار بوس" و"الآير" بالنيجر أرخت بعض القبور فيما بين 6400 و 6100 قبل الحاضر واستمرت في التواجد إلى غاية الألف الثالثة قبل الحاضر⁽¹⁴¹²⁾، وفي "وادي تانزوفت" جنوب غرب فزان تعود قبور مماثلة إلى منتصف الألف الرابعة قبل الحاضر⁽¹⁴¹³⁾.

وبشكل عام يمكن القول أن عبادة الأبقار كانت منتشرة في الصحراء وقد استمرت زمنا طويلا ، غير أنه يجب الانتباه إلى وجود ظاهرة التضحية بالأبقار في المنطقة أيضا، وربما يتعلق الأمر أيضا بآلهة ذات مظاهر إنسانية يتم تقديم القرابين لها، فقد وجد تمثال بشري في إحدى القبور في "إن هابتر" بفزان إلى جانب عظام محروقة لأبقار⁽¹⁴¹⁴⁾، أما عن سبب انتشار هذه العبادة فربما للأمر علاقة مع تدهور المناخ فقد أصبحت حياة الرعاة صعبة ومعرضة للمخاطر⁽¹⁴¹⁵⁾.

ويبقى السؤال المطروح هل عبادة الأبقار كانت منتشرة في كامل المنطقة ؟ وبمعنى آخر ماهي الشعوب التي مارست هذه العبادة؟

بلا شك أن معظم الرعاة كانوا مرتبطين بشكل بالأبقار، لكن لدى الكثير منهم تعتبر هذه الحيوانات مفضلة في القرابين التي تهدي للآلهة، ولكن قبور الأبقار متواجدة في الأماكن

⁽¹⁴¹⁰⁾ Savino di Lernia., 2006 , op.cit, p59

⁽¹⁴¹¹⁾ Fred Wendorf, R Schild Et al ., 2002, The Archaeology Of Nabta Playa, Holocene Settlement Of Egyptian Sahara Vol , 1, New York (NY): Kluwer Academic/Pleum. : p429

⁽¹⁴¹²⁾ Savino di Lernia ., 2006, op.cit, p53,56

⁽¹⁴¹³⁾ Jean-Loïc Le Quellec., 2004, Rock Art ..., p182

⁽¹⁴¹⁴⁾ Savino di Lernia and Giorgio Manzi.,2002, op.cit, p160

⁽¹⁴¹⁵⁾ Savino di Lernia., 2006, op.cit, p 50

نفسها التي يوجد فيها نوع خاص من القبور المغاليتية وهي قبور تشبه فتحة قفل الباب، وهذه الأخيرة انتشرت في هذه الفترة وتوسعت أكثر خلال المرحلة الرعوية النهائية⁽¹⁴¹⁶⁾، وهي تنسب إلى مجموعات إهرن تاهيلاهي وفق ما يذكر إيف فوتي⁽¹⁴¹⁷⁾، بينما يرى سافينو دي لارينا أنه أقدم من ذلك فهي تؤرخ ب 5071 ± 91 قبل الحاضر في "إن هابتير" بهضبة المساك الليبية وذلك يعني أنها تعود لمرحلة البقريات الوسطى⁽¹⁴¹⁸⁾.

وعند ملاحظة خريطة انتشار قبور الأبقار نرى أنها تنتشر أكثر في جهة الجنوب الشرقي، وخاصة في أدرار بوس وفي الآير وهي المنطقة التي ازدهرت فيها الثقافة التينيرية⁽¹⁴¹⁹⁾، مع العلم أن "الثقافة التينيرية" التي تعود إلى الهلوسان الأوسط وصلت إلى الطاسيلي⁽¹⁴²⁰⁾، وتميزت بفخارها المميز وبصناعاتها الحجرية المختلفة عن صناعة ثقافة البقريات بالطاسيلي التي هي متزامنة معها، وعلى ما يبدو فإن عبادة الأبقار كانت منشرة فيها بشكل أكبر من انتشارها في ثقافة البقريات⁽¹⁴²¹⁾.

وبغض النظر عن انتشار القبور المكرسة للأبقار في الطاسيلي، فإن هناك دلائل كثيرة على عبادة الأبقار في هذه المنطقة، حيث وجدت رسوم في "إن جران" (in djeane) "بتادرات الجنوبية" لمجموعة من الأشخاص يحيطون بثور ويرقصون حوله⁽¹⁴²²⁾، ووجدت مشاهد مماثلة في "وادي جرات" لأشخاص يلمسون ثور أو يحيطون به وبعضهم يقفز فوقه، وفي "تين هناكتن" نجد ارتباط واضح بين بقايا أبقار في الملجأ الصخري الذي يتضمن أيضا

⁽¹⁴¹⁶⁾ Savino di Lernia., 2006, op.cit, p59

⁽¹⁴¹⁷⁾ Yves & Christine Gauthier., 2006, op.cit, p80

⁽¹⁴¹⁸⁾ Savino Di Lernia And G . Manzi ., 1998, funerary practices and anthropological features at 8000-5000 BP, some evidence from central central –spithern ,acacus(libyan sahara)in : m .gramaschi and s. di lernia(eds), wadi teshuinat- paleaenvironment and prehistory in south-western fezzan(libya), milano, centro interuniversitario di ricerca per le civila e l'ambiente del sahara antico, p5.

⁽¹⁴¹⁹⁾ Savino di Lernia., 2006, op.cit, p53

⁽¹⁴²⁰⁾ Christopher M. Stojanowski, Charisse L. Carver ., 2011, op.cit, p91, , Androw.B Smith., 2008, The Tenerian. In: Clark, J.D., Gifford-Gonzalez, D. (Eds.), Adrar Bous. Archaeology of a Central Saharan Granitic Ring Complex in

⁽¹⁴²¹⁾ Gabriel Camps ., 1974 , op.cit, P 220

⁽¹⁴²²⁾ Savino di Lernia ., 2006, op.cit, p 68

رسوم فريدة من نوعها لطقوس عبادة الأبقار تظهر فيها مجموعة من الأشخاص يحيطون بثور ويقفزون فوقه ⁽¹⁴²³⁾ (اللوحة 11) .

ووجدت مشاهد مماثلة في "وادي ماثندوش" (mathenduche) و"وادي زردة" (wadi zerda)، ووادي "إساغان" (wadi isaghan) بفزان ⁽¹⁴²⁴⁾، وفي أماكن أخرى ⁽¹⁴²⁵⁾، لكن مشهد "تين هناكتن" فريدا من نوعه حيث نجد في المشهد ثور محاط بستة أشخاص أحدهم يحمل عصا بينما يقوم أحدهم بالقفز على ظهره وشخص آخر يتحضر لتنفيذ نفس القفزة واثنين آخرين موجودان قرب رأس الحيوان، ولا يوجد أدنى شك حول عبادة الثيران في هذه المنطقة، وتتوافر مشاهد مماثلة لتلك في مناطق أخرى من الطاسيلي والهوفار .

وبالإضافة إلى القفز فوق الثيران نجد مشاهد لمس الأبقار والتي نجدها في مناطق مختلفة، كمنطقة "صفار" التي تتضمن مشهداً تعبدياً يضم عدداً كبيراً من الأشخاص من ذوي الحجم الصغير يلمسون أو يقفزون فوق الأبقار، وقد يكون هذا المشهد تجسيدا لأسطورة غير معروفة لكنها متصلة بتقديس الثيران و بالخصوبة، وفي منطقة "تراشوري" (trachori) بفزان نجد ما يقرب من 30 شخصا يحيطون بثور، من بينهم مجموعة من النساء يلمسون الثور في أنحاء جسمه المختلفة ⁽¹⁴²⁶⁾ .

ويحتمل أن الثيران كانت آلهة للخصوبة ففي "وادي آفار" القريب من الحدود الليبية وجد مشهد يتضمن عدداً كبيراً من النساء في وضعية الولادة، والكثير من هؤلاء النسوة كن رافعات أيديهن وهن يتضرعن للإله الكبير من أجل سلامتهن وسلامة أولادهن، وهذا الإله هو عبارة عن ثور عملاق يتوسط المشهد ⁽¹⁴²⁷⁾ (اللوحة 11)، وعلى ما يبدو فإن الثيران التي تعرف بقدرتها الجنسية الكبيرة أصبحت آلهة للخصوبة لذلك نجد النساء يلمسون الثور من

⁽¹⁴²³⁾ Ginette Aumassip.,1993, op.cit, p15

⁽¹⁴²⁴⁾ Jean Loic Le Quellec.,1993, Scènes de taurokathapsia au Sahara central , In Calegari (Giulio) (Ed) ,L'arte e l'ambiente del Sahara preistorico: dati e interpretazioni, Milano: Mem. Soc. It. Sc. Nat , P320.

⁽¹⁴²⁵⁾ U.W. Hallier , B. C. Hallier., 2005, Felsbild-Neufunde ...,p9 ,Ginette Aumassip. , 1978, Le gisement de Ti-n-Hanakaten, Aix-en-Provence: Rapport scientifique du L.A.P.M.O, Fig14

⁽¹⁴²⁶⁾ Ibid, P319.

⁽¹⁴²⁷⁾ François Soleilhavoup ., 2013, op.cit, P 209

أجل الحصول على الأولاد، أو يؤدون رقصاً طقوسياً له كما هو الأمر في مشهد مماثل في هضبة المساك⁽¹⁴²⁸⁾، وهو ما نجد مثالا عنه في صورة الآلهة المصرية "نوت"⁽¹⁴²⁹⁾.

ولكن الثيران لم تكن فقط آلهة للخصوبة فقد أصبح الثور إله الحرب في مشهد نادر في "وادي جرات" (اللوحة 11)، وهذا المشهد ربما يفسره ما جاء في النصوص القديمة فقد ذكر كوريبيوس⁽¹⁴³⁰⁾: «أن عبادة الثور كانت منتشرة بين القبائل الليبية في منطقة "السرت" فقبيلة "اللوغاتان"⁽¹⁴³¹⁾ (Laguatan) كانت تعبد ثورا يسمونه "قورزيل" الذي ولد من الإله أمون ومن بقرة، وكانوا يجسدونه في ثور يرهبون به أعداءهم في بداية المعركة ويعتبرونه قائد لهم في الحرب»⁽¹⁴³²⁾.

وتدل كل تلك المعطيات على تقديس الأبقار ويمكن أن نضيف إلى ذلك صور الأبقار ذات الأقراط والنوط، وكذلك التي يتواجد بجوارها أشخاص في وضعية المصلي سواء كانوا يلمسونها أو متواجدين بقربها، علما بأنه تتوفر أيضا مشاهد لمس الحيوانات للفيلة وهي تعبر عن تقديس هذه الحيوانات⁽¹⁴³³⁾. (اللوحة 20، 11)

والثور بشكل عام يرمز إلى القدرة الجنسية وربما هذا ما يفسر وجود أشخاص بقضيب بارز قرب هذه الحيوان في الكثير من المشاهد، كما أن قرون الثيران كانت تهدى للآلهة الأنثوية عند معظم الحضارات القديمة، وفي الطاسيلي توجد الإلهة ذات القرون في المشهد الذي سماه هنري لوت باسم "السيدة البيضاء" في منطقة "أونغهات" وهو يعود لمرحلة البقرات القديمة، أما خارج الطاسيلي فهناك أمثلة عديدة عن العلاقة بين قرون الأبقار

⁽¹⁴²⁸⁾ Gerad Jacquet., 1999, op.cit.p P77.

⁽¹⁴²⁹⁾ ياروسلاف تشرني، 1996، المرجع السابق، ص59.

⁽¹⁴³⁰⁾ كوريبيوس corippus هو شاعر عاش في القرن السادس الميلادي، ينظر Stephan Gsell., 1912, op.cit. T1.p84

⁽¹⁴³¹⁾ "اللوغاتان" أو "اللوأتان" هي القبيلة البربرية التي عرفت باسم "لواتة" في بداية التاريخ الإسلامي، قاومت البيزنطيين وعاصرت الفتح الإسلامي، للمزيد من المعلومات حولها، ينظر:

D. J. Mattingly ., 1983, A Libyan Tribal Confederation In The Late Roman Empire, Libyan Studies 14, 1983, P97-108

⁽¹⁴³²⁾ Stephan Gsell., 1912, op.cit. T1، p244, Johannide, II, 110-1, V, 22

⁽¹⁴³³⁾ Jean jelinek ., 2004, op.cit.p95

والآلهة الأنثوية، منها ما وجد في بقايا معبد "كتال هويك" بالأناضول، حيث تتواجد قرون الأبقار قرب تمثال الآلهة الأم الذي يعود إلى أكثر من 9300 قبل الحاضر (1434).

ورغم أن عبادة الأبقار كانت منتشرة في الطاسيلي إلا أن الأبقار كانت أيضا الحيوانات المفضلة للقرايين وهذا ما يمكن أن نلمسه في عدة مشاهد، ففي المشهد الجنسي الموجود في "صخرة أهناث" بوادي جرات الذي يمثل آلهة الخصوبة والقوة الذكورية، نجد الأبقار المعدة للتضحية بها للآله العظيم من أجل الحصول على الأولاد، وفي موقع "ترقرة" (tareg'reg) الموجود في "أدرار أهناث" شمال الهوفا نجد مشهداً مكرساً لعبادة الخصوبة والأمومة وهو يضم أبقارا معدة للتضحية (1435)، وفي العديد من المشاهد يعتبر السبب في وجود الأبقار هو التضحية بها للحصول على الخصوبة وسلامة الأولاد والنساء.

وهناك دلائل أخرى على عبادة الأبقار ففي تازروق (tazerouk) بالهوفا عُثر على حجارة مجمعة مع إهداءات عديدة وأدوات إضافة إلى رأس ثور (1436)، أما تماثيل الأبقار فقد وجدت بكثرة فقد عُثر علي إحداها في تين هناكتن قرب بقايا لأبقار أيضا (1437)، وكانت الباحثة "هانريت كامبس فابر" (H.C.Fabrer) قد عثرت على الكثير منها في مناطق مختلفة من الطاسيلي (1438)، وعثر "هنري لوت" في وقت سابق على تماثيل لأبقار (1439)، أما أولى تماثيل الأبقار فقد اكتشفت سنة 1930 في "سيلي" silly بالهوفا (1440)، أما أولى التماثيل الشبه إنسانية فقد عُثر عليها في "تبلالة" شمال الطاسيلي سنة 1908 (1441) (الشكل 09).

(1434) Ian Hodder., 2006, The Leopard's Tale: Revealing the Mysteries of Catalhüyük. London: Thames and Hudson, p 6

(1435) Théodore Monod., 1932, op.cit, 194p

(1436) Gabriel Camps., 1992, « Dépôts Rituels » Encyclopédie Berbère, n°11, Édisud, Paris:pp2269-2271.

(1437) Malika Hachid ., 1998, Op.cit.146 .

(1438) Heriette Camps Fabrer ., 1966 , op.cit ,p260.

(1439) Jean Loic Le Quellec., 2008, A Propos Des ... op.cit. P53 .

(1440) Jean Bouyssone ., op.cit, planchat PL CVIII

(1441) Henri Lhote ., 1976,Vers D'autres ..., p71

ومما لا شك فيه أن تماثيل الأبقار يدل على أن عبادتها كانت منتشرة في منطقة واسعة من الصحراء في ذلك الوقت، وأنها كانت تستند على نحت التماثيل ورسم المشاهد التي تجسد هذه العبادة (1442).

2- الأبقار وعبادة الشمس و الخصوبة:

تقتزن عبادة الأبقار بعبادة الشمس رمز الخصوبة عند الرعاة ويتجلى ذلك من خلال صور الأبقار التي تعلو رؤوسها دوائر وهو ما نجده في نقوش وادي جرات وفي الهوقار (1443)، ونجده في نقوش الأطلس الصحراوي ففي موقع "الطريق البيضاء" نجد صورة لثلاثة جواميس يعلو رؤوسهن قرص الشمس (1444)، ويوجد مشهد مماثل في منطقة "بذهيب" (Bou dhebib) بالأطلس الصحراوي (1445)، مع العلم أن أغلبية المشاهد المماثلة في الأطلس الصحراوي هي للكباش (1446)، ومن الأمثلة عنها مشهد في حجرة "سيدي بوبكر" (sidi boubaker) جنوب الجلفة (1447).

مع العلم أن اقتران الأبقار أو الكباش بالشمس موجود عند الكثير من الشعوب وله علاقة بالخصوبة، ومن بين الأمثلة على ذلك صور "أمون" الذي يظهر في شكل كبش فوق رأسه قرص الشمس، أو "حتحور" التي تظهر في شكل بقرة فوقها قرص الشمس (1448)، كما أظهرت اكتشافات حديثة لبقايا أثرية في كرمة (Kerma) بالسودان وجود إضافات رأسية

(1442) Henri .G . Hugot ., 1974, Op.Cit. P 200 .

(1443) Henri Lhote ., 1976, gravures... Tome 2 , P 771, Fig 2586

(1444) Léone allard-Huard ., 2000, op.cit, P255

(1445) Henri lhote ., 1984, Gravures rupestre de L'atlas Saharien , ENEG Alger,1984.p217

(1446) كان للكباش دورا دينيا كبيرا في مصر منذ ما قبل الاسرات حيث أصبحت ترمز إلى الخصوبة ، وفي عهد الاسرات أصبح الكبش يمثل في عدة آلهة وهي : "أمون" Amon ، "بانج جادت" Banebdjedet ، "حرشف" Héryshef ، "خيرتي" Kherty ، "خنوم" Khnum ، "أجب" Ageb ، "أنجتي" Andjty ، "حرمابخس" Harmakhis ، "حرسفس" Harsaphes ، "كرتي" Kerty ، "خنوم" Khnoum ...، أنظر : Jean-loic le Quellec,(1999), Premières exaltations...p10

(1447) Henri Lhote ., 1984,op.cit. p293,fig 69.

(1448) Jean-Loïc Le Quellec ., 2001, Les arts graphiques ..., p 159

على الأبقار والكباش أيضا⁽¹⁴⁴⁹⁾، ولا تزال هذه الظاهرة موجودة اليوم لدى شعوب جنوب وادي النيل وشعوب إفريقية أخرى⁽¹⁴⁵⁰⁾ .

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن هناك اقتران واضح بين الشمس التي تعتبر إلهة الخصوبة عند معظم الشعوب مع الثيران التي تمثل الخصوبة أيضا، فهي إلى جانب الكباش من الحيوانات التي تتمتع بقدرة جنسية كبيرة، لذلك وضع الناس زوائد طقوسية فوق رؤوس الثيران أو الكباش في شكل دائرة ترمز للشمس⁽¹⁴⁵¹⁾، وهذا ما يفسر وجود أشخاص ذوو قضيب بارز في وضعية الصلاة لهذه الحيوانات مما يشكل اكتمالاً للمشهد المعبر عن الخصوبة .

والجدير بالذكر أن هناك حيوانات أخرى تقترب بالخصوبة وبالشمس عند الشعوب الصحراوية، فقد وُجدت أيضا بعض الحيوانات البرية التي تعلو رؤوسها قرص الشمس، كصورة فرس النهر في "تين سماد" (Tin Smad) بوادي جرات، وصورة جاموس عتيق في "أفارا مالا" (Afara Mella)، ووحيد القرن في "أبيور" (Abeior) قرب وادي أفار على الحدود الليبية⁽¹⁴⁵²⁾ .

3- الأبقار والمعتقدات السحرية:

من الواضح أن بعض الرعاة كانت لهم معتقدات سحرية تتعلق بالأبقار، وهذا ما يتجلى بالنسبة لنا في عمليات تشويه القرون التي نجدها بكثرة في مشاهد الفن الصخري، إذ تظهر

⁽¹⁴⁴⁹⁾ Jean-Loïc Le Quellec ., 2001, Les arts graphiques.P 163

⁽¹⁴⁵⁰⁾ Louis Chaix., 2006, Bœufs A Cornes Déformé Et Béliet A Sphéroïde :De L'art Rupestre L'archéozoologie ,Cahier De l'AARS, n°10,2006,p 49 , Louis chaix., 2004, **op.cit.** P337, g⁽⁷⁾ camps ., 1990, op.cit.p52.

⁽¹⁴⁵¹⁾ لقد عُبدت الشمس من طرف كل الشعوب القديمة تقريبا ، ونعتقد أن شعوب ما قبل التاريخ أيضا كانت تعبدها ، والدليل على ذلك مشهد الشمس في "تيسوكاي" الذي سبق لنا أن تحدثنا عنه ، كذلك النصوص القديمة التي تحدثت عن عبادة ماسينسا للشمس فقد ذكر " شيشرون" وهو خطيب روماني أن " ماسينسا" قال عندما استقبل القائد الروماني "سيبيون الإيميلي" : « أشكرك أيتها الشمس العالية جدا، ويا أيتها السموات الأخرى بأن وهبت لي رؤية" كورنيليوس سكيون" قبل أن أغادر الحياة»، ينظر :

Gabriel Camps ., 1980 , op.cit , p200

كما أن هيرودوت ذكر أن كل الليبيين كانوا يقربون للشمس والقمر ماعدا "الأترانتس" الذين يلعنونها لأنها تؤذيهم، ينظر :
HÉRODOTE, IV- 188

⁽¹⁴⁵²⁾ Léone Allard-Huard .,2000 ,op.cit, P255

في الصور أبقار ذات قرون متجهة إلى الأمام في "تاشيكيلاتوت" وجبارين ووادي جرات⁽¹⁴⁵³⁾ ، وكذلك في جانت و"إن دابيرن" (In Debiren) و"تارارات" (Terrarart) و"رارداس" (Rhardès) و"إيدو تيسوكاي" (Ido Tissoukai)، أما في "إن إتينان" فنجد أبقاراً ذات قرون متجهة إلى الخلف⁽¹⁴⁵⁴⁾، ونجد أبقاراً عديمة القرون في صفار و"إن جران" In (Djaren)⁽¹⁴⁵⁵⁾ .

والجدير بالذكر أن بعض الأبقار السابقة الذكر قد تكون طبيعية إذ يعتقد هنري لوت أن الأبقار ذات القرون المتجهة إلى الأسفل أو في شكل دائرة هي من نوع (bos opisthemomus)⁽¹⁴⁵⁶⁾، غير أن ذلك لا يمنع من وجود ظاهرة تشويه القرون ولوبها مثلما هو معروف اليوم لدى الكثير من الشعوب الإفريقية، حيث يقوم "الدنكا" (Dinka) و"النوير" (Nouer) الذين يعيشون على طول "بحر الجبل" و"النيل الأبيض" في جنوب السودان بلوي قرون أبقارهم، في نوع من الممارسات السحرية فيجعلونها متوازية أو متجه إلى الأمام أو تكون متدلّية ويستعملون في ذلك تقنيات خاصة متوارثة منذ القدم، وتوجد نفس الظاهرة لدى قبيلة "اللونقراريم" في جنوب السودان أيضا⁽¹⁴⁵⁷⁾.

وقد وجدت هذه الظاهرة في حضارة "كرمة" بالسودان التي تعود إلى ما بين 2400 و1400 ق.م⁽¹⁴⁵⁸⁾، وكذلك في مصر خلال الأسرة السادسة⁽¹⁴⁵⁹⁾، وعثر على دلائل عليها ضمن قبور المجموعة "س" في بلاد النوبة جنوب مصر⁽¹⁴⁶⁰⁾، ومن خلال الإحصائيات التي جمعها لويس شاي (Louis Chaix) فإن 30% من الأبقار كانت ذات قرون متجهة

⁽¹⁴⁵³⁾ Gabriel Camps ., 1990, Des Incertitudes De L'art Aux « Erreures » D'hérodote ., La Faune Des Temps Néolithiques Et Protohistoriques De L'Afrique Du Nord» C.R.A.I, 1990, Vol 134 ,N°1, P51, Fig12

⁽¹⁴⁵⁴⁾ Huard Paul, Jean-Marie Massip ., 1963, Op.Cit.P 476

⁽¹⁴⁵⁵⁾ Léone Allard-Huard ., 2000, op.cit, P251

⁽¹⁴⁵⁶⁾ Henri Lhote ., 1984, op.cit, P 241

⁽¹⁴⁵⁷⁾ Louis Chaix., 2004, **Op.Cit. P337**, Gabriel Camps ., 1990, op.cit, P52.

⁽¹⁴⁵⁸⁾ Louis Chaix ., 2006 , op.cit, P50-51

⁽¹⁴⁵⁹⁾ Huard Paul, Massip Jean-Marie., 1963, Op.Cit, pp 468,472,474

⁽¹⁴⁶⁰⁾ Léone Allard-Huard ., 2000, op.cit, P227

إلى الأمام وذلك بين الألف السادسة والرابعة قبل الميلاد⁽¹⁴⁶¹⁾، ولم يتم التأكد بعد بصفة أكيدة من أن قرونها كانت طبيعية أم تم لوئها من أجل التضحية بها .

ونحن لا نستغرب قيامهم بلوي قرون الأبقار أو إحداث تشويهاات عليها، فقد قام الناس في مناطق مختلفة من العالم بتشويه أجسادهم، فبعض القبائل كانت تقوم بإطالة الأذن أو الشفاه وثقب الأنف وغير ذلك من الممارسات القاسية ذات الطابع السحري، وقد وجد الباحثون في المواقع الصحراوية أدوات مختلفة كانت تستعمل لإطالة الشفاه تدعى "الشفورة" وهي أداة تشبه المسمار الغليظ⁽¹⁴⁶²⁾ (الشكل 08) .

وهناك ممارسات أخرى كتزيين أبدان الأبقار برموز سحرية وهو ما نجده في نقوش " تادراوت الجنوبية" وفي تين ترايين بالهوقار⁽¹⁴⁶³⁾ (اللوحة 36)، علما بأن هذه الظاهرة لا تزال موجودة اليوم عند بعض القبائل في غرب إفريقيا (اللوحة 21)، والأمر لا يقتصر على تزيين أبدان الأبقار برموز سحرية، بل أحيانا يتم تصوير الأبقار في مظهر غير طبيعي ففي صفار توجد بقرة ذات أربعة قرون⁽¹⁴⁶⁴⁾، وفي كل من "وان موهيجاج" و" تاكروري" بالأكاكوس وجدت أبقار مرسومة في شكل خطوط وهي صغيرة الحجم⁽¹⁴⁶⁵⁾، بالإضافة إلى ذلك توجد أبقار تتدلى في رقبتها أشياء تشبه اللسان، ففي منطقة " أقونار" في الهوقار توجد صور لما يقارب 27 بقرة مشوهة⁽¹⁴⁶⁶⁾ .

وتلك الممارسات السحرية تجاه الأبقار قد تكون لها علاقة بسحر الحماية أو الخصوبة فالكثير من تلك الأبقار توجد بجوارها أو على أبدانها شبكات مربعة أو تعرجات أو خطوط وشرائط وعلامات، وفي معظم الأحيان تكون تلك أبقار ذات بطون أو ضروع منتفخة ، والهدف من ذلك هو حمايتها من الأمراض وزيادة أعدادها. (اللوحة 24)

⁽¹⁴⁶¹⁾ Louis Chaix., 2004, Op.Cit.P340

⁽¹⁴⁶²⁾ Jean-Pierre Duhard ., 2007,À propos de Labrets néolithiques en pierre du Sahara malien, Sahara,n°18, p 85-94

⁽¹⁴⁶³⁾ Léone Allard-Huard ., 2000 , op.cit,P251

⁽¹⁴⁶⁴⁾ Jean Dominique Lajoux ., 1977, Op.Cit. P42.

⁽¹⁴⁶⁵⁾ Allard-Huard Léone ., 1983, Op.Cit.P420

⁽¹⁴⁶⁶⁾ Henri Lhote., 1964, Gravures..., P 65

ثالثا : المجموعات البشرية للبقریات الوسطی :

أ- مختلف المجموعات البشرية في الطاسيلي :

من خلال المشاهد يمكن التعرف على ملامح الأشخاص لثلاثة أجناس ممثلة في الرسوم الصخرية، وهذه الأجناس هي: الزوج، والسود أو ذوي البشرة النحاسية، والجنس الأبيض.

1- الزوج :

كان الزوج يعيشون في الطاسيلي و الهوڤار منذ زمن بعيد، وو قد يكون بعضهم من أصول نيلية صحراوية، وكانت أول هجرة لهم إلى الصحراء قد تمت في الهلوسان المبكر، وقد تزامن ذلك مع تعمير الصحراء التي كانت شبه فارغة من السكان بعد نهاية الحضارة العاترية⁽¹⁴⁶⁷⁾، فخلال الهلوسان المبكر كانت الأجواء رطبة وهو ما أدى إلى تشكل بحيرات كبيرة في فزان وفي " الإيميدر " و " أهناث " وفي مناطق أخرى من الصحراء⁽¹⁴⁶⁸⁾.

ويمكن القول أن هناك مركزين انطلقت منهما الشعوب الزنجية باتجاه الصحراء الوسطى فالمركز الاول هو المنطقة الواقعة جنوب وادي النيل ويمثلها الزوج النيليون، أما المركز الثاني الذي انطلقت منه الهجرات البشرية فهو منطقة الساحل، وقد يكون السبب في هجرة السكان من تلك المناطق هو كثرة المستنقعات التي لم تساعد على تحرك الرعاة في مرحلة البقریات الوسطی مما حدى بالسكان إلى البحث عن مناطق جافة، وقد كانت الصحراء الوسطی تتمتع بأفضلية مناخية كبيرة مقارنة بمنطقة الساحل أو وادي النيل .

والمعروف أن المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى هي الموطن الرئيسي للزوج ، إلى جانب حوض وادي النيل، وقد كانوا موجودين بكثافة في البلايستوسين النهائي والهلوسان المبكر في النيجر ومالي، فقد عثر الباحثون على بقايا الزوج بكثافة في موقع

⁽¹⁴⁶⁷⁾ يعتقد معظم الباحثين أن الصحراء كانت قليلة السكان في العصر الحجري القديم المتأخر أي بعد زوال العاترية ، وهناك من الباحثين من قال إن المنطقة كانت خالية من وجود البشر أو الحيوانات طيلة الفترة بين 20 ألف و 10 آلاف سنة ، ولكن بعض الباحثين افترضوا وجود مجموعات من العاتريين استطاعت الصمود في ضل الجفاف في مناطق مختلفة ، وعادت إلى الظهور بعد انتهاء الجفاف ، فقد عثر على بقايا إنسانية كبيرة في موقع يعود إلى البلايستوسان النهائي والهلوسان المبكر وهو موقع قوربوا الواقع في شمال النيجر ، وقد يكون هؤلاء من بقايا العاتريين ، حول الفترة المبكرة من الهلوسان والمجموعات البشرية فيها يرجى العودة إلى : N. Petite – Maire ,1991, op.cit, p126-127
⁽¹⁴⁶⁸⁾ Nick A. Drake ,2011, op.cit, p461

"غوبرو" (gobro) بالنيجر، ويعتبر إنسان "أسيلار"⁽¹⁴⁶⁹⁾ الذي وجد في شمال مالي نموذج لهياكل الزوج من ذوي الجنس الرقيق، ومن الهياكل التي تعود إليهم هيكل لامرأة أكتشف في "تين لالو" (tin lalou) بمالي، أما إنسان "ياو" (yao) الذي وجد قرب بحيرة "فيتري" في تشاد فهو نموذج للزوج من ذوي الجنس الغليظ، ومن المفترض أن البقايا البشرية التي عثر عليها في الصحراء تتم مقارنتها بتلك الاكتشافات في مالي أو تشاد (1470).

ويدعم الكثير من الباحثين فرضية الوجود الكبير للزوج في النيوليتي الرعوي الصحراوي، حيث يعد "أنتا ديوب" من أكثر الباحثين الذين يمثلون هذا الرأي، وهو يقول أن شعوب الصحراء في النيوليتي كانوا من الزوج، وهم الذين تركوا الأعمال الفنية التي تمثل الصيادين والرعاة⁽¹⁴⁷¹⁾، أما "هنري لوت" و"هنري بروي" فيرون أن المرحلة الأولى من الجاموس العتيق والمرحلة الثانية من الرعاة التي يقصد بها البقرات الحديثة، وكذلك مرحلتا الحصان والجمل ينتمون إلى الجنس الأبيض، بينما ينتشر الزوج بكثافة في مرحلة البقرات وفي مرحلة الرؤوس المستديرة⁽¹⁴⁷²⁾.

ويعتقد كل من هنري "دوفري" (duveyrier) و"ستيفان قزال" (s gsell) و"فيليكس قوتي" (f gauthier e) أن الزوج كانوا متواجدين بكثافة في الصحراء إلى غاية العهد الروماني⁽¹⁴⁷³⁾، وكان ستيفان قزال قد ذكر أنه مع نهاية الإمبراطورية الرومانية كانت هناك مجموعات من السود تعيش على طول الصحراء مفصولة عن البيض بنهر الجدي قرب الأغواط، ومن الممكن أنهم قد وصلوا إلى ساحل البحر المتوسط وفق ما يذكر "بومبينوس ميلا"، بينما يذكر "سترابون" أن "الفاروزيون" (Pharusiens) هم من الزوج الذين يقيمون

⁽¹⁴⁶⁹⁾ إنسان أسيلار يؤرخ ب 6500 قبل الحاضر وقد وجد في شمال مالي من طرف تيودور منود ومساعديه، وقد عرف الموقع على أنه موقع نموذجي للزوج حسب أقوال كل من م بول وش فالوار، وهو إلى جانب إنسان "ياو" يمثل الزوج، وهو معاصر للبقرات الوسطى في الطاسيلي، ينظر:

M. C. Chamla., 1968, Les Populations ..., p85-87, Gabriel Camps., 1974, op.cit. 241,

⁽¹⁴⁷⁰⁾ Chamla , M. C ., 1968, les Populations ..., p17

⁽¹⁴⁷¹⁾ Cheikh anta diop ., 1962, histoire primitive de l'humanité, evolution du monde noire , bulletin de L'FAN, vol 24 ,série B , n°3-4, 1962, p484

⁽¹⁴⁷²⁾ Henri Lhote ., 1970, Le Peuplement ... p91- 96

⁽¹⁴⁷³⁾ Ibid, p 92

وراء المور على مقربة من الأثيوبيين وأن بلادهم تقع على بعد ثلاثين يوما من ليكسوس مما يعنى حسب قزال جنوب المغرب الأقصى (1474) .

ويتداول الكثير من الباحثين هذه الأخبار التي وردت في المصادر الكلاسيكية، وفق معظم الآراء فإن الزنوج أو المختلطين كانوا يتواجدون بأعداد كبيرة في الطاسيلي والهوفار والأكاكوس إلى فترة متأخرة، وهذا ما أكدته أبحاث كل من "باربارا باريش" و"موزيليني" (1475)، كما أن "إيف قوتي" يرى أن الحضارات النيوليتية في الصحراء تعود إلى الزنوج (1476)، وكان كامبس قد أشار إلى الطابع الزنجي للنيوليتي في الصحراء (1477) .

وقد اعتبر " كامبس " أن البقايا الإنسانية المتواجدة مع كسر الفخار تعود في الغالب إلى الزنوج، الذي ينتمي إليهم أيضا جانب مهم من الفن الصخري البقري وما قبل البقري من نقوش ورسوم، وهم الذين تواجدوا في وان موهيجاج ، وأمكني، و"منيت"(Meniet) ، و"أبوليج" (Abouleg)، وأدرار بوس، وصفار، وجبارين (1478) ، كما أن القبور الكبيرة الموجودة في الصحراء تعود إليهم أيضا، وفي المقابل تعود القبور التي هي في شكل " فتحة القفل" إلى البيض من مجموعات "إهرن" و "وان أميل" (1479) .

أما في مرحلة البقريات الوسطى فقد تواجد الزنوج فيها مع قبائل تشبه الفولاني وقد افترض هنري لوت (H. Lhote) أن الزنوج كانوا عبيدا لهم، وهذا لأن أوائل الفولاني قد احتاجوا إلى الرقيق لرعي قطعانهم الكبيرة، وإفترض أيضا أن الزنوج يمكن أن يكونوا من أحفاد الرؤوس المستديرة، أما الرعاة الحقيقيون في تلك المرحلة فهم "الحاميون" الذين جاءوا من وادي النيل إلى الصحراء الوسطى (1480) .

وفي الواقع فإن وجود الزنوج في الصحراء له ما يدعمه من الناحية المناخية، إذ أنه خلال المرحلة الرطبة النيوليتية كانت الصحراء الجنوبية ومنطقة الساحل أكثر رطوبة من

(1474) Stephan Gsell., 1912, tome I , p296

(1475) Barbara E Barich ., 1998 , op.cit , p 100

(1476) Maurice Gautier, Sahara algérien ,p138 .

(1477) Gabriel camps., 1974, op.cit, 225

(1478) Gabriel Camps., 1967, Extension Territoriale Des Civilisations Epipaléolithiques Et Néolithiques De L'Afrique Du Nord Et Du Sahara, p286

(1479) Yves & Christine Gauthier ., 2006 ,op.cit, p81

(1480) Gabriel Camps, 1974., op.cit. P 260

الصحراء الوسطى وكانت مليئة بالأنهار الجارية والبحيرات، لكنها مع ذلك لم تكن مفضلة للإنسان، وذلك يعود إلى كثرة الغابات والمستنقعات وصعوبة المسالك نتيجة للأحوال، بالإضافة إلى وجود الحيوانات المفترسة والحشرات التي كانت تسبب الأمراض، لذلك كان الناس ينتقلون منها نحو المناطق الجافة في الصحراء الوسطى (1481).

ومن جهة ثانية كان وجود المجموعات البيضاء قليلا في الصحراء الوسطى فلم تكن لتتمكن من العبور بسهولة إليها من بلاد المغرب، لأن الغابات المليئة بالحيوانات المتوحشة كانت تغطي جبال الأطلس الصحراوي، والمناخ كان باردا في المرتفعات، وهو ما جعل نسبة قليلة من البيض ينتقلون إلى الصحراء الوسطى، ولكن المسالك كانت أسهل من جهة الشرق، حيث يمكن بسهولة العبور من الساحل الليبي إلى منطقة الطاسيلي .

ومن جهة ثانية يربط الكثير من الباحثين بين الزنوج والهجرات الكبيرة للمجموعات النيلية التي قدمت إلى الصحراء الوسطى مع قطعانها، وهذا ما أكده "هنري لوت" المتأثر بآراء "ليونال بالو" (1482). وكان الباحث "سوتون" (sutton) فقد فسر انتشار نوع من الفخار في الصحراء على أنه من نتائج الهجرة الأولى للشعوب النيلية باتجاه الصحراء، بسبب توسع الغابات الاستوائية التي كانت تدفع الإنسان نحو المناطق المفتوحة (1483).

كما أن الباحثة ماري كلود شاملة قد وجدت الكثير من بقايا الزنوج في مواقع عديدة من الصحراء، منها مواقع "تين لالو" tin lalo و"كاركاريشيناكت" (Kerkarichinkat) و"تمايا ميلي" (tamaya Mellet) التي تمثل ملامح إنسان "أسيلار" asselar ، أما "فابريزيو موري" فقد اكتشف جثة لطفل زنجي محنطة في سلة ضمن طبقات صخرية داخل كهف "وان موهيجاج" وأرخها ب 3405±180 ق.م ، وقد عُرف هذا الاكتشاف بين الباحثين باسم "المومياء السوداء"، وهي أقدم من الجثث المحنطة في مصر بما يقارب 1000 سنة (1484).

(1481) Robert Vernet .,2006 , Evolution Du Peuplement Et Glissement Des Isohyetes A La Fin De La Prehistoire Et Au Debut De L'histoire En Afrique De L'ouest Sahelienne, Mande Sludies 6, p31

(1482) Henri Lhote ., 1977, Gravures ... , t2, p821

(1483) Víctor M. FERNÁNDEZ., 2003, op.cit, p410

(1484) M . C. Chamla., 1968 , Les Populations..., p85-87

كما وجدت ثلاثة بقايا للزئوج في أمكني منهم ما يعود إلى "الهوسان المبكر" و"الهوسان الأوسط" (1485)، وفي "منيت" وجدت بقايا للزئوج أرخت في 3450 ± 300 ق.م، غير أن أحدث بقايا للزئوج هي تلك التي وجدت في موقع قريب من "تمراست" تتمثل في ثلاثة جثث أرخت ب 1380 ± 150 ق.م، وقد جمعت جثث أخرى للزئوج في "التيستي" وفي أنحاء من "مالي" و"النيجر" كلها من جنس زنجي غليظ (1486).

ومما سبق يمكن القول بوجود كبير وقديم للزئوج في الطاسيلي والهوقار وهم قد يكونوا من أصول نيلية أو من غرب إفريقيا، وقد ضلوا متواجدين في المنطقة إلى أن تدهور المناخ، فاضطروا إلى الهجرة نحو الجنوب والجنوب الغربي، واليوم مجموعات الزئوج المنتشرين في غرب إفريقيا مرتبطين ثقافيا بالزئوج في النيوليتي الصحراوي فقد عاش أجدادهم في المنطقة ردحا من الزمن (1487).

2- مجموعات أبانيورا :

وهم الذين سماهم هنري لوت "بالفولاني" (1488)، بينما أطلق عليهم "موزيليني" اسم "أبانيورا" وهذه المجموعات ليست من الزئوج ولكنهم من السود أو الملونين أو من جنس مختلط فهم يحملون بعض الصفات الزنجية لكن ملامحهم قد تكون قريبة من ملامح سكان البحر المتوسط (1489)، وهناك من يعتبرهم من المجموعات البيضاء (1490)، وطبقا للوصف الذي قدمه "موزيليني" فهؤلاء تتوفر فيهم خصائص الجنس الزنجي الغليظ كما أنهم ليسوا من البيض أيضا فهم ذوي سحنة سوداء أو نحاسية (1491)، وهم طوال القامة ونحيفي الأجسام

(1485) Gabriel camps ., 1969, op.cit.p163

(1486) Franz Trost ., 1998, op.cit, pp324-323

(1487) نحن نعتمد في حكمنا هذا على تشابه الفن في الطاسيلي مع فن الزئوج من حيث طقوس الرقص والاقنعة ، بالإضافة إلى صور الزئوج الواضحة في العديد من المشاهد ، وكنا قد ذكرنا سابقا أن الكثير من الباحثين ومنهم هنري لوت قد ذكر وجود صلة بين الفولاني في غرب إفريقيا والفن في مرحلة البقريات ، للمزيد حول هذا الموضوع يرجى العودة إلى مبحث البعد الافريقي للحضارة في الطاسيلي والهوقار ،

(1488) Henri Lhote.,1970 , op.cit, p 96

(1489) يذهب كامبس إلى اعتبارهم من جنس البحر المتوسط كما يقر بأنهم متقاربين في ملامحهم الفيزيولوجية من الفولاني، ينظر : ، P28 perspectives ... , 1972 , Gabriell Camps, Henriette Camps-Fabrer .,

(1490) Androw B Smith ., 1993, op.cit, P 468-470

(1491) Alfred Muzzolini ., 1995 , Op.cit, P126-127

يتميزون بانصباب قليل لل فك إلى الأمام، أما ملامح وجوههم فهي رقيقة وشفاههم غير غليظة ⁽¹⁴⁹²⁾، كما يتميزون بالرشاقة مع أن أجسامهم غير متناسقة ⁽¹⁴⁹³⁾. (اللوحة 06)

ومن خلال مشاهداتنا لصورهم نلاحظ انهم يشبهون إلى حد ما بعض القبائل الإثيوبية التي تعيش اليوم في حوض "الأومو"، فهم يتمتعون بنفس الخصائص الفيزيولوجية، وكذلك بعض المظاهر الثقافية ومنها الاعتناء بالأبقار وهم بذلك يختلفون عن الفولاني الحاليين (اللوحة 21).

ويمكن القول أن هناك مجموعتان من السود يمكن ملاحظتهم في الفن الصخري، أما المجموعة الأولى فتتمثل جنساً جميلاً الهيئة قريب من جنس البحر المتوسط سماه هنري لوت بالفولاني والمشهد النموذجي لهم هو مشهد " الفتاتان من الفولاني " الموجود في جبارين، وهؤلاء تأصلت فيهم الحياة الرعوية وركنوا إلى الراحة والدعة، أما المجموعة الثانية فهي التي سماها ألفرد موزيليني بمجموعات أبانيورا وهي تحمل الصفات التي ذكرناها سابقاً وأفرادهم كثيرون النشاط يظهرون عادة في مشاهد الحروب والقتال. (اللوحة 05، 19)

ولم يتمكن الباحثون من تمييز الجثث التي تعود إليهم دون غيرهم من المجموعات الأخرى التي كانت تعيش في الصحراء، إذ يمكن التمييز فقط بين الجنس الزنجي والجنس الأبيض، من خلال نسبة "مادة الميلانين" في العظام، وهي مادة صبغية مسؤولة عن تلوين البشرة ⁽¹⁴⁹⁴⁾، كما يمكن التمييز بين الجنس الغليظ والجنس الرقيق من خلال حجم الأعضاء.

ومن المفترض أن مجموعات " أبانيورا " قد تركوا قبور تدل عليهم إلا أنه لا يمكننا التعرف عليها، فالقبور التي تتواجد في المواقع التي وجدت فيها مشاهدهم الفنية هي التي تشبه فتحة القفل، قد نسبها الباحث "إيف فوتي" إلى مجموعات "إهرن"، رغم أن الإطار الزمني لها يقع ضمن الفترة نفسها التي شغلتها البقريات الوسطى ⁽¹⁴⁹⁵⁾.

⁽¹⁴⁹²⁾ Alfred Muzzolini ., 1995 , P 78

⁽¹⁴⁹³⁾ Henri Lhote ., 1973, Op.Cit.P30

⁽¹⁴⁹⁴⁾ A Richard. Sturm, Neil F. Box, and Michele Ramsay., 1998, Human pigmentation genetics: the difference is only skin deep , BioEssays 20. 9, pp712-721

⁽¹⁴⁹⁵⁾ Yves & Christine Gauthier., 2006, op.cit, pp95-96

وإذا علمنا أن البقايا البشرية الموجودة في الصحراء في معظمها لا تتجاوز النيوليتي من الناحية الزمنية، فهذا يعني أن مجموعات أبانيورا لا يمكن أن يكونوا من بقايا القفصين أو المشتاوين رغم أن هؤلاء يحملون بعض الصفات الزنجية، ومن الناحية الأنثروبولوجية من الصعب التعرف على مجموعات "أبانيورا" وتحديد الجنس الذي ينتمون إليه، فهم جنس مختلط لوجود مجموعات بيضاء وسوداء بينهم (1496) .

وقد شبههم الكثير من الباحثين بالفولاني لما لهم من زينات جسدية، ويعد هنري لوت والقس "هنري بروي" (L'abbé breuil) هم أول من ذكروا صلة الفولاني بالفن الصخري ، ولاحقا أكد كل " أمادو حامباتي با" (Hambaté Bâ) و"جيروم دياترلان" (g Dieterlen) وجود تشابه كبير بين طقوس ومعتقدات الفولاني اليوم مع معتقدات رعاة الأبقار في الصحراء (1497) ، كما أن فرضية وجود جنس شبيه بالفولاني في الفن الصخري البقري تحظى بدعم الكثير من الباحثين ومنهم "هنري لوهيرو" الذي قال بأن مرحلتي الصيادين والبقريات كانت تتميز بوجود شعوب "خوسية" تشبه الفولاني والرعاة من شرق إفريقيا (1498) .

وهناك من افترض أن الفولاني تنتهي أصولهم البعيدة إلى شعوب مرحلة البقريات، ويعتقد هؤلاء أن هذا الشعب الذي يعيش في غرب إفريقيا هو من أصل متوسطي وقد عاش ردحا من الزمن في منطقة البحيرات في شرق إفريقيا ثم انتقل إلى الصحراء الوسطى، وأن مجموعات منهم استمرت في التقدم جنوبا لتصل إلى الحافة الجنوبية لإفريقيا في منطقة "براندبورغ" (brandberg) و"أرنغو" (erango) حيث يوجد الفن الصخري الذي يمثلهم، وأن قبائل "البانتو" و "البوشمن" من نسل هؤلاء وقد أطلق " فابريزيو موري" عليهم اسم مجموعات " تين لالان" وهم رعاة ذوو قامة طويلة (1499) .

وقد قام الكثير من الباحثين بدراسات أنثروبولوجية على هذا الشعب وذكر بعضهم أنهم ينحدرون من الطاسيلي، وهم يستدلون على ذلك بالمشاهد التي تظهر أشخاصاً لهم

(1496) Henri Lhote ., 1973, Op.Cit.P30

(1497) ينظر مشهد السيدة الزنجية ذات الصدر المزين في ان أونغهايات : P 88fig34 Henri Lhote., 1973, Op.Cit. P 88fig34 : P 88fig34 Henri Lhote., 1973, Op.Cit. P 88fig34 : P 88fig34
Girrome Dieterlen & A Hampaté Bâ., 1966, op.cit, pp141-157, Henri Lhote.,1973,Op.cit. P76 Fig 30

(1498) Henry N. Le Hou'ero., 1997, op.cit, p636

(1499) Raymond Lantier., 1969, La Vie Préhistorique D'après Les Peintures Rupestre Africaines Et Espagnoles»,C.R.A.I, Vol: 113. N° 3. P396

خصائص فيزيولوجية مشابهة لهم، وكذلك بعض المشاهد التي تُظهر أساطير مجسدة في رسوم الطاسيلي مشابهة لأساطيرهم ، فهذا الشعب رغم أنه دخل في الإسلام إلا أنه لا يزال يحتفظ برصيد أسطوري⁽¹⁵⁰⁰⁾ كبير مليء بالحيوانات المقدسة والكائنات الخرافية⁽¹⁵⁰¹⁾، وقد ذكر هنري لوت أن الفولاني هم الذين وصفهم بلين الأكبر وبطليموس بأنهم "الأثيوبيين البيض"، وكان الرحالة الألماني هنري بارث قد ادعى أن "الفولاني" كانوا موجودين في شمال إفريقيا قبل مجيء "البربر" إليها في 3000 ق.م⁽¹⁵⁰²⁾ .

ومن جهة ثانية تحدث "ديودور الصقلي" عن قائد عسكري تابع "لأغاوغليكس"⁽¹⁵⁰³⁾ قد هزم شعبا بشرته مماثلة للأثيوبيين في شمال إفريقيا⁽¹⁵⁰⁴⁾، أما بطليموس فذكر "الجيتوليون السود" و "الأثيوبيين البيض"⁽¹⁵⁰⁵⁾، وقد وصف بطليموس "الجرامنت" الذين كانوا يسكنون الصحراء أنهم سودّ نوعاً ما أو أنهم شديدي السواد⁽¹⁵⁰⁶⁾، وأنهم على الأرجح أثيوبيون⁽¹⁵⁰⁷⁾، مع العلم أن كلمة الإثيوبيين تعني أصحاب الوجوه المحترقة .

ومن جهة أخرى يرى بعض الباحثين أن "الحراطين" (haratines) الموجودين اليوم في الواحات الصحراوية هم من بقايا مجموعات "أبانيورا" رغم أنه لا يمكن إقامة الدليل عليها ، ووفق لما يذكر قزال (Gsell) فإن هؤلاء "الحراطين" يحملون بعض الصفات البربرية لكنهم يحملون صفات زنجية أكثر، ويحتمل أنهم من العبيد الذين جلبوا من السودان، وهم يتميزون بالقامة المتوسطة، والجبهة الطويلة والضيقة ونهاية الجبهة مائلة إلى الوراء، قوس الحاجب

⁽¹⁵⁰⁰⁾ أنظر في هذا الصدد مشاهد منطقة "وان درباون" حيث يحاول الرعاة إدخال الأبقار ضمن بوابة هي في الواقع أفعى ، ويسمى الفولاني الأفعى باسم "تيانابا" وتمثل أسطورة الآلهة الحامية للقطيع ، حول مختلف أساطير الفولاني، ينظر : Girrome Dieterlen & A Hampaté Bâ., 1966, op.cit. p279-284.

⁽¹⁵⁰¹⁾ Malika Hachid ., 1998, op.cit . p349

⁽¹⁵⁰²⁾ Henri. Lhote.,1959, L'extraordinaire aventure des Peuls ،Présence Africaine, Oct.-Nov, 1959, p53

⁽¹⁵⁰³⁾ أغاثوغليكس Agathocles هو ملك سراكوز ب صقلية ولد سنة 361 ق.م وتوفي سنة 289 ق.م خاض حربا ضد قرطاجة للسيطرة على صقلية وهزم المدن الخاضعة للقرطاجيين في الجزيرة ، ثم نقل الحرب إلى إفريقية وإستطاع الانتصار على القرطاجيين في بعض المعارك لكنه تعرض للهزيمة فيما بعد، ينظرالموسوعة البريطانية على الرابط التالي : <http://www.britannica.com/biography/Agathocles> تاريخ الزيارة : يوم 27-08-1973 ، التوقيت : 23:12

⁽¹⁵⁰⁴⁾ Diodore de cicile XX.57.5

⁽¹⁵⁰⁵⁾ Ptolémée 1.6.5.p745.742

⁽¹⁵⁰⁶⁾ Ptolémée 1.9.7, p25

⁽¹⁵⁰⁷⁾ Ptolémée 1.8.5 p31

بارز، والفم كبير، أما الأنف فهو قصير ومعكوف لكنه ليس أفطس مع أن مناخر الأنف عميقة، والكتفان عريضان أما لون البشرة فهو داكن والعيون سوداء والشعر ليس مجعد (1508).

وينتشر اسم الحراطين في منطقة واسعة من شمال إفريقيا في معظم الواحات الصحراوية من "وادي ميزات" وتمنراست إلى "غات" وفزان وواحات أدرار و"بشار" و "تيميمون" و ورقلة...، ويقصد بهم ذوو البشرة السوداء أو الزنجية، بينما في بعض المناطق كأدرار ووادي سوف يطلق هذا الاسم على عائلات بعينها وليس كل السود، فهم يعتقدون أنهم كانوا من العبيد في الماضي، لذلك فإنه من المرجح أن الكلمة لا تعني الزوج أو السود بقدر ما تعني العبيد فقط، ومن جهة ثانية يقال " حرطاني " للشخص الموغل في الشر أو الذي يحقد على الآخرين .

3- المجموعات البيضاء:

إذا كانت نسبة كبيرة من المشاهد في مرحلة البقرات الوسطى تعود للزوج فإن الجنس الأبيض كان موجودا أيضا ولكن بنسبة أقل، ونحن نعتقد أن بعض من المجموعات التي تركت النقوش الصخرية في وادي جرات وفي الهوفا و تادارارت الجنوبية قد تكون من الجنس الأبيض، بينما المجموعات التي نفذت الرسوم الصخرية في الطاسيلي هي من الزوج أو من السود لكن توجد بينها نسبة قليلة منها للجنس الأبيض، وذلك نظرا لتشابه الموضوعات بينها وبين مرحلة الجاموس العتيق التي تعود للجنس الأبيض .

مع العلم أن الجنس الأبيض الموجود في مشاهد الرسوم الصخرية ينتمي بلا شك إلى بلاد المغرب، وهم الذين أطلق عليهم "فابريزيو موري" اسم مجموعات "وان أميل" ، مع العلم أنهم أقرب ما يكونوا إلى القبائل الليبية التي جاء وصفها في المصادر الكلاسيكية خاصة ما ذكرها هيرودوت، كما يشبهون صور الليبيين في المعابد المصرية، وجميعهم من أوائل البربر.

(1508) Stéphane Gsell ., 1912 , op.cit, P294

أما سبب وجودهم في الصحراء فيعود إلى التغيرات المناخية التي سهلت الاتصال بين الشمال والجنوب ففي مرحلة البقريات الوسطى تراجع الغطاء الغابي في الأطلس الصحراوي مما سمح بانتقال السكان نحو الصحراء التي كان فيها المناخ أفضل من المناطق الشمالية التي كانت باردة، كما يمكن أن تكون هجرة المجموعات البيضاء من الشمال إلى الجنوب تمت بضغط من مجموعات أخرى في المنطقة، فالمنطقة الليبية الواقعة غرب مصر قريبة جدا من الطاسيلي وكانت تشتد فيها الصراعات بين القبائل المختلفة فيما بينها من جهة وبينها وبين مصر.

ويقودنا ذلك إلى الحديث عن أوائل البربر فقد شهدت هذه الفترة ظهور أوائل البربر في شمال إفريقيا ثم انتقلهم إلى الصحراء، ومن الممكن أن هؤلاء قد قدموا أولا من الشرق، ثم اتجه جزء منهم إلى المناطق الصحراوية باعتبارها قريبة منهم، وجزء منهم عبر إلى شمال إفريقيا، التي كانت تسكنها مجموعات من بقايا القفصيين والايبرومغربيون".

ولسنا هنا بصدد الخوض في أصول أوائل الليبيون - البربر ولكن ظهورهم المفاجئ في الصحراء، يدعونا إلى طرح تساؤلات حول الفترة التي انتقلوا فيها إلى الصحراء ومن أين جاءوا؟ خاصة وأنهم لم يكونوا موجودين في المراحل السابقة، فلم تظهر صورهم في مرحلة الجاموس العتيق ولا في مرحلة الرؤوس المستديرة أو البقريات القديمة، لكن الشواهد الأثرية أكدت على وجود جنس أبيض وأسود في فترة متزامنة⁽¹⁵⁰⁹⁾، وربما كان ذلك في البقريات الوسطى والحديثة.

وإذا افترضنا جدلا أن الفن في الأطلس الصحراوي هو لأوائل البربر فلا شك أن هؤلاء هم أنفسهم القفصيون وفق ما يذكر "ليونال بالو"⁽¹⁵¹⁰⁾، وكذلك الأمر بالنسبة لنقوش الجنوب القسنطيني ومنطقة القبائل⁽¹⁵¹¹⁾، مع العلم أن الحضارة القفصية انتشرت بقوة في مناطق الأطلس الصحراوي، فقد شوهدت في أولاد جلال والهامل والأغواط⁽¹⁵¹²⁾، والملفت للانتباه أن القفصية في عين الناقة بالأغواط أقدم من الشمال فهي تعود إلى حوالي 7650 ق.م بينما

⁽¹⁵⁰⁹⁾ Yves & Christine Gauthier., 2006, op.cit, p80

⁽¹⁵¹⁰⁾ Lional Balout., 1955, op.cit, p437

⁽¹⁵¹¹⁾ Raphaël Poyto ، Jean-Claude Musso ..,1969 ، Corpus des peintures et gravures rupestres de Grande Kabylie ، Arts et métiers graphiques ، paris ، 126 p

⁽¹⁵¹²⁾ Jean Despois.,1957, op.cit, pp458-459

تعود القفصية في موقع "المجاز" في سطيف وموقع مشتى العربي بشلغوم العيد إلى 6910 و 6600 ق.م على التوالي⁽¹⁵¹³⁾، وربما القفصيون أيضا جاءوا من الجنوب ولعلمهم من بقايا العاترية.

ورغم أنه يوجد بعض التشابه بين التراث البربري والحضارة القفصية، إلا أنه لا يمكن الجزم أن أوائل البربر هم من القفصيين أو حتى من الايبرومغربيين، فربما هم من جنس آخر قدم الشرق عبر مصر ثم الصحراء الليبية وصولا إلى الطاسيلي حيث المسافة قصيرة جداً، وهناك ظهرت صورهم في الفن الصخري كمحاربين، أما اتجاههم إلى الشمال فكان في نفس الفترة أو في فترة لاحقة .

ونذكر في هذا الاطار أن " فابريزيو موري" يرى أن مجموعات " وان أميل" هي من أصول شرقية⁽¹⁵¹⁴⁾، ويساند موزيليني فرضية الأصول الشرقية لمجموعات وان أميل ومجموعات إهرن تاهيلاهي⁽¹⁵¹⁵⁾، ومن المرجح بالنسبة لنا أيضا أن مجموعات "وان اميل" قدموا من الشرق.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بوجود جنس أبيض في البقريات الوسطى خاصة في نهاية هذه المرحلة، مع العلم أن الجنس الأبيض قد امتد جنوبا فقد وجدت قبورهم في النيجر أيضا في فترة متأخرة ربما تكون متزامنة مع مرحلة الحصان فمشاهد الحصان والعربات تمتد إلى النيجر وهي تصل تقريبا إلى نفس النطاق الذي يصله الطوارق اليوم.

وبغض النظر عن أصول تلك المجموعات البيضاء فإن الاسلوب الفني يدل على أنهم جنس جديد قدم إلى المنطقة وطبعها بطابعه وحضارته، والملاحظ أن وجودهم كان متأخر في مرحلة البقريات الوسطى، وقد شمل بعض المناطق فقط من الطاسيلي والهوفار فقد عاشت إلى جانبهم مجموعات من السود والزنج، لكن وجودهم في هذه المنطقة يمثل بداية زوال حضارة الزنوج في الطاسيلي والهوفار، فسرعان ما تتمكن مجموعات أخرى من الانتشار في الطاسيلي خلال مرحلة البقريات الحديثة، ثم بقدم راكبوا الخيول يتم الإجهاز على بقايا الزنوج في الطاسيلي.

⁽¹⁵¹³⁾ Gabriel. Camps.,1974, op.cit.p 157

⁽¹⁵¹⁴⁾ Fabrizio . Mori., 1965, op.cit, P129, Fig 95,85-87

⁽¹⁵¹⁵⁾ Alfred Muzzolini., 1995, Op.Cit. P 78

ب- أصول مجموعات البقریات الوسطی :

وإن كنا نعرف بعض المعلومات عن الأصول البعيدة لسكان الطاسيلي الذين كانوا إما مشتايون أو قفصيون أو من الزوج كما نعرف أصول بعض المجموعات البيضاء التي قدمت إلى الصحراء من أوائل البربر سواءً من مجموعات وان أميل أو مجموعات إهرن تاهيلاهي، لكن المعلومات قد تكون مشوشة بعض الشيء فيما يخص الزوج، إذ يسود اعتقاد أنهم قدموا من مكان ما خارج الصحراء (1516) .

ومن بين الآراء المتداولة حول أصولهم هي أنهم جاءوا من الشرق الأدنى بين 5000 ق.م و 1000 ق.م (1517)، غير أن أقرب الاحتمالات من وجهة نظرنا هي كونهم من أصول نيلية صحراوية وهذا ما أكدته معظم الباحثين، فملیكة حشید تقول أنه مع بداية الألف الخامسة قبل الميلاد وربما أقدم من ذلك جاءت مجموعات من الرعاة بقطعانهم من الشرق وتقصد هنا نواحي "الخرطوم" و"الشهانب" في السودان حاليا (1518)، وقد وجدنا الرأي نفسه تقريبا لدى كل من ماري كلود شاملة وهنري هوجو (1519)، بالإضافة إلى "فرانسوا سولاهافوب" الذي يضيف أن هؤلاء النيليون الصحراويون هم الذين أدخلوا تدجين الأبقار إلى المنطقة (1520).

وهناك من الباحثين من حدد خط سير تلك المجموعات النيلية من خلال بقاياهم العظمية والحضارية، فقد انطلقوا من جنوب وادي النيل عبر مسار البحيرات الصحراوية نحو وادي هوار ثم بحيرة تشاد ثم الصحراء الوسطى (1521)، وقد استغل هؤلاء الزوج المناخ الجيد للقدوم إلى الطاسيلي والهوقار، حيث أن المنطقة خلال الألف الخامسة والرابعة قبل

(1516) يذكر الباحثون أنه بين الألف العاشرة والألف الخامسة قبل الحاضر كانت بلاد المغرب مسرحا لهجرة واسعة قامت خلالها شعوب صحراوية بالوصول إلى البحر المتوسط وامتدت على طول الساحل وانتقلت عبر خليج قابس نحو أوروبا عبر صقلية ونحو إسبانيا عبر جبل طارق ومع بداية النيوليتي في الألف الخامسة أصبحت الهجرة أكثر تعقيدا ، والكثير من الباحثين الإسبان يعتقدون أن النيوليتي في إسبانيا يعود إلى أصول إفريقية ويمكن أن تصل تأثيراته إلى فرنسا، ينظر: R. P. Charles. le problème des Negri des européens dans la préhistoire méditerranéenne , pp29-31

(1517) Smail Chadli ., 2009, Afrique du Nord: Anthropologie Génétique et Histoire du peuplement Humain. Antropo, 20, p43.

(1518) Malika Hachid ., 2000, Op.Cit.P77.

(1519) Henri. G. Hugot ., 1974, Op.Cit.P144, M. C Chamla.,1968, Les Populations ...,p189.

(1520) Philippe Masy et F Soleilhavoup ., 2001, op.cit. fig 13-14.

(1521) M. Charon ،Hugot H ، N Petit-Maire., op.cit, pp152 -153

الميلاد كانت ملائمة جدا للاستقرار البشري، وقد اعتبر الباحث "روبار فارني" rebert vernet انه خلال هذه الفترة حدث انفجار سكاني كبير في الصحراء⁽¹⁵²²⁾.

وبالإضافة إلى الزنوج فإن المجموعات ذات البشرة النحاسية الذين تشبه الفولاني قد قدموا إلى الطاسيلي من الشرق مرورا بجبال التيبستي حيث لا تزال بقاياهم وأعمالهم الفنية هناك وهي مشابهة لتلك الموجود في الطاسيلي، وحسب هنري لوت فإن تاريخ قدوم هؤلاء الرعاة إلى الطاسيلي كان في حوالي 4000 ق.م، علما بأن بعض من بقاياهم في الطاسيلي قد أرخت بواسطة الكربون 14 ب 3500 ق.م، وحسب هذا الباحث فإن هؤلاء لم يتوغلوا في منطقة "الايينيدي" بل انتقلوا مباشرة إلى الصحراء الوسطى⁽¹⁵²³⁾.

وبشكل عام يمكن القول أن معظم مجموعات الزنوج أو ذوي البشرة النحاسية من أصول نيلية - صحراوية وقد كانوا يعيشون في الصحراء قبل قدوم البربر إليها⁽¹⁵²⁴⁾، أما أسباب هذه الهجرات فبالدرجة الأولى المناخ ربما بسبب ضغط مجموعات أخرى، كما يمكن أن يؤدي توسع الغابات الاستوائية في وسط إفريقيا أو كثرة المستنقعات إلى هجرة الناس بحثا عن المناطق الجافة والمفتوحة⁽¹⁵²⁵⁾، والمعلوم أن البيئة الرطبة الموجودة في الصحراء الجنوبية ومنطقة الساحل كانت أيضا لا تسمح بالحياة الرعوية، لذلك هاجرت مختلف المجموعات التي كانت هناك نحو الصحراء الوسطى. (الخريطة 08)

وخلال الدراسة التي قامت بها ماري كلود شاملة حول القبور التي تعود للنيلوليتي الصحراوي، أكدت فيها أن الزنوج كانوا يمثلون 25٪ من السكان، أما الجنس الأبيض الذي يحمل بعض الصفات الزنجية (جنس مختلط) فيمثل 33٪، بينما تبلغ نسبة الجنس المتوسطي 42٪، وكانت إحصائيات أخرى للأنتروبولوجي الإيطالي "سارجي" Sergi حول القبور في

⁽¹⁵²²⁾ Jean -Loic Le Quellec ., 1999, répartition de la grande faune sauvage dans de l’afrique durant l’holocène, l’anthropologie (paris), tome 103,1999,n°1, p 164

⁽¹⁵²³⁾ Henri .Lhote., 1966, Les peintures pariétales de l’Ennedi relevées par Gérard Bailloud dans le cadre du Sahara .In :Bulletin de la Société préhistorique française .Comptes rendus des séances mensuelles ,1966 .tome ,63 N 1 .p38

⁽¹⁵²⁴⁾ Nick A. Drake. , 2011, op.cit, p460

⁽¹⁵²⁵⁾ Víctor M. Fernández., 2003, op.cit , P410

فزان وخاصة في وادي الآجال قرب "جرمة" عاصمة الجرامنت⁽¹⁵²⁶⁾ قد أعطت نتائج مماثلة رغم تباعد الفترة الزمنية، حيث بلغت البقايا التي تعود إلى جنس البحر المتوسط حوالي 46 %، وتلك التي تعود للزنج تبلغ 26.6 %، أما البقايا التي تعود إلى البيض الذين يحملون بعض الصفات الزنجية فتبلغ نسبها 26.6 % (1527).

والملاحظ أن هذه الإحصائيات تدل على وجود ثلاثة أجناس وهم الزوج وهم السكان القدامى الذين كانوا يعيشون في المنطقة منذ مرحلة البقريات القديمة، وقدمت مجموعات جديدة منهم إلى المنطقة من وادي النيل، أما المجموعة الثانية فهم من البيض المعروفين باسم وان أميل كما يوجد جنس آخر هو من الملونين أو المختلطين وهم الذين نطلق عليهم اسم أشباه الفولاني أو جماعات أبانيورا . (اللوحة 03، 05)

ج- مصير شعوب البقريات الوسطى :

لقد كان للتغيرات المناخية التي طرأت على الصحراء تأثيرات واضحة على النشاط البشري، وقد تجاوب الناس مع تقلبات المناخ وكانت النتيجة هي انتشار تربية الأغنام والماعز إلى جانب الأبقار، لكن الحياة أصبحت صعبة في الصحراء فقد تناقصت الموارد وقلت المراعي، واشتد الصراع بين القبائل حول المراعي، وهاجر الناس إلى الجنوب والشرق حيث الظروف أفضل .

وفي ذلك الوقت كانت منطقة الساحل تتمتع بظروف مناخية جيدة، وحدث فيها ازدهاراً ملحوظ في تلك الفترة التي شهدت نهاية مرحلة البقريات الوسطى، فقد أظهرت الدراسات

⁽¹⁵²⁶⁾ الجرامنت هي مجموعة من القبائل ذات الأصول البربرية عاشت في الفترة القرطاجية والرومانية وربما أقدم من ذلك قليلاً وقد عُرف عنهم أنهم كانوا يستخدمون الخيول ، ويعد وجودهم في المناطق متزامناً تقريباً مع نهاية مرحلة البقريات ، وتدهور الصحراء مناخياً ، وقد جاء ذكرهم في المصادر الكلاسيكية ، ومنها نصوص هيرودوت الذي كان معاصراً لهم ، وكانت لهم علاقات تجارية مع القرطاجيين والرومان، أما عن ملامحهم الفيزيولوجية ، فربما كانوا يميلون إلى السواد ، إذ يعتقد كل من هنري دوفري duveyrier وفزال gsell و فيليكس قوتي E F Gauthier أن الجرامنت كانوا من الزوج، ينظر :

Henri Lhote., 1970 , Le Peuplement Du Sahara Néolithique D'après L'interprétation Des Gravures Et Des Peintures Rupestres , J.S.A, Vol: 40.n°2, p 92

⁽¹⁵²⁷⁾ Gabriel Camps ., 2002, Les Garamantes, conducteurs de chars et bâtisseurs dans le Fezzan antique , juin 2002.

متوفر عبر الرابط:

http://www.clio.fr/BIBLIOTHEQUE/les_garamantes_conducteurs_de_chars_et_batisseurs_dans_le_fezzan_antique.asp

حول البحيرة الأحفورية في " غوبرو " (Gobero) ⁽¹⁵²⁸⁾ شمال النيجر أن هذه المنطقة كانت تزدهر في كل مرة يصيب الصحراء الوسطى الجفاف، وحدث ذلك أولا في "البلايستوسين النهائي" أثناء الجفاف "العائري" الذي ضرب الصحراء، وفي الهلوسان المبكر بين 9500 و8200 قبل الحاضر بفضل وجود الصيادين وصيادو الأسماك الأوائل، كما ازدهرت ثانية فيما بين 6800 و450 قبل الحاضر بفضل وجود الرعاة الصحراويين. ⁽¹⁵²⁹⁾

ونحن لا نستبعد أن الرعاة قد اتجهوا إلى منطقة الساحل التي اتجهت إليها أيضا الحيوانات البرية التي لم تعد قادرة على الصمود في ضل الجفاف الذي قضى على الكلاً والماء، ولعل اتجاه الرعاة في نهاية البقريات الوسطى إلى منطقة الساحل هو ما يفسر وجود كثافة بشرية كبيرة في تلك المواقع في تلك الفترة. (الخريطة 08)

ومن المرجح أن الرعاة قد انتقلوا أيضا إلى الشرق نحو وادي النيل فقد نشأت في تلك الفترة حضارة مصر القديمة، فالجفاف الذي مس المناطق الصحراوية شرق وغرب وادي النيل قد جعل الناس يتجهون إلى مجرى الوادي وهناك استقر السكان بكثافة مما أدى اكتمال شروط قيام الحضارة في مصر ⁽¹⁵³⁰⁾، ولا نستبعد أن بعض المصريين قد يكونوا من أصول صحراوية فقد عثر الباحثون على دلائل على ثقافة مشتركة بين وادي النيل والصحراء، تمثلت خصوصا في عبادة الأبقار وفي الآلهة ذات المظهر الحيواني ⁽¹⁵³¹⁾.

⁽¹⁵²⁸⁾ للتعرف على البقايا الاثرية في هذه البحيرة الأحفورية، ينظر:

C . Giraudi., 2013. Late Upper Pleistocene and Holocene Stratigraphy of the Palaeolakes in the Gobero Basin .In: E.A.A. Garcea (Ed) Gobero: The No-Return Frontier .Archaeology and Landscape at the Saharo-Sahelian Borderland, Journal of African Archaeology Monograph Series 9. Africa Magna Verlag, Frankfurt, pp. 67-80

⁽¹⁵²⁹⁾ Christopher M. Stojanowski ،Charisse L. Carver ., 2011, op.cit, p90

⁽¹⁵³⁰⁾ يعرف "حسين مؤنس" الحضارة على أنها ثمرة كل جهد بشري للوصول لتحسين ظروف حياته وسواء كان ذلك الجهد مقصودا أو غير مقصود أو كانت الثمرة مادية أو معنوية، أما شروط قيام الحضارة فيوجد على رأسها البيئة المناسبة لكن البيئة ليست هي العامل الأساسي، كما أن الحضارة ليست حكرا على جنس معين فالإنسان أينما توفرت له الظروف المواتية من مناخ كالحرارة والأمطار، وتوفر قدر معين من الأمان، وكان الموقع الجغرافي يسمح بالتبادل الحضاري فإن الانسان سيرتقي بنفسه لا محالة ، ينظر : حسين مؤنس، 1998، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، ط2 ، عالم المعرفة ، ص 35-45

⁽¹⁵³¹⁾ للمزيد من التفاصيل ينظر مبحث الصلات الحضارية بين الصحراء الوسطى ووادي النيل، ص560

وإلى جانب مصر اتجهت مجموعات من الجنس الأبيض شمالا نحو بلاد المغرب، التي كانت الظروف المناخية فيها افضل حالا، ولا شك أن الرعاة كانوا يتبعون مصادر الكلاً والماء في تنقلاتهم، علما بأنه قد ظهرت في ذلك الوقت قبائل ترتحل عبر مسافات كبيرة وهم الذين نطلق عليهم " الرحالة الكبار" ⁽¹⁵³²⁾، والسبب في ظهور هذا النمط من الترحال هو تباعد المناطق الصالحة للرعي في ذلك الوقت بسبب الجفاف حيث أنه يتعين على الرعاة تجنب المناطق التي تشغلها العروق الرملية اليوم لأن هذه المناطق كانت شديدة الجفاف ، وقد لاحظنا في المشاهد العديد من الصور التي تعبر عن حياة الترحال التي كانت سائدة ، فالأبقار كانت تحمل المعدات والأدوات التي يستعملها الرعاة في التخيم .

ومن المفترض أن بلاد المغرب قد عرفت الحياة الرعوية في نفس الفترة التي عرفت فيها الصحراء، وهذا ما أظهرته التواريخ المستخرجة من بقايا الأبقار والأغنام في موقع كهف "الكابليتي" في الأوراس ⁽¹⁵³³⁾، ولكن بلاد المغرب لم تتعرض لتغيرات مناخية كبرى مقارنة بالصحراء ، لذلك فإن الحياة الرعوية ظلت متأصلة فيها إلى غاية القرون الأولى للميلاد .

ومن جهة ثانية كان الرعاة ينتقلون بمواشيهم بين الشمال والجنوب حسب المواسم، وهذا الأمر استمر إلى فترة العصور القديمة، فقد ذكر هيرودوت أن "النسامون" وهي قبيلة ليبية كانت تسكن في الجنوب كان أفرادها يتركون قطعانهم قرب الساحل في الصيف ويذهبون إلى "أوجلة" في الجنوب ليجمعوا التمر من أشجار النخيل ⁽¹⁵³⁴⁾، وإذا كانت المجموعات البيضاء ترتحل بين الشمال والجنوب فإن السود والزنج يفضلون الاتجاه جنوبا نحو الأراضي الرطبة في منطقة الساحل والتي لأهلها نفس الملامح الفيزيولوجية والثقافية.

⁽¹⁵³²⁾ وفقاً لما يذكر أن خلدون فإن هناك البدو الرحل ذوي الترحال الواسع وذوي الترحال المحدود ، وهناك البدو المستقرين

جزئياً، وهناك رعاة الابل ورعاة البقر ورعاة الغنم ، وقد يكون هناك خلط بين البقر والغنم ، وقد وصفهم بأنهم : « هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام، وأنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كمالي ، يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير منجدة، إنما هو قصد الاستضلال والكن لا ما وراءه، وقد يأوون إلى الغيران والكهوف »، ينظر: ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، شحادة خليل، مراجعة زكار سهيل، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص57، 58

⁽¹⁵³³⁾ حول هذا الموضوع ينظر مبحث النيوليتي ذو التقاليد القصصية، ص158

⁽¹⁵³⁴⁾ Hérodote., IV, 172

رابعاً : البقریات الوسطی فی الهوقار :

تتمیز النقوش فی الهوقار بانها متناثرة فی مختلف المناطق فلا نجد النقوش بكثافة كما هو الأمر فی وادی جرات كما لا نجد إلا نسبة قليلة من الرسوم، والسبب فی ذلك ربما يعود إلى قلة الملاجئ الصخرية نظراً لطبيعة الصخور البركانية .

بالإضافة إلى أن معظم النقوش والرسوم هناك حديثة فهي تعود فی معظمها إلى البقریات الحديثة، ومنها ما يعود منها إلى البقریات الوسطی وهذه الأخيرة نجدها خاصة فی التفادست، أما من حیث تقنية الإنجاز فمعظم النقوش أنجزت وفق تقنية الحز العمیق، كما وجدت نقوش أنجزت بالحز الخفیف فی "مرتوتك" وفی "تین أنسیس" وفی "أغرغار"، كما تحتل مشاهد الحيوانات النسبة الأكبر فی معظم المناطق، ما عدا فی منطقة "أدرار أهناات" فی الشمال التي تتواجد فیها نسبة كبيرة من المشاهد الإنسانية وتقل فیها صور الحيوانات (1535).

أ - هجرة الرعاة إلى الهوقار :

من المفترض أن الحياة الرعوية لم تتأصل فی الهوقار بصفة متزامنة مع الطاسيلي ، فلا توجد أدلة موثوق بها حول عملية التدجين فیها، فمواقع "أمكني" و "لاوني" لا تتوفر فیهما بقايا الأبقار المستأنسة إلا فی المستويات الوسطی والحديثة ، التي تتزامن مع الألف الرابعة قبل الميلاد أي بشكل متزامن مع البقریات الوسطی فی الطاسيلي، كما أن صور الأبقار فی الفن الصخري بالهوقار حديثة مقارنة بمثيلاتها بالطاسيلي، ولكن يجدر بنا القول أن بعض المناطق من الهوقار قد شهدت استئناس مبكراً للأبقار مثل وادی تین ترابين فی الجنوب ، بينما بقيت المناطق الجبلية ملائمة للصيادين الجامعين أكثر.

ومن المرجح أن انتقال الأبقار المستأنسة إلى الهوقار تم عبر الطاسيلي فأقدم مشاهد الأبقار نجدها فی موقع "أهليلهيج" (ahéléhég) ، وانتقال الرعاة كان باتجاه الغرب عبر "الايغيري" (Egere) و "التورها" (Turha) ثم عبر وادی أغرغار نحو الشرق والجنوب

(1535) قمنا بإحصاء ما يزيد عن 230 شخص فی مواقع أدرار أهناات من الرجال والنساء والأطفال ، والعدد قد يكون أكبر من ذلك ، الملاحظ أن عدد الحيوانات هنا أقل بكثير من المواقع الأخرى ، وهذا يجعل من هذه المنطقة فريدة من نوعها ، مقارنة بمناطق أخرى سواء فی الصحراء الوسطی أو خارجا ، ففي المشهد الواحد نجد ما يقارب 60 شخصا .

وتنتهي في " التفادست" وفي شمال " أغاشوم" حيث تظهر أجمل المشاهد الصخرية ذات الاسلوب المتطور في كل من التفادست وشمال " أغاشوم" ⁽¹⁵³⁶⁾. (اللوحة 49)

كما أن توسع الرعاة غربا لم يقتصر على الهوقار بل تجاوزه إلى مناطق أخرى فقد لاحظ هنري لوت تشابهاً بين مشاهد "مرتوتك" التي اكتشفها "دوشوسالوب" سنة 1935 ومشاهد وادي " تين تلكي" Ti-n- Telki في جهة الجنوب الغربي وجميعها تشبه رسوم الطاسيلي ⁽¹⁵³⁷⁾، مع العلم أنه لا توجد لدينا أدلة كافية حول الطريق الذي سلكه الرعاة بقطعانهم، فمن الممكن أن منطقة "الامادوغ" قد جذبتهم إليها بسبب استواء سطحها وتوفر المروج بها ⁽¹⁵³⁸⁾.

ومن المستبعد أنهم انتقلوا عبر الجبال ذات المسالك الصعبة والتي لا تتوفر على المراعي، وربما كانت أكثر وعورة مما هي عليه اليوم فقد كانت مغطاة بالغابات والأحراش لذلك فمن المستبعد أن الرعاة انتقلوا عبرها ⁽¹⁵³⁹⁾، والمشكلة هنا تكمن في عدم وجود أدلة عن الاستئناس حتى في المناطق المستوية من الهوقار كمشاهد الفن الصخري أو البقايا العظمية نظرا لعدم وجود الملاجئ الصخرية فيها، ولكن من الممكن أن هؤلاء الأقوام قد عرفوا بتدجين الحيوانات ولكن على نطاق ضيق.

ومهما يكن الأمر فإن الرعاة قد قدموا في النيوليتي إلى الهوقار وظهرت هناك ثقافة لرعاة الأبقار في المنطقة عرفت باسم ثقافة "بقریات تفادست"، حيث استقر الرعاة بقطعانهم في مناطق مثل " التفادست" ليزاحموا مجموعات الصيادين، وهذا ما يفسر التأخر الزمني للنقوش الصخرية في الهوقار، ويكون هؤلاء الرعاة قد قدموا إلى تلك المناطق مدفوعين من تدهور المناخ، فلم يكن الرعاة ليفضلوا المناطق الجبلية عن المناطق المستوية لولا أنهم اضطروا إلى ذلك بسبب قلة المراعي، فمن المفترض أن المراعي الواسعة في الطاسيلي قد تعرضت للاستنزاف بفعل الرعي المكثف وقلة الأمطار.

⁽¹⁵³⁶⁾ Franz Trost., 1998, op.cit. P27 -28

⁽¹⁵³⁷⁾ Henri lhote ., 1966, Données récentes ,... p281

⁽¹⁵³⁸⁾ Franz Trost ., 1998, op.cit, P28

⁽¹⁵³⁹⁾ يرجى العودة إلى موضوع البيئة القديمة في الطاسيلي والهوقار

وقد لاحظنا أن هجرة رعاة الأبقار من الطاسيلي إلى الهوقار تزايدت أكثر في البقريات الحديثة، ففي الهوقار الأوسط خاصة في "أغاشوم" توجد العديد من محطات النقوش التي تنتمي للبقريات الحديثة والمتأخرة، وقد سميت تلك المظاهر الحضارية المتطورة بما فيها النقوش الصخرية من طرف "جون ماتر" (J.-P. Maitre) باسم ثقافة "بقريات إيدليس" (Idélésien) وهذه الأخيرة شكلت نهاية النيوليتي الصحراوي في الهوقار، وقد كان الرعاة مدفوعين بالمناخ الجاف قد تركزوا في جبال الهوقار وهضابه التي كانت مثل بعض المناطق المرتفعة من الطاسيلي لا تزال تحتفظ برطوبتها⁽¹⁵⁴⁰⁾.

وربما تعود أسباب هجرة الرعاة إلى الهوقار إلى الحروب و الصراعات التي كانت تتم بين القبائل، فانتقلت مجموعات من الرعاة بعيدا وربما فقد وصل بعضهم إلى شمال مالي والنيجر، فقد وجدت تلك المجموعات المهاجرة من الهوقار والطاسيلي في منطقة الساحل بيئة ملائمة لرعى أبقارهم، وهو ما أدى إلى ازدهار تلك المناطق في النيوليتي النهائي عندما كانت حياة الرعاة صعبة في الصحراء الوسطى، ونحن نجد في مشاهد الفن الصخري دلائل واضحة على الهجرات التي قام بها الرعاة من الطاسيلي باتجاه الهوقار (اللوحة 10).

ب - الملامح العامة لثقافة البقريات في الهوقار :

من الصعب علينا ربط مشاهد الفن الصخري بالاطار الحضاري للمنطقة، نظرا لقلة الأبحاث التي تناولت الجانب الحضاري، فعمليات البحث لم تشمل إلا مناطق محدودة من الهوقار والطاسيلي، ولم يتمكن الباحثون من تحديد نوع الحضارات التي مرت بها الصحراء في النيوليتي، ورغم أن المنطقة تتوفر على مواقع حضارية هامة مثل أمكني ، إلا أن الباحثين لم يتمكنوا من تحديد معالم ثقافة "أمكني" أو "لاوني" بشكل دقيق .

ومع ذلك فإن الدراسات التي قام بها ج ب ماتر (J.-P. Maitre) قد مكنت من تحديد المراحل الحضارية التي مرت بها بعض المناطق من الهوقار، فقد قسم الحياة الرعوية إلى ثلاث مراحل هي: بقريات "تفادست"، وبقريات "الايدليس" ، ومرحلة الحصان والعربة، أما المرحلة التي تتزامن مع البقريات الوسطى فهي مرحلة "تفادست" .

⁽¹⁵⁴⁰⁾ Franz Trost ., 1998, op.cit. P28

1- ثقافة البقریات في التفادست :

تعتبر مرحلة البقریات الوسطی واضحة في التفادست فالمشاهد الفنية هناك مشابهة لمشاهد الطاسيلي في صفار وجبارين، إذ تعود إلى هذه المرحلة الرسوم الجميلة في منطقة "مرتوتك" التي تضم رسوماً صخرية مشابهة لأسلوب "أبانيورا الموجود في "صفار" و"جبارين"، وقد حدد ج . ب مائر الاطار الزمني لهذه المرحلة بين 3500 و 2500 ق.م (1541)

وقد ازدهر الفن الصخري في منطقة "التفادست" خاصة فالمنطقة تحتوى على العديد من محطات النقوش والرسوم التي تعود للبقریات الوسطی خاصة في "مرتوتك"، وإلى جانب تلك المنطقة توجد النقوش والرسوم التي تنتمي لحضارة "التفادست" حول "غارة الجنون" (1542) التي تقع شمال "تمنراست" . (الخريطة 06)

وتتركز النقوش في "التفادست" الجنوبية حيث تتواجد في وادي "أهور" (ahor) (القريب من "تين أنسيس" في الجهة الجنوبية الشرقية "للتفادست"، وكذلك في وادي "أهلاس"، بالإضافة إلى محطات النقوش في "وادي أمسار" القريب من قمة جبلية تدعى "البابايا" (Babaya) (1543) ، ووجدت أيضا نقوش صخرية قديمة في "وادي دھين" وفي "وادي إن تاكوفي" وفي "وادي سارس" (1544) .

وفي جنوب " التفادست" توجد مواقع حضارية أخرى تتمثل في محطات "وادي مرتوتك" ووادي "تان تافلتسين"، علما بأن "مرتوتك" تحتوى على محطات رسوم صخرية هي الأقدم والأجمل في كامل الهوقار، وهي تعد أقدم المشاهد في المنطقة على عكس بقية الرسوم والنقوش التي تعود إما إلى البقریات الحديثة أو إلى مرحلتی الحصان أو الجمل، والملفت للانتباه في هذه الرسوم هي كونها تعبر عن المعتقدات السائدة وفي إحدى هذه الرسوم يمكن أن نستدل على عبادة الأسود . (اللوحة 49)

(1541) Gabriel Camps ., 1974, op.cit.p 238

(1542) تعتبر "غارة الجنون" من أشهر المناطق السياحية في الهوقار ، وهي تتمثل في جبال شاهقة الارتفاع وهي مرتبطة لدى الطوارق بالأساطير القديمة ، فهي تحتوى على العديد من محطات الفن الصخري المتناثرة في الأودية المحيطة بها.

(1543) Paul Huard ., 1970, op.cit, P450

(1544) Jean -Pierre. Maitre ., 1968, op.cit , p41

أما في الجهة الشمالية " للتفادست" فنجد محطة للنقوش الصخرية في وادي " أوكسم" الواقع جنوب جبل " أليوم" في الجهة الشمالية الغربية "لإيدليس"، كما نجد بعضاً من المحطات الهامة في وادي "أوحيت" الذي يقع جنوب غرب "غارة الجنون"، وهذه الأخيرة توجد بها محطات للنقوش والرسوم، وهي من أكبر المراكز الثقافية في "التفادست" كما أنها تعتبر مقصدا رئيسيا للسواح⁽¹⁵⁴⁵⁾، أما في المناطق الشرقية من " التفادست" فتوجد بها محطات للنقوش الصخرية في جبال "إن تافركيت" .

وما تتميز به مرحلة " التفادست "الرعوية أنها شهدت اعتناء كبيرا بالأبقار على غرار البقرات الوسطى والحديثة في الطاسيلي، ويتجلى ذلك في كثرة مشاهد الأبقار، وكذلك في العديد من التماثيل التي اكتشفت فيها، ومن بينها تلك التي اكتشفت في "سيلي"⁽¹⁵⁴⁶⁾، وعلى العموم فإن منطقة "التفادست" تعد من أهم المناطق التي تتوفر على مشاهد الفن الصخري في كامل الهوقار وهي غنية بالنقوش والرسوم على حد سواء ⁽¹⁵⁴⁷⁾ .

2- الجماعات البشرية للبقرات الوسطى في الهوقار :

من المفترض أن مجموعات الزنوج كانت موجودة في كامل الصحراء بما في ذلك الهوقار ، أما الجنس الأبيض فلا يمكننا التكهّن بشأنه، وذلك لأن المشاهد القليلة التي تظهر فيها ملامح الأشخاص في الفن الصخري تمثل الزنوج من الجنس الغليظ ومن الجنس الرقيق، ومع ذلك فإن هناك مشاهد قليلة يمكن أن تكون لجنس أبيض، فمظاهريهم وتسريحات شعورهم شبيهة بجماعات وان أميل أو جماعات إهرن- تاهيلاهي ولدى بعضهم ريشات على رؤوسهم مما يدل على أصولهم الليبية⁽¹⁵⁴⁸⁾.

⁽¹⁵⁴⁵⁾ J.-P. Maitre., 1968, op.cit , p42

⁽¹⁵⁴⁶⁾ Jean-Loïc Le Quellec, 2008, À Propos Des Molettes Zoomorphes Du Sahara Central, SAHARA 19, 2008, P44

⁽¹⁵⁴⁷⁾ للمزيد من المعلومات حول منطقة " التفادست " يرجى العودة إلى :

S. Hachi et al., 2007, Art Et Archéologie Dans La Tefedest (Massif Du Hoggar ; Algérie). Actes Du Colloque International De Tamanrasset (4-7 Novembre 2007) «Préhistoire Du Maghreb» (S. Hachi Dir), J.-P Maitre., 1971, Tefedest Centrale. Memoires Du C RAPE, XVII, Paris: Arts et métiers graphiques, 224 p

⁽¹⁵⁴⁸⁾ عُرف عن الليبيين في المصادر القديمة أنهم كانوا يضعون ريش النعام فوق رؤوسهم وهي من مظاهر الزعامة عندهم، فقد ورد في المصادر المصرية أن أحد أمراءهم وهو مري بن أدد فقد ريشته في المعركة ضد قوات " رمسيس الثالث" فنكره قومه ، كما أن صور الليبيين في عهد "حاشبوسوت" بمعبد الدير البحري تظهر أشخاص لهم ريشات فوق

ويمكن القول بشكل عام أن ثقافة البقريات قد شهدت تعدداً إثنياً وثقافياً وقد ترجم ذلك في النقوش والرسوم، مع العلم أن منفذي النقوش مختلفون ثقافياً وإثنياً عن منفذي الرسوم ، ورغم أن الكثير من الباحثين يؤكدون على الطابع الزنجي للكثير من مشاهد مرحلة البقريات في الهوقار أيضاً، إلا أنه لا يمكننا إقامة الدليل على ذلك (1549) .

ونشير هنا إلى الباحث ج.ب ماطر الذي يرى أن الأعمال الفنية في الهوقار قد لا تكون من تنفيذ مجموعات النيو ليتي الصحراوي (1550)، مما يعني أنها لا تمثل الزوج حسب هذا الباحث وهو ما يتعارض مع آراء معظم الباحثين، ومن المرجح بالنسبة لنا أن الزوج كان يشكلون نسبة كبيرة من سكان الصحراء الوسطى سواء في الطاسيلي أو في الهوقار، فطابعهم الفني يبدو واضحاً في الكثير من المشاهد ومنها مشاهد الرقص (1551)، (اللوحة 05، 44) كما أن الملامح الفيزيولوجية للزوج يمكن الاستدلال عليها في الكثير من الرسوم في الطاسيلي. (اللوحة 03)

رؤوسهم ، كما يظهر الرؤساء الليبيون وهم يرتدون ريشات فوق رؤوسهم في عهد سيتي الأول أيضاً، وقد كان الرجال من الرتبة الأعلى يضعون ريشتين بينما ذو الرتبة الأدنى يضعون ريشة واحدة ، ينظر :

O.Bates.,1914, The eastern Libyans, LONDON :Mac Millan And Co Limites , P120, 155 (1549) من بين الدلائل التي يتم الاستدلال بها على الزوج هي البقايا العظمية حيث أن التحليل المخبري للبقايا يمكن أن يحدد إذا ما كانت تلك البقايا للزوج من خلال نسبة الميلانين، بالإضافة إلى ذلك فغن بعض المظاهر الحضارية الأخرى يتم الاعتماد عليها أيضاً كوجود رؤوس السهام ونوع من الفخار ، غير أن أهم ما يمكن أن يدل على الزوج هو الرسوم الصخرية وهي قليلة في الهوقار ، أما النقوش فلا يمكننا بواسطتها التأكيد على أن تلك المجموعات التي كانت تسكن الهوقار كانت من الزوج .

(1550) Franz Trost ., 1998,op.cit. P28

(1551) يتميز الزوج عن غيرهم من الشعوب الأخرى بالرقص الذي هو شائع عندهم فهو ليس فناً للمتعة بقدر ما جزء من مقومات ثقافتهم المنسجمة مع العقيدة الدينية والمعتقدات السحرية وقوى الطبيعة التي يؤمنون بها ، ويختلف الرقص من مجموعة لأخرى فكل قبيلة رقصات خاصة بها مضمونها وشكلها مختلف عن القبائل الأخرى ، وهناك الرقص الذي يشترك فيه الرجال والنساء ، كما أن هناك أنواعاً مختلفة من الرقصات تتبعاً للهدف منها ، فهناك : رقصة الحب، ورقصة التقرب للآلهة، ورقصات للصيد و الحرب، والموت...، تبعاً لثقافة كل قبيلة ، ينظر :

John, Lonsdale., 1996 , Ethnicité, morale et tribalisme politique, Politique africaine, Issue: 61, p112

وقد ذكر " ليوبيلد سنغور " (Léopold Sédar Senghor) وهو من أكبر المفكرين المنظرين لثقافة الزنوج أن الرقص والغناء هو فلسفة خاصة بالزنوج، وأن الفن الإفريقي هو الشيء الوحيد الذي كان في الماضي ولا يزال يعبر عن ثقافة الزنوج الأصيلة (1552) .

ومن هذا المنطلق فإن الكثير من المشاهد تمثل الزنوج كمشاهد السحرة التي تعود إليهم وخاصة تلك التي تتواجد فيها الأقنعة، أما مشاهد الرماة ومشاهد الرعاة وهم في صور الحياة اليومية فهي تمثل جميع الأجناس لأن بعضها يمكن التعرف فيها على الجنس الزنجي والجنس الأبيض .

ومن المفترض أن المجموعات الموجودة في الهوقار لا تختلف كثيرا عن مجموعات الطاسيلي، فالمجموعات التي عاشت في المنطقتين كانت واحدة وإن اختلفت الأساليب فيهما ، ويجب أن نضع في الحسبان أن معظم المشاهد الفنية في الهوقار هي عبارة عن نقوش وهي لا تساعد كثيرا على التعرف على ملامح الأشخاص مقابل رسوم الطاسيلي التي قدمت لنا معلومات كبيرة حول التنوع البشري في تلك الفترة.

وفي المقابل فإن الهوقار اكتشفت فيه نسبة كبيرة من البقايا الإنسانية في تمناست "و" أمكني" أو في مناطق أخرى مثل " تافديت " و "تين فلكي" و "أدرار أمدهال- إنير" وهي كلها للزنوج (1553) ، مع العلم أن أقدم البقايا الإنسانية في الهوقار لا تتجاوز 3500 ق.م باستثناء موقع "تاهيتان" (Tihitane) في " الاميدير" غرب الهوقار الذي أرخته "مليكة حشيد" ب 11 ألف سنة وهو أمر لم يؤكد أحد من الباحثين .

و في الأخير يمكن القول أن الزنوج تواجدوا في الهوقار في "النيوليتي القديم" كما في "النيوليتي الأوسط" و"الحديث" ولكن بنسب متفاوتة ووجدت إلى جانبهم أيضا جماعات من

(1552) Léopold Sédar Senghor ., 1964, Liberté , tome 1, Négritude et humanisme, edition sueil , paris, pp 24, 209

(1553) يقع هذا الموقع على بعد 50 كلم باتجاه الشمال شمال قرية "الابالاسا" بتمناست ، وقد اكتشف فيه الباحث "بوترز" بقايا إنسانية أرخت بين 1600 و 500 ق.م وتم تصنيفها على أنها تعود للزنوج، ينظر :

Formicola V ، Balestri M, 1984, Le squelette de l'Adrar Amadhel N-Enir ، près de Tin Felki ، Sahara algérien, In :Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris ، XIV °Série ، tome 1 fascicule .1984 ، 2 P-93

البيض ، خاصة في مرحلة البقريات الحديثة وهم من أسلوب "إهرن تاهيلاهي" وهؤلاء عاشوا أيضا في الهوقار مثلما تدل على ذلك الرسوم الصخرية⁽¹⁵⁵⁴⁾ .

ج- مواقع البقريات الوسطى في الهوقار :

تنتشر مشاهد الفن الصخري في مختلف الجهات في الهوقار وهي لا تتركز في منطقة واحدة، لكن بعض المناطق تتميز بكثافة للمشاهد مقابل المناطق الأخرى، ومن بين تلك المناطق :

- منطقة "الاتاكور" : تحتوي هذه المنطقة على مواقع حضارية هامة منها : موقع "لاوني" الذي يسمى أيضا "أدرار تين تلتين" وكذلك موقع "أدرار تين ترين" ، كما توجد بها محطة "تين أفالالان" التي تحتوي رسوماً ونقوشاً شبيهة بنقوش وادي جرات في الطاسيلي، وتحتوي هذه المنطقة أيضا على العديد من القلعات منها " قلعة أفيلال" الشهيرة ، كما توجد بها الكثير من المقابر التي تعود لما قبل التاريخ . (الخريطة 06)

ومن بين المحطات التي توجد بها النقوش محطة "أباريرور" (Abaréror) التي توجد بها نقوش ذات أسلوب رديء، كما توجد نقوش في "أهواغا" (Ahouogga) ، وفي "وادي أكيلكال" (Akéloukel) ، وتوجد نقوش جميلة في منطقة "أمارازا (Amazzara)" التي تقع في الجنوب والجنوب الشرقي "لهيرافوك"، وما يلفت الانتباه في هذه النقوش مشهد نادر لبقرة ذات قرص فوق رأسها وهي الوحيدة في المنطقة، كما تتواجد نقوش "إن دلاج" وفي وادي "تاكيشيشرول" التي تبعد ب 32 كلم شمال شرق تمنراست قرب "قلعة تنهامور" (tinhamour) ، كما توجد نقوش في "تاهينيتيراتيمل" (tahé-n- tératiml)، و"تيفديلين" (tiféfiline) القريبة من "إن دلاج" ⁽¹⁵⁵⁵⁾ .

أما منطقة "تازوليت" التي تقع شرق "الاتاكور" فيوجد بها أحد أهم المراكز الثقافية الهامة في الهوقار وهو موقع "تازروق" الذي توجد به بقايا حضارية ونقوش صخرية تعود

⁽¹⁵⁵⁴⁾ أنظر ما سيأتي حول أسلوب "إهرن تاهيلاهي" في مبحث جماعات إهرن - تاهيلاهي، ص 423

⁽¹⁵⁵⁵⁾ Jean-Pierre Maitre ., 1968, op.cit, p36

لمرحلة البقريات⁽¹⁵⁵⁶⁾، وهي مثل "الايديليس" و"الأبالاسا" من المواقع الهامة في الهوقار (1557).

إلى جانب تلك المواقع توجد نقوش في وادي "أغاماسغامس" (Aramasramas)، كما توجد نقوش حديثة في موقع "إفريزي" (Efrérézzi) تتضمن كتابات تيفناغ مع مشاهد تعود لمرحلة البقريات⁽¹⁵⁵⁸⁾. (الخريطة 06)

- منطقة "أوا هيلاجن" (Oua-Héllégène): وهي تقع جنوب "الاتاكور" ومن مراكزها الحضارية الرئيسية "أمسال" (amsel)، وتمنراست و"تارهاهاوت" (tarhaouhaout)، و"تاهيفت" (tahift)⁽¹⁵⁵⁹⁾، أما "تمنراست" فهي عبارة عن مركز حضاري كبير ولعل هذا الوادي كان نهرا في "النيوليتي" وكان الرعاة يعيشون على ضفتيه وهناك تركوا آثارهم، منها بقايا إنسانية تعود للزنوج، وعثر أيضا على الكثير من اللقى الأثرية كقطع فخار، أما النقوش فنجدتها في محطة "أهليلهيج"، و"ووادي" أوتول⁽¹⁵⁶⁰⁾، وفي منطقة "الغسور"⁽¹⁵⁶¹⁾ قرب تمنراست⁽¹⁵⁶²⁾.

- منطقة "أغاشوم" (Arechoum): تعتبر هذه المنطقة من أغنى المناطق بالنقوش في الهوقار كما أنها تحتوي على مراكز ثقافية هامة هي: "تيت"، "عين امقل"، "هيرا فوك" و"الايديليس" (Idélés)، و"أمكني"، أما عن محطات الفن الصخري التي توجد فيها فنذكر من بينها، موقع "أبولاج" الذي يقع في الجهة الشمالية "لأغاشوم"، وكذا موقع "هيرا فوك" الذي يتوفر على العديد من محطات الفن الصخري، كما توجد نقوش في وادي "أزرو" وفي المغارة القريبة منه التي تحمل نفس الاسم، وتوجد نقوش في موقع "إزار" (Ezar)، وعلى بعد 10 كلم من "هيرا فوك" عبر طريق "إن أمقل" يوجد موقع "إن تهاك" (In-Téhek) الذي يتوفر على

⁽¹⁵⁵⁶⁾ Jean-Loïc Le Quellec ., 2008 , A Propos ..., P43, Jean-Pierre Maitre ., 1968, op.cit , p32

⁽¹⁵⁵⁷⁾ Pierre Rognon et al ., 1990, op.cit .p1247.

⁽¹⁵⁵⁸⁾ Jean-Pierre Maitre ., 1968, op.cit , p40

⁽¹⁵⁵⁹⁾ Ibid, p32

⁽¹⁵⁶⁰⁾ Ibid ,p38-39

⁽¹⁵⁶¹⁾ موقع الغسور كمختلف بقاع الهوقار يتميز بتضاريسه ذات الأشكال المختلفة وذات الطبيعة البركانية فهي تشبه الغابات الحجرية ، يحتوي العديد من الممرات الضيقة ، وتوجد فيها القلعات مثل قلعة وادي "هارتس" hartes

⁽¹⁵⁶²⁾ Franz Trost ., 1998, op.cit.P311, fig 1429

نقوش، وفي نفس المنطقة يوجد موقعي "تادابارياكا" (Tadabiraka) و"تارامات" (Tarmat) وهما يتوفران على نقوش أيضا.

ومن بين المواقع الهامة موقع "تيت" القريب من القرية التي تحمل نفس الاسم والذي يحتوي على العديد من محطات الفن الصخري، وما يميز الفن الصخري في هذه المنطقة هو أنه يتضمن نقوشاً ورسوماً مع العلم أن النقوش تتركز قرب "مغارة إرانكابان" (irankabène) (1563) ورغم أهمية المراكز الحضارية السابقة الذكر إلا أن موقع "إيدليس" هو أهمها جميعا لكونه مركز حضاري كبير يحتوي على الفخار والصناعة الحجرية التي تعود إلى مراحل زمنية مختلفة بالإضافة إلى نقوش صخرية⁽¹⁵⁶⁴⁾. (الخريطة 06)

- التفادست (TAFIDAST): تعبر منطقة "تفادست" منطقة جبلية بالأساس فهي ذات تضاريس صعبة المسالك ووعرة، كما أنها وجهة مفضلة للسواح الأجانب، وهي إلى جانب روعة تضاريسها تحتوى على العديد من المواقع الحضارية التي تتضمن بقايا أثرية ونقوش صخرية من أهمها: "مرتوتك"، "إن إيكير" (In-eker)، "سيرويناوت" (Sérouénout)، "تيهي أنكالان" (téhé- n- kalan)، "وادي أوتول" (outoul)، "إسالي سكين" (ésali-) (sekine)، و"وادي إحييتس" (1565).

وقد أظهرت نتائج الأبحاث أن "منطقة التفادست" (Téfedest) تحتوى على ما يقارب 80 ملجأ صخريا به رسوم أو نقوش إلى جانب العديد من المواقع الأثرية الأخرى، لذلك فإن لهذه المنطقة أهمية كبرى في التعرف على الإنسان والحضارة في ما قبل التاريخ، كما يمكن أن تعطينا فكرة عن البيئة و الظروف المناخية التي كانت سائدة قبل أن تتحول المنطقة بأكملها للجفاف⁽¹⁵⁶⁶⁾. (الخريطة 06).

ومن المرجح بالنسبة لنا أن البقريات الوسطى ممثلة بشكل قليل في "التفادست" وذلك لأن معظم المشاهد تعود إلى المرحلة الحديثة من البقريات، ومن بين المشاهد التي تنتمي إلى البقريات الوسطى في "التفادست" مشاهد "وادي إحييتس" وهو عبارة عن وادي كبير ذو

(1563) Jean-Pierre. Maitre ., 1968, op.cit.p35-36

(1564) Franz Trost ., 1998, op cit .P25

(1565) Jean-Pierre Maitre .,1968, op cit. p32

(1566) Paul Huard., 1970, op.cit, P450, Jean-Pierre. Maitre., 1968, Op.cit, P41-43

مجرى واسع يتصل بوادي "أغرغار"، والنقوش فيه تتواجد في منطقة صغيرة لكنها تتميز بتنوعها في الأسلوب والمشاهد، فالمشاهد القديمة منها تمثل الفيلة ووحيد القرن والزرافات وهي ذات حجم كبير قد يصل طولها إلى 2م، وتمتاز بزنجرة داكنة مما يدل على أنها قديمة، وبعض هذه المشاهد من أسلوب شبه طبيعي مشابه لوادي جرات، كما أن بعضها تنتمي إلى البقريات الحديثة من نفس أسلوب مجموعة مشاهد مرتوتك⁽¹⁵⁶⁷⁾.

- منطقة "أفادافادا": تتجلى أهمية هذه المنطقة من خلال وجود مركز حضاري هام هو "الابالاسا" الذي توجد به مقبرة "تين هينان" كما توجد بجواره نقوش صخرية وصناعات حجرية نيوليتية وكذلك بقايا "فخار"، ومن بين المراكز الحضارية الأخرى الموجودة في المنطقة "إقولان" وتين أمسارا "القريب من وادي "تيت"، وكذلك منطقة "إسالي سكين" الهامة التي تقع في وادي "أوتول"⁽¹⁵⁶⁸⁾، مع العلم أن هذه الأخيرة تتوفر على بقايا حضارية تعود للعصر الحجري القديم، منها بقايا للموسستيرية إلى جانب محطات لنقوش صخرية اكتشفها هنري لوت⁽¹⁵⁶⁹⁾.

- منطقة سركوت (serkout) ووادي "تين ترابين" (tin tarabin): وهي مناطق هامة تحتوي على مناظر جميلة وتعد مقصدا للسواح وإلى جانب ذلك فهي غنية بالنقوش القديمة التي تتواجد في "أميسارا" (Amassara) التي تقع جنوب "تين ترابين"، كما توجد نقوش أخرى في "وادي فيهيك"، وفي أوفكي من بينها نقوش قديمة لفيلة ورموز حلزونية تعود للصيادين، كما توجد نقوش في وادي "إن تيفينار" تتمثل في نقوش جميلة لفيلة ووحيد القرن، بالإضافة إلى ذلك تتوفر المنطقة على مواقع حضارية نيوليتية وقبور التيملوس⁽¹⁵⁷⁰⁾.

(الخريطة 06)

- تهاغا (tahagha): تقع هذه المنطقة في الجنوب والجنوب الغربي للهوفا وأهم موقع ثقافي بها هو موقع "سيلي" (silet) الذي عُثر فيه على بقايا حضارية مختلفة منها تماثيل لحيوانات تعود للنيوليتي⁽¹⁵⁷¹⁾، ومن المواقع الهامة أيضا موقع "أدرار تيوبين" الذي وجدت

⁽¹⁵⁶⁷⁾ Ginette Aumassip ., 2004, Op.Cit.P86

⁽¹⁵⁶⁸⁾ Ouatic HAMDINE., 2001, op.cit , P15

⁽¹⁵⁶⁹⁾ J-P. Maitre ., 1968, Op.Cit, P53

⁽¹⁵⁷⁰⁾ Jean- Pierre. Maitre ., 1968 ,op.cit, p39-40

⁽¹⁵⁷¹⁾ Jean-Loïc Le Quellec ., 2008, A Propos Des ..., P40

به بقايا حضارية مختلفة كما تم العثور على بقايا أسماك في هذه المنطقة مما يدل على أنها كانت بحيرة السابق⁽¹⁵⁷²⁾.

- منطقة "الأغرار": تتضمن هذه المنطقة بعض المواقع الحضارية منها "تاويرت تان أفلة" (Tawrirt-ta-n-afella)، و"الانكيير"، ووادي "تان تامات"⁽¹⁵⁷³⁾، وقد وجدت هناك الكثير من البقايا الحضارية إلى جانب نقوش صخرية تضم مواضيع مختلفة منها نقوش لأسماك⁽¹⁵⁷⁴⁾، أما "تاويرت تان أفلة" (Taourirt-tan-Afala) فهي عبارة عن موقع نيوليتي يتوفر على بقايا حضارية ونقوش لفيلة وزرافات وأبقار، ويمتد هذا الموقع إلى غاية الحدود الغربية "لتاويرت تان أتارام" (Taourirt-tan-Ataram)، أما في الجهة الشرقية فيوجد موقع "إن إيكر" (In-Eker) الذي يتوفر على صناعة تعود للعصر الحجري القديم والحديث⁽¹⁵⁷⁵⁾. (الخريطة 06)

- منطقة "الايغيري" و أمادغور (AMADROR): تقع منطقة الايغيري شمال الهوقار وتوجد بها ثلاثة أودية هي "تاجرت" و"تين تغس" وإغرغار، وهي شبه خالية من المواقع الحضارية ماعدا موقع "وادي تاجرت" الذي توجد به بقايا حضارية⁽¹⁵⁷⁶⁾، أما منطقة أمادغور (AMADROR) فهي تقع شمال شرق تافيديست وقد وجدت بها بعض المقابر التي تعود إلى ما قبل التاريخ منها ما تضم بقايا للزنوج⁽¹⁵⁷⁷⁾، والكثير من تلك القبور تعود للبقريات الوسطى والحديثة⁽¹⁵⁷⁸⁾.

⁽¹⁵⁷²⁾ Gabriel Camps ., 1974, op.cit.P221

⁽¹⁵⁷³⁾ Franz Trost ., 199, op.cit. P31

⁽¹⁵⁷⁴⁾ jean Loic le Quellec ., 1998, op.cit, p73

⁽¹⁵⁷⁵⁾ Jean- Pierre Maitre., 1968 ,Op.Cit , pp31-32

⁽¹⁵⁷⁶⁾ Perret Robert ., 1936, op.cit, p62

⁽¹⁵⁷⁷⁾ Ginette aumassip et michel tauvron ., 1993, op cit. p64

⁽¹⁵⁷⁸⁾ للتعرف على مقابر ما قبل التاريخ الموجودة في الإمدير، يرجى العودة إلى :

Yves Et Christine Gauthier ., 2003, Chronologie ..., P155-161..

Yves Et Christine Gauthier ., 2003 , Orientation Of Some Dry Stone Monuments: "V" Shape Monuments And "Goulets" Of The Immidir Mountains (Algeria ،"(Proceedings Of The 9th annual Meeting Of The European Society For Astronomy In Culture, Stockholm, 27-30 August 2001, Uppsala Astronomical Observatory ،Report 59, P143-151.

Yves Gauthier., W. Nöther, P. Lluch, 1998, Monuments De L'immidir , Algérie, Sahara, 9 ، P143-148

وما يميز هذه المنطقة هو وجود نسبة كبيرة من الرسوم والكثير منها لم يتم التعرف عليها (1579)، ومن بين المواقع الموجودة فيها "وادي تيسدوا" الذي يتوفر على محطات تمثل مشاهد للحياة الرعوية، بالإضافة إلى "وادي تافراكراك" (Tafarakrak) الذي يتضمن مشاهد تعود لمرحل فنية مختلفة، كما تتواجد مشاهد في "إن أغليم" وفي "وادي أنسيفرا" (Anaserfa) "وادي تهاراك" (Taharaq) (1580)، ومن المواقع التي تتضمن الرسوم "وادي إن تيغال" - (n-Teghal) و"تين موسي" وفي "تزازيت" (Tarazit) وفي "إن إناجناج" (I n-Enadjnadj) و "جوغراف" (Joghraf) (1581)، ووجدت رسوم قديمة جدا في "تادراست" (Tadrast) وهي تعود للرؤوس المستديرة (1582).

- نقوش "أقونار" (Aguennar) : وهو من أهم المواقع وأكثرها غنى بالنقوش كما أنه من أولى المناطق التي تم اكتشافها، وكان أول من اكتشفها هو م شودو (M Chaudeau) (1583)، والنقوش فيه تتوزع على مساحة تقدر بـ 2 كلم بين المكان المسمى "مخيم الشعانبة" ووادي "أوتول" (1584).

(1579) Yves & Christine Gauthier., 2006, op.cit, P94

(1580) Yves & Christine Gauthier., 2003, Éléments Remarques ..., pp79-82

(1581) Ibid, pp135-142

(1582) François SOLEILHAVOUP ., 2008. De la fidélité dans le relevé graphique des images rupestres. Exemples au Tassili-n-Ajjer. Nouvelles questions sur les "Têtes rondes", Sahara 19, p194

(1583) El .Hamy ., 1906, Exploration De M Chaudeau Dans Le Sahara : حول هذه الاكتشافات، ينظر: Bulletin De Geographie ,Paris P304-308 , Maurice Benhazera, ., 1908 ، Six mois chez les Touareg du Ahaggar . Alger: Adolphe Jourdan, P216-219

(1584) Henri Lhote., 1964 , Gravures ..., P 35.

فهرس المحتويات:

مقدمة :

الفصل الأول: البيئة الطبيعية للطاسيلي والهوفار:

- أولا: الأقاليم الطبيعية للصحراء الوسطى.....12
- أ- المظهر العام و التضاريس 12
- ب- الإقليم الطبيعي للهوفار 17
- ج- الإقليم الطبيعي للطاسيلي 23
- د- المراكز الثقافية الرئيسية في الطاسيلي 26
- هـ- الإطار الجيولوجي للهوفار والطاسيلي.....35
- ثانيا : المجاري المائية في الصحراء الوسطى 43
- أ- المجاري المائية في الطاسيلي 43
- ب- المجاري المائية في الهوفار 48
- ج- المناطق الرطبة في الطاسيلي والهوفار 52
- ثالثا : البيئة القديمة في الطاسيلي والهوفار..... 56
- أ- المناخ القديم في الصحراء الوسطى 56
- 1- العوامل المؤثرة في المناخ القديم للصحراء..... 58
- 2- التغيرات المناخية في "البلايستوسين" 62
- 3 - التغيرات المناخية في الهلوسان 69
- ب- النباتات والحيوانات في الطاسيلي والهوفار 82
- 1- النباتات والحيوانات في البلايستوسين 82

85	2- النباتات والحيوانات في الهلوسان
88	رابعا: البيئة الحالية في الطاسيلي والهوقار.....
88	أ- طبيعة المناخ الحالي في الصحراء الوسطى
94	ب- النباتات في الطاسيلي والهوقار
99	ج- الحيوانات في الهوقار والطاسيلي
	الفصل الثاني: حضارات ما قبل التاريخ في الطاسيلي والهوقار
108	أولا: حضارات الباليوليتي الأسفل.....
108	أ- الحجارة المشذبة.....
111	ب- الحضارة الأشولية.....
115	ثانيا - حضارات الباليوليتي الأوسط.....
115	أ- الحضارة المستيرية اللافلوازية.....
119	ب- الحضارة العاترية.....
128	ثالثا- ثقافات العصر الحجري القديم المتأخر في الصحراء..
137	رابعا- الإنسان الإيبرومغربي والقفصي في الصحراء.....
144	خامسا: النيوليتي في الطاسيلي والهوقار.....
145	أ- المظاهر الحضارية النيوليتية.....
150	1- النيوليتي الصحراوي
152	2- النيوليتي ذو التقاليد القفصية
156	ب- ثقافات النيوليتي ما قبل الرعوي في الصحراء الوسطى.....
168	ج- أوجه النيوليتي الرعوي (البقري) وثقافته.....

سادسا: الفن الصخري في الطاسيلي والهوفار.....	176
أ - الدراسات حول الفن الصخري.....	176
ب- المظاهر الفنية الأولى في الصحراء	184
ج - تقنية تنفيذ النقوش والرسوم الصخرية.....	190
د- تصنيف الرسوم والنقوش.....	195
هـ - ترمين الرسوم والنقوش.....	202
الفصل الثالث: البقريات القديمة في الطاسيلي والهوفار:	
أولا: بداية الحياة الرعوية في الطاسيلي والهوفار.....	212
أ- الأصول الحضارية والبشرية للفن الصخري.....	211
ب- النيوليتي القديم والاتجاه نحو التدجين.....	218
ج- الأبقار المستأنسة ومسار التدجين في الصحراء.....	230
ثانيا: مرحلة البقريات في الطاسيلي.....	237
أ- التعريف بمرحلة البقريات.....	237
ب- الاطار الزمني لمرحلة البقريات.....	244
ثالثا: الرسوم القديمة في الطاسيلي.....	249
أ- الصيادون والرعاة الأوائل في مرحلة البقريات القديمة.....	249
ب- المجموعات العرقية في البقريات القديمة	253
ج- مناطق تواجد مشاهد البقريات القديمة.....	257
د- الأساليب الفنية لرسوم مرحلة البقريات القديمة.....	265
رابعا : النقوش القديمة في تادرايت ووادي جرات.....	273

أ- نقوش تادرارت الجنوبية.....	273
ب- نقوش وادي جرات.....	276
ج- الأساليب الفنية للنقوش الصخرية	280
خامسا: مواضيع نقوش وادي جرات.....	283
أ- الحيوانات بين التقديس والسحر	283
ب- مظاهر الخصوبة في وادي جرات.....	289
ج- الأساطير المجسدة في النقوش.....	298
د- المظاهر السحرية في وادي جرات.....	300
سادسا : البقرات القديمة في الهوقار	304
الفصل الرابع : البقرات الوسطى في الطاسيلي والهوقار	
أولا : الاطار العام لمرحلة البقرات الوسطى.....	308
أ- التغيرات المناخية والهجرات البشرية في الهلوسان الأوسط.....	308
ب- الاطار الزمني والمكاني للبقرات الوسطى.....	311
ثانيا : المظاهر الحضارية والفنية للبقرات الوسطى.....	315
أ- تدجين الأغنام والماعز.....	315
ب- الأساليب الفنية في البقرات الوسطى.....	322
ج- مواضيع الرسوم في البقرات الوسطى.....	327
1- مشاهد الحياة اليومية للرعاة.....	329
2- مظاهر الخصوبة في الرسوم.....	334
3- طقوس الخصوبة واستدراج الأمطار.....	340
4- المظاهر السحرية.....	343

345.....	5- الأساطير والكائنات الخرافية.
351.....	د- دور الأبقار في حياة الرعاة
351.....	1- تقديس الأبقار
358.....	2- الأبقار وعبادة الشمس و الخصوبة.
359.....	3- الأبقار والمعتقدات السحرية.
362.....	ثالثا : المجموعات البشرية للبقريات الوسطى
362.....	أ- مختلف المجموعات البشرية في الطاسيلي.
374.....	ب- أصول مجموعات البقريات الوسطى.
375.....	ج- مصير شعوب البقريات الوسطى.
378.....	رابعا: البقريات الوسطى في الهوٲار
378.....	أ- هجرة الرعاة إلى الهوٲار
380.....	ب - الملامح العامة لثقافة البقريات في الهوٲار
382.....	1- ثقافة البقريات في التفادست
382.....	2- الجماعات البشرية للبقريات الوسطى في الهوٲار
385.....	ج- مواقع البقريات الوسطى في الهوٲار
الفصل الخامس : البقريات الحديثة في الطاسيلي والهوٲار	
402.....	أولا : بداية مرحلة البقريات الحديثة.
402.....	أ- التغيرات المناخية والوجود البشري في نهاية الألف الثالثة
409.....	ب- الإطار الزمني لمرحلة البقريات الحديثة.
410.....	ج- المظاهر العامة لمرحلة البقريات الحديثة

ثانيا : التركيبة البشرية في مرحلة البقریات الحديثة.....	413
أ- التحركات السكانية في نهاية النيوليتي.....	413
ب- أوائل البربر في الصحراء.....	418
1- جماعات إهرن - تاهيلاهي.....	419
1-1- أصولهم.....	421
1-2- المناطق التي تواجدوا فيها.....	425
1-3- مظاهرهم الحضارية وأسلوبهم الفني.....	426
2- مجموعات تين أنوبين (الليبيين الصحراويين).....	430
3- أوائل البربر الشرقيون.....	433
4- المجموعات الليبية المتأخرة.....	434
ج- المجموعات العرقية الأخرى في البقریات الحديثة.....	434
1- مجموعات وان أميل.....	435
2- مجموعات تيسالاتين	435
3- جماعات تين لالان و بقايا الزنوج	436
ثالثا : مواضيع رسوم مرحلة البقریات الحديثة في الطاسيلي.....	437
أ- الطقوس والممارسات السحرية في البقریات الحديثة.....	441
ب- المظاهر والكائنات الخرافية.....	444
ج- تقديس الأبقار في البقریات الحديثة.....	545
رابعاً- البقریات الحديثة في الهوقار	447

أ- النيوليتي الحديث في الهوفا	447
ب- الثقافة الايدليسة	449
ج- المراكز الحضارية للبقرات الحديثة في الهوفا	452
د- الرسوم الصخرية في الهوفا	452
هـ- الأساليب الفنية للبقرات الحديثة في الهوفا	455
و- العلاقة بين النقوش والرسوم في كل من الطاسيلي والهوفا	456
خامسا : نهاية الحياة الرعوية في الصحراء	459
أ- مشاهد القتال والحروب في البقرات الحديثة	459
ب- امتداد الجفاف في الصحراء وهجرة السكان	463
ج- مصير مجموعات البقرات الحديثة	569
الفصل السادس : مظاهر حضارات رعاة الأبقار في الطاسيلي و الهوفا	
أولا : الاطار الحضاري لرعاة الأبقار في الطاسيلي والهوفا	474
ثانيا: مظاهر الحياة الاجتماعية لدى الرعاة	478
أ- دور المرأة في حياة الرعاة	484
ب- العادات الاجتماعية في مرحلة البقرات	494
1- الزينات الجسدية	494
2- الحلاقة وريش النعام	496
3- اللباس في مرحلة البقرات	497
4- الأدوات	499

505.....	5- الأواني والحلي والخيام.....
512.....	ثالثا : مكانة الحيوانات في حياة الرعاة
512.....	أ- العلاقة بين الإنسان والحيوانات البرية.....
515.....	ب- الحيوانات الممثلات في الفن الصخري.....
540.....	رابعا: دور حضارة الصحراء الوسطى في إفريقيا.....
540.....	أ- الروابط الحضارية بين الصحراء الوسطى وبلاد المغرب
542.....	ب- الصلات الحضارية بين الصحراء الوسطى ووادي النيل.....
550.....	ج- البعد الإفريقي للحضارة في الطاسيلي والهوفار.....
554.....	خاتمة
615	البيبلوغرافيا
655.....	الفهارس :
672.....	ملخص للرسالة باللغة الأجنبية:.....
675.....	فهرس المحتويات.....